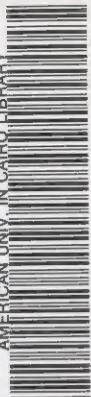


AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY

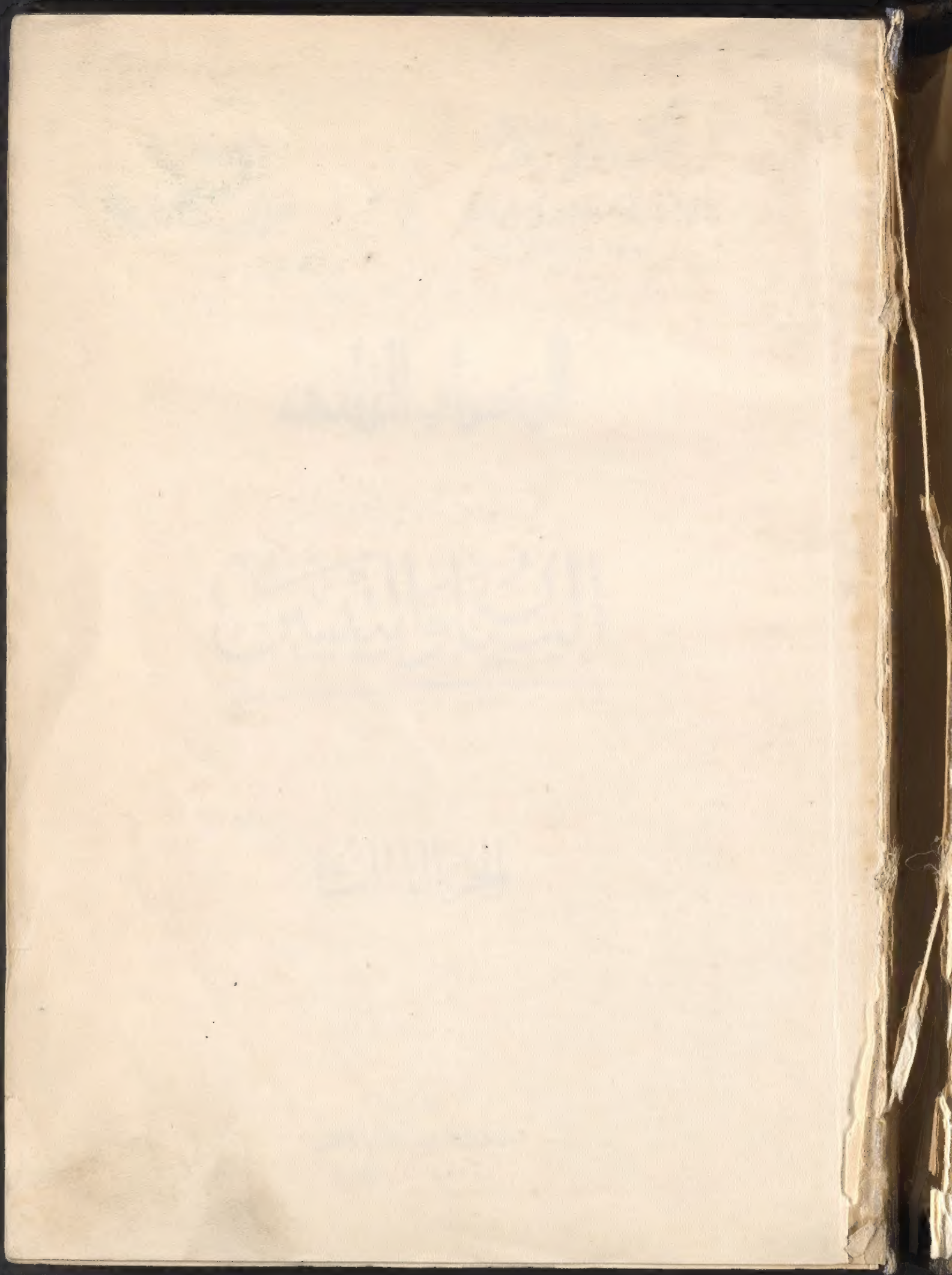


3 8534 01070 6822



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة



SITY

الجا

مكتبة الجاهل

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد الله محمد

الكتاب الثاني

البيئات والنباتات

الجزء الثالث

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

B12594088

1401807x

مكتبة
الجامعة
- 51 - 557

مكتبة

SITY

مكتبة

الجامعة

مكتبة

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة

مكتبة

مكتبة

PJ

7745

J3

A6

1948

Vol. III

al-Jāhiz, 'Amr ibn Bahr,
al-Bayān wa-al-tabyīn.

البيان والتبيين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثالث

بمحقق وشرح

عبد السلام محمد هارون

المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

119
P.C. 6

أول الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب العصا^(١)

هذا أبقاك الله الجزء الثالث ، من القول في البيان والتبيين^(٢) ، وما شابه^(٣) ذلك من غرر الأحاديث ، وشاكله من عيون الخطب ، ومن الفقر المستحسنه ، والنثف المستخرجة ، والمقطعات المتخيرّة ، وبعض ما يجوز في ذلك من أشعار المذاكرة ، والجوابات المنتخبة .

ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية^(٤) ومن يتحلى باسم التسوية^(٥)

(١) ما عدال : « هذا كتاب العصا » . وبعد العنوان : « الحمد لله ولا قوة إلا بالله وصلى الله تعالى على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة » .

(٢) ل : « والتبين » .

(٣) ل والتمورية : « وما شابه » .

(٤) الشعوبية : نسبة غير قياسية إلى « الشعوب » ، وهم فريق من الناس لا يرون للعرب فضلا على غيرهم ، بل يبالغون في ذلك فيذهبون إلى تنقصهم والخط من قدرهم ، حتى

ألقوا في ذلك الكتب . وسما بذلك لانتصارهم للشعوب ، التي هي مغايرة للقبائل ؛ فقد قال جمع من المفسرين في قوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل)

لأن القبائل العرب ، والشعوب العجم . ويقولون : إن زياد بن أبيه حين استلحقه معاوية بأبيه وخشى ألا تقر العرب له بذلك ، صنع كتاب « المثالب » وعدد نقائص العرب . كما أن النضر

ابن شميل الحميري وخالد بن سلمة المخزومي وضعا كتابا في مثالب العرب ومناقبها ، بأمر هشام بن عبد الملك . وكان المهيم بن عدى دعيا في نسبه ، فصنع كتابا طعن فيه على أشرف العرب . وأما

أبو عبيدة ، وقد كان أبوه يهوديا وكان يعير لذلك ، فصنع كتابا في مثالب العرب امتاز بالسعة والاستقصاء . وجاء من بعدهم علان بن الحسن الشعوبى الوراق الزنديق ، ألف لظاهر بن الحسين

كتابا في مثالب العرب ، بدأه بمثالب بنى هاشم ثم بطون قريش ثم سائر العرب ، ولم يعبا في ذلك بالخروج عن أدب الدين ، وقد أجازره طاهر عليه ثلاثين ألف درهم . وصنع ابن غرسية

رسالة في تفضيل العجم على العرب . وقد رد عليه علماء الأندلس بعدة رسائل . انظر شرح البكرى لأمالى القالى ص ٨٠٨ والخزانة (٢ : ٥١٩) وبلوغ الأرب (١٥٩١١ - ١٨٤)

وقد أورد الأخير نموذجا لرد ابن قتيبة على الشعوبية . ولابن الكلبي كتاب في المثالب ، منه نسخة عتيقة بدار الكتب المصرية .

(٥) أى التسوية بين العرب والعجم . ويتحلى أى يتصف .

وبمطاعينهم على خطباء العرب : بأخذ المِخْصَرَةِ عند مناقلة الكلام^(١) ،
ومساجلة الخصوم بالموزون والمُقَفَّى ، والمنثور الذي لم يُقَفَّ ، وبالأرجاز عند
المتح^(٢) ، وعند مجاثنة الخصم^(٣) ، وساعة المشاورة^(٤) ، [و] في نفس المجادلة
والخاورة . وكذلك الأسجاعُ عند المنافرة والمفاخرة^(٥) ، واستعمال المنثور في
خُطْبِ الحَمَالَةِ^(٦) ، وفي مقامات الصلح وسلِّ السخيمة^(٧) ، والقولُ عند
المعاقدَةِ والمعاهدة^(٨) ، وترك اللفظ يجرى على سجيته وعلى سلامته ، حتى
يخرج على غير صنعة ولا اجتلاب تأليف^(٩) ، ولا التماسِ قافية ، ولا تكلفٍ
لوزن . مع الذي عابوا من الإشارة بالعصى ، والاتكاء على أطراف القيسي ،
وخذ وجه الأرض بها ، واعتمادها عليها إذا اسحنفرت في كلامها^(١٠) ، وافتنت يومَ
الحفل في مذاهبها ، ولزومهم المأثم في أيام الجموع ، * وأخذ الخاصر في كلِّ
حال ، وجلوسها في خطب النكاح ، وقيامها في خطب الصلح وكلِّ ما دخل في

(١) المِخْصَرَةُ : ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه ، من عصا أو مقرعة أو عكازة
أو قضيب ، أو ما أشبه ذلك . والمناقلة : مراجعة الكلام في صخب .

(٢) المتح : الاستقاء من أعلى البئر . والبيع : الاستقاء من أسفلها .

(٣) المجاثنة : الجلوس على الركبتين للخصومة .

(٤) المشاورة : أن يتناول بعضهم بعضا عند القتال بالرمح .

(٥) المنافرة : المفاخرة بكثرة عدد القوم وعزتهم . والمفاخرة أعم .

(٦) الحَمَالَةُ ، كسجاية : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٧) سل السخيمة : انتزاعها . والسخائم : الأحقاد والأضغان .

(٨) المعاقدَةُ : المعااهدة والميثاق ، بذلك فسر ابن عباس قوله تعالى : (والذين عاهدت

أيمانكم) . وهذه قراءة جمهور القراء في الآية ٣٣ من سورة النساء . وقرأها بغير ألف عاصم

وحمة والكسائي ، وكذا خلف ، ووافقهم الأعمش . إتحاف فضلاء البشر . ماعدال :

« والمعاقرة » بالراء ، ومعناها التفاجر بعقر الإبل ، يتبارى الرجلان ليرى أيهما أعقر لها ،

وأسلوب الجاحظ في الزاوجة بأباها .

(٩) ماعدال : « اختلاف تأليف » ، محرف .

(١٠) اسحنفر الرجل في منطقه : مضى فيه ولم يتمكن .

باب الحَمالة ، وأكّد شأن المحالفة ، وحقق حُرمة المجاورة ، وخطبهم على رواحهم في المواسم العظام ، والمجامع الكبار . والتأسح بالأكف^(١) ، والتعالف على النار ، والتعاقد على الملح^(٢) ، وأخذ العهد الموكّد واليمين الغموس^(٣) مثل قولهم : ما سرى نجمٌ وهبت ريحٌ ، وبلّ بخرٌ صوفة^(٤) ، وخالفت جرةٌ درّة^(٥) . ولذلك قال الحارث بن حلزة الشكري :

واذكروا حلف ذى المجاز وما قُدِّم فيه : اليهود والكفلاء^(٦)

حذر الخون والتعدّي وهل تنقض ما في المهارق الأهواء^(٧)

الخون : الخيانة . ويروى « الجور » .

وقال أوس بن حَجَر :

إذا استقبلته الشمسُ صَدَّ بوجهه كما صَدَّ عن نار المَهول حالف^(٨)

(١) في أساس البلاغة : « وما سحته : صاغته . والتقوا فماسحوا : فتصالحوا . وتماسحوا على كذا : تصافقوا وتخالقوا » .

(٢) في الحيوان (٤ : ٤٧٢) : « والملح شيطان : أحدهما المرقّة ، والأخرى اللبن » وفي القاموس أن « الملح » الحرمة . وفي اللسان عن ابن الأنباري والخزاعة (٤ : ١٦٤) عن الفضل بن سلمة ، أن « الملح » : البركة . أما النجيري في أيمان العرب ٣١ فيفسر الملح بشيئين : أحدهما ملح الإدام التي يتملح بها ، والآخر اللبن .

(٣) اليمين الغموس : التي لا استثناء فيها . وفي اللسان (غمس) : « وكان عادتهم أن يحضروا في جفنة طيبا ، أو دما ، أو رمادا فيدخلون فيه أيديهم عند التعالف ، ليتم عقدهم عليه باشتراكهم في شيء واحد » .

(٤) في اللسان (صوف) : « وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيواني ، واحدة صوفة . ومن الأبيات قولهم : لا آتيك ما بلّ بخر صوفة » . وانظر الحيوان (٤ : ٤٧٠) . (٥) الجرة ، بالكسر : ما يجتره الحيوان من جوفه . والدرة ، بالكسر : كثرة اللبن وسيلانه . واختلافهما أن الدرة تسفل والجرة تعلو .

(٦) البيتان من معلقته . ذو المجاز : موضع ، كان عمرو بن هند أصلح فيه بين بني بكر وتغلب ، فأخذ عليهم المواثيق والرهائن ، من كل حي ثمانين .

(٧) المهارق : جمع مهرق ، بضم الميم وفتح الراء ، وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، فارسي معرب .

(٨) ديوان أوس ١٦ وأيمان العرب ٣١ . والمهول : الذي كان يتولى تخليف القوم . وكانوا إذا أرادوا أن يستحلفوا الرجل أوقدوا نارا وألقوا فيها ملحاً من حيث لا يشعر الحالف ، فينفقع الملح ، يهلون عليه بذلك .

وقال الكُمَيْت :

كَهَوْلَةٍ مَا أَوْقَدَ الْمُحْلِفُونَ ۖ لَدَى الْخَالِفِينَ وَمَا هَوَّلُوا^(١)

وقال الأوَّل^(٢) :

حَلَفْتُ بِالْمِلْحِ وَالرَّمَادِ وَالنَّارِ وَبِاللَّهِ نُسْلِمُ الْخَلْقَةَ^(٣)

حَتَّى يَظَلَّ الْجَوَادُ مِنْعِرًا وَيَخْضِبَ النَّبْلُ غُرَّةَ الدَّرَقَةِ^(٤)

وقال الأوَّل :

حَلَفْتُ لَهُمْ بِالْمِلْحِ وَالْجَمْعِ شَهْدٌ وَبِالنَّارِ وَاللَّاتِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ

وقال الحُطَيْثَةُ فِي إِضْجَاعِ الْقَيْسِ :

أُمٌّ مِنْ لَخْصِمٍ مُضْجَعِينَ قَيْسِيَّهِمْ صُعْرٍ خُدُودُهُمْ عِظَامِ الْمَفْخَرِ^(٥)

وقال لَبِيدٌ فِي خَدِّ وَجْهِ الْأَرْضِ بِالْعَصَى وَالْقَيْسِ :

نَشِينُ صِحَاحِ الْبَيْدِ كُلِّ عَشِيَّةٍ بَعُوجِ السَّرَّاءِ عِنْدَ بَابِ مُحَجَّبٍ^(٦)

ومثله :

إِذَا اقْتَسَمَ النَّاسَ فَضْلَ الْفَخَّارِ ۖ أَطْلَنَّا عَلَى الْأَرْضِ مِيلَ الْعَصَا^(٧)

(١) الهولة ، بالضم : ما يهولك . وفي الحيوان (٤ : ٤٧١) : « ويهولون على من يخاف »

عليه الغدر بمحقوقها ومنافعها ، والتخويف من حرمان منفعتها . وأنشد البيت . وانظر الحزانة (٣ : ٢١٤) وأيمان العرب للنجيري ٣١ حيث نجد تفصيلاً .

(٢) البيتان أنشدهما في اللسان (حلق) شاهداً على فتح لام «الحلقة» .

(٣) الحلقة ، بسكون اللام وفتحها أيضاً : حلقة القوم ، جماعتهم .

(٤) انمقر : ظل ملق في العفر مترباً . والنبل : السهام . والدركة : واحدة الدرق ،

وهو ضرب من الترسية يتخذ من الجلود . وغرة كل شيء : أوله ووجهه . وفي اللسان : «عروة الدركة» .

(٥) البيت في ديوانه ٦٢ من قصيدة له يرثي بها علقمة بن هوذة . وفي الديوان :

« ميل خدودهم . قال السكري : « وذلك أن القوم إذا جلسوا يتفاخرون خطوا بأظفار قسيهم في الأرض ، يقولون : لنا يوم كذا ، يعدون أيامهم ومآثرهم » . وظفر القوس : ما بين معقد

وترها إلى طرفها . وقد سبق البيت في (١ : ٣٧١) .

(٦) سبق الكلام على البيت وتخرجه في (١ : ٣٧١) .

(٧) سبق أيضاً في (١ : ٣٧٢) .

ومثله :

حكمت لنا في الأرض يومَ مُحَرَّقٍ أَيَّامُنَا في الناس حُكماً فيصلاً^(١)
وقال لبيد بن ربيعة في ذكر القسي :
ما إنْ أَهَابُ إِذَا السَّرَادِقُ غَمَّهُ قَرَعُ الْقَيْسِ وَأُرْعِشَ الرَّعْدِيدُ^(٢)

وقال كثير في الإسلام :

إِذَا قَرَعُوا الْمَنَابِرَ نَمَّ خَطْوَا بِأَطْرَافِ الْمَخَاصِرِ كَالْفِضَابِ^(٣)
وقال أبو عبيدة : سأل معاوية شيخاً من بقايا العرب : أي العرب رأيتَه
أَضْحَمَ شَأْنًا ؛ قال : حِصْنُ بَنِ حُذَيْفَةَ^(٤) ، رأيتَه متوكِّئًا على قوسه يَقسِمُ في
الحليفين أَسَدٍ وَغَطَفَانِ .

وقال لبيد في الإشارة :

غُلِبَ تَشَدَّرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا جِنُّ الْبَدْيِ رَوَاسِيَا أَقْدَامُهَا^(٥)
وقال معن بن أوس المزني^(٦) :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي رَسُولًا عُبَيْدَ اللَّهِ إِذْ عَجَلَ الرَّسَالَا
تُعَاقِلَ دُونَنَا أَبْنَاءَ ثَوَرٍ وَنَحْنُ الْأَكْثَرُونَ حَصَى وَمَالَا^(٧)

(١) في (١ : ٣٧٢) : « كتبت لنا ... يوماً فيصلاً » .

(٢) مضى الكلام عليه في (١ : ٣٧٢) .

(٣) سبق تفسير المخصرة في ص ٦ .

(٤) هو حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، كان قائد ذبيان يوم شعب جبلة . وهو
والد عيينة بن حصن . وللناطقة الذبياني مرثية في حصن بن حذيفة فيها :

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح

(٥) البيت من معاقته . وهو في صفة رجال الحرب . وقوله :

وكشيرة غرباؤها مجهولة ترجى نوافها وينحشى ذامها

القلب : الغلاظ الأعناق ، جمع أغلب . والتشدر : رفع اليد ووضعها . والذحول : جمع
ذحل ، وهو الحقد والثأر . والبدى : البادية ، أو هو موضع . وانظر ما سبق في (١ : ٣٧١) .

(٦) سبقت ترجمته في (١ : ٣٧٢) حيث سبقت الأبيات وتفسيرها . وهي في ديوان

معن بن أوس برواية القالي ص ٢٥ ليسك ١٩٠٣ . وذكر القالي أن « عبيد الله » رجل من
قومه . أما الرسالة فأراها مصدراً مثل الرسالة .

(٧) ضبط في الديوان : « تعاقل دوننا أبناء » .

إذا اجتمع القبائلُ جثتَ رِدْفا وراءَ الماسحينَ لك السبَّالاً^(١)
 * فلا تُعطى عصا الخطباءِ يوماً وقد تُكفى المقادةَ والمقالاً^(٢)
 ٩١ فذكر عصا الخطباءِ كما ترى . وقال آخرُ في حمل القناة :

إلى امرئٍ لا تخطاه الرِّفاق ، ولا جَدْبُ الخِوانِ إذا ما استُنشئَ المرقُ^(٣)
 صُلْبُ الحيازيمِ لا هذرُ الكلامِ إذا هَزَّ القناةَ ولا مُستعجلُ زَعِقُ^(٤)
 وقال جرير بن الخطفي في حمل القناة :

مَنْ للقناة إذا ما عىَّ قائلها أولُ الأَعنةِ ياعمرُو بنَ عَمَّارٍ^(٥)
 قالوا : وهذا مثل قول أبي الجيب الرِّبَعِي^(٦) ، حيث يقول : « ما تزال^(٧)
 تحفظ أخاك حتَّى يأخذَ القناةَ ، فعند ذلك يَفْضَحُك أو يمدحُك » . يقول : إذا
 قام يخطب فقد قام المَقامُ الذي لا بدَّ من أن يخرج منه مذموماً أو محموداً .
 ١٠ وقال عبد الله بن رُوَيْبَةَ^(٨) : سأل رجلٌ رُوَيْبَةَ عن أخطب بنى تميم ، فقال :
 خدش بن لبيد بن بَيْبَةَ بن خالد^(٩) ، يعنى البعيثَ الشاعر . وإنما قيل له
 البعيثُ لقوله :

(١) في جميع النسخ : « أمام الماسحين » صوابه من الديوان ومما سبق .
 (٢) في الديوان : « عصا الخطباء فيهم » ، وقد سبقت هذه الرواية . القائل : « عصا
 الخطباء » يعنى المخصرة ، أى لا يسمعون لك قولاً ولا يقدمونك فى أمر .
 (٣) سبق البيتان فى (١ : ٣٧٣) .
 (٤) الزعق : النشيط الذى يفزع من كل شيء . ما عدال : « زهق » وقد مضت
 هذه الرواية .

(٥) سبق البيت وتخرجه فى (١ : ٣٧٣) . وأشير فى حواشى ل إلى رواية : « إذا
 ما عى حاملها » . و « عمرو بن عمار » تحريف ، إذ أن الشعر فى رثاء عقبة بن عمار ، كما
 أسلفت فى التحقيق . والرواية الصحيحة الثابتة فى ديوان جرير ٢٣٧ :
 أم للقناة إذا ما عى قائلها أم للأعنة ياعقب بن عمار

(٦) مضت ترجمته فى (١ : ٣٧٣) حيث سبق الخبر .
 (٧) ما عدال « لا تزال » .
 ٢٥٠ (٨) المعروف أن « عبدالله بن رُوَيْبَةَ » هو اسم « العجاج » والد رُوَيْبَةَ . أما رُوَيْبَةَ فلم
 يعرف له ولد يدعى « عبدالله » .
 (٩) فى المؤلف ٥٦ : « خدش بن بشر بن خالد بن بَيْبَةَ » .

تَبِعَتْ مِنِّي مَا تَبِعَتْ بَعْدَ مَا أَمَرْتُ حِبَالِي كُلَّ مَرَّتِهَا شَرْرًا^(١)
قال أبو اليقظان^(٢) : كانوا يقولون : أخطب بنى تميم البعيثُ إذا أخذ القناة
فهزَّها ثمَّ اعتمد بها على الأرض ، ثمَّ رفعَهَا .

وقال يونس : لعمرى لئن كان مُغْلِبًا في الشعر لقد كان غُلْبٌ في الخطْب .
وإذا قالوا غُلْبٌ فهو الغالب ، وإذا قالوا مُغْلِبٌ فهو المغلوب^(٣) .

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه جاء إلى البقيع^(٤) ، ومعه مَخْصَرَةٌ ،
فجلس ونكَّتَ بها الأرض ، ثمَّ رفع رأسه فقال : « مَا مِنْ نَفْسٍ مِنْفُوسَةٍ إِلَّا وَقَدْ
كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ »^(٥) . وهو من حديث أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ^(٦) .

ومما يدلُّك على استحسانهم شأنَ المَخْصَرَةِ حديثُ عبد الله بن أنيس
ذِي المَخْصَرَةِ^(٧) ، وهو صاحب ليلةِ الجُهَنِيِّ^(٨) ، وكان النبي عليه السلام ٩٣

(١) سبق في (١ : ٣٧٤)

(٢) هو سحيم بن حفص ، وقد سبق الكلام بإيجاز في (١ : ٣٧٤) .

(٣) انظر ما مضى في (٢ : ٣١٢) .

(٤) هو بقيع الفرقد . وأصل البقيع في اللغة : الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب

شتى . والفرقد : كبار العوسج . وهذا البقيع بداخل المدينة ، وهو مقبرتها . ١٥

(٥) منفوسة ، أى مولودة ، يقال نفست أمه به ، أى ولدته ، فهي نفساء .

(٦) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة (بالتصغير) السلمي الكوفي القارى .

كان لأبيه صحبة ، وكان هو ثقة يكثر الحديث ، قرأ القرآن في المسجد أربعين سنة ، وشهد مع
على صفين ، ثم صار عثمانياً . توفي سنة ٧٢ وهو ابن تسعين سنة . تهذيب التهذيب وصفة

الصفوة (٣ : ٣٠) ونكت الهميان ١٧٨ . ٢٠

(٧) هو عبد الله بن أنيس (بالتصغير) الجهني المدني ، حليف بنى ساعدة من الأنصار ،

شهد العقبة وما بعدها ، ودخل مصر وخرج إلى إفريقية . وتوفي بالشام سنة ٥٤ . الإصابة

٤٥٤١ وتهذيب التهذيب والمعارف ١٢١ .

(٨) قال ابن قتيبة في ترجمته في المعارف ١٢١ : « وهو الذي يقال فيه ليلة الأعمراني ،

وليلة الجهني . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن ينزل من باديته إلى مسجده فيصلي ٢٥

فيه ليلة ثلاث وعشرين ، فكان يدخل المسجد مساء ليلة ثلاث وعشرين إذا صلى العصر ، ثم

لا يخرج عنه إلا الحاجة حتى يصلي الصبح ثم يخرج إلى أهله ، فقليل : ليلة الجهني . وهو الذي

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر أنه قال : التمسوها الليلة . وكانت ليلة

ثلاث وعشرين . »

أعطاه مَحْصَرَةً وقال : « تَلَقَّانِي بِهَا فِي الْجَنَّةِ »^(١) . وهو مهاجري عَقَبِيْ أَنْصَارِيْ ، وهو ذو المَحْصَرَةِ فِي الْجَنَّةِ .

قالت الشَّعَوْبِيَّةُ وَمَنْ يَتَعَصَّبُ لِلْعَجَمِيَّةِ : القَضِيبُ لِلإِيْقَاعِ^(٢) ، والقَنَاةُ لِلنَّقَارِ ، والعَصَا لِلْقِتَالِ ، والقَوْسُ لِلرَّمْيِ . وليس بين الكلام وبين العصا سَبَبٌ ، ولا بَيْنَهُ وبين القَوْسِ نَسَبٌ ، وهما إلى أَنْ يَشْغَلَا الْعَقْلَ وَيَصْرِفَا الْخَوَاطِرَ ، ويعترضَا عَلَى الذَّهْنِ أَشْبَهُ ؛ وليس فِي حَمْلِهِمَا مَا يَشْغِذُ الذَّهْنَ ، ولا فِي الإِشَارَةِ بِهِمَا مَا يَجْلِبُ اللَّفْظَ . وقد زعم أَصْحَابُ الْغِنَاءِ أَنَّ الْمَغْنَى إِذَا ضُرِبَ عَلَى غِنَائِهِ ، قَصَّرَ عَنِ الْمَغْنَى الَّذِي لَا يُضْرَبُ عَلَى غِنَائِهِ . وَحَمَلُ الْعَصَا بِأَخْلَاقِ الْفَدَّادِينَ^(٣) أَشْبَهُ ، وهو بِجَفَاءِ الْعَرَبِ^(٤) وَغُنْجُهِيَّةِ أَهْلِ الْبَدْوِ ، وَمِزَازُ لَةِ إِقَامَةِ الْإِبِلِ عَلَى الطَّرْقِ^(٥) أَشْكَلُ ، وَبِهِ أَشْبَهُ .

قالوا : وَالْخَطَابَةُ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ الْأُمَمِ ، وَبِكُلِّ الْأَجْيَالِ إِلَيْهِ أَعْظَمُ الْحَاجَةِ^(٦) ، حَتَّى إِنَّ الزَّنْبَجَ مَعَ الْغَثَّارَةِ^(٧) ، وَمَعَ فِرطِ الْعَبَاوَةِ ، وَمَعَ كَلَالِ الْحَدِّ وَغِلَظِ الْحَسِّ

(١) تفصيل ذلك ، أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، كَانَ أَرْسَلَهُ إِلَى خَالِدِ بْنِ سَفْيَانَ الْهَذَلِيِّ لِيَقْتُلَهُ ، فَلَمَّا قَتَلَهُ وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أَدْخَلَهُ بَيْتَهُ وَأَعْطَاهُ عَصَاً وَقَالَ : « أَمْسِكْ هَذِهِ الْعَصَا عِنْدَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ » . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَخَرَجْتُ بِهَا عَلَى النَّاسِ فَقَالُوا : مَا هَذِهِ الْعَصَا ؟ قُلْتُ : أَعْطَانِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَمْسُكَهَا عِنْدِي . قَالُوا : أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ فَتَسْأَلَهُ لِمَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقُلْتُ : لِمَ أَعْطَيْتَنِي هَذِهِ الْعَصَا ؟ قَالَ : آيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنْ أَقْلَ النَّاسُ الْمُنْخَصَرُونَ يَوْمَئِذٍ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَقَرَنَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ بِسَيْفِهِ فَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتَّى مَاتَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَضُمَتْ فِي كَفْنِهِ ثُمَّ دُفِنَا جَمِيعاً . السِّيرَةُ ٩٨١ — ٩٨٢ جَوْتَنَجْنَ وَالْمَعَارِفُ ١٢١ .

(٢) الإِيْقَاعُ : إِيْقَاعُ الْحَنَانِ الْغِنَاءِ ، وَهُوَ أَنْ يَوْقَعَ الْأَلْحَانُ وَبَيْنَهَا . وَسَمِيَ الْحَلِيلُ كِتَابًا مِنْ كُتُبِهِ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى كِتَابُ الإِيْقَاعِ .

(٣) فِي الْحَيَوَانَ (٥ : ٥٠٧ — ٥٠٨) : « الْفَدَادُ : الْجَانِي الصَّوْتِ وَالْكَلَامِ » . وَقَدْ سَاقَ فِي ذَلِكَ خَبَرًا وَحَدِيثًا . وَانْظُرْ مَا سَبَقَ فِي (١ : ١٣) .

(٤) مَا عَدَالَ : « بِجَفَاءِ الْعَرَبِ » .

(٥) إِقَامَتُهَا عَلَى الطَّرْقِ ، أَيْ تَوْجِيهِهَا جِهَةً مُسْتَقِيمَةً .

(٦) الْجِيلُ : الصَّنْفُ مِنَ النَّاسِ ، كَالْعَرَبِ وَالرُّومِ وَالتُّرْكِ .

(٧) الْغَثَّارَةُ : أَرَادَ بِهَا الْحَقَّ وَالْجَهْلَ . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مِمَّا لَمْ يَرِدْ فِي الْمَعْجَمِ . وَذَكَرُوا

« الْأَغْثَرُ » وَهُوَ الْأَحَقُّ الْجَاهِلُ .

وفساد المزاج ، لتطيل الخطب ، وتفوق في ذلك جميع العجم ، وإن كانت معانيها أجفى وأغلظ ، وألفاظها أخطل وأجهل ^(١) . وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس وأخطب الفرس أهل فارس ، وأعذبهم كلاماً وأسهلهم مخرجاً وأحسنهم دلاً ^(٢) وأشدّهم فيه تحكما ^(٣) ، أهل مرو ، وأفصحهم بالفارسية الدرية ^(٤) ، وباللغة الفهلوية ^(٥) ، أهل قصبه الأهواز . فأما نعمة الهرايذة ^(٦) ، ولغة الموابذة ^(٧) ، فلصاحب تفسير الزمزمة ^(٨) .

- (١) الخطل : الخطأ . ما عدل : « أخطأ وأجهل » .
 (٢) ما عدل : « ولاء » تحريف . والدل : الهدى والسمت .
 (٣) ما عدل : « تحسكا » .
 (٤) الدرية ، وهي بالفارسية « درى » : إحدى اللغات الفارسية القديمة . ولفظها نسبة إلى « در » بمعنى الباب ، والمراد باب الملك ، أو ما يسمونه بالبلاط . وهي إحدى لغات ثلاث بقيت من سبع لغات قديمة . ويزعمون أن هذه اللغة — وهي لغة القصر — هي اللغة التي يتكلم بها في الجنة . انظر استينجاس ٥١٦ . وذكر ابن التميمي في الفهرست ١٩ قول عبد الله بن المقفع : « لغات الفارسية : الفهلوية ، والدرية ، والفارسية ، والحوزية ، والسريانية . فأما (الفهلوية) فمنسوبة إلى فهلة : اسم يقع على خمسة بلدان ، وهي أصفهان ، والري ، وهمدان وماه نهاوند ، وأذربيجان . وأما (الدرية) فلهة مدن المدائن ، وبها كان يتكلم من بياب الملك وهي منسوبة إلى حاضرة الباب ، والغالب عليها من لغة أهل خراسان والمشرق لغة أهل بلخ . وأما (الفارسية) فيتكلم بها الموابذة والعلماء وأشباهم ، وهي لغة أهل فارس . وأما (الحوزية) فيها كان يتكلم الملوك والأشراف في الخلوة ومواضع اللعب واللذة مع الحاشية . وأما (السريانية) فكان يتكلم بها أهل السواد » . ومثل هذا الكلام مروى عن حمزة الأصفهاني في معجم البلدان (٦ : ٤٠٦ — ٤٠٧) .
 (٥) سبق الكلام عليها في الحاشية السابقة . ونسبتها إلى « بهلول » التي تعرب إلى « فهلة » .
 (٦) الهرايذة : جمع هربذ ، واحدة هرايذة الجوس ، وهم قومة بيوت النار التي للهند ، فارسي معرب . وتقييد بيوت النار بالهندية هو المذكور في المعاجم العربية . وهي مكونة من كلمتين : « هير » بمعنى النار ، و « بد » بمعنى الحافظ والقيم .
 (٧) الموابذة : جمع موبذ ، وهو قاضي الجوس ، فارسي معرب . ما عدل : « ونعمة الموبذان » . والموبذان للجوس كمقاضي القضاة المسلمين ، والألف والنون في آخره علامة الجمع . وتركيبه من كلمتين « مو » بمعنى الدين ، و « بد » أي الحافظ والقيم .
 (٨) الزمزمة : صوت لا يستعملون فيه اللسان ولا الشفة ، وإنما يديرونه في حلقهم فيفهم بعضهم عن بعض ، وإنما يستعمله الجوس عند تناول الطعام ، أو حين الاغتسال . اللسان (زمم) ومعجم استينجاس ٦٢١ .

- قالوا : وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَبْلُغَ فِي صِنَاعَةِ الْبَلَاغَةِ ، وَيَعْرِفَ الْغَرِيبَ ، وَيَتَبَحَّرَ ^(١) في اللغة ، فليقرأ كتاب كاروند ^(٢) . وَمَنْ احتاج إلى العقل والأدب ، والعلم بالمراتب والعبر والمثلات ^(٣) ، والألفاظ الكريمة ، والمعاني الشريفة ، فليُنظَرُ في سِيرِ الملوك . فهذه الفرسُ ورسائلُها وخطبُها وألفاظُها ، ومعانيها . وهذه يُونانُ ^{٩٣} ورسائلُها وخطبُها ، وعللُها وحكمُها ؛ وهذه كتبُها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء بها تعرف السقم من الصحة ، والخطأ من الصواب ؛ وهذه كتبُ الهند في حكمها وأسرارها ، وسيرها وعللها ؛ فمن قرأ هذه الكتب ، وعرف غور تلك العقول ، وغرائب تلك الحكم ، عرف أين البيان والبلاغة ، وأين تكاملت تلك الصناعة . فكيف سقط على جميع الأمم من المعروفين بتدقيق المعاني ، وتحيز الألفاظ ، وتمييز الأمور ، أن يشيروا بالقنا والعصى ، والقضبان والقسي . ^{١٠}
- كلاً ، ولكنكم كنتم رعاة الإبل والغنم ^(٤) ، فحملتم القنا في الحضر بفضل عادتكم لحملها في السفر ، وحملتُموها في المدر بفضل عادتكم لحملها في الوبر ، وحملتُموها في السلم بفضل عادتكم لحملها في الحرب . ولطول اعتيادكم لمخاطبة الإبل ، جفا كلامكم ، وغلظت مخارج أصواتكم ، حتّى كأنكم إذا كلمتم الجلساء إنما تخاطبون الصّمان ^(٥) . وإنما كان جُلُّ قبائلكم بالعصى . ولذلك فخر الأعشى على سائر العرب فقال :

(١) ل : « ويتبحر » تحريف .
 (٢) كاروند ، مكون من كلمتين فارسيتين : « كار » ومعناها الصناعة ، ولا تزال هذه الكلمة مستعملة إلى وقتنا هذا في العامية المصرية . و « وند » بمعنى المديح والثناء .
 (٣) المثلة ، بفتح الميم وضم الناء : العقوبة والتنكيل .
 (٤) ما عدال : « رعاة بين الإبل والغنم » .
 (٥) ما عدال : « كأنكم إنما تخاطبون الصمان إذا كلمتم الجلساء » . والصمان : جمع أصم . قال الجليح :

لَسْنَا نُقَاتِلُ بِالْعَصَى وَلَا نُرَامِي بِالْحِجَارَةِ^(١)

[إِلَّا عُلاَّةً أَوْ بُدَا هَةَ قَارِحٍ نَهْدِ الْجَزَارَةِ^(٢)]

وقال آخر:

فَإِنْ تَمَنَعُوا مِنَّا السَّلَاحَ فَعِنْدَنَا سِلَاحٌ لَنَا لَا يَشْتَرِي بِالدِّرَاهِمِ

جُنَادِلُ أُمْلَاءِ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا رِيَّوسُ رِجَالٍ حُلِقَتْ بِالْمَوَاسِمِ^(٣)

وقال جنبد الطُّهَوِيُّ:

حَتَّى إِذَا دَارَتْ رَحَى لَا تَجْرَى^(٤) صَاحَتْ عَصَىٍّ مِنْ قَنَاءٍ وَسِذَرٍ^(٥)

وقال آخر^(٦):

دَعَا ابْنُ مَطِيعٍ لِلْبِيَاعِ فَجَنَّتُهُ إِلَى بَيْعَةٍ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ آلَفٍ^(٧)

فَنَاولَنِي خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا بِكَفِّي لَيْسَتْ مِنْ أَكْفٍ الْخِلَافِ^(٨)

٩٤ • مِنَ الشَّتْنَاتِ الْكَزْمُ أَنْكَرْتُ مَسَّهَا وَلَيْسَتْ مِنَ الْبَيْضِ الرَّقَاقِ اللَّطَائِفِ^(٩)

(١) ديوان الأعشى ١١٥ .

(٢) البداهة : أول جرى الفرس . والذي بعده . علاة . والقارح : الفرس في السنة الخامسة . والنهد : المرتفع . والجزارة : اليدان والرجلان والعنق .

(٣) الجنادل : جمع جنبد ، وهي صخرة مثل رأس الإنسان . أملاء الأكف : ١٥ • تملؤها : جمع ملء . والمواسم ، عنى بها مواسم الحج .

(٤) أراد بالرحى التي لا تجرى : رحى الحرب .

(٥) قال أبو منصور : القناة من الرماح ما كان أجوف كالقصب . السدر : شجر النبق .

(٦) هو فضالة بن شريك الأسدي ، أحد مخضرمي الجاهلية والإسلام . وكان من خبر

٢٠ الشعر أن عبدة بن الزبير كان قد ولي عبدالله بن مطيع الكوفة ، فكان ينشر الدعوة ويتقبل البيعة لابن الزبير ، حتى إذا نهض المختار بن أبي عبيد ودعا لنفسه ، طرد عن الكوفة فيمن طرد عبدالله بن مطيع ، فقال فضالة الشعر . وقد رواد أبو الفرج في الأغاني (١٠ : ١٦٤) برواية أبسط .

(٧) سبق هذا البيت وتاليه في (١ : ٩٤) .

٢٥ (٨) الشتنات : جمع شتنة بسكون الشاء ، وقد حرك العين في الجمع مع أنه وصف ، وهو شاذ إلا فيما ذهب قطرب والمبرد ، حيث يجزان الفتح في جمع الصفات . همع المواسم (٢٣ : ١) ، وأوضح المسالك (جمع المؤنث السالم) . والكزم : جمع كزماء ، وهي القصيرة الأصابع .

معاودة حمل الهراوى لقومها فروراً إذا ما كان يوم التسايف^(١)
وقال آخر^(٢):

ما للفرزدق من عز يلوذ به إلا بنى العم في أيديهم الخشب^(٣)
قالوا : وإنما كانت رماحكم من ممران^(٤) ، وأسنتكم من قرون البقر ،
وكنتم تركبون الخيل في الحرب أعراء^(٥) . فإن كان الفرس ذا سرج فسرجه
ريحالة من آدم ، ولم يكن ذا ركاب . والركاب من أجود آلات الطاعن
برمحه ، والضارب بسيفه . وربما قام فيهما واعتمد عليهما^(٦) . وكان فارسهم
يطعن بالقناة الصماء ، وقد علمنا أن الجوفاء أخف حملاً ، وأشد طعنة . ويفخرون
بطول القناة ولا يعرفون الطعن بالمطارد^(٧) ، وإنما القنا الطوال للرجالة ، والقصار
للفرسان ، والمطارد لصيد الوحش . ويفخرون بطول الرمح وقصر السيف ، فلو
كان المفتخر بقصر السيف الرجل دون الفارس ، لكان الفارس يفخر بطول
السيف ، وإن كان الطول في الرمح إنما صار صواباً لأنه يُنال به البعيد ، ولا
يفوته العدو ، ولأن ذلك يدل على شدة أسر الفارس وقوة أيده . فكذلك^(٨)
السيف الطويل العريض .

١٥ (١) الهراوى ، بفتح الواو : جمع هراوة ، وهى العصا الضخمة . والتسايف :
التضارب بالسيوف .

(٢) هو جرير . ديوانه ٤٨ . وكان بنو العم — وهم مرة بن مالك بن حنظلة ، كما
في اللسان (١٥ : ٣٢٤) — قد أعانوا الفرزدق عليه .
(٣) بعده في الديوان :

٢٠ سيروا بنى العم فالأهواز منزلكم ونهر تيرى فافترفكم العرب
الضاربو النخل لا تنبو مناجلهم عن العذوق ولا يعيهم الكرب

(٤) في اللسان (مرن) : « قال أبو عبيد : المران نبات الرماح » .

(٥) أعراء : جمع عرى ، بالضم ، وهو الذى لا سرج عليه .

(٦) أراد في الركابين : مثني الركاب ، إذ أن الركاب لا يستعمل إلا مزدوجاً . والركاب

٢٥ ككتاب : ما يضع فيه الفارس رجله .

(٧) المطارد : جمع مطارد ، بكسر الميم ، وهو رمح قصير يطرد به الوحش وغيره .

(٨) ل « وكذلك » .

وكنتم تتخذون للقناة زُجًا وسِنَانًا حين لم يقبض الفارسُ منكم على أصل قناته ، ويعتمد عند طعنته بفخذه ، ويستعين بحِمِيَّة فرسه .

وكان أحدُكم يقبض على وسط القناة ويخالف منها مثل ما قدّم^(١) ، فإنما طعنكم الرِّزَّةُ^(٢) والنَّهْزَةُ^(٣) ، والخلْسُ والزَّجُّ^(٤) .

وكنتم تنساندون في الحرب^(٥) ، وقد أجمعوا على أن الشرُّكة رديَّة في ثلاثة أشياء : في المُلْك ، والحرب ، والزَّوْجَة .

وكنتم لا تقاتلون بالليل ، ولا تعرفون البيات ولا السكِين^(٦) ، ولا الميمنة ولا الميسرة ، ولا القلب ولا الجناح ، ولا السَّاقَة ولا الطليعة^(٧) ولا النفيضة ولا الدَّرَاجَة^(٨) ، ولا تعرفون من آلة الحرب الرتيلة ولا العَرَادَة^(٩) ، ولا المجانيق^(١٠) ،

١٠ (١) ما عدال : « على مثل ما تقدم » . وكلمة « على » مقحمة .

(٢) الرزّة : الطعنة بشيء يثبت في المطعون ، كالسكين في الحائط . ما عدال : « الدرّه » ، وليس بشيء .

(٣) النهزة : المرة من النهز ، وهو الطعن في دفع .

(٤) الطعنة الخلس : التي يخلسها الطاعن بحذقه . والزج : الطعن في بحلة .

١٥ (٥) يقال : خرج القوم متساندين ، أى على رايات شتى ، إذا خرج كل بنى أب على راية ولم يجتمعوا على راية واحدة وأمير واحد .

(٦) البيات : الإيقاع بالقوم في جوف الليل وهم غارون . والسكِين : القوم يكمنون للعدو ويستخفون في مكان لا يفتن له .

(٧) ساقّة الجيش : مؤخرته ، جمع سائق ، وهم الذين يسوقون جيش الفزاة ويكونون من ورائه يحفظونه .

٢٠ (٨) النفيضة : نحو الطليعة ينفضون الأرض ينظرون هل فيها عدو أو خوف . ما عدال : « النفاضة » . والدراجة : الدبابة التي تتخذ في الحرب يدخل فيها الرجال .

(٩) الرتيلة لم أجد من فسرّها . ولعلها ضرب من المجانيق . وأما العرادة فهي شبه المنجنيق صغيرة .

٢٥ (١٠) المجانيق : جمع منجنيق ، معرب من الفارسي « منجنيك » وهذه مأخوذة من اليوناني : Magganon ، وهي آلة ترمى بها الحجارة في القتال . ويضطرب اللغويون العرب في تأصيلها من الفارسي . انظر المعرب للجوابي بتحقيق العلامة أحمد شاكر ٣٠٦ ومعجم استينجاس ، وقد ذكر الأخير أنها مأخوذة عن اليوناني .

ولا الدَّبَابَات^(١) ، ولا الخَنَادِق ، ولا الحُسَك^(٢) ، ولا تعرفون الأَقْبِيَّة^(٣) ولا ٩٥
السَّرَاوِيلَات ، ولا نعليقَ الشُّيُوف ، ولا الطَّبُولَ ولا البنود^(٤) ولا التَّجَافِيف^(٥) ،
ولا الجواشن^(٦) ، ولا الخُوَذَ^(٧) ، ولا السواعد ولا الأجراس ، ولا الوَهَقَ^(٨)
ولا الرَّمَى بالبَنَجَكَان^(٩) ، والزَّرَقَ بالنَّفْطِ والنيران .

وليس لكم في الحرب صاحبُ عِلْمٍ يرجع إليه المُنْحَاز^(١٠) ، ويتذكَّره المنهزم .
وقتالكم إِمَّا سَلَّةً وإِمَّا مَزَاحِقَةً^(١١) . والمزاحفة على مواعد متقدِّمة ، والسَّلَّةُ مُسَارِقَةٌ
وفي طريق الاستلاب والخُلُسَةِ .

قالوا : والدَّلِيلُ على أنكم لم تكونوا تقاتلون بالليل قولُ العاصمى^(١٢) :

- (١) الدبابة : آلة تتخذ من جلود وخشب ، يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن
١٠ المحاصر لينقبوه وتقيهم ما يرمون به من فوقهم . ما عدال : « الدباب » تحريف .
(٢) الحسك من أدوات الحرب ، ربما اتخذ من حديد وألقى حول العسكر ، وربما اتخذ
من خشب فنصب حوله ، وذلك لمرقلة سير العدو . وأصل الحسك حسك السعدان ، وهو
شوكه ، ثم جعل لما يعمل على مثاله من السلاح ، انظر اللسان (حسك) والمخلص (٣ : ٨٤) .
(٣) الأقبية : جمع قباء ، كسحاب ، وهو ضرب من الثياب ، سمي بذلك لاجتماع أطرافه .
١٥ (٤) البند : العلم الكبير « فارسي معرب .
(٥) جمع تجفاف ، بكسر التاء وفتحها ، وهو ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه
الجراح ، يقال فرس مجفف ، وقد يلبسه الإنسان أيضا .
(٦) الجوشن : زرد يلبسه الصدر والخيروم .
(٧) جمع خوذة ، وهى بالضم : المففر ، وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس
٢٠ يلبس تحت القلنسوة . ولم يذكر صاحب اللسان والجمهرة « الخوذة » ، وذكرها صاحب القاموس .
(٨) الوهق : حبل شديد القتل ، يرى وفيه أنشودة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .
(٩) البنجكان : كلمة فارسية ، معناه السكرات المصنوعة من القطن المندوف ، مفردها
في الفارسية « بنجك » ، والألف والنون للجمع عندهم . ويبدو أن هذه السكرات كانت تغمس
في النفط ثم يرمى بها وهى مشتعلة .

- (١٠) انحاز القوم : تركوا مراكزهم ومعركة قتالهم ومالوا إلى موضع آخر .
٢٥ (١١) المزاحفة : أن تمشي كل فئة زحفا ، أى مشيا رويدا ، قبل التدانى للضرب .
(١٢) هو خدّاش بن زهير العاصمى ، شاعر جاهلى ، وقيل لأنه شهد حينئذ مع المشركين
ثم أسلم . الإصابة ٢٣٢٣ والأغاني (١٩ : ٧٦) وحماسة ابن الشجرى ٣١ .

يا شدة ما شددنا غيرَ كاذبةٍ على سخينةٍ لولا الليل والحرم^(١)
ويدلّك على ذلك أيضاً قول عبد الحارث بن ضرار^(٢) :

وعمرو إذ أتانا مستميتاً كسونا رأسه غضباً صقيلاً^(٣)
فلولا الليل ما أبوا بشخصٍ يحتر أهلهم عنهم قليلاً
وقال أمية بن الأسكر^(٤) :

ألم تر أن ثعلبة بن سعدٍ غضابٌ، حبّذا غضبُ الموالي
تركتُ مصرّفاً لما التقينا صريعاً تحت أطراف العوالي
ولولا الليل لم يُفِلتْ ضرارٌ ولا رأسُ الحمار أبو جُفّال

قلنا : ليس فيما ذكرتم من هذه الأشعار دليلٌ على أن العرب لا تقاتل
بالليل . وقد يقاتل بالليل والنهار من تحوّل دون ماله المدنُ وهولُ الليل . وربما
تجازز الفريقان وإن كلَّ واحدٍ منهم يرى البيات^(٥) ، ويرى أن يقاتل إذا
بيّتوه . وهذا كثير . والدليل على أنهم كانوا يقاتلون بالليل قولُ سعد بن مالك^(٦)
في قتل كعب بن مُزَيْقيا الملك الغسانی :

(١) البيت يقوله في وقعة حنين ، أو في حرب الفجار ، كما في الأغاني والإصابة .
و « سخينة » كناية عن قريش . وأصل السخينة دقيق يلقى على ماء أو لبن فيطبخ ثم يؤكل
بتمر ، أو يحسى . وكانت قريش تكثر من أكلها فعيرت بها حتى سماوا سخينة . ومثله قول
كعب بن مالك :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلب مغالب الغلاب
(٢) ما عدال : « الحارث بن ضرار » . ومن رجال العرب « الحارث بن أبي ضرار »
وهذا لم يعرف بشعر ، وهو والد جويرة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو من
بنى المصطلق . الإصابة ٤٤٢٤ ، والسيرة ٧٢٥ ، ٣ ، ١ والاشتقاق ٢٨١ .

(٣) كساه السيف ، أى جلله به وعظمه . الغضب : السيف القاطع .
(٤) ما عدال : « بن الأشكر » تحريف . وهو أمية بن حرثان بن الأسكر الليثي
الكناني . شاعر سيد فارس مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وعمر عمرأ طويلاً . الأغاني
(١٨ : ١٥٦ — ١٦٢) والعمرين ٦٧ — ٦٩ .

(٥) البيات : اسم من قولهم : بيت القوم والعدو : أوقع بهم .
(٦) سعد بن مالك بن ضبيعة ، أحد شعراء العرب وفرسانهم في الجاهلية ، ولا سيما =

وليلة تبّع وخميس كعب
فلم نهّدْ لبأسهمْ ولكن
أتونا ، بعد ما نمنا ، ديبنا
ركبنا حدّ كوكبهم رُكوبا^(١)
بضرب يُفلقُ الهاماتُ منه
وطعنٍ يفصل الخلق الصّليباً^(٢)

وقال بشر بن أبي حازم :

فأما تميم تميم بن مُرّ فالنّاهمُ القومُ رَوّبي نيّاماً^(٣)
يقول : شربوا الرّائب من اللّبن فسكروا منه ، وهو اللّبن الذي قد^(٤) أدرك
ليُمخَض . يقال منه راب يروب رَوّبا ورءوبا . ورؤبة اللّبن : خيرة تلقى فيه من
الحامض . ورؤبة الليل : ساعة منه . يقال أهرق عنا من رؤبة الليل . وقال
بعضهم : منه قول الشاعر^(٥) :

* فالنّاهم القومُ رَوّبي نيّاماً *

ويقال : رَوّبي : خُبراء الأَنْفُسِ مختلطون . ويقال شربوا من الرّائب فسكروا .
وقال عياض السّيدى^(٦) :

= يوم قضة ، وهو القائل في تحضيض الحارث بن عباد رئيس بكر :
يا بؤس للحرب التي وضعت أراھط فاستراحوا
والحرب لا يبقى لصاحبها التّخيل والمراح
الأعاني (٤ : ١٤٣ — ١٤٤) .

(١) لم نهّد ، أى لم نكسر . والبأس : الشدة . ما عدال : « فلم تهدو » تحريف .
وكوكب الجبش : معظمه . وأنشد في اللسان :
وملومة لا يخرق الطرف عرضها لها كوكب فخم شديد وضوحها
(٢) ما عدال : « تفلق الهامات » . والحلق : جمع حلقة ، عنى به حلق الدرع .
(٣) البيت من قصيدته في مختارات ابن الشجرى ٦٩ — ٧١ .
(٤) بعد هذه الكلمة فيما عدال : « أخرجت زبدته » . والكلام بعدها إلى « فسكروا »
من ل فقط .

(٥) هو بشر بن أبي حازم ، كما سبق قريبا .

(٦) عياض السّيدى : نسبة إلى السّيد ، وهم بنو السّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن
ضبة ، فهو ضبي أيضا . وفي معجم الرّزبانى : « عياض بن حنين الضّبي ، جاهلي ، يقول : =

ونحن نَجَلْنَا لابن مِلاء نَحْرَهُ بَنَجَلَاءَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ تَشَهُقُ^(١)
 وَيَوْمَ بَنِي الدَّيَّانِ نَالَ أَخَاهُ بِأَرْمَاحِنَا بِالسَّيِّ مَوْتُ مُحَدَّقُ^(٢)
 وَمِنَّا حُمَاةُ الْجَيْشِ لَيْلَةً أَقْبَلَتْ إِيَادُ يَزْجِيهَا الْهُمَامُ مُحَرَّقُ^(٣)

وقال آخر :

• وَعَلَى شَتِيرٍ رَاحَ مِنَّا رَائِحٌ بِأَيِّ قَبِيصَةٍ كَالْفَنِيْقِ الْمُقَرَّمِ^(٤)
 يَرْدِي بِشَرْحَافِ الْمَفَاوِرِ بَعْدَ مَا نَشْرُ النَّهَارِ سَوَادَ لَيْلٍ مَظْلِمِ^(٥)
 * وَقَالَ عِيَاضُ السَّيْدِيِّ^(٦) :

٩٧

لِحَمَامِ بِسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ بَعْدَ مَا جَنَحَ الظَّلَامُ بِمِثْلِ لَوْنِ الْعِظْمِ^(٧)

وقال أوس بن حجر :

١٠ بَاتُوا يُصِيبُ الْقَوْمَ ضَيْفًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا مَا لَيْلُهُمْ أَظْلَمَا^(٨)

== وَمِنَا الَّذِي أَدَّى ابْنَ جَفْنَةَ رَحْمَةً إِلَى الْحَيِّ مَجْنُونًا يَنْجِبُ وَيَعْنُقُ .
 فَهُوَ هُوَ . التَّيْمُورِيَّةُ « عِيَاضُ بْنُ السَّيْدِيِّ » ب ، ج : « عِيَاضُ بْنُ السَّيْدِيِّ » كَلَامًا مَحْرُوفًا عَمَّا
 أَثْبَتَ مِنْ ل .

(١) نَجَلَهُ بِالرَّمْحِ يَنْجَلُهُ نَجْلًا : طَعَنَهُ وَأَوْسَعَ شَقَّهُ . وَطَعَنَةُ نَجْلَاءَ : وَاسِعَةٌ . تَشَهُقُ :
 تَصَوَّتْ مِنْ قُوَّةِ انْدِفَاعِ الدَّمِ .

١٥

(٢) بِالسِّي ، لَعَلَّهَا « بِالسِّي » : أَرْضُ بَيْنِ ذَاتِ عَرَقٍ وَوَجْرَةٍ .
 (٣) الْهُمَامُ : الْمَلِكُ الْعَظِيمُ الْهَمَّةُ . وَمُحَرَّقٌ : لَقِبَ عَمْرُو بْنِ هَنْدٍ ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِتَحْرِيقِهِ
 بَنِي تَمِيمٍ يَوْمَ أُوَارَةَ .

(٤) شَتِيرٌ : مَوْضِعٌ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (شَتْر) عِنْدَ إِثْنَادِ هَذَا الْبَيْتِ . وَالرَّوَايَةُ فِيهِ وَفِي
 مَجَالِسِ ثَعْلَبٍ ٥٣٩ : « يَا أَيُّ قَبِيصَةٍ » .

٢٠

(٥) فِي الْأَصْلِ وَاللِّسَانِ (شَرْحَف) : « تَرْدِي » صَوَابُهُ بِالْيَاءِ . وَالشَّرْحَافُ : السَّرِيعُ .
 وَالْمَفَاوِرُ : جَمْعُ مَفَارٍ بِضَمِّ الْمِيمِ : مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ مِنْ أَغَارَ . مَا عَدَالَ : « بِشَرْحَافِ الْمَفَادِرِ » .
 تَحْرِيفٌ .

(٦) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَالْأَبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ مَقْطُوعَةٌ وَاحِدَةٌ فِي مَجَالِسِ ثَعْلَبٍ .

٢٥

(٧) بِسْطَامُ بْنُ قَيْسٍ ، سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (١ : ٢١) . جَنَحَ الظَّلَامُ : أَقْبَلَ . وَالْعِظْمُ ،
 بِكَسْرِ الْمِيمِ وَاللَّامِ : عَصَاةٌ يَخْضَبُ بِهَا .

(٨) هَذِهِ الْأَبْيَاتُ لَمْ تَرُدْ فِي دِيْوَانِ أَوْسٍ . ل : « بِصَيْتِ الْقَوْمِ » .

قَرَوُهُمْ شَهَبَاءَ مَلُومَةٍ مِثْلَ حَرِيقِ النَّارِ أَوْ أَضْرَمًا^(١)
 وَاللَّهِ لَوْلَا قُرْزُلٌ مَا نَجَّيْنَا وَكَانَ مَثْوًى خَدَّكَ الْأَخْرَمًا^(٢)
 نَجَّاكَ جَيْشًا هَزِيمٌ كَمَا أَحْمَيْتَ وَسْطَ الْوَبْرِ الْمَيْسَمَا^(٣)
 وَبَعْدُ فَهَلْ قَتَلَ ذُوَابُ الْأَسَدِيِّ عَتِيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ إِلَّا فِي وَسْطِ
 اللَّيْلِ الْأَعْظَمِ ، حِينَ تَبْعُوهُمْ فَلِحِقْوِهِمْ .
 وَكَانُوا إِذَا أَتَجَمَعُوا لِلْحَرْبِ^(٤) دَخَنُوا بِالنَّهَارِ ، وَأَوْقَدُوا بِاللَّيْلِ . قَالَ عَمْرُو
 ابْنُ كَلْثُومٍ وَذَكَرَ وَقْعَةً لَهُمْ :
 وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقَدَ فِي خَزَازٍ رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِيْنَا^(٥)
 وَقَالَ خَنْخَامُ السَّدُوسِيُّ^(٦) :
 وَإِنَّا بِالضُّلَيْبِ بِيْطُنٍ فَجَرٍّ جَمِيعًا وَاضْعِينَ بِهِ لَفْظَانَا^(٧)

(١) الشهباء : الكتبية التي عليها بياض الحديد . أضرم : أشد اشتعالا .
 (٢) قرزل : اسم فارس طفيل بن مالك ، كما في نسب الحنيل لابن الكلبي ٢٦ وأسماء
 خيل العرب لابن الأعرابي ٧٥ . والبيت في الموضع الأول واللسان (خرم) برواية : « إذ نجنا » .
 ورواية الجاحظ تخرج على جعل « ما » مصدرية ، وفي قرزل يقول سلمة بن الحرشب لعامر
 ابن الطفيل :

فإنك يا عامر ابن فارس قرزل معبد على قيل الحنا والهواجر
 يا عامر ، أي يا عامر . المفضليات (١ : ٣٦) . والأخرم : أخرم الكتف ، أي رأسها .
 (٣) الجيـاش : المتدفق في الجرى . والهزيم : الشديد الصوت . والميسم : ما يؤسم به
 البعير ونحوه .

(٤) ما عدال : « اجتمعوا للحرب » .
 (٥) ما عدال : « في خزازي » وهما روايتان . والبيت في معلقته .
 (٦) ذكره ابن دريد في الاشتقاق ٢١٢ في رجال بني سدوس ، قال : « ومنهم الخنخام
 وكان من فرسانهم ، وكان ذا بغى فسمى بذلك لأنه يتخنخم في كلامه ، كأنه يجئن نفسه »
 وفي حواشي الاشتقاق : « الخنخام بن سلمة ، الاسم الأول بخاءين معجمتين » وحمله بحاء غير
 معجمة بفتحيتين ، واسمه الحارث . وهو شاعر فارس ، وسمى الخنخام لأنه كان يتخنخم على الناس
 يجئن نفسه على كل أسير حتى يكفه . وكان ظلوما ، ويقول : أنا جار كل من طلعت عليه الشمس .
 وفي اللسان (خم) : « والخنخام : رجل من بني سدوس ، سمي بالخنخمة » .

(٧) الضليب ، بهيئة التصغير : جبل عند كاظمة كانت به وقعة بين بكر بن وائل وبني عمرو
 ابن تميم . وأنشد ياقوت البيت في معجم البلدان منسوباً إلى الأعشى ، ورواية : « وبطن فلج » .

نُدَخِّنُ بالنهار لِيَبْصِرُونَا وَلَا نَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَتَانَا
وَأَمَّا قَوْلُهُمْ : « وَلَا يَعْرِفُونَ السَّكِين » فَقَدْ قَالَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسْلَتِ (١) :
وَأَحْرَزْنَا الْمَغَانِمَ وَاسْتَبَحْنَا حِمَى الْأَعْدَاءِ وَاللَّهُ الْمَعِينُ
بَغِيرِ خِلَابَةٍ وَبَغِيرِ مَكْرِ مُجَاهِرَةٍ وَلَمْ يُخْبَأُ كَمِينُ

٩٨

وَأَمَّا ذِكْرُهُمُ لِلرُّكْبِ (٢) ، فَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الرُّكْبَ كَانَتْ قَدِيمَةً ، إِلَّا أَنَّ
رُكْبَ الْحَدِيدِ لَمْ تَكُنْ فِي الْعَرَبِ إِلَّا فِي أَيَّامِ الْأَزَارِقَةِ (٣) . وَكَانَتْ الْعَرَبُ لَا تُعَوِّدُ
أَنْفُسَهَا إِذَا أَرَادَتْ الرُّكُوبَ أَنْ تَضَعَ أَرْجُلَهَا فِي الرُّكْبِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَنْزُؤُونَ وَتَنْزَوُا .
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لَا تَخْوَزُ قُوَّةٌ (٤) » مَا كَانَ صَاحِبُهَا يَنْزُو
وَيَنْزِعُ » ، يَقُولُ : لَا تَنْتَبِثْ قُوَّتُهُ مَا دَامَ يَنْزِعُ فِي الْقَوْسِ ، وَيَنْزُو فِي السَّرِجِ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِرُكَابٍ .

وَقَالَ عُمَرُ : « الرَّاحَةُ عُقْلَةٌ ، وَإِيَّاكُمْ وَالسَّمْنَةَ فَإِنَّهَا عُقْلَةٌ (٥) » .
وَلِهَذِهِ الْعِلَّةَ قُتِلَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي ، حِينَ غَشِيَهُ الْعَدُوُّ وَأَرَادَ الرُّكُوبَ
وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَحْمِلُهُ . وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ قَدْ أَخْصَبُوا ،

١٥ (١) أَبُو قَيْسٍ كُنْيَتُهُ ، وَاخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ وَالْمَشْهُورُ الرَّاجِحُ أَنَّهُ صَيْفِيُّ بْنُ الْأَسْلَتِ عَامِرُ
ابْنِ جَثْمِ بْنِ وَائِلِ الْأَنْصَارِيِّ . وَكَانَتْ الْأَوْسُ قَدْ أَسْنَدَتْ أَمْرَهَا إِلَى أَبِي قَيْسٍ وَجَعَلَتْهُ رَئِيسًا
عَلَيْهَا فَكُنِيَ وَسَادَ . وَاخْتَلَفَ فِي إِسْلَامِهِ ، فَقِيلَ أَنَّهُ أَسْلَمَ ، وَقِيلَ أَنَّهُ وَعَدَ بِالْإِسْلَامِ .
ثُمَّ سَبَقَ إِلَيْهِ الْمَوْتُ فَلَمْ يَسْلَمْ . الْإِصَابَةُ (٧ : ١٥٧) وَالْأَغْنَى (١٥ : ١٥٤) وَابْنُ الْأَثِيرِ
(١ : ٢٨٤) .

٢٠ (٢) الرُّكْبُ ، بَضْمَتَيْنِ : جَمْعُ رُكَابٍ ، وَهُوَ مَا يَضَعُ فِيهِ الْفَارِسُ رِجْلَهُ .
(٣) الْأَزَارِقَةُ : جَمْعُ أَزْرَقٍ ، نَسَبُهُ إِلَى نَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ الْخَنْفِيِّ ، مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ . أَحَدُ
شَجْعَانَ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ ظَهَرُوا فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ ، وَقَدْ تَوَلَّى قِتَالَهُمُ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْرَةَ مِنْ قَبْلِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَهَزَمَهُمْ عِنْدَ دَوْلَابِ الْأَهْوَازِ . وَمَاتَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ فِي تِلْكَ الْهَزِيمَةِ سَنَةَ
٦٥ . انْتَهَى بِاخْتِصَارٍ مِنْ مَعْجَمِ الْفُرُقِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

(٤) مَا عَدَالَ : « قَوَى » : جَمْعُ قُوَّةٍ .
(٥) عُقْلَةٌ ، أَيْ تَعْقِلُ صَاحِبُهَا وَتَحْبِسُهُ .

وهم كثير منهم بمقاربة عيش العجم : « تمعددوا واخشوشنوا^(١) » ، واقطعوا الرُّكْب ، وانزوا على الخيل نزواً » . وقال : « احفوا وانتعلوا ؛ فإنكم لا تدرون متى تكون الجفلة^(٢) » .

وكانت العرب لا تدع اتخاذ الرُّكْب للرَّحْل فكيف تدع الرُّكْب للسرَّج ؟ ! ولكنهم كانوا وإن اتخذوا الرُّكْب فإنهم كانوا لا يستعملونها إلا

عند ما لا بد منه ، كراهة أن يتسكلوا على بعض ما يؤرثهم الاسترخاء والتفتخ^(٣) ويضاهئوا أصحاب الترفعة والنعمة^(٤) . قال الأصمعي : قال العمري : كان عمر

ابن الخطاب يأخذ بيده اليسرى^(٥) أذن فرسه اليسرى ، ثم يجمع جراميزه ويثب^(٦) ، فكانما خلق على ظهر فرسه . وفعل مثل ذلك الوليد بن يزيد

ابن عبد الملك وهو يومئذ ولي عهد هشام ، ثم أقبل على مسleme بن هشام فقال له : أبوك يحسن مثل هذا ؛ فقال مسleme : لأبي مائة عبد يحسنون مثل هذا .

فقال الناس : لم ينصفه في الجواب . وزعم رجال من مشيختنا أنه لم يقم أحد من ولد العباس بالملك إلا وهو جامع لأسباب الفروسيّة .

وأما ما ذكرنا من شأن رماح العرب فليس الأمر في ذلك على ما يتوهمون .

والرُّماح طبقات : فمنها النيزك^(٧) ، ومنها المربع ، ومنها الخموس^(٨) ، ومنها التام ، ومنها الخطل وهو الذي يضطرب في يد صاحبه لإفراط طوله . فإذا أراد

(١) تمعددوا ، أي تشبهوا بعيش معد بن عدنان ، وكان أهل قشف وغلظ في المعاش .

(٢) الجفلة : الانزعاج والمرود والذهاب في الأرض .

(٣) التفتخ ، من قولهم فتخه تغنيخا ، أي قهره وأذله . ما عدال : « التفتخ »

ولا وجه له .

(٤) الترفة ، بالضم : الترف والنعمة . ما عدال : « والصرفة » تحريف .

(٥) ما عدال : « اليمنى » .

(٦) الجراميز : جملة البدن : الجسد والأعضاء .

(٧) النيزك : الرمح القصير ، فارسي معرب ، فارسيته « نيزه » . استينجاس ١٤٤٢ .

(٨) المربع : الذي طوله أربع أذرع . والخموس : الذي طوله خمس .

الرَّجُلُ أَنْ يَخْبِرَ عَنْ شِدَّةِ أَسْرِ صَاحِبِهِ ذَكَرَهُ كَمَا ذَكَرَ مَتَمُّ بْنُ نُوَيْرَةَ أَخَاهُ
مَالِكًا ، فَقَالَ : « كَانَ يَخْرُجُ فِي اللَّيْلَةِ الصَّنْبَرِ ^(١) عَلَيْهِ الشَّمْلَةُ الْفَلَوْتُ ^(٢) ، بَيْنَ
الْمَزَادَتَيْنِ النَّضُوحَيْنِ ، عَلَى الْجُلِّ الثَّنَالِ ^(٣) ، مَعْتَقِلَ الرُّمَحِ الْخَطِلِ » . قَالُوا [لَهُ] :
وَأَيْبُكَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْجُلْدُ . وَلَا يَحْمِلُ الرُّمَحَ الْخَطِلُ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّدِيدُ الْأَيْدِ ^(٤) ،
وَالْمُدِلُّ بِفَضْلِ قُوَّتِهِ عَلَيْهِ ، الَّذِي إِذَا رَأَاهُ الْفَارِسُ فِي تِلْكَ الْهَيْئَةِ هَابَهُ وَحَادَ عَنْهُ ،
فَإِنْ شَدَّ عَلَيْهِ كَانَ أَشَدَّ لَا سِتْخَذَانَهُ لَهُ ^(٥) .

وَالْحَالُ الْآخَرَى أَنْ يَخْرُجُوا فِي الطَّلَبِ بِعَقِبِ الْغَارَةِ ، فَرَبَّمَا شَدَّ عَلَى
الْفَارِسِ الْمُؤَلَّى فِيْفُوتِهِ بَأَنْ يَكُونَ رُحْمُهُ مَرْبُوعًا أَوْ مَخْمُوسًا ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْتَعْمَلُونَ
النِّيَّازَكَ ، وَالنَّيْزَكَ أَقْصَرَ الرَّمَّاحِ . وَإِذَا كَانَ الْفَارِسُ الْمَهَارِبُ يَفُوتُ الْفَارِسَ الطَّالِبَ
زَجَّهَ بِالنَّيْزِكَ ، وَرَبَّمَا هَابَ مَخَالِطَتَهُ فَيَسْتَعْمِلُ الزَّجَّ دُونَ الطَّعْنِ ، صَنِيعَ ذُؤَابِ
الْأَسَدَى بَعْتِيَّةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ .
وَقَالَ الشَّاعِرُ ^(٦) :

وَأَسْمَرُ خَطِيًّا كَانَ كُؤُوبَهُ

نَوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرَبَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ ^(٧)

وَقَالَ آخِرُ ^(٨) :

(١) يُقَالُ لَيْلَةُ صَنْبَرٍ وَصَنْبَرَةٌ : شَدِيدَةُ الْبَرْدِ . ب ، ج : « الصَنْبَرَةُ » وَكَلَامُهَا صَحِيحٌ .
(٢) الشَّمْلَةُ : الْكِسَاءُ وَالْمُتَزَرُّ يَتَشَجُّ بِهِ . وَالْفَلَوْتُ : الَّتِي لَا يَنْضُمُ طَرَفَاهَا لَصْفَرُهَا ،
أَوْ الَّتِي لَا تُثَبَّتُ عَلَى صَاحِبِهَا لِلْنِّهَا أَوْ خَشُونَتِهَا . وَكَلِمَةُ مَتَمُّ فِي الْكَامِلِ ٧٦٣ وَشُرُوحُ سَقَطِ
الزَّنَدِ ٥٨٧ بِرَوَايَةِ أُخْرَى .

(٣) مَزَادَةُ نَضُوحٍ : تَنْضُجُ الْمَاءِ . وَالثَّنَالُ ، كَسَحَابٍ : الْبَطْنُ الْثَقِيلُ .
(٤) الْأَيْدِ : كَسِيدٍ : الْقَوَى . وَيَصِحُّ أَنْ تَقْرَأَ « الْأَيْدِ » بِسُكُونِ الْيَاءِ وَالْإِضَافَةِ .
وَالْأَيْدِ : الْقُوَّةُ كَالْأَدِ .

(٥) الِاسْتِخْذَاءُ . الْخُضُوعُ . مَا عَدَالَ : « لِاسْتِخْذَامِهِ » تَحْرِيفٌ .

(٦) هُوَ حَاتِمُ الطَّائِي ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (قَسْبٌ) ، وَلَيْسَ فِي دِيَوَانِهِ .

(٧) الْقَسْبُ : التَّمَرُّ الْيَابِسُ ، وَنَوَاهُ أَصْلَبُ النَّوَى .

(٨) هُوَ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَسِ . وَالْبَيْتُ فِي دِيَوَانِهِ ٤٣ وَالْمَقَابِيسُ وَاللِّسَانُ (خَمْسٌ) .

هاتيك تحملى وأبيض صارماً ومحرَّباً في مارِنِ خموس^(١)

وقال آخر :

فولوا وأطرافُ الرماح عليهم قوادِرُ، مربوعاتُ وطوالها^(٢)

وهم قومُ الغاراتُ فيهم كثيرة، وبقدر كثرة الغارات كثر فيهم الطلب . ١٠٠
والفارس ربما زاد في طولِ رِجِّه ليُخبر عن فضل قُوَّته ؛ ويُخبر عن قصر سيفه
ليُخبر عن فضل نَجْدته . قال كعبُ بن مالك :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا قَدُمَا وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقْ
وقال آخر^(٣) :

إِذَا الْكَلَاءُ تَنَحَّوْا أَنْ يَصِيبَهُمْ حَدُّ الطُّبَّاتِ وَصَلْنَا بِأَيْدِينَا
وقال رجلٌ من بني نَمِر^(٤) :

وَصَلْنَا الرَّقَاقَ الْمَرْهَفَاتِ بِخَطُونَا عَلَى الْهَوْلِ حَتَّى أَمَكْنَتْنا الْمَضَارِبُ
وقال حميد بن نور الهلالي :

ووصل الخطا بالسَّيْفِ والسَّيْفِ بِالْخَطَا إِذَا ظَنَّ أَنَّ السَّيْفَ ذُو السَّيْفِ قَاصِرٌ^(٥)
وقال آخر :

الطاعنون في النُّحُورِ وَالْكَلَى شَزْرًا وَوَصَّالُ السُّيُوفِ بِالْخَطَى^(٦) ١٥

وَأَمَّا مَا ذَكَرُوا « مِنْ اتِّخَاذِ الزُّجِّ لِسَافِلَةِ الرُّمَحِ ، وَالسَّنَانِ لِعَالِيَتِهِ » فَقَدْ

(١) محرباً ، أى سناناً مذبذباً محدداً . والرواية في المصادر المتقدمة : « ومذبذباً » .
والمارن : الصلب اللين . والخموس : ما طوله خمس أذرع .

(٢) ما عدال : « تولوا » .

٢٠

(٣) هو بشامة بن حزن النهشلي . والبيت من أبيات في الحماسة (١ : ٢٥) .

(٤) ما عدال : « من بني نَمِر » .

(٥) أى إذا ظن ذو السيف أن سيفه قاصر .

(٦) الطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال .

ذكروا أن رجلاً قتل أخويه في نقاب^(١) ، أحدهما بعالية الرُمح ، والآخر بسافلته . وقدم في ذلك راكبٌ من قبل بنى مروان على قتادة^(٢) يستثبت الخبر من قبله ، فأثبتته له .

وقال الآخر :

إن لقيسٍ عادةً تعتادها سَلَّ السيفِ وخُطى تزدادها
وقد وصفوا أيضاً السيف بالطول . وقال عُمارة بن عَقِيل^(٣) :
بكلِّ طویل السيف ذی خیزرانةٍ جریء على الأعداء معتمد الشَّطب^(٤)

* * *

وجملة القول أننا لا نعرف الخطبَ إلا للعرب والفرس . فأما الهندُ فإنما لهم

١٠١ معانٍ مدونة ، وكتبٌ مَحَلَّة^(٥) ، لا تضاف إلى رجلٍ معروف ، ولا إلى عالمٍ موصوف ، وإنما هي كتبٌ متوارثة ، وآدابٌ على وجه الدهر سائرة مذكورة .

ولليونانيّين فلسفةٌ وصناعةٌ منطق ، وكان صاحبُ المنطقِ نفسه بكيّ

اللسان ، غيرَ موصوفٍ بالبيان ، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه ،

وبخصائصه . وهم يزعمون أن جالينوس^(٦) كان أنطقَ الناس ، ولم يذكروه

(١) أصل النقاب البطن ، أراد في دفعة واحدة .

(٢) قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، المترجم في (١ : ٢٤٢) .

(٣) هو عمارة بن عَقِيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطمي ، من شعراء الدولة العباسية . وكان النجويون البصريون يأخذون عنه اللغة . الأغاني (٢٠ : ١٨٣ — ١٨٨) .

(٤) الخيزرانة : واحدة الخيزران ، وهي الرماح . والشطب من الخيل : الطويل الحسن الخلق .

(٥) ما عدال : « مجلدة » .

(٦) كان جالينوس إمام الأطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته ، وكان بعد المسيح بنحو مائتي عام وبعد بقرط بنحو ستمائة سنة . وكان يقد إلى رومة كثيراً لمعالجة ملكها

المجنوم ، وكان يغزو مع ملوك رومية لتدبير الجرحى ، ويفهم من تاريخه أنه دخل مصر وبلاد النوبة . وله مؤلفات شتى في الطب والفلسفة سردها ابن النديم والقفطي في إخبار العلماء بأخبار الحكماء .

بالخطابة^(١) ، ولا بهذا الجنس من البلاغة . وفي الفُرس خطباء ، إلا أن كلَّ
 كلامٍ للفرس ، وكلَّ معنى للعجم ، فإنما هو عن طولِ فكرة ، وعن اجتهاد رأى ،
 وطولِ خلوة^(٢) ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طولِ التفكير ودراسة الكتب ،
 وحكايةِ الثاني علمَ الأول ، وزيادةِ الثالث في علمِ الثاني ، حتَّى اجتمعت ثمار تلك
 الفكر عند آخرهم . وكلُّ شيءٍ للعرب فإنما هو بديهته وارتجال ، وكأنه إلهام ،
 وليست هناك معاناة ولا مكابدة ، ولا إجالة فكر ولا استعانة ، وإنما هو أن
 يصرفَ وهمة إلى الكلام ، وإلى رجز يوم الخصاص ، أو حين يمتنع على رأس بئر ،
 أو يحدو ببيعير ، أو عند المقارعة أو المناقلة ، أو عند صراع أو في حرب ، فما هو إلا
 أن يصرفَ وهمة إلى جملة المذهب ، وإلى العمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني
 أرسالا^(٣) ، وتتنال عليه الألفاظ انثيالا ، ثم لا يقيده على نفسه ، ولا يدرسه
 أحداً من ولده^(٤) . وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطبوعين لا يتكلمون ، وكان
 الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر ، وله أقهر^(٥) ، وكل واحد في
 نفسه أنطق ، ومكانه من البيان أرفع ، وخطباؤهم للكلام أوجد^(٦) ، والكلام
 عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ ، ويحتاجوا إلى تدارُس ،
 وليس هم كمن حفظ علم غيره ، واحتذى على كلام من قبله ، فلم يحفظوا إلا
 ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل بعقولهم ، من غير تكلف ولا قصد ،

(١) لكن ذكر الففطي ٨٦ أنه « كانت له بمدينة رومية مجالس مقامية خطب فيها
 وأظهر من علمه بالتشريع ما عرف به فضله ، وبأن به علمه » . وقال : « وكان جالينوس
 عالما بطريق البرهان خطيبا . وله كتاب ناقض به الشعراء ، وكتاب في لحن العامة » .

(٢) ما عدال : « وعن اجتهاد وخلوة » .

(٣) أرسالا : أفواجا ، جمع رسل بالتحريك .

(٤) يقال درسته إياه ، وأدرسته أيضا . قالوا : وقرأ ابن حيوة في الشواذ : « وبما كنتم

تدرسون » بضم التاء . ويقال دارست الكتب وتدارستها وادارستها .

(٥) كلمة « له » من ل فقط .

(٦) ما عدال : « وخطباؤهم أوجز » .

ولا تحفظ ولا طلب . وإن شيئاً هذا ^(١) الذى فى أيدينا جزء منه ، لىالمقدار الذى
١٠٣ لا يعلمه إلا * من أحاط بقطر السحاب وعدد التراب ، وهو الله الذى يحيط بما
كان ، والعالم بما سيكون .

ونحن — أبقاك الله — إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد
والأرجاز ، ومن المنثور والأسجاع ، ومن المزدوج وما لا يزدوج ، فمعنا العلم أن
ذلك ^(٢) لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة ، والرونى العجيب ، والسبك
والنحت ، الذى لا يستطيع أشعر الناس اليوم ، ولا أرفعهم فى البيان أن يقول
مثل ذلك إلا فى اليسير ، والتبذ القليل ^(٣) .

ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التى بأيدى الناس ^(٤) للفرس ، أنها
صحيحة غير مصنوعة ، وقديمة غير مولدة ، إذ كان ^(٥) مثل ابن المقفع وسهل بن
١٠ هارون ، وأبى عبيد الله ، وعبد الحميد وغيلان يستطيعون ^(٦) أن يولدوا مثل تلك
الرسائل ، ويصنعوا مثل تلك السير .

وأخرى : أنك متى أخذت بيد الشعوبى فأدخلته بلاد الأعراب الخلف ،
ومعدن الفصاحة الثامة ، ووقفته على شاعر مفلق ، أو خطيب مضقع ، علم أن
الذى قلت هو الحق ، وأبصر الشاهد عياناً . فهذا فرق ما بيننا وبينهم .
١٥ ففهم عنى ، فهمك الله ، ما أنا قائل فى هذا ، نعم أعلم أنك لم تر قوماً قط أشقى
من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه ، ولا أشد استهلاكا لِعرضه ، ولا

(١) هذه الكلمة من ل فقط .

(٢) ما عدل : « على أن ذلك » .

(٣) التبذ ، بالفتح : الشيء القليل . ل : « والشيء القليل » .

(٤) ما عدل : « فى أيدي الناس » .

(٥) ما عدل : « إذا كان » .

(٦) ما عدل : « وغيلان وفلان وفلان لا يستطيعون » .

أطول نصبا ، ولا أقل غنا من أهل هذه النحلة . وقد شفى الصدور منهم طول
جثوم الحسد على أكبادهم ، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم ، وغليان تلك
المراجل الفائرة ، وتسعر تلك النيران المضطربة . ولو عرفوا أخلاق أهل كل
ملة ، وزى أهل كل لغة وعللهم^(١) ، على اختلاف شاراتهم^(٢) وآلاتهم ،
وشمائلهم وهيئاتهم ، وما علل كل شيء من ذلك ، ولم اجتلبوه^(٣) ولم تكلفوه ،
لأراحوا أنفسهم ، ولخفت مؤونتهم^(٤) على من خالطهم

والدليل على أن أخذ العصا مأخوذ من أصل كريم ، ومعدن شريف ،
ومن المواضع التي لا يعيبها إلا جاهل ، ولا يعترض عليها إلا معاند ، ١٠٣
اتخاذ سليمان بن داود صلى الله عليه وسلم العصا لخطبته ، ولقائمه ، وطول صلاته ،
ولطول التلاوة والانتصاب ، فجعلها لتلك الخصال جامعة . قال الله عز وجل
[وقوله الحق] : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ
تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ^(٥) فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي
الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . والمنسأة هي العصا .

قال أبو طالب حين قام بدم الرجل الذي ضربه بالعصا فقتله حين تخاصما في
حبل وتجادبا : ١٥

أمن أجل حبلى لا أباك علوته بمنسأة قد جاء حبلى وأحبلى^(٦)

(١) كلمة « أهل » في الموضعين من ل فقط .

(٢) الشارة : الهيئة ، واللباس . ب ، ح : « إشاراتهم » التيمورية : « إشارتهم »
صوابهما في ل .

(٣) ما عدل : « اختلقوه » ، تحريف . ٢٠

(٤) ب ، ح : « وتخففت » . التيمورية : « وتخفت » .

(٥) ل : « من منسأته » تحريف . على أنه قرئ : « من ساته » . والساة : العصا ،
استعير اسمها من ساة القوس وسيتها . انظر تفسير أبي حيان (٧ : ٢٦٧) في تفسير
سورة سبأ .

(٦) لا أباك ، أى لا أبالك ، حذف اللام ، كما في قوله : ٢٥

وقال آخر :

إذا دبَّت على المنسة من كِبَرٍ فقد تباعد منها اللهو والغزل^(١)

قال أبو عثمان : وإنما بدأنا بذكر سليمان صلى الله عليه لأنه من أبناء العجم ،
والشعوبية إليهم أميل ، وعلى فضائلهم أحرص ، ولما أعطاهم الله أكثر^٥
وصفاً وذِكراً .

وقد جمع الله لموسى بن عمران عليه السلام في عصاه من البرهانات العظام ،
والعلامات الجسام ، ما عسى أن يفي ذلك بعلامات عدّة من المرسلين ، وجماعة
من النبيّين . قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر من عصاه^(٢) : ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ
يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا ﴾ ، إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ
١٠ حَيْثُ أَتَى ﴾ .

فلذلك قال الحسن بن هانئ في شأن خصيب^(٣) وأهل مصر حين
اضطربوا عليه :

وقد مات شباخ ومات مزرد وأى كريم لا أباك يخلد
= وقول أبي حية :

أبالموت الذى لا بد أنى ملاق لا أباك تخوفنى
وأكثر ما يستعمل في المدح ، أى لا كافى لك غير نفسك . وقد يذكر في معرض الذم ، كما
يقال لا أم لك . والبيت لم يرد في ديوان أبي طالب مخطوط الشنقيطى بدار الكتب . وأنشده
في اللسان (نسأ) برواية : « قد جر أحباك أحبل » . وبعده بأبيات :
٢٠ هلم إلى حكم ابن صخرة إنه سيحكم فيما بيننا ثم يعدل
كما كان يقضى في أمور تنوبنا فيعمد للأمر الجميل ويفصل
(١) أنشده في اللسان (نسأ) برواية : « من هرم » . وفي اللسان وما عدال :
« فقد تباعد عنك » .

(٢) ما عدال : « في عصاه » .

(٣) هو الخصيب بن عبد الحميد العجمي ثم المزارى ، أمير مصر . وهو دهقان من أهل
٢٥ المزار شريف الآباء ، وليس بابن صاحب نهر أبي الخصيب ، ذاك عبد المنصور يقال له مرزوق
وكان هذا رئيساً في أرضه ، فانتقل إلى بغداد وصار كاتباً مهرويه الرازى ، ثم انتقل إلى الإمارة . =

فإن تك من فرعون فيكم بَقِيَّةٌ فإن عصا موسى بكف خصيب
ألم تر أن السحرة لم يتكلفوا تغليظ الناس والتمويه عليهم إلا بالعصى ،
إلا بعصاه .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ
مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنْ
الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ .

وقال الله عز وجل : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْتُ تُتْلَى وَإِنَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ
الْمُتْلَقِينَ . قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ
عَظِيمٍ . وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَوَقَعَ
الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . ألا ترى أنهم لما سحروا أعين الناس
واسْتَزْهَبُوهم بالعصى والحبال ، لم يجعل الله للحبال من الفضيلة في إعطاء البرهان
ما جعل للعصا ، وقدرة الله على تصريف الحبال في الوجوه ، كقدرته في
تصريف العصا .

١٥ = ديوان أبي نواس ٩٧ . وقد وفد أبو نواس على الخصب في حادثة سنة . أخبار أبي نواس ٢٣٤ .
وكان من خير هذا الشعر أن أهل مصر كانوا قد شنعوا على الخصب لزيادة في أسعارهم ، وكان
على شربه وعنده أبو نواس . فوثب أبو نواس وقال : دعني أيها الأمير أكلهم . فقال : ذاك
إليك ، فخرج حتى وافى المسجد الجامع وقد تواعدوا أن يجتمعوا فيه ، فأنشده هذه الأبيات ،
ويقال إنه ارتجلها على المنبر ، فلما سمعها من اجتمع تفرقوا فلم يبق أحد منهم ، وعاد إلى مجلس
الخصب فأمر له بألف دينار . أخبار أبي نواس ٢٤٠ . والأبيات كما رواها ابن منظور وكما
في الديوان ١٠٣ :

٢٥ منحتكم يا أهل مصر نصيحتي ألا فخذوا من ناصح بنصيب
ولا تثبوا وثب السفاة فتحملوا على حد حامى الظهر غير ركوب
فإن يك باق إفك فرعون فيكم فإن عصا موسى بكف خصب
رماكم أمير المؤمنين بحجة أكل لحيات البلاد شروب
ولما استنشده الرشيد هذه الأبيات قال : ألا قلت فباق عصا موسى بكف خصب ؟ فقال له :
هذا يا أمير المؤمنين أحسن ، ولكنه لم يقع لي .

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ . فبارك كما ترى على تلك الشجرة ، وبارك في تلك العصا ، وإنما العصا جزء من الشجر .

وقال عز وجل: ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ .

وقالت الحكماء : إنما تُبنى المدائن على الماء والكلا^(١) والمختطب^(٢) . فجمع بقوله : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ النجم والشجر ، [والمِلْح] واليقطين^(٣) ، والبقل والعُشب . فذكر ما يقوم على ساق وما يتفتن وما يتسطح ، وكل ذلك مرعى ، ثم قال على النسق : ﴿ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ ، فجمع بين الشجر والماء والكلا^(٤) والماعون كله ؛ لأن الملح لا يكون إلا بالماء ، ولا تكون النار إلا من الشجر .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ . وقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ . نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ . والمرخ والعقار^(٥) ، والسَّوَّاسُ^(٦) والمراجين ، وجميع عيدان النار ، وكل

(١) سبق هذا في (٢ : ١٩٣) والحيوان (٥ : ٩٩) .

(٢) اليقطين ، بالفتح : كل شجر لا يقوم على ساق ، نحو الدباء ، والقرع والبطيخ ، والحنظل .

(٣) المرخ : شجر كثير الوري سريعه ، وهو من العضاء ينفرش ويطول في السماء ، وليس له ورق ولا شوك . والعقار ، كسحاب : شجر مثله يتخذ منه الزناد ، وهو شجر خوار ، ولذلك جاد للزناد .

(٤) السَّوَّاس ، كسحاب : شجر من العضاء يقتدح به . ل « السَّوَّاس » تحريف .

(٣ — البيان — ثالث)

عُودٌ يُقَدِّحُ عَلَى طُولِ الْاِحْتِكَاكِ فَهُوَ غَنِيٌّ بِنَفْسِهِ ، بِالْفِعْلِ لِلْمَقْوَى وَغَيْرِ الْمَقْوَى ^(١) ١٠٥
وَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى قَرَاعَةِ الْحَدِيدِ ، وَهِيَ يَحْتَاجَانِ إِلَى الْعُطْبَةِ ^(٢) ، ثُمَّ إِلَى الْحَطَبِ .
وَالْعِيدَانُ هِيَ الْقَادِحَةُ وَالْمُورِيَّةُ ، وَهِيَ الْحَطَبُ .

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ .

وَالْمَاعُونَ : الْمَاءُ وَالنَّارُ وَالْمَلْحُ ^(٣) وَالْكَلاُ . وَقَالَ الْأَسَدِيُّ ^(٤) :

وَكَأَنَّ أَرْحَلَنَا بِجَوِّ مُحْصَبٍ بِلَوَى عُنَيْزَةٍ مِنْ مَقِيلِ التُّرْمُسِ ^(٥)

فِي حَيْثُ خَالَطَتِ الْخُرَامِي عَرَجًا يَأْتِيكَ قَابَسُ أَهْلِهَا لَمْ يُقْبَسِ ^(٦)

وَإِنَّمَا وَصَفَ خِصْبَ الْوَادِي وَلُدُونَةَ عِيدَانِهِ ، وَرَطُوبَةَ الْوَرَقِ . وَهَذَا
خِلَافَ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ هِنْدٍ ^(٧) :

فَإِنَّ السَّنَانَ يَرْكَبُ الْمَرْءُ حَذَّةً مِنْ الْعَارِ أَوْ يَعْدُو عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدَ ^(٨)

وَأَنَّ الَّذِي يَنْهَاكُمُ عَنْ طِلَابِهَا يَنْأَغِي نِسَاءَ الْحَيِّ فِي طُرَّةِ الْبُرْدِ ^(٩)

يُعَلِّلُ وَالْأَيَّامُ تَنْقُصُ عَمْرَهُ كَمَا تَنْقُصُ النَّيْرَانُ مِنْ طَرَفِ الزَّيْتِ

(١) المقوى : المسافر ينزل بالأرض التي ، بكسر القاف ، وهي القفر .

(٢) العطبة : القطعة من العطب ، بضمين وبضمة واحدة ، وهي القطن .

(٣) كلمة « والملح » من ل فقط .

(٤) وهذه النسبة أيضاً في الحيوان (١٢١ : ٣) . لكن نسبه في (٤٦٥ : ٤)

إلى المرار بن منقذ .

(٥) ما عدال : بأرض محصب . وفي المخصص (١٠ : ١٣٣) : « بجو محصب »

والجو : ما انخفض من الأرض . وعنيزة : موضع بين مكة والبصرة . والترمس : ماء لبني أسد .

وفي المخصص : « من مفيض الترمس » .

(٦) البيت في المخصص (١٠ : ١٧٦ / ١١ : ٣٢) .

(٧) في الحيوان (٣ : ٤٨ ، ٤٧٩) : « عمرو بن هند » . وفي (٦ : ٥٠٢) :

« عبد هند » . وفيما عدال هنا : « وهذا خلاف قوله » فقط .

(٨) من العار ، أى من خشية العار ، فالحر يذود عن حوضه بالسلاح ويقتحم الأخطار .

والورد : ما لونه الوردة ، وهي الحمرة الضاربة إلى الصفرة .

(٩) ينأغي : يغازل . وطرة الثوب : شبه علمين يخاطان بجانبَي البرد على حاشيته .

وذكر الله عز وجل النخلة فجعلها شجرة ، فقال : ﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .

وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة الحرم فقال : « لا يُحْتَلَى خِلَافُهَا ، ولا يُعْضَدُ شَجَرُهَا » .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴾ .

وتقول العرب : ليس شيء أدفأ من شجر ، ولا أظل من شجر^(١) .

ولم يكلم الله موسى إلا من شجرة ، وجعل أكبر آياته في عصاه ، وهي من الشجر . ولم يمتحن الله جل وعز صبر آدم وحواء ، وهما أصل هذا الخلق وأولاه ، إلا بشجرة . ولذلك قال : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . وجعل بيعة الرضوان^(٢) تحت شجرة . وقال : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ

مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِبْغِ الْإِكْلِينَ ﴾ .
وسدرة المنتهى التي عندها جنة المأوى شجرة .
وشجرة سرّ تحتها سبعون نبياً لا تعبَل ولا تسرف^(٣) .

وحين اجتهد إبليس في الاحتيال لآدم وحواء صلى الله عليهما ، لم يصرف

وحين اجتهد إبليس في الاحتيال لآدم وحواء صلى الله عليهما ، لم يصرف

١٥ (١) ما عدال : « شجرة » في الموضعين .

(٢) كانت بيعة الرضوان في السنة السادسة من الهجرة ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا ، وكان رسوله إلى قريش عثمان ابن عفان ، فاحتبسته قريش عندها ، وبلغ رسول الله أنه قد قتل ، فقال : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا إلى البيعة وكانت تحت شجرة جلس رسول الله في أصلها ، فبايعه الناس على الموت ، فلما علمت قريش بذلك أرسلوا في طلب الهدنة فكان من ذلك صلح الحديبية . السيرة ٧٤٦ .
٢٠ — ٧٥٢ . وكان الناس يأتون تلك الشجرة من بعد يصلون عندها فبلغ عمر فأمر بقطعها . تفسير أبي حيان (٨ : ٩٦) .

(٣) سر الصبي يسره : قطع سرره ، بالتحريك . وما بقى فهو السرة . لا تعبَل أي لا يسقط ورقها . وسرفت السرة : أصابتها السرفة ، وهي دويبة تنسج على بعض الشجر وتأكل ورقه وتهلك ما بقى منه بذلك النسج . والحديث بتمامه في اللسان (عبل ، سرف) :
٢٥ « أن ابن عمر رضي الله عنه قال لرجل : إذا أتيت منى فأنتهيت إلى موضع كذا وكذا فإن هناك سرحة لم تعبَل ولم تجرد ولم تسرف ، سر تحتها سبعون نبياً ، فانزل تحتها » .

الحيلة^١ إلا في الشجر ، وقال : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ . ١٠٦
 وفيما يُضرب بالأمثال من العصى قالوا : قال جميل بن بَصْبَهْرِي^(١) حين
 شكا إليه الدهاقين^(٢) شَرَّ الحجاج قال : أخبروني أين مولده ؟ قالوا : الحجاز .
 قال : ضعيف مُعْجَب . قال : فمَنْشُوهُ ؟ قالوا : الشام . قال : ذلك شرٌّ . ثم قال
 ما أحسن حالكم إن لم تُبْتَلُوا معه بكتابٍ منكم ، يعني من أهل بابل . فابْتَلُوا
 بزاذان فرُوخَ الأعور^(٣) . ثم ضَرَبَ لهم مثلاً فقال : إن فأساً ليس فيها عودٌ
 أَلْقَيْتَ بَيْنَ الشَّجَرِ^(٤) ، فقال بعضُ الشجر لبعض : ما أَلْقَيْتَ هَذِهِ^(٥) ها هنا
 لخير . قال : فقالت شجرةٌ عاديةٌ^(٦) : إن لم يدخل في است هذه^(٥) عودٌ منكن
 فلا تَخَفْنَهَا .

وقال يزيد بن مفرغ^(٧) :

(١) هذه السكامة هَمَلَةٌ في الأصل ، وتقطعا وضبطها مما سبق في (٢ : ٢٦٣) .
 ما عدال : « بصبهري » .
 (٢) الدهاقين : جمع دهقان ، بالسكسر ، وهو زعيم فلاحى العجم ، فارسى معرب ،
 فارسيته « دهگان » .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ٣٣٥) .
 (٤) الفأس مؤنثة . ما عدال : « ليس فيه عود ألقى بين الشجر » ، تحريف .
 (٥) ما عدال : « هذا » تحريف .
 (٦) عادية : قديمة ، كأنها منسوبة إلى عاد .

(٧) هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى ، من شعراء الدولة الأموية . لما ولى سعيد
 ابن عثمان بن عفان خراسان ، استصحب يزيد فأبى عليه وأثر صحبة عباد بن زياد ، وكان من
 ذلك أيضاً منافسة بين عباد بن زياد وأخيه عبيد الله بن زياد ، ولكن عباداً لم يرق من بعد في
 عيني يزيد فرأى أن يهاجره ، وكان ليزيد قينة تسمى الأراكه و غلام يدعى بردا ، فطلب إليه
 عباد أن يبيعه إياهما ، ثم ضربه حتى أخذها منه ، فقال يزيد في ذلك :

شريت بردا ولو ملكت صفقته
 لولا الدعى ولولا ما تعرض لى
 يا برد ما مسنا برد أضربنا
 أما الأراك فكانت من مخارفتنا
 لما تطلبت في بيع له رشدا
 من الحوادث ما فارقت أبدأ
 من قبل هذا ولا بعنا له ولدا
 عيشا لذيذا وكانت جنة رغدا
 وقال أيضاً :

وشريت بردا ليتنى
 من بعد برد كنت هامه
 وهو من قصيدة البيت التالى . الأغاني (١٧ : ٥١ — ٥٥) .

العبد يُقرع بالعصا والحرُّ تكفيه الملامه
وقال : أخذه من الفلتان الفهمي^(١) ، حيث قال :

العبد يقرع بالعصا والحرُّ تكفيه الإشارة
وقال مالك بن الرّيب^(٢) :

— العبدُ يُقرعُ بالعصا والحرُّ يكفيه الوعيدُ

وقال بشار بن بُرد :

الحرُّ يُلحَى والعَصَا للعبدِ وليس المُلحفِ مثلُ الردِّ
وقال آخر^(٣) :

فاحتلتُ حينَ صرْمَتِي والمرءُ يَعْجِزُ لا المَحَالَه^(٤)

والدَّهرُ يلعبُ بالقُتِي والدَّهرُ أروغُ من ثَمَالِه^(٥)

والمرءُ يَكْسِبُ مَالَه بالشَّحِّ يورثُه الكَلَالَه^(٦)

والعبدُ يُقرعُ بالعصا والحرُّ تكفيه المقالة

(١) كذا في جميع النسخ ، وصوابه « الصلتان الفهمي » ، كما أسلفت في تحقيق الحيوان
(٥ : ٦٢) .

١٥

(٢) كان مالك بن الرّيب معاصرا ليزيد بن مفرغ ، وكان لصا يقطع الطريق مع شظاظ
الضبي الذي يضرب به المثل ، فلما كان سعيد بن عثمان بن عفان في طريقه إلى خراسان حين ولاه
معاوية ، مر بمالك بن الرّيب فاستصحبه واستتابه وأجرى عليه خمسمائة دينار في كل شهر ،
فكان معه حتى قتل بخراسان . الخزانة (١ : ٣٢١) والأمل (٣ : ١٣٥) .

٢٠

(٣) هو أبو دواد ، يعاتب امرأته في سماحتها بماله . اللسان (حول ١٩٧) . لكن
البيت الأخير من هذه المقطوعة لم يروه ابن منظور ، بل روى الثلاثة الأولى فقط .
(٤) في اللسان وما عدال : « حاولت » . والحالة : الحيلة . ما عدال : « لا محالة »
تحرّيف يفسد معه المعنى .

(٥) ثعالة : علم جنس للثعلب . وهو معروف بالمرأوة .

٢٥

(٦) الكلاله هم من الأقارب ما خلا الوالد والولد ، سموا كلاله لاستدارتهم بنسب الميت
الأقرب فالأقرب .

• ومما يدخل في باب الانتفاع بالعصا أن عامر بن الظرب العدواني^(١) ، ١٠٧
حكم العرب في الجاهلية ، لما أسن واعتراه النسيان ، أمر ابنته أن تقرع بالعصا
إذا هوفه عن الحكم^(٢) ، وجار عن القصد ، وكانت من حكيما بنات العرب
حتى جاوزت في ذلك مقدار صخر بنت لقمان^(٣) وهند بنت الخس ، وجمعة بنت
حابس بن مكيل الأيادي^(٤) .

وكان يقال لعامر : ذو الحلم ، ولذلك قال الحارث بن ولة^(٥) :

وزعمتم أن لا حلوم لنا إن العصا قرعت لذي الحلم
وقال المتلمس في ذلك^(٦) :

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلمها
١٠ وقال الفرزدق بن غالب :

(١) ترجم في (١ : ٢٦٤) .

(٢) فنه عن الشيء يقه فهما : نسيه .

(٣) صخر ، بضم الصاد وسكون الحاء ، كما في القاموس (صخر) . وفي الأصول :
« صخرة » تحريف . ومما يسجل أنها « صخر » قول خفاف بن ندبة :

وعياش يدب لي المنايا وما أذنبت إلا ذنب صخر ١٥

وكذا قول عروة بن أذينة ، وقد روى البيتان في الحيوان (١ : ٢٢) :

أتجمع تهمايما بليلي إذا نأت وهجرانها ظلما كما ظلمت صخر

(٤) هذا بالنظر إلى آبائهن ، وإلا فهن إياديات .

(٥) هو الحارث بن ولة بن عبد الله الجرمي ، كان هو وأبوه ولة من فرسان قضاة
٢٠ وأنجادها وشعرائها ، وشهد أبوه يوم السلاب الثاني فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عامر
المنقري . الأغاني (١٩ : ١٤١ — ١٤٢) .

(٦) كلمة « في ذلك » من ل فقط . والمتلمس : أحد شعراء الجاهلية ، وهو خال طرفة
ابن العبد ، وكان ينادمان عمرو بن هند ملك الحيرة ، فلما هجراه حاول الانتقام منهما كما تروى
الأساطير ، فكتب لهما كتابين إلى عامل البحرين يأمره بقتلهما ، وأوهمهما أنه أمر لهما بصلة ، حتى
٢٥ إذا كانا ببعض الطريق عرف المتلمس ما في الصحيفة فقذف بها في نهر الحيرة ، وذهب طرفة إلى
العامل فقتل هناك . الأغاني (٢١ : ١٢٠) ، والخزائن (٣ : ٧٣) ، ومعاهد التنصيص
(١٠ : ١) وسرح العيون ٢٧ .

فإن كنت أستاذني حلوم مجاشع^(١) فإن العصا كانت لذى الحلم تفرع^(٢)
ومن ذلك حديث سعد بن مالك^(٣) بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، واعتزأ
الملك على قتل أخيه^(٤) إن هو لم يُصَبَّ ضميره ، فقال له سعد : أبيت اللعن
أندعني حتى أقرع بهذه العصا أختها ؟ فقال له الملك : وما علمه بما تقول العصا ؟
فقرع بها مرةً وأشار بها مرةً ، ثم رفعها ثم وضعها ، ففهم المعنى فأخبره ونجا
من القتل .

وذِكرُ العصا يجري عندهم في معانٍ كثيرة . تقول العرب : « العصا من
العُصَيَّة »^(٥) ، والأفعى بنت حَيَّة ، تريد أن الأمر الكبير يحدث عن
الأمر الصغير .

ويقال : « طارت عصا فلان شققاً » . وقال الأسدي :

عِصْيُ الشَّمْل من أسدٍ أراها قد انصدعت كما انصدع الزجاجُ
ويقال : « فلان شقَّ عصا المسلمين » ، ولا يقال شق ثوباً ولا غير ذلك مما

(١) البيت من قصيدة له في ديوانه ٥٠٣ . يعتب فيها على قومه . والرواية فيه : « وإن
أعف استبق » . أستاذني : أنتظر وأترقب ولا أتعجل . ما عدال : « أنساني حلوم مجاشع »
تحريف .

(٢) ما عدال : « سعيد بن مالك » تحريف . وسعد هذا والد جد طرفة بن العبد
ابن سفيان بن سعيد بن مالك ، أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها في الجاهلية وشعرائها .
المؤتلف ١٣٥ . وهو صاحب المقطوعة الحماسية التي أولها :
يا بؤس للحرب التي وضعت أراهاط فاستراحوا

وانظر ما سبق في ص ١٩ .

(٣) أخوه هذا هو عمرو بن مالك . وكان النعمان قد أرسله رائداً للكلأ فأبطأ عليه
فأغضبه ذلك فأقسم إن جاء حامداً أو ذاماً ليقتلنه ، فاحتال أخوه سعد في إنقاذه بقرع العصا ،
في قصة مسهبة يرويها أبو الفرج في الأغاني (٢١ : ١٣٤) .

(٤) يعنون أن المعنى الجليل إنما يكون في بدئه صغيراً ، وذلك كما يقولون : « القرم من
الأفيل » . وقيل إن « العصية » فرس ، هي أم « العصا » فرس جذيمة .

يقع عليه اسم الشق . وقال العتّابي^(١) في مديح بعض الخلفاء^(٢) :
 ١٠٨ إمامٌ له كفٌّ يضمُّ بنانها عصا الدين ممنوعاً من البري عودها
 وعينٌ محيطٌ بالبرية طرفها سواء عليه قرُبها وبعيدها
 وقال مضرّس الأسدي^(٣) :

فألقت عصا التسيار عنها وخيمت بأرجاء عذب الماء بيض محفرة
 وقال أيضاً :

فألقت عصاها واستقرّت بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر
 ويقال لبني أسد : « عبيد العصا » ، يُعنى أنهم كانوا ينقادون لكل من
 حالفوا من الرؤساء . وقال بشر بن أبي خازم^(٤) :

١٠ عبيد العصا لم يتّقواك بذمة سوى سيب سعدى إن سيدك واسع^(٥)
 وتسمى العرب كلَّ صغير الرأس : « رأس العصا » .

- (١) هو كلثوم بن عمرو العتّابي ، المترجم في (١ : ٢٢١) .
 (٢) هو الخليفة هارون الرشيد ، كما في معجم المرزباني ٣٥٢ . وبعد البيت :
 وأصمق يقظان بيت مناجيا له في الحشا مستودعات يكيدها
 وسمع إذا ناداه من قعر كربة مناد كفته دعوة لا يعيدها
 (٣) هو مضرّس بن ريمي بن لقيط الأسدي « شاعر محسن متمكن ، كان معاصراً للفرزدق .
 المؤتلف ١٩١ ومعجم المرزباني ٣٩٠ . والبيت في اللسان (عصا) بدون نسبة .
 (٤) يقول هذا الشعر لأوس بن حارثة . وكان بشر قد حلّ حلاً على هجاء أوس ،
 وجعلت له في ذلك جمالة ، فهجاء بقصائد خمس « ثم وقع بشر في الأسر وظفر به أوس بعد أن
 أعطى من أسروه مائتي بعير ، وأوقد له ناراً ليحرقه ، فبلغ ذلك أم أوس — وهي سعدى بنت
 حصن — فأندرت أن تخلّي سبيله ويصفح عنه خوف الهجاء ، فعفا عنه وكساه وحمله وأمر له
 بمائة ناقة ، فكان ذلك سبباً في أن يغسل بشر هجاء أوس بخمس قصائد في مدحه . انظر
 مختارات ابن الشجري ٦٥ — ٨٣ . والبيت التالي من أبيات المديح ، وهي كذلك في هجو
 بني أسد . وبنو أسد هم قوم بشر بن أبي خازم الأسدي ، فكأنه يتقرب إلى أوس بهجائه
 عشيرته وقومه .
 ٢٥

(٥) سعدى ، بنت حصن ، وهي أم أوس . والسبب : العطاء والعرف والنافلة .
 ورواية ثمار القلوب ٥٠٤ : « سوى أنهم بخل وفضلك واسع » . وانظر الحيوان (٥ : ٢٩٣) .

وكان عمرُ بن هُبيرة^(١) صغيرَ الرأس ، فقال سُويد بن الحارث^(٢) :
من مُبلغُ رأسِ العصا أنَّ بيننا ضغائنَ لا تُنسى وإنْ قدُمَ الدهرُ
وقال آخر :

فمن مبلغُ رأسِ العصا أنَّ بيننا ضغائنَ لا تُنسى وإنْ قيل سُلِّتِ
رضيتَ لقيسٍ بالقليل ولم تكن أخا راضياً لو أنْ نعلَكَ زَلَّتِ^(٣)
وكان والبة صغيرَ الرأس^(٤) ، فقال أبو العتاهية في رأسِ والبة ورءوسِ قومه :
رءوسِ عِصِيٍّ كُنَّ من عَوْدِ أئلهِ لها قادحٌ يَبْرِى وآخرُ مُخْرِبٌ^(٥)

* * *

والدليل على أنهم كانوا يتخذون المحاصرَ في مجالسهم كما يتخذون القنا
والقيسيَّ في المحافل ، قولُ الشاعر في بعض الخلفاء^(٦) :
١٠ في كفه خيزرانٌ ريمُه عبقٌّ من كفٍّ أروعَ في عرينه شَمَمٌ^(٧) ١٠٩

- (١) هو عمر بن هبيرة بن سعد بن عدى بن فزارة ، ولي العراقيين يزيد بن عبد الملك
ست سنين ، وكان يكنى أبا المثني ، وفيه يقول الفرزدق مخاطباً يزيد :
أوليت العراقَ ورافديه فزاريا أخذ يد القميص
١٥ تفنق بالعراق أبو المثني وعلم قومه أكل الحبيص
وأولاده يزيد ، وسفيان ، وعبد الواحد . المعارف ١٨٩ .
(٢) كلمة « بن الحارث » من ل فقط .
(٣) يقول : لو زلت نعلك لوجدت من قيس من العون ما لا ترضى لهم معه إلا الكثير .
(٤) ما عدل : « حقير الرأس » . ووالبة هذا هو والبة بن الحباب الأسدي ، من
٢٠ شعراء الدولة العباسية ، وهو أستاذ أبي نواس . وكان شاعراً ظريفاً غزلاً وصافاً للشراب
والفلمان . وقد هاجى بشاراً وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً وفضحاه فعاد إلى الكوفة كالهارب
وخل ذكره بعد . الأغاني (١٦ : ١٤٢) .
(٥) القادح : أكال يقع في الشجر والأسنان . ما عدل : « يفرى » . مخرب ، من
الإخراب . ما عدل : « مجرب » تحريف .
٢٥ (٦) انظر ما سبق من التحقيق في (١ : ٣٧٠) .
(٧) في (١ : ٣٧٠) : « بكف أروع » . وفي الحيوان (٣ : ١٣٣) : « في
كف أروع » .

يُغْضَى حَيَاءٌ وَيُغْضَى مِنْ جَلَالَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
وقال الآخر :

مَجَالِسُهُمْ خَفَضَ الْحَدِيثَ وَقَوْلَهُمْ إِذَا مَا قَضَوْا فِي الْأَمْرِ وَخَى الْخَاصِرِ
وقال الآخر :

يُصِيبُونَ فَصْلَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُمْ بِالْخَاصِرِ^(١)

* * *

وحدثني بعضُ أصحابنا قال : كنّا منقطعين إلى رجلٍ من كبار أهل
المسكر ، وكان يُبْثِنَا يَطُولُ عنده ، فقال له بعضنا : إن رأيتَ أن تجعلَ لنا أَمَارَةً
إذا ظَهَرْتَ لنا خَفَّفْنَا عَنْكَ^(٢) ولم تُتَعَبِكَ بِالْقُعُودِ ، فقد قال أصحاب معاوية
لمعاوية مثلَ الذي قلنا لك فقال : أَمَارَةٌ ذَلِكَ أَنْ أَقُولَ : إِذَا شِئْتُمْ . وقيل ليزيد
مثلُ ذلك فقال : إِذَا قُلْتُ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . وقيل لعبد الملك مثلُ ذلك فقال : إِذَا
أَقِمْتَ الْخَيْزِرَانَةَ مِنْ يَدَيَّ فَأَيَّ شَيْءٍ تَجْعَلُ لَنَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ ؟ قال : إِذَا قُلْتُ :
يَا غَلَامُ الْغَدَاءُ .

وفي الحديث : أَنَّ رَجُلًا أَلْحَحَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلَبِ بَعْضِ
الْمَغْنَمِ ۖ وَفِي يَدِهِ مَخْضَرَةٌ فَدَفَعَهُ بِهَا ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَقِصْنِي . فلما كشف
النبي له عن بطنه احتضنه فقبل بطنه .

وفي تثبيت شأنِ العصا وتعظيم أمرها ، والطعنِ على ذمِّ حَامِلِهَا ؛ قالوا :
كَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَشْرُ خِصَالٍ : أَوَّلُهَا السَّوَادُ ، وَهُوَ سِرَارُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقال له النبي : « إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ [أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ ، وَ] تَسْمَعَ
سِوَادِي » . وكان معه مسواكُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكانت معه عصاه .

(١) البيت ملفق من صدر وعجز لبيتين ، سلفا لصفوان الأنصاري (١ : ٢٦ ، ٢٥)

س ٩ ، ١٢) .

(٢) ما عدال : « حفظنا » مع إسقاط الكلمة بعدها .

قال : ودخل عُمر بن سعد^(١) على عمر بن الخطاب ، حين رجع إليه من عمل حمص ، وليس معه إلا جرابٌ وإداوة وقصعةٌ وعصا^(٢) ، فقال له عمر : ما الذي أرى بك ، من سوء الحال أو تصنع ؟ قال : وما الذي ترى بي^(٣) ، ألسْتُ صحيحَ البدن ، معي الدنيا بحذافيرها ؟ قال : وما معك من الدنيا ؟ قال : معي جرابي ١١٠ ° أحمل فيه زادي ، ومعى قصعتي أغسل فيها ثوبي ، ومعى إداوتي أحمل فيها مائي . لشرابي ، ومعى عصاي إن لقيتُ عدواً قاتلتُهُ ، وإن لقيتُ حيّةً قتلْتُها ، وما بقي من الدنيا فهو تبعٌ لما معي^(٤) .

وقال الهيثم بن عدي ، عن شريق بن القطامي وسأله سائلٌ عن قول الشاعر :

١٠ لا تعدلنَّ أناويين تضرُّهم نكباء صرُّ بأصحاب المُحِلَّاتِ^(٥)
قال : والمُحِلَّات : الدلو ، والمِقْدَحَةُ ، والقربة ، والفأس . قال : فأين أنت عن العصا ؟ والصفن خير من الدلو أجمع^(٦) .

(١) ما عدال : « عمر بن سعد » ، تحريف . وهو عمر بن سعد بن عبيد بن النعمان ابن قيس بن عمرو بن عوف . وكان عمر بن الخطاب يسميه « نسيج وحده » لإعجابه به . شهد فتوح الشام ، واستعمله عمر على حمص إلى أن مات ، وكان من الزهاد العباد . الإصابة ١٥ ٦٩٣١ وصفة الصفوة (١ : ٢٩١ — ٢٩٣) .

(٢) التيمورية : « وعصاه » بالإضافة ب ، ح : « وعصاة » تحريف .

(٣) ما عدال : « تراني » تحريف .

(٤) الخبر بتفصيل في صفة الصفوة (١ : ٢٩١ — ٢٩٢) .

٢٠ (٥) الأناوي ، بفتح الهمزة : الغريب في غير وطنه . والنكباء : كل ريح من الرياح الأربع وقعت بين ريحين ، وهي تهلك المال وتحبس القطر . والصر : الشديد البرد . والمحلات كما في المخصص (١٣ : ٢٢٥) هي القدر ، والرحى ، والدلو ، والشفرة ، والفأس . وفي الحيوان (٩٧ : ١) أنها القداحة والقربة والمسحاة . وقد نقص الجاحظ عن البيان هنا : الدلو . وفي اللسان (حلل) أنها القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند . وانظر اللسان (حلل ، أتو) ، والمقاييس (١ : ٥٢) ، ومحاضرات الراغب (٢ : ١٦١) . ٢٥ (٦) الصفن ، بضم الصاد وفتحها : وعاء من آدم كالسفرة لأهل البادية يحملون فيها زادهم ، وربما استقوا به الماء كالدلو .

وقال النمر بن تولب :

أفرغتُ في حوضها صُفْنِي لثُشْرَبِهِ في دائِرِ خَلْقِ الأَعْضَادِ أَهْدَامِ^(١)

* * *

وأما العصا فلو شئتُ أن أشغل مجلسي كله بخصالها لفعلت .

وتقول العرب في مديح الرجل الجَلْد ، الذي لا يُفْتَتَات عليه بالرأى : « ذلك

الفعلُ لا يُقَرِّعُ أنفه »^(٢) . وهذا كلام يقال للمخاطب إذا كان على هذه الصِّفَّة ،

ولأنَّ الفعل اللثيم إذا أراد الضَّراب ضربوا أنفه بالعصا .

وقد قال أبو سفيان بن حرب بن أمية ، عند ما بلغه من تزوج النبي صلى الله

عليه وسلم بأم حبيبة^(٣) ، وقيل له : مثلك تُنكح نساؤه بغير إذنه ؟ ! فقال :

« ذلك الفعلُ لا يُقَرِّعُ أنفه » . ١٠

والحمار الفارِه يفسده السَّوْطُ^(٤) وتصلحه المقرعة . وأنشد لسلامة

ابن جندل :

(١) يروى نظيره ، وكأنه هو ، لأبي دواد في اللسان (صفن) :

هرقت في حوضه صفنا ليشربه في دائِرِ خَلْقِ الأَعْضَادِ أَهْدَامِ

(٢) يقرع ، بالراء ، أى يضرب ، ويروى بالدال أيضا ، بمعناه . انظر اللسان (قدح ، ١٥

قرع) حيث أورد قول ورقة بن نوفل : « محمد يخطب خديجة ، هو الفعل لا يقدح أنفه » ،
و « لا يقرع أنفه » .

(٣) هى أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، القرشية الأموية ، زوج رسول الله

واسمها « رمة » . ويروون أن الذى عقد عليها لرسول الله هو النجاشي ، بعد أن خطب

خطبة قال فيها : « أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أن أزوجه أم حبيبة ، ٢٠

فأجبت » وقد أصدقها عنه أربعمائة دينار ، ثم سكب الدنانير فخطب خالد بن الوليد فقال :

« قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوجته أم حبيبة » . وقبض

الدنانير ، وعمل لهم النجاشي طعاما . وقيل إن الذى عقد عليها لرسول الله هو عثمان بن عفان .

وكان ذلك قبل إسلام أبيها وبغير إذنه . الإصابة ٤٣٢ من قسم النساء .

(٤) في جميع الأصول : « الصوت » . ٢٥

إِنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فِرْعُ^(١) كَانَ الصَّرَاخُ لَهُ قِرْعَ الظَّنَائِبِ^(٢)
وقال الحجاج : « والله لأعصبنكم عَصَبَ السَّلمة ، ولأضربنكم ضرب
غرائب الإبل^(٣) » . وذلك أن الأشجار تُعَصَّبُ أغصانها ، ثم تحبَط بالعصى^(٤)
لسقوط الورق وهشيم العيدان .

ودخل أبو مجلز^(٥) على قتيبة^(٦) بخراسان ، وهو يضرب رجلاً بالعصى^(٧) ،
١١١ فقال : أيها الأمير ، إن الله قد جعل لكل شئ قَدْرًا ، ووقت فيه وقتًا ،
فالعصا للأنعام والبهائم العظام^(٨) ، والسوط للحدود والتعزير ، والدرة للأدب^(٩) ،
والسيف لقتال العدو والقوَد .

ثم قال الشرقي : ولكن دعنا من هذا . خرجت من الموصل وأنا أريد
الرفقة مستخفياً ، وأنا شابٌ خفيف الحاذ^(١٠) ، فصحبني من أهل الجزيرة فتى^(١١)
مارأيت بعده مثله^(١٢) ، فذكر أنه تغلب^(١٣) ، من ولد عمرو بن كلثوم ، ومعه مزود
وركوة وعصا^(١٤) ، فرأيت أنه لا يفارقها ، وطالت ملازمته لها ، فكدت من الغيظ
أرمي بها في بعض الأودية ، فكنا نمشي فإذا أصبنا دوابً ركبناها ، وإن لم نصب

(١) رواية الديوات ١١ والمفضليات (١ : ١٢٢) : « كنا إذا » . والصارخ :
المستغيث ، والصارخ : الإغاثة . والظنبوب : حرف عظم الساق ، يقال قد قرع ظنبوبه لهذا
الأمر ، أى عزم عليه .

(٢) هذا الكلام من خطبة سبقت في الجزء الثاني ص ٣٩٧ — ٣١٠ .

(٣) أبو مجلز لاحق بن حميد ، المترجم في (٢ : ٤٣) .

(٤) هو قتيبة بن مسلم ، ترجم في (٢ : ٤٢) .

(٥) هذه الكلمة من ل فقط .

(٦) في المصباح : « الدرة : السوط » . وفي اللسان : « الدرة درة السلطان التي يضرب
بها » ، فجعلها خاصة بالسلطان .

(٧) خفيف الحاذ : قليل المال والعيال ، كما يقال خفيف الظهر . اللسان (حوذ) .
والحاذ : لحة في ظاهر الفخذ . ما عدل : « خفيف الحال » .

(٨) المؤلف : « مارأيت قبله ولا بعده مثله » .

(٩) النسبة إلى تغلب ، بكسر اللام : تغلبى بفتحها ؛ وربما قالوه بالكسر .

(١٠) الركوة ، مثلثة الراء ، كما في القاموس : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

الدواب مشينا ، فقلت له في شأن عصاه ، فقال لي إن موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم حين آنس من جانب الطور نارا ، وأراد الاقتباس لأهله منها ، لم يأت النار في مقدار تلك المسافة القليلة إلا ومعه عصاه ، فلما صار بالوادي المقدس من البقعة المباركة قيل له : ألق عصاك ، واخلع نعليك . فرمى بنعليه راغباً عنهما ، حين نزه الله ذلك الموضع عن الجلد غير الذكى ، وجعل الله جماع أمره من أعاجيبه وبرهاناته في عصاه ، ثم كلفه من جوف شجرة ولم يكلمه من جوف إنسان ولا جان .

قال الشرقي : إنه ليكثر من ذلك وإني لأضحك متهاوناً بما يقول ، فلما برزنا على حمارينا تخلف المكارى فكان حمارُهُ يمشي ، فإذا تلكأ أكرهه بالعصا ، وكان حمارى لا ينساق ، وعلم أنه ليس في يدي شيء يكرهه ، فسبقني الفتي إلى المنزل فاستراح وأراح ، ولم أقدر على البراح ، حتى وافاني المكارى ، فقلت : هذه واحدة .

فلما أردنا الخروج من الغد لم نقدر على شيء نركبه ، فكنا نمشي ، فإذا أعيا توكلنا على العصا . وربما أحضر^(١) ووضع طرف العصا على وجه الأرض فاعتمد عليها ومرر كأنه سهم زالج^(٢) ، حتى انتهينا إلى المنزل وقد تفسخت من الكلال ، وإذا فيه فضل كثير^(٣) ، فقلت : هذه ثانية^(٤) .

١١٢

فلما كان في اليوم الثالث ، ونحن نمشي في أرض ذات أخاقيق وصُدوع^(٥) ، إذ هجمنا على حية منكرة فساورتنا ، فلم تكن عندي حيلة إلا خذلانه وإسلامه

(١) الإحضار : ضرب من العدو . ما عدال : « أخفر » تحريف .

(٢) الزالج : الذي إذا رماه الرامي فقصر عن الهدف وأصاب صخرة استقل من إصابة

الصخرة ففوى وارتفع . ما عدال : « سهم وألح » تحريف .

(٣) ما عدال : « كبير » بالباء .

(٤) ل : « اثنتان » .

(٥) الأخافيق : الشقوق ، واحدها أخقوق .

إليها ، والهرب منها ، فضربها بالعصا فثقلت ، فلما بهشت له ^(١) ورفعت صدرها ضربها حتى وقّذها ^(٢) ، ثم ضربها حتى قتلها ، فقلت : هذه ثالثة ، وهي أعظمهن .

فلما خرجنا في اليوم الرابع ، وقد والله قرّمت إلى اللحم ^(٣) وأنا هاربٌ مُعْدِم ، إذا أرنبٌ قد اعترضت ، فحذفها بالعصا ، فما شعلت إلا وهي معلقة . وأدر كنا ذكاتها ^(٤) ، فقلت : هذه رابعة .

وأقبلت عليه فقلت : لو أن عندنا ناراً لما أخرتُ أكلها إلى المنزل . قال : فإن عندك ناراً ! فأخرج عُويداً من مزودِهِ ، ثم حكّه بالعصا فأورّت إيراً المرنخ والعقارُ عنده لا شيء ^(٥) . ثم جَمَعَ ما قدر عليه من الغنَاء والحشيش فأوقد ناره وألقى الأرنبَ في جوفها ، فأخرجناها وقد لَزِقَ بها من الرَّمَاد والتراب ١٠ ما بفضّها إلى ، فعلقها بيده اليسرى ثم ضرب بالعصا على جنوبها وأغراضها ضرباً رقيقاً ، حتى انتثر كلُّ شيء عليها ، فأكلناها وسكن القرم ، وطابت النفس ، فقلت : هذه خامسة .

ثم إنّا نزلنا بعضَ الخانات ^(٦) ، وإذا البيوتُ ملاءَ روثاً وتراباً ، ونزلنا بمَقَب جُنْدٍ وخرابٍ متقدّم ، فلم نجدْ موضعاً نَظُلُّ فيه ، فنظر إلى حديدةٍ مسحاةٍ ١٠ مطروحةٍ في الدار ^(٧) ، فأخذها فجعل العصا نصاباً لها ، ثم قام فجرفَ جميعَ ذلك

(١) بهشت له : أقبلت إليه تريده .

(٢) الوقذ : شدة الضرب .

(٣) قرم إلى اللحم : اشتدت شهوته له .

(٤) الذكاة : الذبح ، أى كان بها بقية من حياة فذبجناها . ٢٠

(٥) انظر ما سبق في ص ٣٣ .

(٦) الخانات : جمع خان ، وهو الخانوت أو الفندق الذى ينزل به التجار . ولفظه فارسي .

أدى شير ٥١ وقال : « وهو موجود في جميع اللغات الشرقية الدارجة » .

(٧) المسحاة : مجرفة من حديد .

التراب والروث ، وجرد الأرض بها جرّدا ، حتّى ظهر بياضها ، وطابت ريحها ،
فقلت : هذه سادسة .

وعلى [أى] حالٍ لم تطبّ نفسى أن أضع طعامى وثيابى على الأرض ،
فنزّع والله العصا من حديدة المسحاة فوتّدها فى الحائط ، وعلّق ثيابى عليها ،
فقلت : هذه سابعة .

فلما صرتُ إلى مفرّق الطّرق ، وأردتُ مفارقتَه ، قال لى : لو عدّلت فبتّ
عندى كنتَ قد قضيتَ حقّ الصّحبة ، والمزّل قريب . فعدّلتُ معه فأدخلنى
فى منزلٍ يتّصل ببَيْعة^(١) . قال : فما زال يحدثنى ويُطرّفنى ويُليطّفى اللّيل ١١٣
كلّه ، فلما كان السّحرُ أخذ خُشْبِيَّة^(٢) ثم أخرج تلك العصا بعينها فقرعها
بها ، فإذا ناقوسٌ ليس فى الدنيا مثله ، وإذا هو أحذقُ الناس بضربه ،
قلت [له] : ويلك ، أما أنت مسلم ، وأنت رجلٌ من العرب من ولد عمرو
ابن كلثوم ؟ قال : بلى . قلت : فلم تضربُ بالناقوس ؟ قال : جعلتُ فِداك !
إنّ أبى نصرانىّ ، وهو صاحب البيعة ، وهو شيخٌ ضعيف ، فإذا شهدت^(٣)
برّته بالكفاية .

١٥ فإذا هو شيطانٌ مارد ، وأظرفُ الناس كلّهم وأكثُرهم أدباً وطلباً ،
فخبرته بالذى أحصيتُ من خِصالِ العصا ، بعد أن كنتُ هممتُ أن أرمى بها ،
فقال : والله لو حدّثتك عن مناقبِ العصا إلى الصّبح لما استنفذتها .

(١) البيعة ، بالكسر : كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود .

(٢) ما عدال : « خشبة » .

(٣) ما عدال : « شهدته » .

ومن جمل القول في العصا وما يحوز فيها

من المنافع والمرافق

تفسير شعر غنيّة الأعرابية ، في شأن ابنها^(١) .

وذلك أنّه كان لها ابنٌ شديد العرامة^(٢) ، كثير التفلت إلى الناس ، مع ضعف أسرٍ ودقة عظم ، فوائب مرّةً فتى من الأعراب فقطع الفتى أنفه ، فأخذت غنيّة دية أنفه فحسنت حالها بعد فقرٍ مُدقع . ثم وائب آخرَ فقطع أذنه فأخذت الدية فزادت دية أذنه في المال وحسّن الحال . ثم وائب بعد ذلك آخرَ فقطع شفته فأخذت دية شفته . فلما رأت ما قد صار عندها من الإبل والغنم والمتاع والكسب بجوارح ابنها حُسن رأيها فيه ، فذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

١٠

أحلفُ بالمروة يوماً والصفا أنك خيرٌ من تفاريق العصا

ف قيل لابن الأعرابي^(٣) : ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تُقطع ساجوراً^(٤) ،

١١٤ وتقطع عصا الساجور^(٥) فتصير أوتاداً ، ويفرّق الوتد فيصير كلُّ قطعةٍ شظاظاً^(٦) .

فإذا كان^(٧) رأس الشظاظ كالقُلْكة صار للبُختي مهياراً ، وهو العود الذي

يُدخل في أنف البُختي ، وإذا فرّق المهيارُ جاءت منه تَوَادٍ^(٧) . والسّواجير ١٥

(١) انظر أمثال الميداني في : (إنك خير من تفاريق العصا) ، حيث أورد الشعر وتفسيره .

(٢) العرامة : الفراسة والشدة .

(٣) في أمثال الميداني : « فقيل لأعرابي » .

(٤) الساجور : الحشبة التي توضع في عنق الكلب .

(٥) الشظاظ ، بالكسر : العود الذي يدخل في مروة الجوالق . ٢٠

(٦) ما عدال : « فإن كان » . وفي الميداني : « فإن جعل لرأس الشظاظ » .

(٧) التوادي : جمع تودية كتورية ، وهي خشبات تصير بها أخلاف الناقة لثلا

يرضعها الفصيل .

تكون للكلاب والأسرى من الناس . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بناس من هاهنا يقادون إلى حُظوظهم بالسَّواجير ^(١) » . وإذا كانت قناةً فكلُّ شِقَّةٍ منها قوسٌ بندُق ^(٢) ، فإن فُرِّقت الشِّقَّة صارت سهماً ، فإن فُرِّقت السَّهْمُ صارت حِظاءً ، وهى سهامٌ صفار . قال الطرمّاح :

* أكلبٌ كحِظاء الغلام ^(٣) *

والواحدة حَظْوَةٌ وسِرْوَةٌ ، فإن فُرِّقت الحِظاء صارت مَغازل ، فإن فُرِّق المِغزل شَعَبَ بها الشَّعَابُ أَقْداحه المصدوعة ، وقِصاعه المشقوقة ^(٤) . على أنه لا يجدُ لها أصلح منها . وقال الشاعر :

نوافذُ أطرافِ القفا قد شكَّكنه كَشَكَّكَ بالشَّعْبِ الإِناءُ المثلما

فإذا كانت العصا صحيحةً ففيها من المنافع الكِبَارِ والمرافق الأوساط والصَّغار ما لا تحصيه ^(٥) ، وإن فُرِّقت ففيها مثلُ الذى ذكّرنا وأكثّر . فأىُّ شئٍ يبلغُ فى المرفق والرَّدِّ مبلغَ العصا ^(٦) .

وفى قول موسى : ﴿ وَلِيَّ فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ﴾ دليلٌ على كثرة المرافق فيها ؛ لأنه لم يقل : ولي فيها مَارِبَةٌ أُخْرَى ، والمَارِبُ كثيرة . فالذى ذكّرنا قبل هذا داخلٌ فى تلك المَارِبِ .

ولا نعرف شعراً يشبه معنى شعرِ غَنِيَّةٍ بعينه لا يغادر منه شيئاً . ولكن زعم بعضُ أصحابنا أنَّ أعرابيين ظريفين من شياطينِ الأعراب حطمتهما السَّنة ،

(١) انظر ما سبق فى الحيوان (١ : ٣٨ س ٧) وما سيأتى ص ٦٣ .

(٢) البندُق : ذاك الذى يرمى به ، كأنه شبه بحمل شجرة الجلوز .

(٣) البيت بتمامه كما فى ديوان الطرمّاح ١٠٥ :

بينما ذلك هاجت به أكلبٌ مثل حِظاء الغلام

(٤) كلمة « وقِصاعه » من ل وأمثال الميدانى فقط .

(٥) ما عدال : « ما لا يحصيه أحد » .

(٦) المرفق ، كمنبر ومجلس ومكتب : ما استعين به . والرّد بمعنى الفائدة والمنفعة ، ولم

ينص عليها فى المعاجم . انظر الحيوان (٤ : ٤٧٣)

١١٥ فأنحدرا إلى العراق ، واسم أحدهما حِيدَان ، فبيناهما يتماشيان في السُّوق إذا فارسٌ قد أوطأ دابته رجل حِيدَان فقطع إصبعاً من أصابعه ، فتعلَّقا به حتَّى أخذاه منه أرش الإصبع^(١) ، وكانا جائعين مقرورين ، فحين صار المال في أيديهما قصدا لبعض الكرايج^(٢) فابتاعا من الطعام ما اشتها ، فلما أكل صاحبُ حِيدَان وشييع أنشأ يقول :

فلا غَرثٌ ما كان في النَّاسِ كُرْبُجٌ وما بقيت في رِجل حِيدَان إصبعُ
وهذا الشَّعر وشعرُ غنيَّة من المظرف الناصع الذي سمعت به ، وظرف
الأعراب لا يقوم له شيء .

وناس كثير لا يستعملون في قتالهم إلا العصي ، منهم الزنج : قنبلة ولنجويه^(٣)
والنمل والكلاب^(٤) ، وتكفو وتنبو^(٥) . على ذلك يعتمدون في حروبهم .
ومنهم النبط ، ولم يها ثقافةً وشدةً وغلبةً ، وأثقف ما تكون الأكراد إذا
قاتلت بالعصي . وقاتلُ المخارجات^(٦) كلُّها بالعصي ، ولم هناك ثقافة ومنظر
حسن ، ولقتالهم منزلةٌ بين السَّلامة والعطب .
والناس يضربون المثل بقتال النِّقار بقناته^(٧) . ويقال في المثل : « ما هو

١٥ (١) الأرض : دية الجراحات كالشجة ونحوها .
(٢) الكرايج : جمع كريج ، بضم الكاف والياء ، وبضمها وفتح الباء ، معرب من الفارسي : « قربق » بمعنى الخانوت . لسان العرب والقاموس والعرب ٢٩٢ .
(٣) قنبلة ولنجويه ها أصلا الزنج . وفي رسائل الجاحظ ٧٣ ساسي : « لأن الزنج ضربان : قنبلة ولنجويه ، كما أن العرب ضربان قحطان وعدنان » . ل : « قبيلة لنجويه » وما عدال « قبيلة كنجويه » صوابهما ما أثبت من رسائل الجاحظ .
٢٠ (٤) في الحيوان (٤ : ٣٥) : « والزنج نوعان : أحدهما يفخر بالعدد ، وهم يسمون النمل ، والآخر يفخر بالصبر وعظم الأبدان ، وهم يسمون الكلاب ، وأحدهما تكبو والآخر تنبو . فالكلاب تكبو والنمل تنبو » .
(٥) ما عدال : « ثبتوا » . واللفظان يبران عن النمل والكلاب في لغة الزنج ، كما يفهم من الحاشية السابقة .
٢٥ (٦) المخارجة : المناهضة .
(٧) ما عدال : « البقار » وانظر ما مضى في ص ١٢ س ٥ .

إلا أبنّة عصا ، وعُقْدَةُ رِشَا^(١) .

ويقال للراعى : « إنّه لضعيف العصا » إذا كان قليل الضرب بها للإبل ، شديد الإشفاق عليها . وقال الراعى :

ضعيفُ العصا بادي العروق ترى له ^(٢) عليها إذا ما أجذب النَّاسُ إصبعاً^(٢)
فإذا كان الراعى جَلْدًا قويًّا عليها قالوا : صُلْبُ العصا . ولذلك قال الراجز :
* صُلْبُ العصا باقٍ على أذاتها *
وقال الآخر فى معنى الراعى :

* لا تَضْرِبْها واشْهَرَا العِصْيَا^(٣) *

ويقولون : قد أقبل فلان ولانت عصاه ، إذا أصابه السَّوَّاف فرجع وليس معه إلا عصاه^(٤) . لأنّه لا يفارقها كانت له إبل أم لم تكن^(٥) . ويقولون : ١١٦
كلّما قُرِعت عصا بعصا ، وعصا على عصا ، وعصا عصا قالوا : خُذُوا فلاناً
بذلك^(٦) . وقال حميد بن ثور :

(١) الأبنّة ، بضم الهمزة : العقدة فى العود أو فى العصا . والرشاء : الحبل .
(٢) أنشده فى اللسان والمقاييس فى (صبع) . وفى المقاييس : « ويقال للراعى الحسن
الرعية للإبل ، الجميل الأثر : إن له عليها إصبعاً » . وأنشده القالى فى الأمالى (٢ : ٣٢٢) .
وقال : « يقال : إن لفلان على ماله إصبعاً ، أى أثراً حسناً » ، ثم قال بعد إنشاد البيت :
« أى يشار إليها بالأصابع إذا رثيت » . وكذا أنشده ابن سيدة فى الخخص (٧ : ٨٢) ،
وقال : « أى يشير الناس إليها بالأصابع » .
(٣) يقول : أخيفها بضمها ، ولا تضربها . وكذا ورد إنشاده هنا .
(٤) وفى اللسان :

لا تضربها واشهرا لها العصى قرب بكر ذى هباب عجرى
فيها وصهباء نسول بالعشى

(٤) السواف ، بالضم ، ويقال بالفتح أيضاً : الموت فى المال والناس .

(٥) ما عدال : « أم لا » .

(٦) ما عدال : « أخذوا فلاناً بذلك »

- فِدَى لِرِءَاءِ بِالنَّجِيرَةِ ذَبَبُوا بِأَعْصِيهِمُ وَالْمَاءِ بَرْدُ الْمَشَارِبِ^(١)
- تَأَلَّى نُعِيمٌ لَا تَجُوزُ بِحَوْضِهِ قُلْتُ تَحَلَّلْ يَا نُعِيمَ بَنَ قَارِبِ^(٢)
- فَإِنَّ زِيَادًا لَمْ يَكُنْ لِيرُدِّهَا وَسَبْرَةٌ عَنِ مَاءِ النَّضِيحِ الْمُقَارِبِ
- أَغْرَاكَ أَنْ جَاءَتْ ظِيَاءُ وَبَاشَرْتُ بِأَعْنَاقِهَا بَرْدَ النَّصَابِ الصُّبَابِ^(٣)
- تَنَاوَلْنَ مَا فِي الْحَوْضِ ثُمَّ امْتَرَيْنَهُ بِجَرَعٍ وَأَعْنَاقٍ طَوَالَ الذَّوَابِ^(٤)
- ويقولون : فلان ضعيف العصا ، إذا كان لا يستعمل عصاه . ولذلك قال :
- وَأَنْتَ بِذَاتِ السِّدْرِ مِنْ أُمَّ سَالِمٍ ضَعِيفُ الْعَصَا مَسْتَضَعْفٌ مَتَهْضَمٌ^{١١٧}
- وقال آخر :
- وَمَا صَادِيَاتُ حُخْنٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً عَلَى الْمَاءِ يَفْشَيْنِ الْعِصَى حَوَانِ^(٥)
- لَوَائِبُ لَا يَصْدُرْنَ عَنْهُ لَوِجُهُ وَلَا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الْحِيَاضِ دَوَانِ^(٦)
- يَرِينُ حَبَابُ الْمَاءِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ فَهِنَّ لِأَصْوَاتِ الشَّقَاةِ رَوَانِ^(٧)
- بَأَوْجَعٍ مَنَى جَهْدَ شَوْقٍ وَغُلَّةٍ إِلَيْكَ وَلَكِنَّ الْعَدُوَّ عَدَانِي^(٨)

- (١) النجيرة : واد في ديار غطفان . ماعدال : « بالنجيرة » ، ولم أجده . والتذبيب : الطرد والدفع . والأعصى : جمع العصا .
- (٢) تألى : حلف وأقسم . ماعدال : « ما لا نعيم » تحريف . وتحلل فلان من يمينه ، إذا خرج منها بكفارة أو حنث يوجب الكفارة .
- (٣) نصاب كل شيء : أصله ، عن أصل الحوض . والصباب : الغليظ الشديد ، كما في القاموس .
- (٤) الامتراء : الاستخراج والاستدرا . وفي الأصول : « امتدنيه » ، ولا وجه له . والذوَاب : الأعلى .
- (٥) يَفْشَيْنِ العصى : يركبها . انظر ما سبأني ص ٥٨ س ١١ — ١٣ . ماعدال : « يَفْشَيْنِ » تحريف . والحوانى : جمع حانية ، وهي التي تحنو على ولدها .
- (٦) لَوَائِبُ ، من اللوب ، وهو استدارة الحائم حول الماء . ل : « لَوَائِبُ » تحريف .
- (٧) رَوَان : مديعات النظر . وحباب الماء ، بالفتح : معظمه ، ومنه قول طرفة :
- يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد
- (٨) عدانى : صرفنى وشغلنى .

وقال آخر^(١) :

فما وجد ملوَّاح من الهيم حُلَّتْ عن الماء حتى جوفها يتصلصل^(٢)
 تحوم وتغشاها العصي وحوها أقاطيع أنعام تُعلُّ وتُهلُّ
 بأعظم مني غُلَّةً وتعطفا إلى الورد إلا أنني أتجمل
 ويقال : « ضُرب فلان ضرب غرائب الإبل » وهي تُضربُ عند الهرب^(٣) .
 وعند الخِلَاط ، وعند الحوض ، أشدُّ الضرب . وقال الحارث بن صخرة :
 بضرب يزِيل الهام عن سَكِنَاتِهِ كما ذِيْدَ عن ماء الحياض الغرائب^(٤)
 وقال آخر :

للهام ضرابُون بالمناصل^(٥) ضرب المذيد غُرب النواهل^(٦)
 وفي جواهر العصا تفاوت . ويقولون : ماهي إلا غصن بان^(٧) .

(١) الأبيات رويت في الحيوان (٣ : ١٠٤) .

(٢) الملوَّاح من الدواب : السريع العطش ، يقال للذكر وللأنثى . والهيم : العطاش ، جمع أهيم وهيماء . حُلَّتْ : منعت .

(٣) أى عند اضطرار أربابها إلى الهرب .

(٤) السكّنات ، بكسر الكاف : جمع سَكْنَة ، وهي مقر الرأس من العنق . ومثله قول زامل بن مصاد العيني :

بضرب يزِيل الهام عن سَكِنَاتِهِ وطعن كأفواه المزاد الخرق
 وقول طفيل :

بضرب يزِيل الهام عن سَكِنَاتِهِ وينقع من هام الرجال المشرب

وقول النابغة :

بضرب يزِيل الهام عن سَكِنَاتِهِ وطعن كإيزاغ الخاض الضوارب

(٥) المناصل : جمع منصل ، وهو السيف ، بضم الميم والصاد .

(٦) المذيد : المعين لك على ما تدود . والغرب ، بضمّين : الغريب . والنواهل : العطاش ، فالناهل من الأضداد ، يقال للريان والعطشان . ل : « عزب النواهل » تحريف .

(٧) هذه العبارة من ل والتميمورية فقط .

وقال ابنُ أحرر :

رُودُ الشَّبابِ كأنَّها غُصْنٌ بِحَرَامِ مَكَّةَ نَاعِمٌ نَضْرُ^(١)

١١٨

* وقال آخر :

إِذَا تَرَيْتَنِي قَائِمًا فِي جِلٍّ^(٢) جَمَّ الْفُتُوقِ خَلَقِي هِمْلٍ^(٣)

مَحَازِرًا أُبْغِضُ عَنْ تَحْتَلٍّ^(٤) عِنْدَ اعْتِلَالِ دَهْرِكَ الْمَعْتَلِّ

فَقَدْ أَرَى فِي الْيَلَمَقِ الرَّقْلَ^(٥) أَصَوْنَ لِلْأَنْسِ جَمِيلَ الدَّلِّ

* لَدَنَا كُحُوطُ الْبَانَةِ الْمَبْتَلِّ^(٦) *

وتكون العصا محراثًا ، وتكون مخصرة ، وتكون المخصرة قضيب حنيرة^(٧)
وعُودَ ساجورٍ ، ثم تَوَدِيَّةٌ^(٨) .

ويقال للرجل إذا كان فيه أبنَةٌ : « فلان يَنْجُبُ العصا » . وقال الشاعر :

زَوْجُكَ زَوْجٌ صَالِحٌ لَكِنَّهُ يُجَبِّا الْعَصَا^(٩)

وفي الأمثال : « فخذفه^(١٠) » بالقول كما تُحْدَفُ الأرنبُ بالعصا .

وقال إياسُ بن قتيادة العبشمي :

(١) الرود من النساء : الشابة الحسنه ، وأصلها الهمز .

(٢) الجِل ، بالكسر : الكساء ونحوه .

(٣) الخلق : البالي ، ومثله الهمل ، بكسر الهاء والميم وتشديد اللام .

(٤) عن : لفة في « أن » ، وهي ما يسمونه عنعنة تميم .

(٥) اليلمق : القباء المحشو ، وهو بالفارسية « يلمه » . اللسان (لمق) واستينجاس .

١٥٣٦ . والرقل : الواسع .

(٦) الحوط ، بالضم : الفصن الناعم .

(٧) الحنيرة : القوس ، أو القوس بلا وتر . وفي الأصول : « حيرة » ولا وجه له .

(٨) انظر ما سبق في ص ٤٩ .

(٩) أنشده الجرجاني في الكنايات ٣٦ نقلا عن الجاحظ . ووزنه لا يستقيم إلا أن

ينشد « ينجبا العصا » بالتسهيل . وهو من مجزوء الرجز .

(١٠) ما عدال : « تحذفه » .

سأحمر أولاهما وأحذفُ بالعصا على إثرها إني إذا قلتُ عازمُ
وقال ابنُ كُنَاسة^(١) في شرطِ الرَّاعِي على صاحبِ الإبل^(٢) : « ليس لك
أن تذكر أمي بخير ولا شر » ، ولك حذقة^(٣) بالعصا عند غضبك أخطأت أم
أصبت^(٤) ، ولي مقعدى من النار ، وموضع يدي من الحار^(٥) .

- وكان العُتْبِيُّ يحدثُ في هذين بحديثين : أحدهما قوله عن الأعرابي :
« وكان إذا خَرِست الألسُن عن الرأى حذف بالصَّواب كما تُحذف الأرنب
بالعصا » . وأمّا الحديث الآخر فذكر أن قوماً أضلوا الطريق ، فاستأجروا أعرابياً
يُدهمهم على الطريق ، فقال : إني والله لا أخرجُ معكم حتّى أشرطَ لكم واشترطَ
عليكم . قالوا : فهاتِ مالك . قال : « يدي مع أيديكم في الحار والقار ، ولي موضعُ
من النار موسّعٌ عليّ فيها^(٦) » ، وذكرُ والدي عليكم محرّمٌ » . قالوا : فهذا لك فمالنا
١١٩ عليك ؟ إن أذنبت ؟ قال : « إعراضةٌ لا تؤدّي إلى عتَبٍ^(٧) وهجرةٌ لا تمنع من
مجماعة الشفيرة » . قالوا : فإن لم تُعتب ؟ قال : « فحذقةٌ بالعصا أخطأت أم أصابت » .
وهذان الحديثان لم أسمعهما من عالم ، وإِنما قرأتهما في بعض الكتب من

(١) هو محمد بن كناسة ، واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي . شاعر من
شعراء الدولة العباسية ، كوفي المولد والنشأة ، قد حمل عنه شيء من الحديث . وكان إبراهيم
١٥ ابن أدهم الزاهد خاله . وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير ، وكانت أهل الأدب
وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر . وله مؤلفات منها « كتاب سرقات
الكهيت من القرآن » . ولد سنة ١٢٣ وتوفي سنة ٢٠٧ . ابن النديم ١٠٥ والأغاني
(١٢ : ١٠٥ — ١١٠) .

(٢) انظر الحيوان (٥ : ١٠٨ — ١٠٩) واللسان (ثمن ٢٣٢) .
٢٠ (٣) ما عدال : « حذقي » وهي رواية اللسان .
(٤) في اللسان وما عدال : « أصبت أم أخطأت » .
(٥) في اللسان : « من الحار والقار » .
(٦) ما عدال « على ما فيه » .
٢٥ (٧) ما عدال : « إلى تعب وعتب » .

كتب المسجديين^(١).

ولأهل المدينة عصي^(٢) في رموسها عَجْر^(٣) لا تكاد أ كفهم تفارقها إذا خرجوا
إلى ضياعهم ومنتزعاتهم ، ولم فيها أحاديث حسنة ، وأخبار طيبة .
وكان الأفسين^(٤) يقول : « إذا ظفرت بالعرب شذخت رموس عظامهم
بالدبوس » . والدبوس شبيه بهذه العصا التي في رأسها عَجْرَة .
وقال جَحْشويه^(٥) :

يارجلاً هام بلبّاد معتدل كالنصن مَيَّاد^(٦)
هام به غَسَانُ لما رأى أيراً له مثل عصا الحادى
ولم يزل يهوى أبو مالك كُلّ فتى كانصن مُنَاد^(٧)
يمجبه كُلّ متين القوى للطنن فى الأدبار معتاد

وقالوا فى^(٨) تغميض الناقة عينها ، كى تركب العصا إلى الحوض ، وهو فى
معنى قول أبى النّجم :

تَفْشَى العصا والزّجر إن قيل حل يرسلها التّغميض إن لم تُرسل^(٩)

(١) المسجديون : طائفة كانت تلزم المسجد الجامع بالبصرة ، تقص وتحدث وتروى
الأخبار . ماعدا ل : « المستحدثين » تحريف . وانظر الحيوان (٣ : ٣٦٠) .

(٢) العجرة ، بالضم : العقدة فى الحشبة ونحوها .

(٣) الأفسين بفتح الهمزة وكسرهما ، واسمه خيذر بن كاوس . وخيذر ، بالخاء والذال
المعجمتين . وكان الأفسين من أعظم القواد فى جيش المعتصم ، وهو الذى حارب بابك الحرمى
حين اشتدت شوكرته وألجأه إلى الفرار إلى بلاد الروم ، وهناك أسر وبعث به إلى الأفسين ، فحمله
الأفسين إلى المعتصم فقطعه وصلبه . وكان هذا النصر باعثاً له على الطغيان والتمرد ، فقبض عليه
المعتصم واستصنى أمواله وقتله وصلبه . وكان ذلك سنة ٢٢٦ . الطبرى فى حوادث سنة
٢٢٠ — ٢٢٦ .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ١٨١ : ٥ / ٣٤١ : ٢٦١) .

(٥) لبّاد ، نسبة إلى عمل اللبد ، كما يقال حداد وصواف ، ماعدا ل : « لبّاد »
ولا وجه له .

(٦) المناد : المثني من لينه ونعمته .

(٧) كلمة « فى » هذه ، ونظيرتها التالية ساقطتان مما عدا ل .

(٨) سبق الرجز فى ص ٥٣ .

وهذا مثل قول الهذلي :

ولأنت أشجعُ من أسامة إذ شَدُّوا المناطقَ تحتها الحَلَقُ^(١)
حَدُّ السُّيُوفِ على عواتقهم وعلى الأَكْفِ ودونها الدَرَقُ^(٢)
كفَاغَمِ الثِّيرَانِ بينهمُ ضربٌ تَغَمَّضَ دونه الحَدَقُ^(٣)

وقال حميد بن ثور الهلالي :

١٢٠ * اليوم تُنْزَعُ العصا من ربهَا وَيَلُوكُ ثَنِي لسانه المنطِيقُ^(٤)
ويقال : رجلٌ كالقناة ، وفرسٌ كالقناة . وقال الشاعر^(٥) :

مَتَى مَا يَجِيُّ يَوْمًا إِلَى الْمَالِ وَارِثِي يَجِدُ جُمْعَ كَفٍّ غَيْرَ مَلَأَى وَلَا صِفْرٍ^(٦)
يجد فرسًا مثل القناة وصارمًا حُسَامًا إذا ما هَزَّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبْرِ^(٧)

١٠ وجاء في الحديث : أجذبت الأرض على عهد عمر رحمه الله حتى أَلْقَت الرِّعَاءُ
العَصَى ، وَغَطَّتْ النَّعَمَ ، وَكُسِرَ الْعِظَمُ . فقال كعب^(٨) : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ بَنِي
إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا أَصَابَتْهُمْ السَّنَةُ اسْتَسْقَوْا بُعْضَ الْأَنْبِيَاءِ . فكان ذلك سببَ
استسقاؤه بالعبَّاس بن عبد المطلب^(٩) .

- ١٥ (١) أسامة : علم جنس للأسد .
(٢) الدرق : ضرب من الترسة تتخذ من جلود ، ليس فيها خشب ولا عقب .
(٣) أى غماغمهم كفَاغَمِ الثيران ، عني أصوات أبطالهم في الوغى عند القتال .
(٤) سبق البيت في ص ٥٣ .
(٥) هو حاتم الطائي . ديوانه ١٢١ والحاسة (٢ : ٣٧٤) .
(٦) جمع الكف ، بالضم ، هو قدر أن تجمع أصابعها وتضمها . يقول : لا يجد عندي
كثيراً ولا قليلاً ، بل بين بين .
(٧) الهبر : قطع اللحم . يقول : يأبى إلا أن يخالط العظم .
(٨) هو كعب بن ماتب الحميري ، المعروف بكعب الأخبار ، وكان يهودياً وأسلم في خلافة
عمر . وكان يقص فبلغه حديث النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال »
فترك القصص حتى أمره معاوية فصار يقص بعد ذلك . ومات بحمص سنة ٣٢ . الإصابة ٧٤٩٠
والجامع الصغير للسيوطي ٩٩٨٤ ، حيث خرج الحديث من مسند أحمد وابن ماجه .
(٩) انظر أيضاً استسقاء عبد المطلب بالرسول الكريم في الخزائنة (١ : ٢٥٧)
— (٢٥٨) —

وساورت حية أعرابياً فضر بها بعصاه وسلم منها ، فقال :

لولا الهراوة والكفان أنهلني حوض المنية قتال لمن علقاً^(١)
أصم منهرت الشدقين ملتبداً لم يُغذ إلا المنايا مذ لدن خلقاً^(٢)
كان عينيّه مسماران من ذهب جلاهما مدوس الألان فانتلقا^(٣)

وقال الحجاج بن يوسف لأنس بن مالك^(٤) : « والله لأقلعنك قلع الصمغة ،
ولأعصبتك عصب السلّة ، ولأضربنك ضرب غرائب الإبل^(٥) » ولأجرّدنك
تجريد الضب » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لأبي مريم الحنفى^(٦) : « والله لا أحببك
حتى تحب الأرض الدّم المسفوح » . لأن الأرض لا تقبل الدّم ، فإذا جفّ الدّم
تقلع جلباً^(٧) .

ولقد أسرف المتلمس حيث يقول :

أحارثُ إنّا لو تُسَاط دماؤنا تزايلن حتى لا يمسّ دَمٌ دَمًا^(٨)
وأشدّ مَرَقاً منه قولُ أبي بكرٍ الشَّيباني ، قال : كنتُ أسيراً مع بني عمّ لي

١٥ (١) في الحيوان (٤ : ٢٤٢) : « والكفات » ، جمع كفة ، بالكسر ، وهي من
آلات الصيد .

(٢) منهرت الشدقين : واسعهما . وهذا البيت وتاليه من ل فقط .

(٣) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها مسن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى
يجلوه . والألان ، كذا وردت في الأصل . ولعلها : « الألاق » .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ٣٠٨) .

٢٠ (٥) مضى بعض هذا القول في (١ : ٣٧٦) . وجملة « لأضربنك ضرب غرائب
الإبل » من ل فقط .

(٦) انظر ما سبق من تحقيق اسمه في (١ : ٧٣٦) .

(٧) الجلب : جمع جلبة ، بالضم ، وهي القشرة تعلو الجرح عند البرء .

٢٥ (٨) السوط : الخلط والمزج . والبيت في أول ديوان المتلمس مخطوطة الشنقيطى .

١٢١ من بنى شيبان ، وفيما* من موالينا جماعة في أيدي التغالبة ، فضربوا أعناق بني عمتي وأعناق الموالى على وَهْدَةٍ من الأرض ، فكنتُ والذي لا إله إلا هو ، أرى دمَ العربيَّ يَنَاز من دم المولى ، حتى أرى بياضَ الأرض بينهما ، فإذا كان هجيناً قام فوقه ، ولم يعتزل عنه^(١) .

وأنشد الأصمعي :

يُذَدْنُ وقد أُلقيت في قعر حُفْرة كما ذُيد عن حوض العِراك غرائبه^(٢)
وقال العباس بن مرداس :

نقاتلُ عن أحسابنا برماحنا فنضربهم ضربَ المَزيد الخوامسا^(٣)
وقال الفرزدق بن غالب :

١٠ ذكرتَ وقد كادت عصا البين تنشطى جبالك من سلمى وذو الألب ذا كِر^(٤)
وقال الأسدي^(٥) :

إذا المرءُ أولاك الهوانَ فأولِه هواناً وإن كانت قريباً أوأصره
ولا تَظلم المولى ولا تَضَع العصا على الجهل إن طارت إليك بوادره

(١) هذه الكلمة من ل فقط . والهجين : ولد العربي من غير العربية .

١٥ (٢) العراك : ازدحام الإبل على الماء .

(٣) البيت من قصيدة له مطلعها ، كما في الخزانة (٣ : ٥١٨) :

لأسماء رسم أصبح اليوم دارسا وأقفر إلا رحرحات وراكسا

وهي من القصائد المنصفت ، التي « أنصف قائلوها فيها أعداءهم ، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطَلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم في إحساس الإخاء » . وقد اختار منها أبو تمام في الحماسة (١ : ١٦٨) . والمزيد : الذي يعين على ذود الإبل ، وهو طردها ودفعها . والخوامس : التي ترد الخمس ، والخمس بالكسر : أن ترد الإبل يوما ثم ترعى ثلاثا ثم ترد في الخامس من يوم وردها . والخوامس من أحرس الإبل على الماء لشدة ظمئها ، فدفعها يلجئ إلى عنف وإلحاح . وانظر الكلام على أظاء الإبل بتفصيل في المخصص (٧ : ٩٥ —

١٠١) . ومثله قول حسيل بن سجيح الضبي :

٢٥ وأرهب أولى القوم حتى تنهوا كما ذدت يوم الورد هيا خوامسا

(٤) البيت مما لم يرد في ديوان الفرزدق .

(٥) البيت الأول نسب في الحماسة (١ : ٢٦٦) إلى أوس بن حنناء .

وقال جرير بن عطية :

ألا ربَّ مطلوبٍ حَمَلَتْ عَلَى الْعَصَا وَبَابِ اسْتِهِ عَنْ مَنبَرِ الْمَلِكِ زَائِلٌ ^(١)

وقالوا في مديح العصا نفسها مع الأغصان وكريم جَوْهرِ الْعِصَى وَالْقَسَى :

إِذَا قَامَتْ لَسَبْعَتِهَا تَثْنَتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ زُرَانٍ ^(٢)

وقال المؤمل بن أميل ^(٣) :

وَالْقَوْمُ كَالْعِيدَانِ يَفْضُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَذَلِكَ يَفُوقُ عُودٌ عُودًا

لَوْ تَسْتَطِيعُ عَنِ الْقَضَاءِ حَيَادَةً وَعَنِ الْمَنِيَّةِ أَنْ تُصِيبَ مَحْمِداً ١٢٢

كَانَتْ تَقِيدُ حِينَ تَنْزِلُ مَنْزِلًا فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا السَّكَلَالُ قِيوداً ^(٤)

وقال آخر :

وَأَسْلَمَهَا الْبَاكُونَ إِلَّا حَمَامَةً مَطْوَقَةً بَانَتْ وَبَانَ قَرِينُهَا ١٠

تُجَاوِبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْرِ زُرَانَةٍ يَكَادُ يُدَنِّيهَا مِنَ الْأَرْضِ لِينُهَا ^(٥)

(١) البيت من قصيدة له في ديوانه ٤٣٩ يمدح فيها الحجاج بن يوسف . وقبله :

أَطِيعُوا فَلَا الْحَجَّاجَ مَبْقٍ عَلَيْكُمْ وَلَا جَبْرِئِيلَ ذُو الْجَنَاحَيْنِ غَافِلَ

(٢) لبشار بن برد في الأغاني (٣ : ٢٨) برواية : « إِذَا قَامَتْ لَمْشِيَّتُهَا » . والسبحة ،

١٥ بِالْفَتْحِ : الْمَرَّةُ مِنَ السَّبْحِ ، وَهُوَ التَّصَرُّفُ وَالْجِيئَةُ وَالذَّهَابُ . يروون أن بشاراً أنشد قول الشاعر :

أَلَا إِنَّمَا لَيْلِي عَصَا خَيْرِ زُرَانَةٍ إِذَا غَمَزَوْهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ

فقال : والله لو زعم أنها عصا مخ ، أو عصا زبد ، لقد كان جعلها جافية خشنة بعد أن

جعلها عصا . ألا قال كما قلت :

وَدَعَجَاءُ الْمَاجِسِ مِنْ مَعْدٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا ثَمَرُ الْجَنَانِ

٢٠ إِذَا قَامَتْ لَمْشِيَّتُهَا تَثْنَتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ زُرَانِ

(٣) هو المؤمل بن أميل المخازبي السكوفي ، كان شاعراً مجيداً من مخضرمي الأموية

والعباسية ، مدح المهدي وأجازه ، وتوفي في حدود التسعين والمائة . وهو القائل :

شَفَ الْمُؤْمِلُ يَوْمَ الْحَيَرَةِ الْبَصَرَ لَيْتَ الْمُؤْمِلُ لَمْ يَخْلُقْ لَهُ بَصَرُ

الأغاني (١٩ : ١٤٧ — ١٥٠) ونكت الهميان ٢٩٩ والخزانة (٣ : ٥٢٣) —

٢٥ . (٥٢٥)

(٤) يبدو في هذه الأبيات عدم الترابط . وهذا البيت الأخير في صفة ناقة .

(٥) وكذا روايته في الحيوان (٣ : ٤٨٧) . وفي شروح سقط الزند ١٨٢ :

* هتوف دعت شجواً على خَيْرِ زُرَانَةٍ *

وقال آخر :

ألا أيُّها الركب المُخبِّون هل لكم بأختِ بني هندٍ عتيبةً من عهدٍ
أألت عصاها واستقرَّ بها النوى بأرض بني قابوسٍ أم ظَلَعْتَ بعدِي

وقال آخر :

ألا هَتَفْتُ ورقاءَ في رونقِ الضُّحَى على غُصْنٍ غَضَّ النَّبات من الرِّند^(١) .
وقال آخر في امرأةٍ رآها في شارةٍ وِبرة^(٢) ، فظنَّ بها جمالا ، فلما سَفَرَتْ إذا
هي غُولٌ :

فأظهِرْها رَبِّي بِمَنْ وَقْدَرَةٍ على ولولا ذاك مُتُّ من الكَرْبِ
فلما بدتُ سَبَّحتُ من قُبْح وجهها وقلت لها : السَّاجور خيرٌ من الكلب^(٣)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يُؤْتَى بِقومٍ من هاهنا^(٤) يُقَادون إلى
حُظوظهم في السَّواجير » . والسَّاجور يُسمَّى الزَّمارَة . قالوا : وفي الحديث : « فَأُتِيَ
الحِجَّاج بِسعيد بن جُبَيْر^(٥) ، وفي عنقه زَمَّارَة » .
وقال بعض المُسَجِّنين :

(١) رونق الضحى : أولها . والرند : الأس ، أو شجر من أشجار البادية طيب
الرائحة يستاك به .

(٢) الشارة : الحسن والهيئة واللباس . والبرة : الهيئة واللبسة .

(٣) أي ملبسها خير منها . والساجور : خشبة توضع في عنق الكلب .

(٤) ما عدال : « من هنا » وانظر ما سبق في ص ٥٠ .

(٥) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي ، وكان مولى أسود لبني والبة من

بني أسد ، كان كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود حين كان على قضاء الكوفة ، ثم كتب لأبي
بردة بن أبي موسى ، ثم خرج مع ابن الأشعث في جملة القراء ، فلما هزم ابن الأشعث هرب
إلى مكة فأخذه خالد القسري بعد مدة وبعث به إلى الحجاج بواسط ، فقتله صبرا سنة ٩٥ هـ ، ثم
مات الحجاج بعده بأيام . وكان فقيهاً عابداً ورعاً . وكان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة
يستفتونه يقول : أليس فيكم ابن أم الدهاء ؟ — يعني سعيد بن جبير . تهذيب التهذيب وصفة
الصفوة (٣ : ٤٢) والمعارف ١٩٧ .

ولى مُسْمِعَانِ وَزَمَّارَةٌ ^(١) وظلٌّ مديدٌ وحصنٌ أَمَقٌ ^(٢)
وكم عائدٌ لى وكم زائرٌ لو أبصرنى زائراً قد شهِقَ ^(٣)
المُسْمِعَانِ : قيدان . وسمى الغُلَّ الذى فى عنقه زَمَّارَةً .

وأما قولُ الراجز :

اسقنى يا زُبَيْرُ بالقرقارة ^(٤) قد ظمئنا وحنَّتِ الزَّمَّارَةُ ^(٥)
* اسقنى اسقنى فإنَّ ذُنوبى قد أحاطت فمالها كفَّارَةُ

فإنَّ الزَّمَّارَةَ هاهنا : الزمار .

وقال أيضاً صاحب الزمَّارَةِ فى صفة السَّجْنِ :

فبتُّ بأحصنها منزلاً ثقيلاً على عُنُقِ السَّالِكِ
ولستُ بضيفٍ ولا فى كراءٍ ولا مستعيرٍ ولا مالكٍ
وليس بغصبٍ ولا كالرَّهونِ ولا يشبه الوقفَ عن هالكٍ
ولى مُسْمِعَاتٍ فأدناها ^(٦) ينفى ويُمسِكُ فى الحالكِ ^(٧)
وأقصاها ناظرٌ فى السما ^(٨) عَمداً وأوسخُ من عاركِ ^(٩)

المُسْمِعَاتِ هاهنا أحدهما قيده ، والآخر صاحب الجُرَسِ ^(١٠) .

قال : وأخبرنى الكلَّابِيُّ قال : قاتلت بنو عُمَيٍّ ^(١١) بعضهم بعضاً ، فجعل

(١) أمق : واسع ، كما فى مجالس ثعلب ٤١٠ هـ عند إنشاد البيت . وأنشده فى اللسان
(زمر ٤١٦ سمع ٢٩ مق ٢٢٣) .

(٢) شهِقَ ، من باى ضرب وعلم : ردد البكاء فى صدره .

(٣) القرقارة : إناء ، سميت بذلك لفرقتها . وفى القاموس : القرقار « بدون هاء .

٢٠ وحنَّتِ الزمارة : صوتت .

(٤) الحالك ، أى الليل الحالك ، وهو الشديد الظلمة .

(٥) المارك : الخائن من النساء .

(٦) ل : « الحرس » ، بالخاء المهملة .

(٧) هذا مثل قوله تعالى : (إلا الذى آمنتم به بنو إسرائيل) . ما عدا ل : « بنو عم لى » .

بعضهم ينضمُّ إلى بعضٍ لوَازِداً مِنِّي ، وليس لي في ذلك هِجِيرِي ^(١) إلا قولي :

قد جعلت تأوى إلى خَمَانِهَا ^(٢) وكِرْسِهَا العادِيَّ من أعطانها ^(٣)

فلما طلبوا القصاص ، قلت : دونكم يا بني عمِّي حَقَّكم ، فأنا اللحم ^(٤)
وأنتم الشَّفْرة ؛ إن وهبتم شكرتُ ، وإن اعتقلتم عقلتُ ^(٥) ، وإن اقتبصتم
صَبَرْتُ .

قال : وسألت يونس عن قوله : ﴿ نَسِيًّا مِّنْسِيًّا ﴾ ^(٦) ، قال : تقول العرب إذا
ارتحلوا عن المنزل ينزلونه : انظروا أنساءكم . وهي العصا ، والقَدَح ، والشُّظَّاط ،
والحَبْل . قال : فقلت : إني ظننت هذه الأشياء لا ينساها أربابُها إلا لأنها
أهونُ المتاع عليهم . قال : ليس ذلك كذلك ، المتاع الجافي يذكرُّ بنفسه ، وصغار
المتاع تذهبُ عنها العيون . وإنما تذهبُ نفوسُ العامة إلى حفظِ كلِّ ثمين وإن
صغر جسمه ، ولا يقفون على أقدار فوت الماعون عند الحاجة وفقد المُحِلَّات
في الأسفار .

١٢٤ وقال يونس : المنسيُّ : ما تقادم العهدُ به ونسي حيناً لهوانه . * ولم تكن
مريمُ لتضربَ المثلَ في هذا الموضع بالأشياء النفيسة التي الحاجةُ إليها أعظم من
الحاجة إلى الشيء الثمين في الأسواق .

١٥

(١) الهجير ، كسكيت ، والهجيرى مثله بالألف المقصورة : العادة والدأب والشأن .
ما عدال : « هجير » .

(٢) الخمان ، بفتح الحاء وتشديد الميم : ردىء العجر . ما عدال : « جثمانها » تحريف .

(٣) الكرسي ، بالكسر : أبوال الإبل والغنم وأبقارها ، يتلبد بعضها على بعض في
الدار . والعادى : القديم ، كأنه منسوب إلى عاد . والأعطان : جمع عطن ، بالتحريك ، وهو
ميرك الإبل حول الحوض .

(٤) ما عدال : « فحن اللحم » .

(٥) أراد باعتقلتم : طلبتم العقل ، وهو الدية . ولم أجد هذا الفعل بهذا المعنى
في معجم .

(٦) قرأ حفص وحمة بفتح النون ، والباقون بكسرها . إتحاف فضلاء البشر ٢٩٩ . ٢٥

وقال الأشهب بن رُميلة^(١) ، أو نهشل بن حرّمي^(٢) :
 قال الأقاربُ لا تفرّك كثرتنا وأغنِ نفسك عنا أيّها الرجلُ
 علّ بنيّ يشدّ اللهُ أعظمهم والنّبعُ ينبتُ قضباناً فيكتهلُ
 وكان فرسُ الأخنس بن شهاب^(٣) يسمّى « العصا » ، والأخنسُ
 فارس العصا .

وكان لجذيمة الأبرش فرسٌ يقال له « العصا » .
 ولبنى جعفر بن كلاب « شحمة » و « الغدير » و « العصا » . فشحمة :
 فرس جَزء بن خالد . والعصا : فرس عوف بن الأحوص . والغدير : فرس شريح
 ابن الأحوص .

والعصا أيضاً : فرس شبيب بن كعب الطائي .
 وقال بعضهم أو بعض خطبائهم :
 وليس عصاه من عراجين نخلة ولا ذات سيرٍ من عصيّ المسافرين
 ولكنّها إمّا سألت فتبعتُ سبعا وميراثُ شيخٍ من جباد المخاصر
 والرجل يتمنّى إذا لم تكن له قوةٌ وهو يجدُ مسَّ العجز ، فيقول : « لو كان
 في العصا سيرٌ » . ولذلك قال حبيب بن أوس :

(١) الأشهب بن رُميلة : شاعر إسلامي مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم
 تعرف له صحبة ولا اجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولذا أورده ابن حجر في قسم المخضرمين
 من الإصابة . ورُميلة أمه . وكانت أمة لخالد بن مالك بن ربيع بن سلمى بن جندل . وأبوه
 ثور بن أبي حارثة بن عبد المدان بن جندل بن نهشل بن دارم بن عمرو بن قيس . وكان الأشهب
 يهاجى الفرزدق . الإصابة ٤٦٤ والخزانة (٣ : ٥٠٩ — ٥١٠) .

(٢) نهشل بن حرّمي ، كالمسبوب إلى الحر : شاعر مخضرم أدرك معاوية ، وكان معه
 في حروبه . الإصابة ٨٨٧٨ والخزانة (١ : ١٥١) وقد نسب البيهقي في الحيوان (١ : ١٠٩)
 إلى الأشهب بن رُميلة .

(٣) الأخنس بن شهاب بن شريق التغلي ، شاعر جاهلي قديم قبل الإسلام بدهر .
 الخزانة (٣ : ١٦٩) . وانظر ما كتب في تحقيق اسمه في المفضليات (٢ : ٣) .

مالك من همة وعزمٍ لو أنه في عصاك سِيرُ^(١)
رُبَّ قليلٍ جنى كثيراً كم مطرٍ بدؤه مُطِيرُ
صبراً على الثَّابِتات صبراً ما صَنَعَ اللهُ فهو خيرُ

وإذا لم يجعل المسافرُ في عصاه سَيراً سقطت إذا نَعَسَ من يده .

- وسئل^(٢) عن قوله : ﴿وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى﴾ ، قال : لستُ أحيطُ بجميعِ
١٢٥ مَأْرَبِ موسى صلى الله عليه وسلم ، ولكني سأنبئُكم "جُملاً" تدخلُ في باب الحاجة
إلى العصا . من ذلك أنها تُحْمَلُ للحَيَّة ، والعقرب ، وللدَّئِب ، وللفحل الهائِج ،
ولعير القانَةِ في زمن هَيْجِ الفُحول ، وكذا فحول الحُجُور في المَروج^(٣) . ويتوَكَّأ
عليها الكبير الدَّالف ، والسَّقيم المَدْنَف ، والأقْطَعُ الرَّجْلِ ، والأعرج ، فإنها
تقوم مقامَ رجلٍ أُخرى .

١٠

وقال أعرابيٌّ مقطوعُ الرَّجْلِ :

الله يعلم أني من رجالِهِمْ وإن تَخَدَّدَ عن متني أطْماري^(٤)
وإن رُزيتُ يداً كانت تُجَمِّلُنِي وإن مشيت على زُجٍّ ومسمارٍ
والعصى تنوب للأعمى عن قائده ، وهي للقصار والفَاشِكار^(٥) والدِّبَّاع .

١٥

ومنها المِفْأَدُ للمَلَّة^(٦) والمحراك للثَّنُور^(٧) . قال الشاعر :

(١) الأبيات مما لم يرد في ديوان أبي تمام .

(٢) المسئول هو يونس بن حبيب .

(٣) الحجر ، بالكسر : الفرس الأثني ، لم يدخلوا فيه الماء ، لأنه لا يشركها فيه المذكر .

(٤) التخذد : التشنج . والأطمار : جمع طمر ، بالكسر ، وهو الثوب الخلق .

(٥) سبق تفسيره في (١ : ٦٠) .

(٦) المِفْأَد : الحشبة التي يحرك بها الثنور ونحوه . والملة ، بالفتح : الرماد الحار والحجر .

(٧) المحراك : ما تحرك به النار . ل : « والمحراث » ما عدال : « ومحراك » ،

والوجه ما أثبت .

٢٠

إذا كان ضربُ الحَبِزِ مَسْحًا بِخَرْقَةٍ وَأُخْمِدَ دُونَ الطَّارِقِ الْمُتَنَوِّرِ^(١)
كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَنْفُضَ عَنْهَا الرَّمَادَ بَعْضًا فَيُسْتَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَنْضَجَ خُبْزَتَهُ .
يُصَفُّهُ بِالْبَخْلِ .

وَهِيَ لِدَقِّ الْجَحْصِ^(٢) وَالْجَبْسِينَ^(٣) وَالسَّمْسَمِ .

وَقَالَ الشَّامِيُّ بْنُ ضَرَّارٍ :

وَأَشْعَثَ قَدْ قَدَّ السَّفَارُ قَيْصَهُ يَجْرُ شِوَاءً بِالْعَصَا غَيْرَ مُنْضَجٍ^(٤)

وَلِخَبَطِ الشَّجَرِ ، وَلِفَيْحِ الْمُسْكَارِيِّ^(٥) ، فَإِنِهُمَا يَتَخَذَانِ الْخَاصِرَ ، فَإِذَا
طَالَ الشَّوْطُ وَبَعُدَتِ الْغَايَةُ اسْتَعَانَا فِي خُضْرُهَا وَهَرَوَلَتِيهَا فِي أَضْعَافِ ذَلِكَ ،
بِالْاعْتِمَادِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

وَهِيَ تَعْدَلُّ مِنْ مَيْلِ الْمَفْلُوجِ ، وَتُقِيمُ مِنْ ارْتِمَاشِ الْمُبْرَسَمِ^(٦) وَتَتَّخِذُهَا
الرَّاعِي لِفَنَمِهِ ، وَكُلُّ رَاكِبٍ لِمَرْكَبِهِ ، وَيَدْخُلُ عَصَاهُ فِي عُرْوَةِ الْمِزْوَدِ ،
وَيُمْسِكُ بِيَدِهِ الطَّرْفَ الْآخَرَ ، وَرَبَّمَا كَانَ أَحَدُ طَرَفَيْهَا بِيَدِ رَجُلٍ وَالطَّرْفُ
الْآخَرُ بِيَدِ صَاحِبِهِ وَعَلَيْهَا حِمْلٌ ثَقِيلٌ .

(٢) وَأَخَذَ ، أَيْ وَأَخَذَتِ النَّارُ . وَالطَّارِقُ : الَّذِي يَطْرُقُ الْقَوْمَ لَيْلًا . وَالْمُتَنَوِّرُ : الَّذِي
يَتَبَصَّرُ النَّاسُ مِنْ بَعِيدِ بَرُوءَةِ النُّورِ أَوْ النَّارِ .

(٢) الْجَحْصُ ، بِفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا : هَذَا الَّذِي يَطْلِي بِهِ الْجِدَارُ . وَفِي التِّيمُورِيَّةِ :
« الْجَس » تَحْرِيفٌ .

(٣) الْجَبْسِينَ ، ذَكَرَهُ دَاوُدُ فِي تَذَكُّرَتِهِ وَقَالَ : « وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ طَلَقَ لَمْ يَنْضَج » .
قَالَ : « وَمِنْهُ شَدِيدُ الْبَيَاضِ يَعْرِفُ بِاسْتِفْدَاجِ الْجَبْسِ » . وَقَالَ : « وَخَالَصَهُ الْمَعْرُوفُ فِي مِصْرَ
بِالْمُصِيسِ » . وَالْكَلِمَةُ مُحَرَّفَةٌ فِي النُّسخِ ؛ فَنُفِي لَ : « الْحَشِيشِ » وَمَا عَدَالُ « الْجَبِينِ » .

(٤) السَّفَارُ : السَّفَرُ . وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِ الشَّامِيِّ ٩ .

(٥) الْفَيْحُ ، بِالْفَتْحِ : وَاحِدُ الْفَيُوجِ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى عَلَى رَجْلَيْهِ يَحْمِلُ الْأَخْبَارَ مِنْ بَلَدٍ
إِلَى بَلَدٍ . وَلَفْظُهُ فَارْسِيٌّ مُعَرَّبٌ ، فَارْسِيَّتُهُ « بِيَك » . اسْتِئْجَاسُ ١٦٧ . وَالْمُسْكَارِيُّ : الَّذِي
يَكْرِيكُ دَابَّتَهُ بِالْأَجْرِ .

(٦) الْمُبْرَسَمُ : الْمَصَابُ بِالْبُرْسَامِ . وَالْبُرْسَامُ ، بِالْكَسْرِ : عَلَّةٌ يَهْدَى فِيهَا . قُلْتُ : هِيَ
بِالْفَارْسِيَّةِ « بُرْسَامٌ » بِالْفَتْحِ ، بِمَعْنَى التَّهَابِ الصَّدْرِ ، مَرْكَبٌ مِنْ « بُر » وَهُوَ الصَّدْرُ ،
و « سَامٌ » بِمَعْنَى الْإِلْتِهَابِ . وَهُوَ بِالمَعْنَى الدَّقِيقِ : التَّهَابُ غِشَاءُ الرُّثَّةِ : The Pleurisy .

وتكون إن شئت وتدًا في حائط ، وإن شئت ركزتُها في الفضاء وجعلتها
قبلةً ، وإن شئت جعلتها مظلةً ، وإن جعلت فيها زُجًا كانت عَنزةً ^(١) ، وإن
١٢٦ زدت فيها شيئًا كانت * عُكَّازًا ، وإن زدت فيها شيئًا كانت مطردًا ^(٢) ، وإن
زدت فيها شيئًا كانت رُمحًا .

والعصا تكون سَوَطًا وسلاحًا . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخطُب
بالقضيب ، وكفى بذلك دليلًا على عِظَمِ غنائها ، وشَرَفِ حالها . وعلى ذلك الخلفاء
وكبراء العرب من الخطباء .

وقد كان مروانُ بن محمد حين أُحيط به دَفَعَ البُرْدَ والقضيبَ إلى خادمٍ له ،
وأمره أن يدفنها في بعض تلك الرِّمال ، ودفع إليه بنتًا له ، وأمره أن يضربَ
عنقها . فلما أخذ الخادمُ في الأمرى قال : إن قتلتموني ضاع ميراثُ النبي صلى الله
عليه وسلم ، فأَمَّنوه على أن يُسَلَّمَ ذلك لهم .
وقال الشاعر في صفة قناة :

وأَسْمَرُ عَائِدٍ فِيهِ سَيِّدَانُ شُرَاعِيٌّ كَسَاطَعَةِ الشَّعَاعِ ^(٣)
وقال آخر :

هَوْنَةٌ فِي الْعِنَانِ تَهْتَزُّ فِيهِ كَاهْتِزَازِ الْقَنَاةِ تَحْتَ الْعُقَابِ ^(٤)
ومما يجوز في العصا قول الشاعر :

لِلْهَامِ ضَرَابُونَ بِالْمَنَاصِلِ ضَرَبَ الْمُذِيدَ غُرْبَ النَّوَاهِلِ ^(٥)

(١) العَنزة ، بالتحريك . عصا في قدر نصف الرمح أو أكثر شيئًا ، في طرفها الأسفل
زج كزج الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير .

(٢) المطرد ، بكسر الميم : رمح قصير يطرد به الوحش .

(٣) الرمح العائر : المضطرب من لينه . ما عدال : « عائق » تحريف . وروايته في
اللسان (شرع) : « عانك » وهو الذي قدم واجر . والشراعي : نسبة إلى رجل كان يعمل
الأسنة اسمه « شراع » .

(٤) يصف فرسًا . والعقاب : العلم الضخم .

(٥) سبق الرجز في ٥٥ . ل : « عزب » تحريف .

[وقال عباس بن مرداس :

نظاين عن أحسابنا برماحننا ونضربهم ضرب المذيد الخوامسا^(١)
وقال الآخر :

دافع عني جلبي وحشي^(٢) فهي كمود النبعة الأجش
وقال نصيب الأسود :

ومن يبق مالا عُدَّة وصيانة^(٣) فلا الدهر مُبقيه ولا الشَّحُّ وافرُهُ
وقال آخر^(٤) :

تخيرت من نعمان عودَ أراكِ لهندٍ فمن هذا يبلغه هنداً^(٥)
خليلى عوجا بارك الله فيكما وإن لم تكن هنداً لأرضكما قصداً ١٢٧
وقولا لها ليس الضلالُ أجارنا ولكنا جُرنا لنلقاكم عمداً^(٥)
وقال آخر :

فتلك ثيابي لم تُدنس بفردرة ووزى زنادى فى ذرى المجد ثاقب^(٦)
ولو صادفتُ عوداً سوى عود نبعة وهيهات أفنته الخطوبُ النوائب^(٧)
وقال آخر :

عصا شريانة دُهمت بزبد تدق عظامه عظماً فعظماً ١٥

(١) التكملة مما عدل . وقد سبق البيت فى ص ٦١ .

(٢) ل : « حلي وحشى » ولم أجد للبيت مرجعاً لتحقيقه .

(٣) هو ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة ، أحد شعراء الجاهلية . الحماسة (٢ : ١٢٣) .
ونسب الشعر فى الأغاني (١٠ : ١٢٢) إلى المرقش الأكبر . وأنشد صاحب اللسان البيت الثانى
فى اللسان (جور) منسوباً إلى عمرو بن عجلان . ٢٠

(٤) البيت لم يروه أبو تمام . وفى الأغاني أن المأمون غنى بين يديه بهذا البيت فقال :
اطلبوا له ثانياً ، فلم يعرفوا ، ثم سأل عن صاحبه فلم يعرفه أحد . ثم عرف الشعر وصاحبه من
بعد ، إسحاق بن حميد ، فبعث بخبره إلى المأمون .

(٥) أجارنا : عدل بنا ، كما فى اللسان (جور) .

(٦) الورى . خروج النار من الزند . والزناد : جمع زند . ٢٥

(٧) أى لو صادفت الخطوب عوداً غير عود النبع أفنته وحطمته . يفخر بصلافة عوده .

وليس هذا مثل قول لقيط بن زُرارة^(١) :

إذا دهنوا رماحهم بزُبْدٍ فإن رماح تيم لا تَضِيرُ
وقال صالح بن عبد القدوس^(٢) :

لا تدخلن بنميمية بين العصا وإحائها
وقال شبيل بن معبد البجلي^(٣) :

برثنى صروف الدهر من كل جانب كما يُبترى دون اللحاء عسيب
وقال أوس بن حجر :

لحوتهم لحوا العصا فطردتهم إلى سنة جردانها لم تحلم^(٤)
وقال الرقاشي في صنعة القناة التي تُبرى منها القسي :

من شقق خضر بروصيات^(٥) صُفِر اللحاء وخلوقات^(٦)
جُدِلن حتى إضن كالحيات رشائفا غيير مؤنات^(٧) ١٢٨

(١) لقيط بن زُرارة : شاعر فارس من فرسانهم في الجاهلية . وله خبر في يوم رحران ، وكان من الرؤساء في يوم جبلة ، وقتل في ذلك اليوم ، وجعل يقول عند موته :
يا ليت شعري عنك دختنوس إذا أتاك الخبر المرموس
أتحلق القروت أم تيمس لا بل تيمس لأنها عروس
دختنوس : بنته . وكانت جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الأغاني (١٠) :
١٩ — ٤٤) .

(٢) ترجم في (١ : ٢٠٦) .

(٣) هو شبيل بن معبد بن عبيد البجلي الأحسي ، صحابي جليل ، وهو أحد من شهدوا على المغيرة بن شعبة . الإصابة ٣٩٥٢ .
٢٠ (٤) في الأصل : « لحوتهم » . فطردتهم « صوابه من الديوان ٢٧ واللسان والمقاييس (حلم) . وقيله :

ويخرجهم من كل صمد ورجلة وكل غبيط بالمغيرة مقم
لم تحلم : لم تسمن ، وذلك لشدة الجذب . ويروى : « قردانها » .

(٥) بروصيات ، كذا وردت مضبوطة في الأصل .
٢٥ (٦) خلوقات : لونها لون الخلق ، وهو بالفتح : الزعفران .

(٧) رشائفا : جمع رشيفة ، وهي الحسنة القد اللطيفة . ما عدل : « وشائفا » تحريف .
والمؤنات : المبيات ؛ والأبنة : العيب في الحشب والعود . ما عدل : « مؤنات » تحريف .

أنفهن ممتطرات^(١) عمرو بن عُصفورٍ على استنبات^(٢)
وقال محمد بن يسير^(٣) :

ومشمريّن عن السّواعدِ حُسريّ عنها بكلّ رشيقّة التوتير^(٤)
ليس الذي تُشوي يدها رميّة فيهم بمعتذرٍ ولا معذور^(٥)
عُطف السّيّاتِ موانعٍ في عطفها تُعزّي إذا نُسبت إلى عُصفور^(٦)
ذهب إلى قوله : * في كفّه مُعطيةٌ منوع^(٧) *
وهذا مثل قوله : * خرقاء إلاّ أنّها صنّاع^(٨) *
وهذا مثل قوله : * غادر داءٌ ونجا صحيحًا^(٩) *
ومثل قوله : * حتّى نجا من جوفه وما نجا^(١٠) *

١٠ (١) التأنيف : التحديد . وفي الأصول : « أنفهن » وليس لها وجه . والتمطرات :
السرعات .

(٢) عمرو بن عصفور : أحد القواسين . وفي الحيوان (٥ : ٢٣٣) « عصفور
القواس » ، فلعله والده .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ٦٥) . وفي الأصول . « محمد بن بشير » تحريف .
١٥ والأبيات رويت في الحيوان (٥ : ٢٣٥) . والأغاني (١٢ : ١٣٠) .

(٤) عني بالمشمريّن الصيادين بالسهم . والتوتير : شد وتر القوس ونحوها . ووجه
روايته : « لمشمريّن » كما في الأغاني .

(٥) أشوى الرمية : لم يصب الصيد الذي يرميه .

(٦) عطف : جمع عطفاء ، وهي المنحنية . وسية القوس : ما عطف من طرفها . وقبل
٢٠ البيت في الحيوان :

يتبعون مع الشروق غدية في كل معطية الجذاب تتور

(٧) نسب في (١ : ١٤٩) وديوان المعاني (٢ : ٥٩) إلى العكلى . وأنشده في
الحيوان (٣ : ٧٢) .

(٨) سبق في (١ : ١٥٠) وهو في صفة ناقة . قال الجاحظ : « يصف سرعة نقل
٢٥ يديها ورجليها ، أنها تشبه المرأة الخرقاء ، وهي الخرقاء في أمرها الطياشة » . وانظر الحيوان
(٣ : ٧٢) والعمدة (١ : ١٦٨) .

(٩) سبق البيت والكلام عليه في (١ : ١٥٠) .

(١٠) « نجا من جوفه » ، أي نفد سهم الصائد من جوف الحمار ، كما ذكر الجاحظ في
الحيوان (٣ : ٧٥) . وسبق لإنشاده في البيان (١ : ١٥٠) : « حتّى نجا من شخصه » .

فإذا طال قيام الخطيب صار فيه انحناء وجناً^(١) . وقال الأسدي :

أنا ابنُ الخـالدين إذا تلاقى من الأيام يومٌ ذو ضجـاج^(٢)
كانَ اللَّغَب والخطباء فيه قسئُ مثقفٍ فيها اعوجـاج^(٣)
وعلى هذا المعنى قال الشماخ بن ضرار :

فأضحت تغالَى بالسَّـتار كأنها رماحٌ نحاها وجهُ الرِّيح راكِز^(٤)
وقال العُماني :

عاتٍ يرى ضَرْبَ الرجال مَغْنَمًا إذا رأى مُصَدِّقًا تَجْهَمًا^(٥)
وهزَّ في الكفِّ ، وأبدى المِعْصَمَا هِرَاوَةً نَبْعِيَّةً أو سَلَمًا^(٦)
تتركُ ما رام رُفَاتًا رِمَمًا^(٧)

١٢٩ وقال أمية بن الأسكر^(٨) :

هلاَّ سألتَ بنا إن كنتَ جاهلة ففي السُّؤال من الأنباء شافِها^(٩)

(١) الجنأ : ميل في الظهر وحدب .

(٢) الضجاج ، بالفتح والكسر : المشاغبة والمشاركة .

(٣) اللَّغَب ، بالفتح : الكلام الفاسد السيئ . ما عدال : « اللعب » بالعين

المهملية ، تحريف .

١٥

(٤) البيت آخر بيت من قصيدة له في ديوانه ٤٣ وجمهرة أشعار العرب ١٥٤ . وتغالت
الجر : احتكت ، كأن بعضها يفلئ بعضها . والستار : موضع . ووجهة الرِّيح : أى في مواجهتها .
والراكِز : الذى يفرز الرمح ونحوه فى الأرض . ورواه القرشى فى الجمهرة : « تغالى » بالغين ،
وفسرها بقوله : أى تسابق تدخل رأسها بين أخواتها .

(٥) المصدق : الذى يتولى جمع الصدقات ، وهى الزكاة ، وكان النزاع دائماً بين المصدقين
والمصدقين . انظر صورة قوية منه فى قصيدة الراعى فى جمهرة أشعار العرب ١٧٥ .

(٦) نبعية ، من النبع « وهو شجر تتخذ منه القسي . والسلم : ضرب من الشجر .

(٧) الرفات : الحطام من كل شيء تكسر . ما عدال : « رفاقا » تحريف .

(٨) أمية بن الأسكر ، شاعر من مخضرمى الجاهلية والإسلام . وهاجر ابنه « كلاب »

٢٥ إلى المدينة ثم خرج فى بعث إلى العراق فى خلافة عمر ، وكان هو قد كبر ، فبكاه بشعر ، فلما
بلغ عمر ذلك أمر برده إليه . الإصابة ٢٥١ والمعرين ٦٧ — ٦٩ والأغانى (١٨ : ١٥٦)
والخرانة (٢ : ٥٠٥) وأسد الغابة .

(٩) ما عدال : « من الاعياء » تحريف .

تخبرك عنا معدّ إن هم صدقوا ومن قبائل نجران يمانها
وبالجياد تجرّ الخيل عابسة^(١) كأنّ مذرور ملح في هواديها^(٢)
قوم إذا قدّغ الأقوال طاف بهم ألقى العصي عصي الجهل باريها
قال : والرّجل إذا لم يكن معه عصا فهو باهل . وناقّة باهل وباهلة ، إذا
كانت بغير صرار^(٣) . وقال الراجز :
أهلها ذاندّها وسبّحا^(٤) ودقّت المركو حتّى ابلندحا^(٥)

احتجنا إلى أن نذكر ارتفاق بعض الشعراء من العرجان بالعصي ، عند
ذكرنا العصا وتصرفها في المنافع . والذي نحن ذا كروه من ذلك في هذا الموضع
قليل من كثير ما ذكرناه في كتاب العرجان . فإذا أردتموه فهو موجود إن
شاء الله .

قالوا : ولما شاع هجاء الحكم بن عبدل الأسدي^(٥) لمحمد بن حسان بن
سعد^(٦) وغيره من الولاة والوجوه ، هابه أهل الكوفة ، واتقّ لسانه الكبير
والصغير ، وكان الحكم أعرج لا تفارقه عصاه ، فترك الوقوف بأبوابهم وصار
يكتب على عصاه حاجته ويبيّث بها مع رسوله فلا يجلس له رسول ، ولا يؤخر

(١) الهوادي : الأعناق . وإذا يبس عرق الخيل أبيض وصار كاللح ، قال طيفل الغنوي :

كأن يبس الماء فوق متونها أشارير ملح في مباءة مجرب

انظر شروح سقط الزند ٤٨ ، ٢٥٤ والمفضليات (٢ : ١٤٣) .

(٢) الصرار ، بالكسر : خيط يشد فوق خلفها لئلا يرضعها ولدها .

(٣) السبج : الفراغ الطويل والتصرف جيئة وذهابا .

(٤) المركو : الحوض الكبير . وابلندح : اتسع ومرض . والبيت في اللسان (بلدح) .

(٥) في الأصل : « الأزدي » ، تحريف . وهو الحكم بن عبدل بن جبلة ، ينتهي

نسبه إلى أسد بن خزيمه . وكان هجاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية . ومنزله ومنشؤه

الكوفة . وترجمته في الأغاني (٢ : ١٤٤ — ١٥٣) .

(٦) سبقت ترجمته في (١ : ٨٨) .

عنه لقراءة الكتاب ، ثم تأتيه الحاجةُ على أكثر مما قدر ، وأوفر مما أمل ،
فقال يحيى بن نوفل :

عصا حَكَمَ في الدَّارِ أَوَّلُ داخلٍ ونحن عن الأبواب نَقَصَى ونُحَجَّبُ^(١)
١٣٠ وأما قول بشر بن أبي خازم :

للهِ درُّ بنى الحَدَّاءِ مِنْ نَفَرٍ وكلُّ جارٍ على جبرانه كَلْبُ^(٢)
إذا غَدَوْا وَعَصَى الطَّلَحُ أَرْجُلَهُمْ كما تُنصَّبُ وسطَ البيعةِ الصُّلْبُ
إنَّما يعنى أنهم كانوا عُرجاناً ، فأرجلهم كعصى الطَّلَحِ . وعصى الطَّلَحِ
معوجة . ولذلك قال مُعدانُ الأعمى ، في قصيدته الطويلة التي صَنَفَ فيها الغالية
والرافضة ، والتميمية ، والزيدية :

والذى طَفَّفَ الجِدَارَ مِنَ الذُّغْرِ وقد بات قاسم الأنفال^(٣)
١٠ ففدا خامعاً بوجه هشيمٍ وبساقٍ كعمودٍ طلحٍ بالِ^(٤)
وقال بعض العُرجانِ^(٥) ممن جعل العصا رِجْلاً :

مالللكواعب يادهماء قد جعلتْ تزور عني وتطوى دوني الحُجْرِ^(٦)
لا أسمع الصَّوتَ حَتَّى أُستدِيرَ له ليلاً طويلاً ينافيني له القمرُ
١٥ وكنتُ أمشي على رجلين معتدلاً فصرتُ أمشي على رجلٍ من الشَّجَرِ

(١) بعده في الأغاني (٢ : ١٤٤) :

وكانت عصا موسى لمرعون آيةً وهذى لعمر الله أدمى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ويرغب في المرواة منها ويرهب

(٢) البيتان في الحيوان (١ : ٣١٦ / ٦ : ٤٨٤) .

(٣) طفف الجدار : علاه ورفعته . والأنفال : الغنائم والهبات ، جمع نفل بالتحريك .

(٤) في الحيوان (٦ : ٤٨٥) : « بأيدي هشيم » .

(٥) الشعر يروى لعمر بن أحمز الباهلي ، كما في الموشح ٨٠ . وانظر الخزانة (٤ : ٩٤) .

(٦) في الموشح والخزانة : « ياعيساء » .

وقال رجلٌ من بني عجل :

وشى بي واشٍ عند ليلى سفاهةً فقالت له ليلى مقالةً ذى عقل^(١)
وخبرها أنى عرجتُ فلم تكن كورهاءً بجزء الملامة للبعل
وما بي من عيبٍ الفتى غير أننى جعلتُ العصا رجلاً أقيم بها رجلى
وقال أبو ضبة^(٢) فى رجله :

وقد جعلتُ إذا ما نمتُ أوجعنى ظهرى وقت قيام الشارف الظهر^(٣)
وكنتُ أمشى على رجلينٍ معتدلاً فصرتُ أمشى على رجلٍ من الشجر ١٣١
وقال أعرابى من بني تميم :

وما بي من عيبٍ الفتى غير أننى ألقتُ قناتى حين أوجعنى ظهرى^(٤)
قال : ودخل الحَكَم بن عبدلِ الأسدى^(٥) وهو أعرج ، على عبد الحميد بن
عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب ، وهو أمير الكوفة ، وكان أعرج^(٦) ، وكان
صاحب شُرطه أعرج ، فقال ابن عبدل^(٧) :

ألقي العصا ودع التّخامع والتّمسُّ عملاً فهذى دولة العُرجان^(٨)
لأميرنا وأمير شُرطتنا معاً لكليهما يا قومنا رجلاً

(١) الأبيات فى الحيوان (٦ : ٤٨٣) .

(٢) فى الحيوان (٦ : ٤٨٣) والخزاة (٤ : ٩٥) : « أبو حية » .

(٣) الشارف من الإبل : المسن . والظهر : الذى يشتكى صدره ، كما فى مقاييس اللغة .

ورواية الحيوان : « الشارب السكر » .

(٤) الحيوان (٥ : ٤٨٤) .

(٥) ل : « الأزدي » صوابه فيما عدل .

(٦) ما عدل : « وهو أعرج » فقط .

(٧) فى الخبر نقص ، وفى الأغاني (٢ : ١٤٥) أنه لقي سائلاً أعرج وقد تعرض

للأمير يسأله .

(٨) التّخامع : التعارج . وفى الأصل : « التّخادع » ، صوابه من الأغاني (٢ : ٤٠٦) .

٢٥ طبع دار السكتب . وفى الحيوان (٥ : ٤٨٥) : « ودع التعارج » .

فإذا يكون أميرنا ووزيرنا وأنا فإن الرابع الشيطان^(١)
ومما يدل على أن للعصا موقعا منهم ، وأنها تدور مع أكثر أمورهم قول
مزرد بن ضرار :

نجاء على بكر ثقال يكده عصاه استه ، وجء العجاية بالفهر^(٢)
ويقولون : اعتصى بالسيف ، إذا جعل السيف عصاه ، وإنما اشتقوا للسيف
اسما من العصا ؛ لأن عامة المواضع التي تصلح فيها السيوف تصلح فيها العصى ،
وليس كل موضع يصلح فيه العصا يصلح فيه السيف .
وقال الآخر :

ونحن صدعنا هامة ابن محرق^(٣) كذلك نعصى بالسيوف الصوارم
وقال عمرو بن الإطنابة^(٤) :

وفتى يضرب الكتبية بالسئ ف إذا كانت السيوف عصيا^(٥)
وقال عمرو بن محرز :

نزلا إليهم والسيوف عصيهم وتذكروا دمننا لهم وذحولا^(٥)

(١) في هذا البيت إقواء .

(٢) البكر ، بالفتح : الفتى من الإبل . والثفال ، بفتح الثاء وتخفيف الفاء : البطيء
الثقيل . عصاه استه ، أى ليس معه عصا فهو يحرك استه على الحمار حتى يسير . انظر مجالس ثعلب
٣٨٠ حيث أشهد بجز هذا البيت . والوجء : الضرب . والعجاية ، بالضم : العصب يضرب
حتى يلين . والفهر ، بالكسر : الحجر ملء الكف . ل : « العجانة » ما عدال :
« العجانة » صوابهما ما أثبت .

(٣) الإطنابة أمه ، وهو عمرو بن عامر بن زيد مناة الخزرجي ، شاعر فارس من فرسان
الجاهلية . معجم المرزبانى ٢٠٣ — ٢٠٤ . وذكر أبو الفرج في الأغاني (١٠ : ٢٨) أنه
كان ملك الحجاز .

(٤) قبله في الأغاني :

٢٥ إن فينا القيان يعزفن بالد ف لفتياننا وعيشا رخيا
يتبارين في النعيم ويصيب من خلال القرون مسكا ذكيا
إنما همهن أن يتحلب من سموطاً وسنبلا فارسيا
من سموط المرجان فصل بالد ر فأحسن بحليهن حليا
(٥) الدمن : جمع دمنة ، بالكسر ، وهو الحقد القديم . والدحل : الثأر .

١٣٢

وقال الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة :

إنَّ ابنَ يوسفَ محمودَ خلائقهُ سَيَّانٍ معروفُهُ في الناسِ والمطرِ^(١)
هو الشَّهابُ الذي يُرمَى العدوُّ به والمشرقيُّ الذي تَعَصَّى به مُضَرُّ^(٢)
يُقالُ عَصَى بالسيفِ واعتَصَى به .

وقال العريان بن الأسود ، في ابن له مات :

ولقد تَحَمَّلَ المشاةُ كَرِيمًا لَيِّنَ العودَ ماجدَ الأعراقِ
ذاك قَوْلِي ولا كقولِ نساءٍ مَعُولَاتٍ يَبْكِينَ بالأرواقِ^(٣)
وكتب عمرو بن العاصي إلى عُمر بن الخطاب رحمه الله : « إنَّ البحرَ خَلَقَ
عَظِيمٌ يَرْكَبُهُ خَلْقٌ صَغِيرٌ ، دَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ^(٤) » .

وقال واثلة السدوسي^(٥) :

رَأَيْتُكَ لَمَّا شَبِتَ أَدْرَكَكَ الَّذِي يُصِيبُ سَرَاةَ الْأَزْدِ حِينَ تَشِيبُ^(٥)
سَفَاهَةُ أَحْلَامٍ وَبُخْلٌ بَنَائِلٍ وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ الْمَزُونُ عُيُوبُ
لَقَدْ صَبَرْتُ لِلذِّلِّ أَعْوَادُ مِنْبَرٍ تَقُومُ عَلَيْهَا ، فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ
وَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنْكُمْ رِزَادِيقُ فَارِسٍ وَبِالْمَصْرِ دُورُ جَحَّةٍ وَدُرُوبُ^(٦)

(١) ابن يوسف هو الحجاج ، كما في ديوان الفرزدق ٤٣٥ .

(٢) الأرواق : أرواق البيوت ، جمع روق بالفتح ، وهو البيت أو ما بين يديه . ل :
« بالأوراق » ما عدل : « للأوراق » والوجه ما أثبت .

(٣) سبق هذا الكتاب في (٢ : ١١٣) .

(٤) ل : « واثلة بن الأسقع السدوسي » . وكلمة « الأسقع » مقحمة . وإنما هو

« واثلة بن خليفة السدوسي » كما سبق في (١ : ٢٩١ / ٢ : ٣١٣) . وأما واثلة بن الأسقع
فهو صحابي جليل كان من أهل الصفة توفي سنة ٨٣ في خلافة عبد الملك بن مروان . تهذيب
التهذيب والإصابة ٩٠٨٨ . والشعر يقوله في هجاء عبد الملك بن المهلب .

(٥) سبق تفسير الشعر في الموضعين السالفين .

(٦) الرزاديق ، هي الرساتيق ، وقد سبق تفسيرها . ما عدل : « رساتيق » .

١٥

٢٠

وأنشد الأصمعي^(١) :

أعددتُ للضيّيفان كلباً ضارياً وهراوةً مجلوزةً من أرزن^(٢)
ومعاذيراً كذباً ووجهاً باسراً ونشكياً عَضَ الزمان الألزن^(٣)
وشذاةً مرهوبِ الأذى قاذورةً خَشِنَ جوانبه دُلُوطِ ضيزن^(٤)
وبكفٍ محبوبكِ اليدين عن العُلا والباعِ مسودّ الذراع مُقَحْزَن^(٥)
١٣٣ وتجنّياً لهم الذنوبَ وأتقى بغليظ جلد الوجنتين عَشَوَزَن^(٦)

وقال جرير :

تَصِفُ السيوفَ وغيرُكم يَعْصَى بها يا ابنَ القيونِ وذالك فعلُ الصيّقلِ^(٧)
وقال الراعي :

تبيتُ ورجلاها إوانانِ لاسْتها عصاها استْها حتى يكلَّ قَعودها^(٨) ١٠

(١) الشعر لوبر بن معاوية الأسدي ، كما في حاشية البحتری ٤١٥ . وكان يعامل تجار المعدن ويلويهم بحقوقهم . وانظر إنشاد الشعر في الحيوان (٢ : ٢١٠) والبخلاء ٢٠٠ وعيون الأخبار (٣ : ٢٤٢) .

(٢) جزل السكين والسوط : حزم مقبضه وشده بعلباء البعير . ويروى : « وفضل هراوة » . والأرزن : شجر صلب تنخذ منه العصي ، كما في اللسان (رزن) عند إنشاد هذا البيت .

(٣) الباسر : العابس الذي ينظر بكراهة شديدة . والألزن : الضيق . وأصله من الماء الملزون : الذي يزدحم عليه . انظر اللسان (لزن) حيث أنشد البيت .

(٤) الشذاة : الشر والحدة . والقاذورة : السيء الخلق . والدلوط : أراد به الشديد الدفع . وفي اللسان : « المدلظ : الشديد الدفع » . والضيزن : ضد الضيء والمزاحم .

(٥) الباع : السعة في المكارم . والمقحزن : المصروع .
(٦) العشوزن : العسر الخلق .

(٧) يهجو الفرزدق من قصيدة في ديوانه ٤٤٢ — ٤٤٨ .

(٨) الإوان من أعمدة الخباء . وأنشد هذا الصدر في اللسان (أوان) . وقال : أي رجلاها سندان لاسْتها تعتمد عليهما . ما عدل : « أذانان » تحريف . وانظر لقوله : عصاها استْها ، ما سبق في حواشي ٧٧ . والقعود ، كصبور : ما اتخذ الراعي للركوب من الإبل . وفي شروح سقط الزند ١٦٦٤ : « يريد أن كفلها قليل اللحم عارى العظام ، فإذا أرادت أن تستحث الناقة اعتمدت عليها بكفلها ، فقام ذلك لها مقام العصا ، فأسرعت الناقة بها » .

وقال أعرابيٌّ للحطيط : ما عندك ياراعى النعم ؟ قال : عجاء من سلم^(١) .
قال إني ضيفٌ ! قال : للضيفان أعددتها .

وقال الشَّماخ بن ضرار :

إلى بَقَرٍ فيهنَّ للعين منظرٌ وملهى لمن يلهو بهنَّ أنيقٌ^(٢)
رَعَيْنَ النَّدَى حتَّى إذا وَقَدَ الحصى ولم يبقَ من نَوَى السَّمَاءِ بَرُوقٌ^(٣)
تَصَدَّعَ شَعْبُ الحَى وانشَقَّت العصا كذاك النَّوى بين الخليط شقُوقٌ^(٤)

وقال امرؤ القيس :

قولا لدُودانَ عبيدِ العصا ما غرَّكم بالأسودِ الباسِلِ^(٥)
وقال على بن الغدير^(٦) :

وإذا رأيتَ المرءَ يشعبُ أمره شَعَبَ العصا ويلجُ في العِصيانِ
فاعِمْدُ لما تعلو فما لك بالتي لا تستطيع من الأمور يدانِ^(٧)

(١) العجاء : الكثيرة العجر ، أى العقد . والسلم ، بالتحريك : شجر . وقد سبق الخبر فى (٢ : ١٤٧) .

(٢) قبله فى الديوان ٦٢ :

فقلت خليلي انظرا اليوم نظرة لعهد الصبا إذ كنت لست أفيق
(٣) الندى ، أراد ما أنبتته الندى من المرعى . ووقد الحصى : اشتدت حرارته .
(٤) هذا البيت ساقط من ب ، ح . والخليط : القوم الذين أمرهم واحد . وشقوق : وصف من شق ، أى فرق .

(٥) دودان : قبيلة من بنى أسد بن خزيمه . وانظر ديوان امرئ القيس ١٤٨ .
(٦) هو على بن الغدير الغنوى ، شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية ، وله شعر فى

فتنة ابن الزبير . المؤتلف ١٦٤ ومعجم المرزبانى ٢٨٠ . وهو القائل :

وهلك انفتى ألا يراح إلى الندى وألا يرى شيئا عجيبا فيعجبا

(٧) أنشد له المرزبانى من هذه القصيدة :

وإذا سئلت الخير فاعلم أنه نعم تخص بها من الرحمن
شيم تعلق فى الرجال وإنما شيم الرجال كهيئة الألوان

وقال الآخر :

وهجاجة لا يملأ الليل صدره : إذا النكس أغضى طرفه غير أروع^(١)
صحيح برى العود من كل أبنه^(٢) وجماع نهب الخير في كل تجمع^(٣)
وقال مسكين الدارمي :

تسمو بأعناقٍ وتحبسها عنّا عصي الذادة العجور^(٤)

١٣٤ حباب بن موسى^(٥) ، عن مجالد ، عن الشعبي^(٦) ، عن زحر بن قيس^(٧)

قال : قدمت المدائن بعد ما ضرب علي بن أبي طالب رحمه الله ، فلقيني ابن
السوداء^(٨) وهو ابن حرب ، فقال لي : ما الخبر ؟ قلت : ضرب أمير المؤمنين
ضربة يموت الرجل من أيسر منها ويعيش من أشد منها . قال : لو جئتمونا
بدماعه في مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بمصاه^(٩) .

(١) الهجاجة : الكثير الشر الخفيف العقل . والنكس ، بالكسر : الرجل الضيف .
والأروع : الذي يرتاع من كل ما رأى وما سمع .

(٢) الأبنه ، بالضم : العيب يكون في العود ونحوه .

(٣) ل والتمورية : « العجز » تحريف . والذادة : جمع ذائد ، وهو الذي يذود الإبل
ويطردها . والعجور : جمع عجراء ، وهي العصا التي فيها عقد .

(٤) المعروف في كتب الرجال « حسان بن موسى » . انظر تهذيب التهذيب .

(٥) ترجمة مجالد بن سعيد في (١ : ٢٤٢) وعامر الشعبي في (١ : ١٩٤) .

(٦) هو زحر بن قيس بن مالك بن معاوية بن سعة الجعفي ، وزحر ، بفتح الزاي
وسكون الحاء المهملة . وكان أحد أصحاب علي بن أبي طالب « أنزله المدائن في جماعة جعلهم
هناك رابطة . روى عنه عامر الشعبي ، وحسين بن عبد الرحمن . تاريخ بغداد ٤٦٠٥ : حيث أورد
الخبر التالي أيضا . وكان علي إذا نظر إليه قال : من سره أن ينظر إلى الشهيد الحى فليتنظر إلى
هذا . وكان له أربعة أولاد نجباء : أحدهم فرات ، قتله المختار . والثاني جبلة ، قتل مع ابن الأشعث
وكان على الفراء ، فقال الحجاج : ما كانت فتنة قط تنجلي حتى يقتل عظيم من الضملاء . والثالث جهم
كان مع قتيبة بن مسلم بخراسان ، وولى جرجان . والرابع حمال ، كان بالريستاق . الإصابة ٢٩٦٠ .

(٧) ابن السوداء هذا هو عبد الله بن سبأ ، وكانت أمه سوداء . الطبري (٥ : ٩٨)
والفرق بين الفرق ٢٢٥ . وكان يهوديا من أهل صنعاء ، أسلم في أيام عثمان وحاول تضليل
المسلمين . وهو صاحب السبائية .

(٨) بعده في تاريخ بغداد : « قال : فوافقه ما مكثنا إلا تلك الليلة حتى جاءنا كتاب =

(٦ — البيان — ثالث)

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ الآية . وقال الشاعر :

رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ نَفَرْنَ مِنِّي نِفَارَ الْوَحْشِ مِنْ رَامٍ مُفِيقٍ ^(١)
رَأَيْنَ تَغْيَرِي وَأَرْدَنَ لَدُنَّا كُفْضِنِ الْبَانِ ذِي الْفَنَنِ الْوَرِيقِ
وقال أبو العتاهية :

عَرِيتُ مِنَ الشَّبَابِ وَكَانَ غَضًّا كَأَيَّ عَرَى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبِ ^(٢)
أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرَهُ بِمَا صَنَعَ الْمَشِيبُ
وقال الآخر ^(٣) :

وَلئنْ عَمَرْتُ لَقَدْ عَمَرْتُ كَأَنِّي غُضْنُ تَنْثِيهِ الرِّيحِ رَطِيبِ ^(٤)
وَكذلكَ حَقًّا مِنْ يُعَمَّرُ يُبْلِهِ ^{١٠} كَرُّ الزَّمَانِ عَلَيْهِ وَالتَّقْلِيلُ
حَتَّى يَعُودَ مِنَ الْبِلَى وَكَأَنَّهُ فِي الْكَفِّ أَفُوقُ نَاصِلٍ مَعْصُوبِ ^(٥)
مُرْطُ الْقِذَاذِ فَلَيْسَ فِيهِ مَصْنَعٌ لَا الرِّيشُ يَنْفَعُهُ وَلَا التَّعْقِيبُ ^(٦)

== الحسن بن علي : من عبد الله حسن أمير المؤمنين إلى زحر بن قيس . أما بعد فخذ البيعة على من قبلك . والخبر برواية أخرى في الفرق بين الفرق ، وفرق الشيعة للنوبخني ٢٠ .

(١) أفاق الراي السهم : وضعه في الوتر ليرى به . ^{١٥}

(٢) قبله في ديوانه ٢٣ :

بكيت على الشباب بدمع عيني فلم يغن البكاء ولا النحيب
فيا أسفا أسفت على شباب نعاه الشيب والرأس الخضب

(٣) هو نوبع بن نبيع الفقمسي ، كما في أمالي الزجاجي ٨١ — ٨٢ ولسان العرب (مرط) حيث القصيدة بتمامها . ويقال بل هو نافع بن نبيع ، وقيل نافع بن لقيط الفقمسي . وقد نسب البيت الأول والرابع في اللسان (فياً ، صنع) منسوباً إلى نافع بن لقيط . والأبيات في ملحقات ديوان لبید ٤٩ . ^{٢٠}

(٤) في الديوان واللسان وأمالي الزجاجي : « ولئن كبرت » . وفي هذه المراجع أيضاً : « تفيته الرياح » ، أي تحركه وتميله يمينا وشمالا .

(٥) الأفوق : السهم المنكسر الفوق ؛ والأفوق ، بالضم : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . والناصل : الذي لا نصل له . ^{٢٥}

(٦) السهم المرط : الذي لا ريش عليه . والقذاذ : جمع قذة ، وهي ريشة السهم . ويقال ليس فيه مصنع ، أي مافيه مستملح . والتعقيب : أن ينكسر فيشده بالعقب ؛ والعقب ، بالتحريك : =

وقال عروة بن الورد :

أليس ورأى أن أدباً على العصا قِيَامَنَ أعدائى ويسأمنى أهلى^(١)
وأنشد :

عَصَوْا بِسُيُوفِ الهِنْدِ واعتَرَكْت بهم بَرَا كَاءَ حَرْبٍ لَا يَطِيرُ غَرَابِهَا^(٢)

١٣٥ وقال لبيد :

أليس ورأى إن تراخت مَنِّي لَزُومُ العصا تُحْنِي عليها الأصابع^(٣)
وقال الآخر :

نُقِيمُ العصا مَا كَانَ فِيهَا لدَوْنَةٌ وَتَأْبَى العصا فِي يُبْسِهَا أنْ تُقَوِّمَا
وقال الآخر :

١٠ إنَّ الفِصْوَْنَ إِذَا قَوِّمَتْهَا اعتَدَلَتْ وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوِّمَتْهَا الخُشْبُ^(٤)
وقال جرير :

مَا لِلْفَرْزَدَقِ مِنْ عِزٍّ يَلُودُ بِهِ إِلَّا بَنَى العِمَّ فِي أَيْدِيهِمُ الخَشَبُ^(٥)
[سَيَرُوا بَنَى العِمَّ فَالْأَهْوَاؤُ مِنْزِلُكُمْ وَنَهْرُ تَيْرِي فَمَا تَدْرِيكُمْ العَرَبُ]
وقال جرير [فِي هِجَاثِهِ بَنَى حَنِيفَةً]^(٦) :

١٥ = العصب الذى تعمل منه الأوتار ، وهو عصب المتنين والساقين والوظيفين ، ينقى من اللحم ويسوى منه الوتر .

(١) البيت مطلع قصيدة له في ديوانه ١٠٢ .

(٢) يقال عصا بسيفه يعصو ، وعصى بكسر الصاد يعصى بفتحها : أخذه أخذ العصا . والاعتراك : الازدحام . والبركاء ، بالفتح : ساحة القتال . لا يطير غرابها : كناية عن كثرة القتلى والجيف .

٢٠ (٣) ورأى ، بمعنى قدأى ، كما في قوله تعالى : (ويندرون وراءهم يوماً ثقيلاً) . يقول : ليس بعد الهرم إلا أن ألزم العصا وأدب عليها . والبيت في ديوان لبيد ٢٣ طبع ١٨٨٠ .

(٤) سبق البيت مع قرين له في (٢ : ٢٣٣) .

(٥) مضى البيت والكلام عليه في ص ١٦ من هذا الجزء .

(٦) الأبيات من قصيدة له في ديوانه ٥٩٩ — ٦٠٠ .

أصحابُ نخْلٍ وحيطانٍ ومزرعةٍ سيوفُهُمُ خُشبٌ فيها مساحيها^(١)
 قَطَعُ الدِّبَارِ وَسَقَى النخْلَ عَادَتُهُمْ قَدِما وما جاوزَتْ هذا مساعيها^(٢)
 لو قيلَ أينَ هَوادى الخيلِ ما عرَفوا قالوا لأعجازها هذى هَوادِها^(٣)
 أو قلتَ إنَّ حَمَامَ الموتِ آخِذُكم أو تُلجموا فرساً قامت بواكيها^(٤)
 لما رأتَ خالداً بالعِرضِ أهلكها قتلاً وأسلمها ما قال طاغيها^(٥)
 دانت وأعطتُ يداً للسَّلَمِ طائعة من بعد ما كاد سيفُ الله يُفنيها^(٦)

[وقال سلامة بن جندل :

كُنَّا إِذا ما أَتانا صارِخٌ فِرْعٌ كان الصُّراخُ له قَرَعَ الظَّنابِيبِ^(٧)
 ويقال للخطَّابِ^(٨) إذا كان مرغوباً فيه كريماً : ذاك الفحل الذى لا يقرع
 أنفه^(٩) . لأن الفحل اللئيم إذا هبَّ على الناقة الكريمة ضربوا وجهه بالمصا .
 وقال الآخر :

(١) الحيطان : جمع حائط ، وهو البستان من النخل إذا كان عليه جدار . والمسحاة :
 المجرفة من حديد .

(٢) الدبار : جمع دبيرة بالفتح ، وهى الساقية بين المزارع . وفى الديوان : « وأبر النخل »
 أى إصلاحه . ل فقط : « هذى » بدل « هذا » .

(٣) هَوادى الخيل : أعناقها لأنها أول شىء فيها . والهادية من كل شىء : أوله . فى
 الديوان : « قالوا لأذنابها » .

(٤) ما عدال : « أو قيل » . وحمام الموت : ما قضى منه وقدر .

(٥) خالد هذا هو خالد بن الوليد ، الذى فتح اليمامة وقضى على بنى حنيفة سنة ١١ فى
 أيام أبى بكر الصديق . والعرض ، بالكسر : وادى اليمامة ، كله لبنى حنيفة ، إلا شىء منه
 لبنى الأعرج من بنى سعد بن زيد مناة .

(٦) سيف الله : لقب خالد بن الوليد . الإصابة ٢١٩٧ حيث أورد حديث : « نعم
 عبد الله ، هذا سيف من سيوف الله » . فى الديوان : « صاغرة » بدل : « طائعة » .

(٧) سبق البيت والكلام عليه فى ص ٤٥ .

(٨) أشير فى حاشية التيمورية إلى أنها فى نسخة : « للخطاب » .

(٩) انظر ما مضى فى حواشى ص ٤٤ .

كَأَنَّهَا إِذْ رُفِعَتْ عَصَاهَا نِعَامَةً أَوْحَدَهَا رَأَاهَا^(١)

وَمَنْ أَضَافُوهُ إِلَى عَصَاهُ دَاوُدَ مَلِكِينَ الْيَشْكُرَى ، وَكَانَ وَلِي شُرَطِ
الْبَصْرَةِ .

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَفَاضَ مِنْ جَمْعٍ^(٢) وَهُوَ يَخْرِشُ
بِعَبْرِهِ بِمَحْجَنِهِ^(٣) .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْمَحْجَنُ : الْعَصَا الْمَوْجَّةُ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعُ : « أَنَّهُ طَافَ بِالْبَيْتِ يَسْتَلِمُ الْأَرْكَانَ بِمَحْجَنِهِ » .
وَالْخَرَشُ : أَنْ يَضْرِبَهُ بِمَحْجَنِهِ^(٤) ثُمَّ يَجْذِبُهُ إِلَيْهِ ، يَرِيدُ بِذَلِكَ تَحْرِيكَهُ .

وَقَالَ الرَّاعِي :

١٠

١٣٦ * فَالْتَقَى عَصَا طَلْحٍ وَنَعْلًا كَأَنَّهَا جَنَاحُ السَّمَانِيِّ رَأْسُهُ قَدْ تَصَوَّعَا^(٥)
وَالْعَصَا أَيْضًا فَرَسٌ شَيْبٌ بَنُ كُرَيْبٍ الطَّائِي .

أَبُو الْحَسَنِ « عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَلِيمٍ قَالَ : كَانَ شَيْبٌ بَنُ كُرَيْبٍ الطَّائِيَّ يَصِيبُ
الطَّرِيقَ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَحْمَرَ بْنَ شُمَيْطٍ
الْعِجْلِيَّ وَأَخَاهُ فِي فَوَارِسَ ، فَهَرَبَ شَيْبٌ وَقَالَ^(٦) :

١٥

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ ابْنَ شُمَيْطٍ بَسْكَةَ طِيٍّ وَالْبَابُ دُونِي

(١) الرَأْل : فَرَخُ النِّعَامَةِ . وَأَوْحَدَهَا : تَرَكَهَا وَحْدَهَا ، كَمَا فِي الْقَامُوسِ .

(٢) جَمْعٌ ، بِالْفَتْحِ ، هِيَ الْمَزْدَلْقَةُ . وَيَوْمُ جَمْعٍ هُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ .

(٣) أَوْرَدَ الْخَبَرَ فِي اللِّسَانِ (خَرَشَ) وَقَالَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ : « الْخَرَشُ أَنْ يَضْرِبَهُ بِمَحْجَنِهِ
ثُمَّ يَجْذِبُهُ إِلَيْهِ ، يَرِيدُ بِذَلِكَ تَحْرِيكَهُ لِلسَّرْعِ . وَهُوَ شَبِيهُ بِالْخَدَشِ » . مَا عَدَلَ : « يَخْرِشُ »
بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ ، وَهِيَ صَحِيحَةٌ أَيْضًا ، يُقَالُ خَرَشَ الْبَعِيرُ بِالْعَصَا : حَكَ فِي غَارِبِهِ لِيَمْشِيَ .

(٤) جَمَلَةٌ « وَالْخَرَشُ أَنْ يَضْرِبَهُ بِمَحْجَنِهِ » مِنْ لَفْظٍ . وَلِإِسْقَاطِهَا يَفْسُدُ السَّكَلَامُ .

(٥) السَّمَانِيُّ ، كَحَبَارَى : طَائِرٌ مَعْرُوفٌ يَقْطَعُ مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ . تَصَوَّعٌ :

تَفَرَّقَ شَعْرُهُ .

(٦) ل : « فَقَالَ شَيْبٌ وَهَرَبَ » .

تجللتُ العصا وعلتُ أُنَى رهنٌ مُخَيَّسٍ إنْ يثقفوني^(١)
 ولو أنظرتهُم شيئاً قليلاً لساقوني إلى شيخٍ بَطِينٍ
 شديدٍ مجالزِ الكتَمينِ صُلْبٍ على الحدَثانِ مجتمعِ الشُّنونِ^(٢)
 وقال النِّجاشيُّ لأمِّ كثيرِ بنِ الصَّلْتِ^(٣) :
 ولستُ بهنديٌّ ولكنَّ ضيعةً على رَجُلٍ لو تعلين مَزِيرَ^(٤)
 وأعجبَتني السُّوط والنُّوط والعَصا ولم تعجِبيني خُلَّةُ لأميرٍ^(٥)
 وقال أعشى بنِ ربيعة^(٦) :

وكان الخلائفُ بعدَ الرسولِ اللهُ كلُّهمُ خاشعاً^(٧)
 شهيدين من بعدِ صِدِّيقهم وكان ابنُ صخر هو الرابعا^(٨)
 وكان ابنُه بعده خامساً مُطيعاً لمن قبله سامعاً^(٩)
 ومروان سادِسُ مَنْ قد مضى وكان ابنُه بعده سابعا^(١٠)

(١) المخيس : السجن ، يقال بفتح الياء المشددة وكسرهما . وهو أيضاً سجن لعلي بن أبي طالب يقول فيه :

أما تراني كيساً مكيساً بنيت بعد نافع مخيساً

١٥ نافع : سجن بالكوفة كان غير مستوثق البناء . يثقفوني : يظفروا بي .

(٢) المجالز : مواضع الجز ، وهو الطي واللى .

(٣) مضت ترجمة النجاشي في (١ : ٢٣٩) . وأما كثير بن الصلت فصحابي جليل

ترجم له في الإصابة ٧٤٧٣ وطبقات ابن سعد (٤ : ١٠٤) .

(٤) المزير : الشديد القاب القوى النافذ .

٢٠ (٥) النوط : التعليق . والخلة ، بالضم : الزوجة . قال جبران العود :

خذا حذرا يا خلتي فإنني رأيت جران العود قد كاد يصلح

(٦) ما عدال : « أعشى بن ربيعة » ، تحريف . واسمه عبد الله بن خارجة بن حبيب .

وهو شاعر إسلامي من ساكني الكوفة . وكان مرواني المذهب شديد التعصب لبني أمية .

انظر أخباره مع عبد الملك بن مروان والحجاج في الأغاني (١٦ : ١٥٥ — ١٥٧) .

٢٥ (٧) ما عدال : « كلهم أسوة خاشعاً » .

(٨) الشهيدان : عمر وعثمان . والصدیق : أبو بكر . ولم يعترف بعلي بن أبي طالب

لعصيته الأموية ، فجعل رابع الخلفاء ابن صخر ، وهو معاوية بن صخر أبي سفيان .

(٩) ابنه هو يزيد بن معاوية .

(١٠) أسقط قبل مروان بن الحكم هذا ، معاوية بن يزيد بن معاوية ؛ لأن خلافته =

وبشرٌ يَدَافِعُ عَبْدَ الْعَزِيزِ مضى ثامناً ذا وذا تاسعاً^(١)
 وأَيُّهُمَا مَا يَكُنْ سَائِساً لها لم يكن أمرها ضائعاً^(٢)
 فإِذَا تَرَيْنِي حَلِيفَ الْعَصَا فما كنت من رثيةٍ خامعاً^(٣)
 فساومني الدهرُ حتَّى اشترى شهابي وكنت له مانعاً

وقال عوف بن الخَرَع^(٤) :

ألا أبلغا عني جُرِيحَةَ آيَةٍ فهل أنت عن ظلم العشيرة مُقَصِّرٌ^(٥)
 وإن ظَنَنْ الحَيَّ الْجَمِيعُ لَطِيفَةً فأمرُك معصيةٌ وشربك مُغَوِّرٌ^(٦)
 أفي صِرْمَةٍ عَشْرِينَ أَوْ هِيَ دُونَهَا قَشَرْتُمْ عَصَاكُمْ فَانظُرُوا كَيْفَ تُقَشِّرُ^(٧)
 زَعَمْتُمْ مِنَ الْهَجْرِ الْمُضِلِّ أَنْكُمْ ستَنْصَرُّكُمْ عَمْرُو عَلِينَا وَمِنْقَرٌ^(٨)

١٠ = لم تدم إلا أربعين يوماً أو عشرين يوماً . وبموته زال الأمر عن آل حرب . ولي مروان الخلافة في رجب سنة ٦٤ ووليها بعده ابنه عبد الملك في رجب سنة ٦٥ .
 (١) لم يبايع بشر بن مروان ولا عبد العزيز بن مروان بالخلافة . وإنما كان بشر والياً على الكوفة ثم ضمت إليه البصرة . وأما عبد العزيز فكان ولي العهد بعد عبد الملك ، ولم يل الخلافة .

١٥ (٢) ما عدال : « وأيهم » .
 (٣) ما عدال : « فقد كنت من وثبة » تحريف . والرثية : كل ما يمنع من الانبعاث من وجع أو كبر . والخامع : الأعرج .

(٤) نسبه إلى جده . وهو عوف بن عطية بن الخرع التيمي ، شاعر فارس جاهلي . وانفرد البكري في السمط ٣٧٧ ، ٧٢٣ بقوله : إنه جاهلي إسلامي . والخرع لقب جده عمرو ابن عيس . وفي اللسان (٤ : ٤٤) أن « الخرع » لقب أبيه عطية ، وهو خطأ . قال البغدادي في الخزانة (٣ : ٨٣) : « وله ديوان صغير ، وهو عندي » . قلت : وله ثلاث قصائد مفضليات رقها ٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٤ . وروى له المرزباني في معجمه ٢٨٦ بعض الأبيات .

(٥) ل : « كريجة » . والآية : العلامة والأمر والعبرة .
 (٦) الجميع : المجتمع . والطفية ، بالكسر : النية ، أي المنزل الذي ينتوي . والشرب ، بالكسر : مورد الماء . مغور : غائر ذاهب في الأرض .

٢٥ (٧) الصرمة ، بالكسر : القطعة من الإبل . وقشر عصاه : أبدى ما يكن ضميره من عداوة . هذا ما فهمت من هذه الكناية عند ما لم أجد لها ذكراً في معظم المعاجم . ثم وجدت في أساس البلاغة : « وقشرت له العصا : أبدت له ما في ضميري » .
 (٨) الهجر ، بالضم : الفحش والتخليط والهديان . ل : « من الهجر المغفل » ، تحريف .

فيا شَجَرَ الوادى ألا تنصرونهم وقد كان بالمرثوت رِمَتْ وسخبر^(١)
 ألم تجملوا تيمًا على شعبتى عصًا فما ينطق المعروف إلا معذر^(٢)
 وقال رجل من محارب يرثى ابنه :

ألم يكُ رطبًا يعصر القوم ماءه وما عودُه للكاسرين يبابس
 وقال حاجبُ بن زُرارة^(٣) : « والله ما القعقاع^(٤) برطب فيُعصر ، ولا
 يابس فيكسر » .

وقال حمادُ عَجْرَد :

وجَرَوْا على ما عودوا ولكلَّ عيدانٍ عُصَارَة^(٥)
 وقال أيضًا^(٦) :

فأنت أكرمُ من يمشى على قدمٍ وأنصرُ الناس عند المخلِ أغصانا^(٧) ١٠

(١) شجر الوادى : كناية عن الكثرة . والمروث : واد بالعالية كانت به وقعة بين
 تميم وقشير . انظر معجم البلدان والعقد (٥ : ١٧٩ طبع لجنة التأليف) وكامل ابن الأثير
 (١ : ٣٨٥) والعمدة (٢ : ١٦١) وأمثال الميداني (٢ : ٣٥٤) . والرمت : شجر
 يشبه الغضى من الحمض ، وهو مرعى من مراعى الإبل . والسخير : شجر إذا طال تدلت رؤوسه
 وانحنت . وفي البيت تهكم ظاهر . ١٥

(٢) يقال عصا في رأسها شعبتان ، أى طرفان . جعلهم على شعبتى عصا ، أى هم في غير
 استقرار . والمعذر : الذى يعتذر ولا عذر له .

(٣) حاجب بن زُرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي ، كان من رؤساء
 يوم جيلة ، وكان يوم جيلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم ،
 كما في العقد . وقد عاش حاجب إلى أن وفد على الرسول وأسلم ، وبعثه على صدقات بني تميم .
 وهو الذى رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به . الإصابة ١٣٥٥ . ٢٠

(٤) القعقاع هذا ، هو ابن أخى حاجب بن زُرارة . وهو القعقاع بن معبد بن زُرارة . له
 حبة ، ووفد في بني تميم . وكان يقال له « تيار الفرات » لسخائه . الإصابة ٧١٢٢ . وقد
 أولت هذه الأسرة بالفخر ببنيها . ويشبه ذلك الفخر الذى سيأتى ، فخر القعقاع نفسه بابنه عوف
 إذ يقول : « والله لما أرى من شمائل الجن في عوف أكثر مما أرى فيه من شمائل الإنس .
 الحيوان (٦ : ٢٣٦) . ٢٥

(٥) بعد هذا سقط في النسخة التيمورية ينتهى في منتصف ص ٩٢ س ١٢ .

(٦) يقوله في محمد بن أبى العباس السفاح كما في الشعراء ٧٥٦ .

(٧) ب ، ج : « عند الناس » . وبدله في الشعراء :

أرجوك بعد أبى العباس إذ بانا يا أكرم الناس أعراقا وأغصانا ٣٠

لَوْ مَجَّ عُودٌ عَلَى قَوْمٍ عَصَارَتَهُ لَمَجَّ عُودُكَ فِينَا الْمِسْكُ وَالْبَانَا
وقال آخر^(١) :

إِنَّا وَجَدْنَا النَّاسَ عُودِينَ : طَيِّبًا وعودًا خبيثًا مَا يَبِضُّ عَلَى الْعَصْرِ^(٢)
* تَزِينُ الْفَتَى أَخْلَاقَهُ وَتَشِينُهُ وَتُذَكِّرُ أَخْلَاقُ الْفَتَى حَيْثُ لَا يَدْرِي^(٣) ١٣٧

وقال المؤمل بن أميل :

كَانَتْ تَقْيِّدُ حِينَ تَنْزِلُ مَنْزِلًا فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا الْكَلَالُ قِيودًا
وَالنَّاسُ كَالْعِيدَانِ يَفْضُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَذَلِكَ يَفُوقُ عُودٌ عُودًا^(٤)
وقالت ليلي الأخيلىة^(٥) :

نَحْنُ الْأَخِيلُ لَا يَزَالُ غُلَامُنَا حَتَّى يَدْبَ عَلَى الْعَصَا مَذْكُورًا^(٦)

انظر — أبقاك الله — في كم فنٍ تَصَرَّفَ فِيهِ ذِكْرُ الْعَصَا مِنْ أَبْوَابِ الْمَنَافِعِ
وَالْمَرَافِقِ ، وَفِي كَمْ وَجْهٍ صَرَّفَتْهُ الشُّعْرَاءُ وَضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ . وَنَحْنُ لَوْ تَرَكْنَا الْاِحْتِجَاجَ
لِخَاصِرِ الْبَلْغَاءِ ، وَعِصَى الْخُطَبَاءِ ، لَمْ نَجِدْ بُدًّا مِنَ الْاِحْتِجَاجِ لِحِلَّةِ الْمُرْسَلِينَ ، وَكِبَارِ
النَّبِيِّينَ ؛ لِأَنَّ الشُّعْرَ بَيِّنَةٌ قَدْ طَعْنَتْ فِي حِلَّةِ هَذَا الْمَذْهَبِ عَلَى قَضِيْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِزَّتِهِ ، وَعَلَى عَصَاهُ وَنَحْصَرَتِهِ ، وَعَلَى عَصَا مُوسَى ؛ لِأَنَّ مُوسَى صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ اتَّخَذَهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَعْلَمَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فِيهَا ، وَإِلَامٌ يَكُونُ
صَيُّورُ أَمْرَهَا^(٧) . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَمَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ

(١) هو أبو البلاد الطهوى ، كما سبق في (٢ : ١٠٤) .

(٢) لا يبض : لا يخرج منه ماء .

(٣) ب ، ح : « وهو لا يدري » ، كما مضى في (٢ : ١٠٤) .

(٤) سبق في ص ٦٢ : « والقوم كالعيدان » .

(٥) ويقال إن الشعر لأبيها ، كما في اللسان (١٣ : ٢٤٦) .

(٦) جمعت القبيلة باسم الأخيل بن معاوية العقيلي .

(٧) صيور الأمر : منتهاه وما يصير إليه .

يَا مُوسَى ﴿ ١٣٩ ﴾ ، قال : ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ . وبعد ذلك قال : ﴿ قَالَ أَتَقْتَلَانِي يَا مُوسَى . فَأَتَقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ . وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدَّعِيَ الإِحَاطَةَ بِمَا فِيهَا مِنْ مَآرِبِ مُوسَى إِلَّا بِالتَّقْرِيبِ وَذِكْرِ مَا خَطَرَ عَلَى الْبَالِ ؟ ! وقد كانت العصا لا تُفَارِقُ يَدَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَقَامَاتِهِ وَصَلَوَاتِهِ ، وَلَا فِي مَوْتِهِ وَلَا فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ ، حَتَّى جُمِلَ اللَّهُ نَسْلِيطَ الْأَرْضَةِ عَلَيْهَا وَسُلَيْمَانَ مَيِّتٌ وَهُوَ مُعْتَمِدٌ عَلَيْهَا ، مِنْ الْآيَاتِ عِنْدَ مَنْ كَانَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّ لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ إِلَّا مَا تَعْلَمُ الْإِنْسُ .

ولو علم القومُ أخلاقَ كُلِّ مَلَّةٍ ، وَزَيَّ أَهْلِ كُلِّ لُغَةٍ وَعِلْمَهُمْ فِي ذَلِكَ ، ١٣٩ واحتجَّاجَهُمْ لَهُ ، لَقَلَّ شَغْبُهُمْ ، وَكَفُونَا مَثُوتَهُمْ . هذه الرُّهْبَانُ تَتَّخِذُ الْعِصَى ، مِنْ غَيْرِ سُقْمٍ وَلَا نَقْصَانٍ فِي جَارِحَةٍ . وَلَا بَدَّ لِلْجَائِلِيقِ مِنْ قِنَاعٍ وَمِنْ مِظْلَةٍ وَبَرُّطَلَةٍ (١) ، وَمِنْ عُكَّازٍ وَمِنْ عَصَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الدَّاعِي إِلَى ذَلِكَ كِبَرًا وَلَا هِجْزًا فِي الْخَلْقَةِ .

وما زال الْمُطِيلُ الْقِيَامَ بِالْمَوْعِظَةِ أَوْ الْقِرَاءَةِ أَوْ التَّلَاوَةِ يَتَّخِذُ الْعَصَا عِنْدَ طَوْلِ الْقِيَامِ ، وَيَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا عِنْدَ الْمَشْيِ . كَانَ ذَلِكَ زَائِدٌ فِي التَّكْهُلِ وَالزَّمَانَةِ (٢) ، وَفِي نَفْيِ الشَّخْفِ وَالْخُفَّةِ . ١٤٠

وَبِالنَّاسِ حِفْظُكَ اللَّهُ أَعْظَمُ الْحَاجَةِ إِلَى أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ جَنْسٍ مِنْهُمْ سِمَا ، وَلِكُلِّ صَنْفٍ مِنْهُمْ حَلِيَّةٌ وَسِمَةٌ يَتَعَارَفُونَ بِهَا .

(١) الْجَائِلِيقُ ، بفتح التاء : رئيس من رؤساء النصارى . والبرطلة ، بفتح الباء وضم الطاء وتشديد اللام : كلة نبطية وليست من كلام العرب . قال أبو حاتم : قال الأصمعي : بر : ابن . والنبط يجعلون الفطاء طاء ، وكأنهم أرادوا ابن الظل . ألا تراهم يقولون : الناطور ، وإنما هو الناطور . العرب للجواليق ٦٧ — ٦٨ . والمراد بالبرطلة ها هنا : القلنسوة التي تدار عليها العمامة . انظر اللسان (برطل) ومعجم استينجاس ١٧٥ .
(٢) الزمالة : الحلم والوقار . ل : « الزمالة » ما عدل « الزمالة » صوابها ما أثبت .

وقال الفرزدق بن غالب :

به نَدَبٌ مما يقول ابنُ غالبٍ يلوح كما لاحت وسومُ المصدِّقِ^(١)

وقال آخر :

أنارَ حتى صدقتِ سِمَاتُهُ وظهرت من كرمِ آيَاتِهِ

وأنشدني أبو عبيدة :

سقاها ميسمٌ من آلِ عمرو إذا ما كان صاحبها جَحِيشاً^(٢)

وذكر بعضُ الأعرابِ ضروباً من الوسم ، فقال :

بهنَّ من خُطافنا خَبِطٌ وُسمٌ^(٣) وحلَّقَ في أسفل الذَّقَرى نُظْمٌ^(٤)

مَعَهَا نظامٌ مثلَ خطِّ بالقلم وقرُمَةٌ ولست أدري من قرَمٍ^(٥)

* عَرَضٌ وخَبِطٌ للمَحْلِيها المَسَمِ^(٦) *

وقال تبارك وتعالى : ﴿ سَيِّئُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ الشُّجُودِ ﴾ .

(١) البيت مما لم يرو في ديوان الفرزدق . والنَدَب ، بالتحريك : واحد الندوب ، أو جمع الندبة ، والندبة : أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد . أراد بذلك وقع هجائه . ويعنى بابن غالب نفسه . والمصدق : الذي يتولى جمع الصدقات . وكانوا يسمون لابل الصدقة « أى يعلمون عليها بالكي .

(٢) الميسم : آلة الوسم ، وهو أيضاً أثر الوسم . يقول : هذه الإبل عرفت سِمَاتِها الدالة على عزة أصحابها فسمح لها بالسقيا . وصاحبها : راعيها . جَحِيشاً : منفرداً بعيداً . وهذا مثل قوله :

حتى سقوا آبالهم بالنار والنار قد تشفى من الأوار

قال في اللسان (نور) : « أى سقوا لابلهم بالسمة ، أى إذا نظروا في سمة صاحبه عرف صاحبه فسقى وقدم على غيره ؛ لشفوف أرباب تلك السمة » .

(٣) الخطاف : سمة يوسم بها البعير كأنها خطاف البكرة . والخبط : ضرب من الوسم يكون في الفخذ أو الوجه . ما عدال : « فى خطافها علط وسم » . والعلط : ضرب من الوسم يكون في العنق .

(٤) أراد حلقة من الوسم أيضاً . والذفرى : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن .

(٥) القرمة ، بالضم والفتح : سمة فوق الأنف ، تسليخ منها جلدة ثم تجمع فوقها .

(٦) العرض : ضرب من الوسم يكون فى عرض الفخذ . التحلية : الوصف . والمسم ، أى المسمى من التسمية . ما عدال : « لمحلها الوسم » .

وكما خالفوا بين الأسماء للتعارف ، قال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ . فعند العرب العمة وأخذ ١٤٠
المحصرة من السِّمَا .

وقد لا يلبس الخطيب ^(١) الملحفة ولا الجبّة ولا القميص ولا الرداء . والذي
لا بدّ منه العمة والمحصرة . وربما قام فيهم وعليه إزاره قد خالف بين طرفيه .
وربما قام فيهم وعليه عمامته ، وفي يده محصرته ، وربما كانت قضيباً وربما كانت
عصاً ، وربما كانت قناة . وفي القنا ما هو أغلظ من السّاق ، وفيها ما هو أدق
من الخنصر . وقد تكون مُحكّكة الكعوب مثقفة من الاعوجاج ، قليلة
الأبن ^(٢) . وربما كان العود نبعاً وربما كان من شوّحط ، وربما كان من
آبنوس ^(٣) ، ومن غرائب الخشب ومن كرائم العيدان ، ومن تلك اللّس
المصفاة . وربما كانت لبّ غصن كريم ؛ فإنّ العيدان جواهر كجواهر الرّجال ^(٤)
ولولا ذلك لما كانت في خزائن الخلفاء والملوك ، ومنها ^(٥) ما لا تقرّبه الأرضة
ولا تؤثر فيه القوادح ^(٦) .

والعكازة إذا لم يكن في أسفلها زجّ فهي عصاً ^(٧) ؛ لأن أطول القنان

(١) ل : « وقد قالوا لا يلبس الخطيب » .

(٢) الأبن ، جمع أبنة ، بالضم ، وهي العقدة .

(٣) الآبنوس ، لم تعرفه المعاجم العربية ولا كتب العربات . ولفظه الفارسي :

« آبنوس » . استينجاس ١٠ . قال داود في تذكرته : « معرب من العجمية » . وذكر

أنه ينبت بالحشة والهند ، وأن له أوراقاً كأوراق الصنوبر أو هي أعرض ، لا تسقط . وأن له

ثمراً كالغلب لكنه إلى الصفرة والحلاوة . وذكر أن أجود خشبه الرزّين الشديد السواد

الشبيه بالقرون .

(٤) جوهر كل شئ : ما خلقت عليه جبلته .

(٥) إلى هذه الكلمة يستمر سقط التيمورية الذي بدأ في ص ٨٨ س ٩ .

(٦) القوادح : جمع قادح ، وهو أ كال يقع في الشجر .

(٧) يقال عكازة وعكاز أيضاً ، كما في القاموس . ما عدال : « والعكاز إذا لم يكن

في أسفلها زج فهو عصا » .

يقال رَمَحَ خَطْلٌ ، ثم رَمَحَ بَائِنٌ^(١) ، ثم رَمَحَ مَخْمُوسٌ ثم رَمَحَ مَرْبُوعٌ^(٢) ، ثم رَمَحَ مِطْرَدٌ^(٣) ، ثم عَكَازَه^(٤) ، ثم عصا .

ثم من العصي نَصَبُ المَسَاحِي^(٥) والمُرُورِ^(٦) والقُدُمِ^(٧) والفؤوس والمَعَاوِلِ والمَنَاجِلِ ، والطَّبْرَزِينَاتِ^(٨) . ثم يكون من ذلك نَصَبُ السَّكَاكِينِ والشُّيُوفِ والمَشَامِلِ^(٩) .

وكلُّ سَهَامٍ نَبْعِيَّةٍ ، وغيرُ ذلك من العِيدَانِ ، مما امتدحها أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ^(١٠) أَوْ الشَّمَاخُ بْنُ ضِرَارٍ ، أَوْ أَحَدٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنْ عَصَا^(١١) .

وكلُّ قَوْسٍ بُنْدُقٍ فَإِنَّمَا جِئَ بِقَنَاتِهَا مِنْ بَرَوْضٍ^(١٢) ، وَمُدْرَحٍ بِبَرِّيَّهَا وصنعتها عَصْفُورُ الْقَوَاسِ . وَقَالَ الرَّقَاشِيُّ^(١٣) :

١٠ (١) ل : « نَابِر » ما عدال : « نَابِر » كلاهما محرف عما أثبت . وفي اللسان (بين) : « وفي الحديث في صفته صلى الله عليه وسلم : ليس بالطويل البائن . أى المفرط طولاً الذى بعد عن قد الرجال الطوال » .

(٢) الخموس : ما طوله خمس أذرع . والمربع : ما طوله أربع . مجالس ثعلب ٥٣٩ .

(٣) المطرَد ، بالكسر : ما يطرد به الوحش .

١٥ (٤) يقال عَكَازَة وعَكَاز ، كما سبق في حواشى ٩٢ . ما عدال : « عَكَاز » .

(٥) المَسَاحِي : جمع مَسْحَاة ، وهى المجرفة . والنصب ، بضمين : جمع نصاب بالكسر ،

وهو المقبض .

(٦) المُرُور : جمع مر ، بالفتح ، وهو المسحاة .

(٧) القُدُم ، بضمين : جمع قدوم ، بالفتح ، وهى التى ينحت بها .

٢٠ (٨) الطَّبْرَزِينَات : جمع طَبْرَزِين ، وهو فأس يستعمل فى القتال عند الفرس . مركب من كلمتين « تَبْر » بمعنى الفأس و « زِين » بمعنى السرج . لعله سُمى بذلك لالتزام وضعه بجانب السرج . استينجاس ٢٧٠ والعرب ١٩٤ والألفاظ الفارسية ١١١ .

(٩) المَشَامِل : جمع مشمل كمنبر ، وهو سيف قصير دقيق . وفى المحكم أنه سيف قصير يشتمل عليه الرجل فيطويه بثوبه .

(١٠) كلمة « مما » من ل فقط .

٢٥ (١١) ما عدال : « من كل عصا » . وكلمة « كل » مقحمة .

(١٢) بروض : موضع لم يذكر فى المعاجم وكتب البلدان المتداولة . وقد جعلها فى الشعر

التالى « بروضاء » . وانظر ما سبق فى ص ٧١ س ١٠ .

(١٣) هو الفضل بن عبد الصمد الرقاشى : شاعر أديب معاصر لأبى نواس ، وليس من

٣٠ الرقاشيين بل هو من مواليتهم . الأغاني (١٥ : ٣٤) . وقد لُج الهجاء بينه وبين أبى نواس =

أَنْعَتْ قَوْسًا نَعْتَ ذِي انْتِقَاءٍ جاء بها جالبُ بَرَوْضَاءٍ
 بعد اعتيَامٍ منه وانتِصَاءٍ^(١) كافيةً الطُّولَ على انتِهاءٍ
 مجلوزة الأَكْبَ في استواءٍ^(٢) سالمةً من أبنِ السَّيَاءِ^(٣)
 * فلم تَزَلْ مَسَاحِلُ الْبَرَاءِ^(٤) تأخذ من طوائف اللِّحَاءِ^(٥)
 حَتَّى بَدَتْ كَالْحَيَّةِ الصَّفْرَاءِ تَرْنُو إلى الطَّائِرِ في السَّمَاءِ
 بِمُقْلَةٍ سَرِيعَةٍ الْإِقْدَاءِ^(٦) ليست بكحلاء ولا زرقاء

١٤١

وقال الآخر :

قَدْ أَغْتَدَى مَلَتْ الظَّلَامُ بِفَتِيَةٍ لِلرَّمْيِ قَدْ حَسَرُوا لَهُ عَنْ أَذْرَعِ^(٧)
 مَتَنَكِّبِينَ خَرَائِطًا لِبِنَادِقِ مَا بَيْنَ مَضْفُورٍ وَبَيْنَ مَرَسَّعِ^(٨)
 بِأَكْفِهِمْ قُضْبَانِ بَرَوْضٍ قَدْ غَدَا لِلطَّيْرِ قَبْلَ نُهُوضِهَا لِلْمَرْتَعِ^(٩)

= انظر الديوان ١٧٦ — ١٧٩ والبغلاء ١٩١ . ويبدو أنه هجاء دعابة ؛ فقد كان الفضل من خلطاء أبي نواس ونداماه . أخبار أبي نواس لابن منظور ١٢٨ — ١٣٣ . وفي هجو أبي نواس للرقاشيين نعمت قدورهم بالنظافة والبياض والصغر ، حتى ضرب بها المثل ف قيل « قدر الرقاشي » . ثمار القلوب ٤٩١ والوساطة ٣١٧ .

(١) الاعتيام : الاختيار . وكذلك الانتصاء . يقال انتصى فلان من القوم ، بالبناء للمفعول ، أى اختير من نواصيهم وأشرفهم .

(٢) المجلوزة : التى شد عليها الجلائز ، وهى عقبات تلوى على القوس .

(٣) الأبن : العقد . والسياء ، أصله منتظم فقار الظهر .

(٤) المسجل ، كمنبر : المبرد . والبراء : الذى يبرى القوس ونحوها .

(٥) الطوائف : الجوانب . واللحاء : القشر .

(٦) المعروف فى المعاجم « الاقتداء » ، واقتداء الطير : فتحها عيونها وتغميضها كأنها تجلى بذلك قذاها ؛ ليكون أبصر لها . قال حميد بن ثور فى صفة البرق :

خفى كافتناء الطير والليل واضع بأوراقه والصبح قد كاد يلمع

(٧) ملئت الظلام : حين يختلط الضوء بالظلمة ، عند العشاء وعند طلوع الفجر .

(٨) تنكب الشيء : علقه على منكبه . والخريطة : شبه الكيس تكون من الخرق

والأدم ، تخرج على ما فيها . والبنادق : جمع بندقة ، وهو ذاك الذى يرمى به . والمرسع من الترسيع ، وهو أن يخرق الشيء ثم يدخل فيه سيرا ، كما تسوى سيور المصاحف . ل فقط : « مرصع » .

(٩) أراد بالقضبان القسي المتخذة منها . وبروض ، سبق الكلام عليها فى ٩٣ . ما عدال :

« بروض » ٣٠

تُقْذَى مَنِيَّاتُ الطُّيُورِ عَيْنُوهَا يوماً إِذَا رَمِدَتْ بِأَيْدِي النَّزْعِ ^(١)
صُفْرُ الْبَطُونِ كَأَنَّ لَيْطَ مَقُونِهَا سَرَقَ الْحَرِيرَ نَوَاضِرُهُ لَمْ تَسْلَعِ ^(٢)

وكانت العنزة التي تُحْمَلُ بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم — وربما جعلوها قبلةً — أشهرَ وأذكّرَ من أن يُحتَاجَ في تثبيتها إلى ذكر الإسناد .

وكانت سِما أهلِ الحرمِ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْحِلِّ فِي غَيْرِ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ ، أَنْ يَتَقَلَّدُوا الْقَلَانِدَ ، وَيَعْلَقُوا عَلَيْهِمُ الْعَلَائِقُ ^(٣) . وَإِذَا أُودِمَ أَحَدُهُم الْحَبْجُ ^(٤) تَزَيَّا بِزِيِّ الْحَبْجِ ، وَإِذَا سَاقَ بَدَنَةً أَشْعَرَهَا ^(٥) . وَخَالَفُوا بَيْنَ سِمَاتِ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ ، وَأَعْلَمُوا الْبَحِيرَةَ بِغَيْرِ عِلْمِ السَّائِبَةِ ^(٦) ، وَأَعْلَمُوا الْحَامِيَ بِغَيْرِ عِلْمِ سَائِرِ الْفُحُولِ ^(٧) . وَكَذَلِكَ الْفَرَعُ وَالْوَصِيلَةُ وَالرَّجَبِيَّةُ وَالْعَتِيرَةُ مِنَ الْغَنَمِ ^(٨) . وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَغْنَامِ السَّائِمَةِ .

(١) النزع : جمع نازع ، وهو الرامى . أى كلما أوغلت هذه القسي في الضرب زادها ذلك طيشاً فجعلت تضرب في غير هدى .

(٢) صفر : جمع أصفر وصفراء . والليط ، بالكسر : القشر . والسرق ، بالتحريك : أجود الحرير . تسلع : تتشقق . ما عدال : « لم تشبع » تحريف . والبيت في صفة القسي . ١٥

(٣) العلائق : جمع علاقة ؛ بالكسر ، وهو ما يعلق به الشيء .

(٤) أودم الشيء : أوجبه على نفسه .

(٥) البدنة : ناقة أو بقرة تنحر بمكة وأشعرها : أعلمها .

(٦) البهيرة : الناقة إِذَا نَتَجَتْ خَمْسَةُ أَبْطُنٍ وَالْخَامِسُ أَشْيَ بِحَرَوِهَا أَذْنَهَا أَيْ شَقَوَهَا ، فَكَانَتْ النَاقَةُ بِذَلِكَ حَرَاماً عَلَى النَّاسِ لَحْمُهَا وَلَبَنُهَا وَرُكُوبُهَا . وَإِذَا تَابَعَتِ النَاقَةُ بَيْنَ عَشْرِ لِمَانٍ لَمْ يَرْكَبْ ظَهْرَهَا وَلَمْ يَجْزْ وَبَرَهَا وَلَمْ يَشْرَبْ لَبَنَهَا إِلَّا ضَيْفَ وَتَرَكَوْهَا مَسِيَّةً وَسَمَوْهَا السَّائِبَةَ . وَقَدْ اِخْتَلَفَ اللَّفُويُونَ وَكَذَلِكَ الْفُقَهَاءُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ اخْتِلَافاً بَيِّنًا .

(٧) كلمة « سائر » من ل فقط . والحامى : الفحل من الإبل يضرب عشرة أبطن ، فإذا بلغ ذلك قالوا : هذا حام ، أى حمى ظهره فيترك فلا ينتفع منه بشيء ولا يمنع من ماء ولا مرعى .

(٨) الفرع ، بالتحريك : أول نتاج الإبل والغنم . وكان أهل الجاهلية يذبحونه لألهتهم يتبرعون به . والوصيلة : هى الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين ، فإن ولدت فى الثامنة جدداً وعناقاً قالوا : وصلت أخاها ، فلا يذبحون أخاها من أجلها ، ولا يشرب لبنها النساء ، وكانت للرجال وجرت مجرى السائبة . وكلمة « الوصيلة » من ل فقط . والرجبية : ذبيحة كانوا يذبحونها فى رجب . والعتيرة : ذبيحة كانت تذبح للأصنام ويصب دمها على رأسها . ٢٥

وإذا كانت الإبل من حياء ملك غرزوا في أسنمتها الريش والخرق^(١) .
ولذلك قال الشاعر :

يهبُ الهجان بريشها ورعائها كالليل قبل صباحه المتبلج^(٢)
وإذا بلغت الأبل ألفاً فقتوا عين الفحل ، فإن زادت فقتوا العين الأخرى

فذلك المفقأ والمعوى * . وقال شاعرهم :

فقات لها عين الفحيل تعيفا وفيهن رعلاء السامع والحامي^(٣)
وقال آخر :

وهبتها وأنت ذو امتنان^(٤) يُفقا فيها أعين البعران
وقال الآخر :

فكان شكرُ القوم عند المن كى الصحيحات وفقء الأعين
وإذا كان الفحل من الإبل كريماً قالوا فحيل ، وإذا كان الفحل من النخل
كريماً قالوا فحجال . قال الراعي :

كانت نجائب منذرٍ ومحرِّق أماتهن وطرقهن فحيملا^(٥)

* * *

وكان الكاهن لا يلبس المصبغ ، والعرف لا يدعُ تذييل قيصه وسحب
ردائه ، والحكم لا يفارق الوبر . وكان لحرائر النساء زى^(٦) ، ولكل مملوك زى^(٧) ،

(١) انظر الحيوان (٣ : ٤١٧ — ٤١٨) .

(٢) الهجان : الإبل البيض ، والحيار من كل شيء . وفي الحيوان : « الجلاذ » .
والرعاء ، بالكسر والضم : جمع راع ، جعلها كالليل لما فوق أسنمتها من الريش السود ، كما
جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام .

(٣) الفحيل : فحل الإبل إذا كان منجبا كريما . وأنشد البيت في الحيوان (١ : ١٧)
وقال : « الرعلاء : التي تشق أذننها وتترك مدلاة لكرمها » .
(٤) ما عدال : « وهب لنا » ، تحريف .

(٥) البيت من قصيدة له في جمهرة أشعار العرب ١٧٢ — ١٧٦ والخزانة (١ : ٥٠٢) .
وأنشده في اللسان (طرق) مسبوqa بقوله : « يقال للطارق ضرب . بالمصدر ، والمعنى أنه
ذو طرق » . والطرق : الضراب .

ولذواتِ الرّاياتِ زى^(١) ، وللإماءِ زى .
 وكان الزُّبرقان^(٢) يصبغ عمامته بصُفرة . وذكره الشاعر فقال^(٣) :
 وأشهدَ من عَوْفٍ حُلُولاً كثيرةً يُحْجُونَ سِبَّ الزُّبرقانِ المزعفرا^(٤)
 وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص^(٥) إذا اعتَمَ لم يَقمَ معه أحد ، هكذا في
 الشعر . ولعلَّ ذلك أن يكون مقصوراً في بني عبد شمس ؛ وقال أبو قيس .
 ابن الأَسلت :

وكان أبو أحيحة قد علمتْ بمكة غير مهتضمٍ ذميمٍ
 إذا شدَّ العصابة ذاتَ يومٍ وقام إلى المجالس والخصوم
 فقد حرمت على من كان يمشى بمكة غير مدّخلٍ سقيمٍ^(٦) ١٤٣
 وكان البختريُّ غداةَ جَمعٍ يدافعهم بلقانَ الحكيمِ ١٥
 بأزهرَ من سَراةِ بني لُؤيٍ كبدرا لليل راقٍ على النُّجومِ^(٧)

(١) كانت البغايا في الجاهلية يجعلن على بيوتهن رايات ليعرفن بها . انظر تفسير الطبري
 (١٨ : ٥٧) . وكذلك كان يفعل أصحاب الحانات . اللسان (غيا) . وكذلك البيطرة .
 الطبري وثمار القلوب ١٩٣ .

(٢) سبقت ترجمته في (١ : ٥٣) .
 (٣) هو الخبل السعدى ، كما في إصلاح المنطق ٤١١ واللسان (سبب) حجج .
 (٤) عوف : قبيلة . والحلول : الأحياء المجتمعة ، جمع حال ، كشاهد وشهود .
 يحجون : يقصدون . وأشهد ، بالنصب كما حقق ابن برى . وقبل البيت :
 ألم تعلمي يا أم عمرة أنني تخاطأني ريب الزمان لأكبرا
 (٥) سعيد بن العاص ، هذا هو جد سعيد بن العاص بن سعيد المترجم في (١ : ٣١٤) .
 وقد أخطأ كثير من المؤلفين في الخلط بينهما . وهذا سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ،
 وكنيته أبو أحيحة . كان من وجوه قريش ولم يدرك الإسلام . وكان قد قدم الشام في تجارة
 غبسه عمرو بن جفنة ، حبسه مع هشام بن سعيد العاصرى ، فقال في ذلك :
 قومي وقومك يا هشام قد اجمعوا تركي وتركك آخر الأعصار
 في أبيات . فاجتمع رأى بني عبد شمس على أن يفتدوا سعيد بن العاص ، فجمعوا مالا كثيرا
 فاقتدوه به . الإصابة ٣٧٥٩ .

(٦) المدخل ، أراد به الدعوى الذى يدخل فى القوم .

(٧) راق عليه : زاد عليه فضلا .

هو البيت الذي بُنيت عليه قريشُ السَّرُّ في الزمن القديم^(١)
 وَسَطَتْ ذَوَاتِبَ الْفَرَاعَيْنِ مِنْهُمْ فَأَنْتَ لِبَابِ سِرِّهِمِ الصَّمِيمِ
 وقال غيلان بن خَرْشَةَ^(٢) للأحنف: يا أبا بَحرٍ ، ما بقاء ما فيه العرب؟ قال :
 إذا تَقَلَّدُوا السُّيُوفَ ، وَشَدُّوا الْعِمَامُ واستَجَادُوا النُّعَالَ ، ولم تأخذهم حِمِيَّةُ الْأَوْغَادِ .
 قال : وما حِمِيَّةُ الْأَوْغَادِ ؟ قال : أن يَعدُّوا التَّوَاهِبَ ذُلًا^(٣) .
 وقال الأحنف : استَجِيدُوا النُّعَالَ ؛ فَإِنَّهَا خَلَاخِيلُ الرِّجَالِ^(٤) .
 والعرب تسمى السُّيُوفَ بِجَائِلِهَا أَرْدِيَّةَ .
 وقال عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه قولاً أحسن من هذا ، قال : « تمام
 جمال المرأة في خُفِّها ، وتمام جمال الرجل في كُمَّتِهِ »^(٥) .
 ومما يؤكّد ذلك قول مجنونِ بنى عامر^(٦) :

أَعْقِرْ مِنْ جَرًّا كَرِيمَةً نَاقِيَةً وَوَصِّلِي مَفْرُوشًا لَوْصَلِ مُنَازِلِ^(٧)
 إِذَا جَاءَ قَعَقَعْنَ الْحُلَى وَلَمْ أَكُنْ إِذَا جَمْتُ أَرْجُو صَوْتَ تِلْكَ الصَّلَاصِلِ^(٨)

- (١) السر : المحض والأفضل والأوسط .
 (٢) غيلان بن خَرْشَةَ ترجم في (١ : ٣٤١ ، ٣٩٤) .
 (٣) سبق الخبر في (٢ : ٨٨) .
 (٤) مصى هذا القول في (٢ : ٨٨) .
 (٥) السكّة ، بالضم : القلنسوة . وقد سبق في رواية إحدى النسخ في (٢ : ٨٨) :
 « في عَمَتِهِ » .
 (٦) كان من قصة الشعر التالي أن المجنون مرّ بامرأة من بنى عقيل يقال لها « كريمة »
 ومعها نسوة صواحب ، فمرّفته ودعونه إلى النزول والحديث ، فظل يحدّثهن وينشدهن وهن
 أعجب شيء به فيما يرى ، وعقر لهن ناقة فجعلن يشترين ويأكلن إلى أن أمسى ، فأقبل شاب
 حسن الوجه فجلسن إليه وأقبلن عليه بوجههن يقلن : كيف ظللت اليوم يا « منازل » ؟ فلما
 رأى ذلك من فعلهن غضب وقام وقال هذا الشعر . انظر الأغاني (١ : ١٦٤ ، ١٧١) .
 (٧) مفروش : مبسوط مهياً . ومنازل ، هذا : غريمه .
 (٨) في الأغاني : « أرضى » بدل : « أرجو » . وفي الأغاني وما عدال :
 « تلك الخلاص » .

ولم تغن سيجان العراقين نقرة ورقش القلنسي بالرجال الأطاول^(١)
والعصابة والعمامة سواء . وإذا قالوا سيّد معمم فإنما يريدون أن كل
جناية يجنيها الجاني من تلك العشيرة فهي معصوبة برأسه .
وقال دريد بن الصّمة :

أبلغ نعيمًا وعوفًا إن لقيتهما إن لم يكن كان في سمعيهما صم^(٢)
فلا يزال شهابٌ يسقط به يهدي المقانب ما لم تهلك الصّم^(٣)
عاري الأشاجع معصوبٌ بلمته أمر الزّعامه في عرينه شم^(٤) ١٤٤
وقال الكِناني :

تخبّتها للنّسل وهي غريبة^(٥) فجاءت به كالبدر خرقًا معممًا^(٦)
فلو شاتمّ الفتيان في الحى ظالمًا لما وجدوا غير التّكذب مشتمًا^(٧) ١٥
ولذلك قيل لسعيد بن العاصي^(٨) : « ذو العصابة » . وقد قال القائل :
كعابٌ أبوها ذو العصابة وابنه وعثمان ما أ كفاؤها بكثير^(٩)

(١) ل : « سيجان » ، التيمورية « سجان » صوابها في ب ، ح . والسيجان : الطيالة
السود ، واحدها ساج ، انظر اللسان (سوج) . لم تغن نقرة ، بفتح النون ، أى شيئًا .
ولا تستعمل إلا مع النقي . والرقش : جمع أرقش ورقشاء ، وهو ما فيه نقط من بياض وسواد .
١٥ ح : « درفش » ب والتيمورية : « ورفش » صوابها في ل . والقلنسي ، بكسر السين وفتحها
أيضا : جمع قلنسوة .

(٢) سبق الكلام على الشعر وتخريجه وتفسيره في (١ : ٢٣١) .

(٣) الحرق ، بالكسر : الظريف في سماحة ونجدة .

(٤) مشتمًا ، أى شتمًا . يقول : ليس فيه ما يعاب . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٦٧) . ٢٠

(٥) سعيد بن العاص هذا هو المترجم في (١ : ٣١٤) وهو حفيد سعيد بن العاص

المترجم آنفا في ٩٧ . وقد أخطأ الثعالبي في ثمار القلوب ٢٣١ حيث جعله الجد ، وذكر مع هذا
أن خالد بن يزيد بن معاوية طلق ابنته آمنه بنت سعيد بن العاص فتزوجها الوليد بن عبد الملك
فقال خالد فيها هذا الشعر . فكيف يكون ذلك ، وقد مات سعيد الجد قبل الإسلام وكانت
حياة الوليد ما بين سنتي ٥٣ ، ٩٦ ؟ وكيف تكون « كعابا » حديثه السن في هذا التاريخ . ٢٥
الكعاب : التي كعب ثديها ، أى نهدي .

(٦) في ثمار القلوب : « وابنه أخوها » .

يقولها خالد بن يزيد^(١).

وقال عمرو بن الخطاب رحمه الله : « العامم تيجان العرب^(٢) » .

قال : وقيل لأعرابي^(٣) : إنك تكثر لبس العمامة ؟ قال : إن شيئاً فيه
السمع والبصر لجدير أن يُوقى من الحرّ والقرّ .

وذكروا العمامة عند أبي الأسود الدؤلي فقال : « جنة في الحرب ، ومكنة
من الحرّ ، ومدفأة من القرّ ، ووقار في الندى^(٤) » ، وواقية من الأحداث ،
وزيادة في القامة ، وهي بعد عادة من عادات العرب » .

وقال عمرو بن امرئ القيس^(٥) :

يا مالٍ والسَّيِّدُ المعَمَّ قد يُبطره بعدَ رأيه السَّرفُ

نحنُ بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأى مختلف^(٦)

وكان من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع ، وفي أسواق العرب ، كأيام
عكاظ وذى المجاز وما أشبه ذلك ، التقنُّعُ ، إلا ما كان من أبي سليط

(١) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، كان يكنى أبا هاشم ، وكان من أعلم
قريش بفنون العلم ، وكان يقول الشعر . وهو الذي قالوا إنه شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى في
ذلك عمره . المعارف ١٥٣ — ١٥٤ والأغاني (١٦ : ٨٤ — ٨٨) . ويقال إنه أصاب
عمل الكيمياء . الطبرى (١٦ : ٧) . (٢) انظر ما سبق في (٢ : ٨٨) .
(٣) الخبر في (٢ : ٨٨) برواية أخرى . وانظر عيون الأخبار (١ : ٣٠٠) .
(٤) الندى : مجلس القوم ومتحدثهم .

(٥) هو عمرو بن امرئ القيس ، من بني الحارث بن الخزرج ، جاهلي . يقول الشعر
التالى في مالك بن العجلان النجاري . معجم المرزبانى ٢٣٣ . وأورد له أبو الفرج في الأغاني
(٢ : ٤٠) خبراً مع علقمة بن عدى ، وعدى بن زيد . وكان أحد حكامهم في الجاهلية ، حكم
في حرب سمير بين الأوس والخزرج . الأغاني (٢ : ١٧٠) وكان ذلك الحكم سبباً لغضب
مالك بن العجلان ورد قضائه .

(٦) في معجم المرزبانى : « والأمر يختلف » . وقصيدة عمرو بن امرئ القيس رويت
في جمهرة أشعار العرب ١٢٧ — ١٢٨ . على أن هذه القصيدة تختلط أبياتها بأبيات قصيدة
لقيس بن الخطيم في ديوانه ١٦ — ٢٠ وأخرى لمالك بن العجلان في الجمهرة ١٢٢ . انظر
شاهد هذا الخلط ، في معاهد التنصيص ، في شواهد ترك المسند .

طَرِيف بن تميم^(١) ، أحد بني عمرو بن جُنْدُب ؛ فإنه كان لا يتقنَع ولا يبالي أن تُثَبَّت عينه جميعُ فرسان العرب ، وكانوا يكرهون أن يُعرَفوا فلا يكونَ لفرسانِ عدوِّهم همٌّ غيرهم .

ولما أقبل حَمَيصَةُ الشَّيبَانِي يتأمَّل طَرِيفاً قال طَرِيف :

١٤٥ " أو كلما وردت عكاظَ قبيلةً بعثوا إلى عريفهم يتوسَّم
فتوسَّموني إنني أنا ذاكم شكِّ سلاحي في الحوادث مُعَلِّمٌ
تحتي الأغرُّ وفوق جِلْدِي نثرةٌ زَغَف تردُّ السَّيْفَ وهو مُشَلَّمٌ^(٢)
ولكلِّ بكريٍّ إلى عداوةٍ وأبو ربيعةَ شانيٌّ ومُحَلَّمٌ

فكان هذا من شأنهم . وربما مع ذلك أغلَمَ نفسه الفارسُ منهم بسياً . كان

حزمة يوم بدرٍ مُعلماً بريشةَ نعامٍ حمراء . وكان الزُّبيرُ مُعلماً بعمامةٍ صفراء . ولذلك قال درهم بن زيد^(٣) :

إنك لاق غداً غواةً بني الملكاء فانظر ما أنت مُزْدَهِفٌ^(٤)
يمشون في البيض والدُّرُوع كما تمشي جمالٌ مصاعبٌ قُطْفٌ^(٥)

- (١) كان طَرِيف بن تميم بن نامية ، من بني عدى بن جُنْدُب بن العنبر — وكان يسمى ملقى القناع — قد قتل شراحيل الشَّيبَانِي ، أخا حَمَيصَةَ ، وكان حَمَيصَةُ قد وافى عكاظ ، فعرف طَرِيفاً وتوعده . فقال طَرِيف الشعر التالي . والأبيات في الأصمعيات ٦٧ ليسك ومعاهد التنصيص (١ : ٧١) والعقد وكامل ابن الأثير والخيل لابن الأعرابي ٦٣ . ثم قتله حَمَيصَةُ بعد ذلك في يوم (مبايض) . انظره في معجم البلدان والعقد والسكامل والمبداني (٣ : ٣٦٣) .
- (٢) الأغرُّ : فرس طَرِيف . والأغرُّ أيضاً فرس عنزة بن عمرو بن معاوية ، وآخر لضبيعة بن الحارث . الخيل لابن الأعرابي ٦٩ ، ٧١ . والنثرة : الدرع الواسعة . والزغف : اللينة .
- (٣) درهم بن زيد بن ضبيعة ، وهو أخو سمير ، من بني عوف . وكان سمير قد قتل جاراً للمالك بن العجلان ، فأبى مالك إلا أن يقتله به . فقال درهم هذا الشعر بحاماة لأخيه سمير ، مخاطباً بذلك مالك بن العجلان . الأغاني (٢ : ١٦١ — ١٦٢) .
- (٤) ل : « بني مالك » ، التيمورية : « ابني ملكاء » . وأثبت ما في ب ، ح . وفي الأغاني (٢ : ١٦٢) : « بني عمى » . والازدهاف : التقجم في الشعر .
- (٥) المصاعب : جمع مصعب ، وهو الفعل الذي يودع من الركوب والعمل . والقطف : جمع قطفوف ، وهو الذي يقارب الخطوف في سرعة .

فأبدِ سِيماكَ يعرفوك كما يُبدون سِيماهم فتُعترفُ^(١)

* * *

وكان المقنّع الكنديّ الشاعر^(٢) ، واسمه محمد بن عميرة ، كان الدهرَ مقنّعا .
والقنّاع من سِيما الرُّؤساء . والدليل على ذلك والشاهد الصادق ، والحجة
القاطعة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يكاد يُرى إلا مقنّعا . وجاء
في الحديث : « حتى كأنّ الموضع الذي يصيب رأسه من ثوبه ثوبُ دِهان » .

وكان المقنّع الذي خرج بخراسان^(٣) يدّعى الربوبية ، لا يدّع القنّاع في حال
من الحالات . وجهل بادّعاء الربوبية من طريق المناسخة^(٤) ، فادّعاها من الوجه
الذي لا يختلف فيه الأحمر والأسود ، والمؤمن والكافر ، أن باطله مكشوفٌ

(١) روى هذا البيت في معجم الرزباني ٢٣٤ منسوباً إلى عمرو بن امرئ القيس . وفي
الأغاني : « معنى قوله : فأبدِ سِيماكَ ، أن مالك بن العجلان كان إذا شهد الحرب يغير لباسه
ويتنكر لئلا يعرف فيقصد » .

(٢) اسمه محمد بن ظفر بن عمير . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية . وكان له
محل كبير وشرف ومروءة وسودد في عشيرته . ويزعم المؤرخون أن العلة في لزومه القنّاع
ما كان يخاف على نفسه من العين ، فقد كان أحسن الناس وجها وأمدهم قامة وأكملهم خلقا ،
فكان إذا سفر أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت . الأغاني (١٥ : ١٥١) .

(٣) خرج المقنّع على المهدي بخراسان سنة ١٦١ . وكان أعور قصاراً من قرية يقال
لها كازه كيمردان ، وكان قد عرف شيئا من الهندسة والحيل والنيروجات ، فادّعى لنفسه
الإلهية عن طريق التناسخ « واحتجب عن الناس ببرقع من حرير ، ودامت فتنته على المسلمين
أربع عشرة سنة أباح لهم فيها كثيرا من المحرمات . فوجه إليه المهدي عدة من قواده ، وجعل
المقنّع يجمع الطعام عدة للحصار في قلّته بكش . وقد تمكن سعيد الحرشي من تشديد الحصار
عليه ، فلما أحس بالهلكة شرب سما وسقاه نساءه وأهله فأتوا جميعا . ودخل المسلمون قلّته
سنة ١٦٣ واحتزوا رأسه ووجهوا به إلى المهدي . الطبري سنة ١٦١ — ١٦٣ والفرق
بين الفرق ٢٤٣ — ٢٤٥ والآثار الباقية للبيروني ٢١١ وشروح سقط الزند ١٥٤٥ .

(٤) في الأصول : « وجهل ادعاء الربوبية » . وكان المقنّع قد زعم أنه الإله ، وأنه قد
كان قد تصور في صورة آدم ثم نوح ، ثم إبراهيم ثم سائر الأنبياء إلى محمد ، ثم في صورة علي
وأولاده ، ثم في صورة أبي مسلم صاحب دولة بني العباس ، ثم في صورته هو . الفرق
بين الفرق .

كالنهار . ولا يُعرف في شيء من الملل والنحل القول بالتناسخ إلا في هذه الفرقة من الغالية . وهذا المقنع كان قصاراً من أهل مرو ، وكان أعور الكن . فما أدري أيُّهما أعجب^(١) ، أدعواه بأنه ربٌّ ، أو إيمان من آمن به وقاتل دونه ١٩ !
١٤٦ وكان * اسمه عطاء^(٢) .

وقال الآخر :

إذا المرء أترى ثم قال لقومه أنا السيّد المُفضى إليه المعتم^(٣)
ولم يعطهم شيئاً أبوا أن يسودم وهان عليهم رغبه وهو ألوم^(٤)
وقال الآخر :

إذا كشف اليومُ العَماسُ عن استيه فلا يرندى مثلى ولا يتعمم^(٥)
قال : وكان مُصعب بن الزُّبير يعتمُ القفداء^(٦) ، وهو أن يعقد العمامة في
القفا . وكان محمد بن سعد بن أبي وقاص^(٧) ، الذي قتله الحجاج ، يعتم الميلاء .
وقال الفرزدق :

ولو شهد الخليل ابنُ سعدٍ لقنعوا عمامته الميلاء عضباً مهتداً^(٨)

- (١) ما عدال : « أيهما أعجب » .
(٢) في الفرق بين الفرق أن اسمه « هشام بن حكيم » .
(٣) البيتان في الحيوان (٨٣ : ٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٤٨) وحماسة ابن الشجري ١٤٠ . وفي عيون الأخبار والحماسة : « المعظم » .
(٤) في الحماسة : « فقده » وفي الحماسة والعيون : « وهو أظلم » . والرغم : الذل .
(٥) العماس ، بالفتح : الشديد . وقد روى البيت ثعلب في مجالسه ٢٥٤ وضبط فيها خطأ . وهو في اللسان (عمس) .
(٦) القفداء ، بفتح القاف وسكون الفاء . ويقال أيضاً « القفد » بالتحريك . ما عدال : « القفداء » تحريف ، صوابه في اللسان (قفد) حيث أورد هذا الخبر وتاليه .
(٧) محمد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري ، كان قد خرج مع ابن الأشعث وشهد وقعة دير الجماجم ووقعة مسكن بعدها ، فأُتِيَ به الحجاج فقتله سنة ٨٣ . انظر خبر مصرعه في الطبري (٨ : ٣٤) . وكان يلقب « ظل الشيطان » لشدة كبره . الحيوان (٦ : ١٧٨)
(٨) وثمار القلوب ٥٩ . أو لقصره ، كما في تقريب التهذيب . وانظر مخاطبة الحجاج له بهذا اللقب في الطبري والحيوان وثمار القلوب . وترجم له في تهذيب التهذيب والمعارف ١٠٧ والخلاصة ٢٨٨ .
(٨) البيت مما لم يرو في ديوان الفرزدق .

وقال شَمْعَلَةُ بْنُ أَخْضَرِ الضَّبِّيِّ (١) :

جلبنا الخيلَ مِنْ أَكْنَافِ فَلَجٍ تَرى فِيهَا مِنَ الْغَزْوِ اقْوَرَارَا (٢)
بِكُلِّ طِمْرَةٍ وَبِكُلِّ طَرَفٍ يَزِينُ سَوَادُ مَقْلَتِهِ الْعِذَارَا (٣)
حَوَالِي عَاصِبٍ بِالتَّجَاجِ مِنَّا جَمِينٍ أَغْرَ يَسْتَلِبُ الدُّوَارَا (٤)
رئيسٌ مَا يَنْزَعُهُ رَئِيسٌ سَوَى ضَرْبِ الْقِدَاحِ إِذَا اسْتَشَارَا (٥)

وَأَنشَدَ :

إِذَا لَبِسُوا عَمَائِمَهُمْ لَوَّوْهَا عَلَى كَرَمٍ وَإِنْ سَفَرُوا أَنَارُوا
يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لَهُمْ سَوَاهُمُ وَلَكِنْ بِالطَّعَانِ هُمْ تِجَارُ
إِذَا مَا كُنْتَ جَارَ بَنِي تَمِيمٍ فَأَنْتَ لِأَكْرَمِ الثَّقَلَيْنِ جَارُ

١٠ وَأَنشَدَ :

وَدَاهِيَةٍ جَرَّهَا جَارُكُمْ جَعَلَتْ رِءَاءَكَ فِيهَا خِمَارَا

• وَلَذِكْرِ الْعَامِّ مَوَاضِعَ . قَالَ زَيْدُ بْنُ كَثُوثٍ (٦) [الْعَنْبَرِيُّ] :

١٤٧

(١) شَمْعَلَةُ بْنُ الْأَخْضَرِ بْنِ هَبيرة الضبي ، شاعر فارس جاهلي . يقول الشعر التالي في مصرع بسطام بن قيس الشيباني في يوم شقيقة الحسين ، وكان لبني ضبة على بني شيبان . المؤتلف ١٤١ والعقد (٥ : ٢٠٤ لجنة التأليف) .

(٢) فلج : واد بين البصرة وحمى ضرية . والاقورار : الضمور .

(٣) الطمرة : الفرس الوثابة . والطرفاء بالكسر : الفرس الكريمة الطرفين ، أى الأبوين .

(٤) عاصب جبين أغر ، أى عاصب جبين نفسه ، وهذا ما يسمونه التجريد . والأغر : الأبيض الوجه . والدوار كاللدوران يأخذ في الرأس . يقول : إنه يشقى رءوس أعدائه بضربها بالسيف . ومثله قول القائل في المخصص (٦ : ١٨) :

ومأثور من الهندى يشقى به رأس الكفى من الصداق

قال ابن سيده : « أى يشقى به جهله . وهو مثل » .

(٥) كانوا يضربون بالقداح يستشيرونها فيما يصنعون ، يسمون بعضها الأمر وبعضها

٢٥ الناهى وكتب على الأول : أمرنى ربى ، وعلى الثانى : نهانى ربى . اللسان (قسم) . سوى

ضرب ، أى سوى صاحب الضرب الموكل به .

(٦) سبقت ترجمته في (١ : ١٦٣) .

مَنَعْتُ مِنَ الْمُهَّارِ أَطْهَارَ أُمِّهِ وَبَعْضُ الرِّجَالِ الْمُدَّعَيْنَ زِنَاهُ^(١)
فَجَاءَتْ بِهِ عَبْلَ الْقَوَامِ كَأَنَّمَا عَمَامَتُهُ فَوْقَ الرِّجَالِ لَوَاهُ^(٢)
لَأَنَّ الْعِمَامَةَ رَبَّمَا جَعَلُوهَا لَوَاءً . أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَخْنَفَ بْنَ قَيْسٍ ، يَوْمَ مَسْعُودِ
ابْنِ عَمْرٍو^(٣) ، حِينَ عَقَدَ لِعَبْسِ بْنِ طَلْقٍ^(٤) اللَّوَاءَ ، إِنَّمَا نَزَعَ عَمَامَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ
فَمَقَّدَهَا لَهُ .

وَرَبَّمَا شَدُّوا بِالْعِمَامِ أَوْسَاطَهُمْ عِنْدَ الْمَجْهَدَةِ ، وَإِذَا طَالَتِ الْعُقْبَةُ^(٥) . وَلِذَلِكَ
قَالَ شَاعِرُهُمْ^(٦) :

فَسِيرُوا فَقَدْ جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَبَاسَتْ أَمْرِي يَرْجُو الْقِرَى عِنْدَ عَاصِمٍ^(٧)
دَفَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ كَالذِّبْحِ خَاطِئًا نَشَدُّ عَلَى أَكْبَادِنَا بِالْعِمَامِ^(٨)

- ١٠ (١) الطهر : الأيام بين الحيضتين . والزناه ، ممدود : الزنى . وإذا قرئت بفتح الزاى كانت بمعنى القصير . قال أبو ذؤيب :
- وتولج في الظل الزناه رءوسها وتحسبها هيا وهن صحائف
(٢) العبل : الضخم . وفي اللسان (سبط) : « فجاءت به سبط العظام » .
- (٣) سبقت ترجمة مسعود بن عمرو في (٢ : ٦٨) . وكان الشرقد هاج بين بني تميم بزعامة الأخنف ، وبين الأزد بزعامة مسعود بن عمرو . وقد أراد الأخنف في أول الأمر أن يعقد القيادة لعباد بن حصين ، فلما لم يجده عقدها لعبس بن طلق بن ربيعة بن عامر بن بسطام ابن الحكم بن ظالم بن صريم بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد . قال الطبري في (٧ : ٢٧) : « فانتزع معجرا في رأسه ثم جثا على ركبتيه ففقدته في رمح ثم دفعه إليه فقال : سر » . وكان الأزد وحلفاؤهم من ربيعة قد أخذوا بأفواه السكك سكك البصرة ، ثم أجلوا عنها وقاموا على باب المسجد ، ودافقت التميمية إليهم فدخلوا المسجد ومسعود يخطب على المنبر ويحضض ، فاستنزلوه وقتلوه في شوال سنة ٦٤ .
- (٤) انظر التنبيه السابق .
- (٥) العقبة ، بالضم : قدر ما يسيره الرجل .
- (٦) هو مصعب بن عمير الليثي ، كما في البخلاء ١٨٥ .
- (٧) جن عليه الليل ، بفتح الجيم ، أى أظلم . ومعنى جن : ستر . في اللسان (سته) : « يقال للقوم إذا استدلوا واستغف بهم : باست بنى فلان . وهو شتم للمرب » .
- (٨) في اللسان : « دفع إلى المكان ودُفِع ، كلاما انتهى » . والذبح ، بالكسر : الذكر من الضباع . والخطاى : الغليظ الصلب .
- ٢٥

وقال الفرزدق :

بنى عاصم إن تلجئوها فإنكم ملاجيئ للستوات دُسمُ العائم^(١)

وقال الآخر :

خليلى شدا لي بفضل عمامتي على كبدٍ لم يبق إلا صميمها

العرب تلهج بذكر النعال ، والفُرس تلهج بذكر الخفاف . وفي الحديث
المأثور : « أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا ينهون نساءهم عن لبس
الخفاف الحمر والصفر ، ويقولون : هو من زينة نساء آل فرعون » .
وأما قول شاعرهم :

١٠ إذا اخضرت نعالُ بنى غرابٍ بقوا ووجدتهم أشرى لثاما^(٢)
فلم يرد صفة النعل ، وإنما أراد أنهم إذا اخضرت الأرض وأخصبوا طفقوا
وبقوا . كما قال الآخر^(٣) :

* وأطول في دار الحفاظ إقامة^(٤) وأوزن أحلاما إذا البقل أجھلا^(٥) ١٤٨

(١) ما عدل : « إن تلعبوها » والبيت مما لم يرو في ديوان الفرزدق . دسم : جمع
أدسم « وهو الدنس . ١٥

(٢) النعال : جمع نعل ، وهو ما غلظ من الأرض . وفي الحديث : « إذا ابتلت النعال ،
فالصلاة في الرحال » . قال البكري في التنبيه ١٩ : « وإذا أخصبت النعال فما ظنك بالدماء » .
وأنشد :

٢٠ قوم إذا اخضرت نعالهم يتناهقون تناهق الحمر
وأشرى : جمع أشر ، كما يقال زمن وزني ؛ أو جمع أشران ، كما يقال سكرات
وسكرى في جمعه ، موافقا لفظه لفظ إحدى مؤنثات سكران ، وهي سكرانة وسكرى وسكرة .
انظر مع الهوامع (٢ : ١٧٨) والقاموس (أشر ، سكر) . والأشر : المرح والنشاط .
(٣) هو خراشة بن عمرو العبسي ، من قصيدة في المفضليات (٢ : ٢٠٤) .

(٤) دار الحفاظ : التي يقيمون فيها صبرا عليها لعزم . وفي المفضليات . « وأربط
٢٥ أحلاما » . أجھلهم ، أى حملهم على أن يجهلوا . وذلك أنه إذا كان الربيع وأمكنت المياه
والبقل ، تذكروا الذحول وطلبوا الأوتار .

ومثل قوله :

يا ابن هشام أهلك الناس اللبن فكلهم يسمي بسيفٍ وقرن^(١)

وأما قول الآخر :

وكيف أرجي أن أسودَ عشيرتي وأتى من سلمي أبوها وخالها

رأيتكم سوداً جماداً ، ومالكٌ مخضرةً بيضٌ سباطٌ نعالها^(٢)

فلم يذهب إلى مديح النعال في أنفسها ، وإنما ذهب إلى سباطة أرجلهم وأقدامهم ، ونفى الجمودة والقصر عنهم .

وقال النابغة :

رِفاقُ النعال طيّبٌ حُجراتهم يُحيون بالريحان يوم السَّباب^(٣)

يصونون أجساداً قديماً نعيمها بخالصة الأردن خضر المناكب^(٤)

قال : وبنو الحارث بن سدوس لم ترتبط حماراً قط ، ولم تلبس نعالاً قط إذا نقيت . وقد قال قائلهم :

ونلقي النعال إذا نقيت ولا نستعين بأخلاقها^(٥)

ونحن الذؤابة من وائلٍ إلينا تمدُّ بأعناقها

(١) الرجز في الصحاح واللسان والتاج (قرن) ، وتنبه البكري ١٩ . والقرن ، ١٥ بالتجريك : الجعبة من جلود تكون مشقوقة ثم تخرز . وإنما تشق لتصل الريح إلى الريش فلا يفسد .

(٢) النعل المخضرة : التي لها خصران مستدقان .

(٣) ديوان النابغة ٩ . رفاق النعال . أراد أنهم ملوك لا يخسفون نعالهم ؛ وإنما يخسف من عشي . والحجرة ، بالضم : الوسط . يقول : هم أعفاء . والسباب : يوم السمانين ، وهو من أعياد النصارى ، وكان المدوح — وهو عمرو بن الحارث الأعرج — نصرانياً .

(٤) الرذن ، بالضم : مقدم كم القميص . وفي اللسان (خلص) : « الأصمعي : هو لباس يلبسه أهل الشام ، وهو ثوب مخمل أخضر المنكبين وسائره أبيض . والأردان : أ كمامه . ويقال لكل شيء أبيض : خالص » . وفي شرح الديوان : « قال خالد بن كلثوم : خضر المناكب من أثر السلاح » .

(٥) نقيت : خرقت . والأخلاق : جمع خلق ، وهو البالي .

وهم رهط خالد بن المعمر^(١) ، الذي يقول فيه شاعرهم :

مُعَاوِيَ أَمْرُ خَالِدِ بْنِ مَعْمَرٍ فَإِنَّكَ لَوْلَا خَالِدٌ لَمْ تَوْصِرْ
وقائلهم الذي يقول :

- ١٤٩ * أَغَاضِبُهُ عَمْرُو بْنُ شَيْبَانَ أَنْ رَأَتْ عَدِيدَيْنِ مِنْ جُرْثُومَةٍ وَدَخِيسٍ^(٢)
فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ أَيْرُ أَبِيكُمْ وَلُوداً كَأَيْرِ الْحَارِثِ بْنِ سَدُوسٍ^(٣)
وكان عمر جعل رياسة بكرٍ لجزاة بن ثور^(٤) ، فلما استشهد مجزاة جعلها
أبو موسى لخالد بن المعمر ، ثم ردها عثمان إلى شقيق بن مجزاة بن ثور ، فلما خرج
أهل البصرة إلى صيفين تنازع شقيق وخالد الرياسة ، فصيرها عند ذلك على^(٥)
إلى خُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذَرِ^(٥) ، فرضى كل واحد منهما وكان يخاف أن يصيرها إلى
خُصْمِهِ ، فسكنت بكرٌ وعمرُ الناسُ صحةً تدبير على في ذلك .
وأما قول الآخر^(٦) :

(١) هو خالد بن المعمر بن سليمان بن الحارث بن شجاع بن الحارث بن سدوس السدوسي .
وكان رئيس بكر بن وائل في عهد عمر . وذكر ابن ماكولا أن معاوية أمره على أرمينية
فوصل إلى نصيبين فأت بها . الإصابة ٢٣١٧ ، ووقعة صفين في مواضع كثيرة . وقد أنشد له
نصر بن مزاحم شعراً . ١٥

(٢) الجرثومة : أصل كل شيء ومجتمعه . والدخيس : العدد الكثير المجتمع .
(٣) فيما عدال : « طويلاً » بدل « ولوداً » وكذا روايته في المعارف ٤٥ . قال ابن
قتيبة : « وكان له واحد وعشرون ذكراً »

(٤) هو مجزاة بن ثور بن عفير بن زهير بن عمرو بن كعب بن سدوس السدوسي . له
ذكر في الفتوح . الإصابة ٧٧٢٤ . وأنشد له في وقعة صفين ٣٤٤ :

أَضْرِبُهُمْ وَلَا أَرَى مُعَاوِيَةَ إِلَّا الْأَبْرَجَ الْعَيْنَ الْعَظِيمَ الْحَاوِيَةَ
هَوَتْ بِهِ فِي النَّارِ أُمُّ هَاوِيَةَ جَاوَرَهُ فِيهَا كِلَابُ عَاوِيَةَ
أَغْوَى طِفْلاً لَا هَدْيَ هَادِيَةَ

(٥) سبقت ترجمته وتحقيق اسمه في (٢ : ١٦٩) .

(٦) هو أبو المقدام ، واسمه جساس بن قطب ، كما في اللسان (وقع) . وانظر الحيوان
(٤٤٦ : ٦) والبخلاء ١٥٧ ، وأمالى القالى (١ : ١١٥) ، وجمهرة الأمثال ٢٢٠ والميداني
(٧٤ : ٢) والعقد (١ : ٨٠ ، ٢٧٠) . ٢٥

يا ليت لي نعلين من جلد الضبُع ^(١) وشُرُّ كما من استهالا تنقِطِعْ
فهذا كلامٌ محتاج ، والمحتاجُ يتجوَّز .

وأما قول النّجاشيِّ لهند بن عاصم :

إذا الله حيّا صالحاً من عباده كريماً حيّاً الله همدَ بن عاصم

وكلُّ سلوحيّ إذا ما لقيته سريّعُ إلى داعي النّدى والمكارم

ولا يا كلُّ الكلبِ السّروقُ نعالهم ولا يُنْتَقَى المنخُ الذي في الجماجم ^(٢)

قال يونس : كانوا لا يأكلون الأدمغة ، ولا ينتعلون إلا بالسّبت .

وقال كثير :

إذا نبذت لم تطبِّ الكلبَ ربحها وإن وُضعت في مجلس القوم شمت ^(٣)

وقال عُتَيْبَةُ بن مرداس ، وهو ابن فسوة ^(٤) :

إلى معشرٍ لا يَخْصِفون نعالهم ولا يلبسون السّبت ما لم يَخْصُر ^(٥)

(١) الشّرك ، بضمّتين : جمع شرك ، بالكسر ، وهو سير النمل .

(٢) أنشده في الخزانة (٤ : ١٤٧) وقال : « إنما يأكل الكلب الفطير من النعال ،

وأما السبت فلا » . الفطير : الذي لم يدبغ . والسبت ، بالكسر : المدبوغ بالقرظ .

(٣) البيت في الحيوان (١ : ٢٦٦) والخزانة (٤ : ١٤٨) . أي هي طيبة الريح

ليست بفطير ؛ لأن النعل إذا كانت غير مدبوعة وظفر بها الكلب أكلها .

(٤) في الأصول : « عتيبة بن الحارث » تحريف . وقد قوى التحريف في ل إذ جعلت

« عتيبة بن الحارث بن شهاب » ، والصواب ما أثبت . وعتيبة هذا هو أحد بني عمرو بن كعب

ابن عمرو بن تميم ، شاعر مقل مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . وكان هجاء خبيث اللسان .

ووفد على ابن عباس بالبصرة فلم يصله بل أخرجه عنها فوفد إلى المدينة بعد مقتل علي ، فلقى الحسن

وعبد الله بن جعفر فسألاه عن خبره مع ابن عباس فأخبرها . فوصلاه بما أرضاه ، فصنع قصيدة

طويلة يمدحهما فيها ويلوم ابن عباس ، روى كثيراً من أبياتها أبو الفرج في الأغاني (١٩ : ١٤٤)

وابن قتيبة في الشعراء ٨٢ . وقبل البيت التالي :

فليت قلوصى عربيت أو رحلتها إلى حسن في داره وابن جعفر

إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى ولدين يدعو والكتاب المطهر

وانظر تعليل لقبه بابن فسوة في الأغاني والشعراء .

(٥) البيت في الحيوان (٣ : ١١٢) . تخضير النعل : أن يجعل لها خصران دقيقان .

وإذا مدح الشاعر النعل بالجودة فقد بدأ بمدح لابسها قبل أن يمدحها .

قال الله تبارك وتعالى لموسى^(١) : ﴿ اخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾ . وقال بعض المفسرين : كانت من جلد غير ذكى . وقال الزبيرى : ليس كما قال ، بل أعلمه حقَّ المقام الشريف ، والمدخل الكريم . ألا ترى أن الناس إذا دخلوا إلى الملوك ينزعون نعالهم خارجاً .

قال : وحدثنا سلام بن مسكين^(٢) قال : ما رأيت الحسن إلا وفي رجله النعل . رأيتُه على فراشه وهي في رجله ، وفي مسجده وهو يصلى وهي في رجله . وكان بكر بن عبد الله^(٣) تكون نعله بين يديه فإذا نهض إلى الصلاة لبسها . ورؤى ذلك عن عمرو بن عُبيد ، وهاشم الأوقص^(٤) ، وحوشب^(٥) ، وِكَلاب^(٦) ، وعن جماعة من أصحاب الحسن .

وكان الحسن يقول : « ما أعجبَ قوماً يروون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في نعله فلما انفتل من الصلاة علم أنه قد كان وطئ على كذا وكذا ، وأشباهاً لهذا الحديث ، ثم لا ترى أحداً منهم يصلى منتعلاً » .

(١) بدل هذه الكلمة في ل : « ياموسى » وهو خطأ في التلاوة . والآية هي الثانية عشرة من سورة طه ، وتلاوتها هي وما قبلها : (فلما أتاها نودى ياموسى . إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) .

(٢) هو سلام بن مسكين بن ربيعة الأزدي النمرى البصري . قال أبو داود : سلام لقب ، واسمه سليمان . وكان ثقة من أعبد أهل زمانه . توفى سنة ١٦٧ . تهذيب التهذيب (٤ : ٢٨٦) والخلاصة ١٣٦ .

(٣) بكر بن عبد الله المزنى . ترجم في (١ : ١٠٠) .

(٤) ل : « وهشام الأوقص » . وقد سبق ذكر هاشم في أسماء الصوفية في (١ : ٣٦٦) .

(٥) هو حوشب بن عقيل الجرمي البصري . روى عن الحسن وقتادة وبكر بن عبد الله وكان من الثقات . تهذيب التهذيب .

(٦) كلاب بن جري ، سبق ذكره وترجمته في (١ : ٣٦٦) .

وأما قوله ^(١) :

وقامَ بناتى بالنعال حواسرا وألصقنَ وقعَ السَّبْتِ تحتَ القلائدِ ^(٢)
فإنَّ النساءَ ذواتَ المصائبِ إذا قمنَ فى المناحاتِ كنَّ يضرُبنَ صدورهنَّ بالنعالِ .
وقال محمد بن يسير ^(٣) :

كم أرى من مستعجبٍ من نعالى ورضائى منها بلبسِ البوالى
كلَّ جرداءٍ قد تحيَّفها الخَصَفُ بأقطارها ، بسرَدِ النِّقالِ ^(٤)
لا تُدائى وليس تشبه فى الخِلْدِ قَمَرٍ إنَّ أبرَزَتِ نعالَ الموالى
لا ولا عن تقادمِ العهدِ منها بليت لا ولا لكرِّ الليالى
ولقد قلتُ حينَ أوثرَ ذا الو دِّ عليها بثروتى وبمالى
من يُغالى من الرِّجالِ بنعلِ فسوائى إذا بهنَّ يُغالى ^(٥)
أو بفاهنَّ للجمالِ فإنى فى سواهنَّ زينتى وجمالى
١٥١ فى إخوانى وفى وفائى ورأى وعفائى ومنطقى وفعالى ^(٦)
ما وقانى الخلفا وبلغنى الحاءَ جةً منها ، فإننى لا أبالى ^(٧)
وقال خلف الأحمر :

سقى حُجَّاجَنا نوى الثرىا على ما كان من مَطْلٍ وبُخْلٍ ^(٨)

- (١) هو أبو ذؤيب الهذلى . ديوانه ١٢٢ واللسان (حسر) .
(٢) حواسرا : قد حسرن عن وجوههن وصدورهن وأيديهن . وفى اللسان :
« ضرب السبت » . والسبت : النعال المدبوغة بالقرط .
(٣) ترجم فى (١ : ٦٥) ، وبعض أبياته التالية فى الأغانى (١٢ : ١٣٣) .
(٤) تحييف الشيء : أخذ من جوانبه ونقصه . والخصف : مطارقة النعل لإصلاحها .
٢٠ والسرَد : خرز الأديم بالمسرَد . والنقال : جمع نعل ، بالفتح والكسر والتجريك ، وهى النعل
الخلق . ما عدل : « بسرو النعال » ، وفى الأغانى : « بسود النعال » ، صوابهما ما أثبت من ل .
(٥) سواؤه ، بفتح السين ، أى غيره .
(٦) الرأى : الرأى . وفى الأغانى : « ورأى » .
(٧) أى ما وقانى الخلفا منها فإننى لا أبالى بغيره .
(٨) الأبيات أنشدها فى الحيوان (٥ : ٢٨٤) والشعراء ٧٦٤ بتحقيق الشيخ أحمد
شاكر وعيون الأخبار (٣ : ٣٨) . وفى العيون : « من بخل ومطل » . والنوى : المطر =

مُ جَمَعُوا النِّعَالَ فَأَحْرَزُوهَا وَسَدُّوا دُونَهَا بَابًا بِقِفْلٍ
إِذَا أَهْدَيْتُ فَاكِهَةً وَشَاةً (١) وَعَشْرَ دَجَائِجٍ بَعَثُوا بِنَعْلٍ
وَمَسَّوَا كَيْنَ طَوْلُهُمَا ذِرَاعٌ وَعَشْرٌ مِنْ رَدَى الْمُقْلِ خَشَلٍ (٢)
فَإِنْ أَهْدَيْتَ ذَاكَ لِيَحْمِلُونِي عَلَى نَعْلٍ فَدَقَّ اللَّهُ رِجْلِي (٣)

وقال كثير :

كَأَنَّ ابْنَ لَيْلَى حِينَ يَبْدُو فَيَنْجَلِي سُجُوفَ الْخِلْبَاءِ عَنْ مَهَيْبٍ مَشَّتْ (٤)
مُقَارِبُ خَطْوٍ لَا يَغْيِّرُ نَعْلَهُ رَهِيْفَ الشَّرَاكِ سَهْلَةً الْمَتَسَمَّتِ (٥)
[إِذَا طُرِحَتْ لَمْ تَطَّبَّ الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ شُمَّتِ]
وفال بشار :

١٠ إِذَا وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ نَعْلُهَا تَضَوَّعَ مَسْكَأُ مَا أَصَابَتْ وَعَنْبَرُهَا
ولما قال عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَصَعَصَعَةَ بَنِ صُوحَانَ فِي الْمَنْذَرِ
ابن الجارود ما قال ، قال صَعَصَعَةُ : « لَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَنَظَارٌ
فِي عِطْفِيهِ ، تَقَالُ فِي شِرَاكِيهِ ، تُعْجِبُهُ حُمْرَةُ بُرْدِيهِ » (٦) .

١٥ = الَّذِي يَنْزِلُ مُوَافِقًا لِسُقُوطِ نَجْمٍ فِي مَغْرِبِهِ عِنْدَ الْفَجْرِ . وَالثَّرِيَا غَزِيرَةُ النَّوَى . وَفِي اللِّسَانِ :
« وَالثَّرِيَا مِنَ السَّكْوَاكِبِ ، سَمِيَتْ لِفَزَارَةِ نَوْثِهَا » .

(١) فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ : « فَإِنْ أَهْدَيْتَ فَاكِهَةً وَجَدِيَا » .
(٢) رَدَى : مَسْهَلُ رَدَى . وَالْمَقْلُ : ثَمَرُ الدَّوْمِ . وَالْخَشَلُ : السَّخِيفُ الْيَابِسُ الْخَفِيفُ .
(٣) مَا عَدَالُ : « لَتَحْمِلُونِي » . وَالْدَقُّ : الْكُسْرُ وَالرُّضُ .
(٤) ابْنُ لَيْلَى ، هُوَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ سُرَوَانَ . وَفِي الْأَغَانِي (١ : ١٣١) : « حَدَّثَ ابْنُ
كُنَاسَةَ قَالَ : لَيْلَى أُمُّ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَلْبِيَّةٌ . وَبَلَغَنِي أَنَّهُ قَالَ : لَا أُعْطِي شَاعِرًا شَيْئًا حَتَّى يَذْكُرَهَا
فِي مَدْحِي ، لِشَرَفِهَا » . وَالْمَشْمَتُ : الْمَدْعُو لَهُ بِالْخَيْرِ .

(٥) لَا يَغْيِرُ نَعْلَهُ ، أَيْ لَا يَتَمَهَّدُهَا بِخُصْفٍ أَوْ صَبْغٍ ، وَذَلِكَ لِكثَرَةِ نَعَالِهِ . رَهِيْفُ
الشَّرَاكِ ، أَيْ شَرَاكِهَا رَهِيْفٌ ، فَذَكَرَ الْوَصْفَ لِمُرَاعَاةِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ ، كَمَا يَقُولُونَ : رَجُلٌ حَسَنَةُ
الْعَيْنِ . وَالْمَتَسَمَّتِ : الْقَصْدُ .

(٦) مَضَى الْخَبَرُ فِي (١ : ٩٩) . ٢٥

وذمَّ رجلٌ ابنَ التَّوَامِ^(١) فقال : « رأيتُه مشحَمَ النَّعْلِ ، دَرِنَ الجُورِبِ ، مُفَضَّنَ الخُفِّ ، دَقِيقَ الجِرِّ بَانَ^(٢) » .

وقال الهيثم : يمينٌ لا يحلف بها الأعرابيُّ أبداً : أن يقول لا أوردك الله ١٥٢ صادراً ولا أصدرلك وارداً ، ولا حططت رحلك ولا خلعت نعلك .

وقال آخر :

عَلِقَ الفؤَادُ بِرَيْقِ الجَهْلِ وَأَبْرَّ واستعصى على الأهلِ^(٣)
وصبا وقد شابت مفارقه^(٤) سفهاً وكيف صباةُ الكهلِ
أدركت مُعْتَصِرِي وأدركني حِلْمِي وَيَسَّرَ قَائِدِي نَعْلِي^(٥)

رجع الكلام إلى القول في العصا^(٥)

١٠ قال ابن عباس رحمه الله في تعظيم شأن عصا موسى عليه السلام : « الدَّابَّةُ^(٦) ينشق عنها الصَّعَا^(٦) ، معها عصا موسى ، وخاتم سليمان ، تَمْسَحُ المؤمن بالعصا وتَحْتِمُ الكافر بالخاتم » .

وجعل الله تبارك وتعالى أكبر آداب النبي عليه السلام في السَّوَاك ، وحضَّ عليه صلى الله عليه وسلم . والمِسْوَاك لا يكون إلا عصا .

١٥ (١) سبقت ترجمته في (١ : ٢٠٥) . وفي عيون الأخبار (١ : ٢٩٩) أن ابن التوام هو الذي ذم الرجل .

(٢) الجربان بكسرتين وبضميتين مع تشديد الباء فيهما : جيب القميص ، معرب من الفارسية « گریبان » . اللسان والقاموس (جرب) ومعجم استينجاس ١٠٨٦ .

(٣) ريق الشيء : أوله وأفضله .

(٤) المعتصر : العمر والهرم . وقيل معناه أن ما كان في الشباب من اللهو أدركته ولهوت به ؛ من الاعتصار ، وهو الإصابة للشيء . والأخذ منه . اللسان (عصر ٢٥٦ — ٢٥٧) .

(٥) ما عدل : « ثم رجع الكلام إلى القول في العصا » .

(٦) هي الدابة الواردة في قوله تعالى : « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » . وهي الآية ٨٢ من سورة النمل .

(٨ — البيان — ثالث)

وقال أبو الوجيه^(١) : قضبان المساوك البشام ، والضرو^(٢) ، والغم^(٣) ، والأراك ، والخرجون ، والجريد ، والإسحل .

وقد يلبس الناس الخفاف والقلائس في الصيف كما يلبسونها في الشتاء ، إذا دخلوا على الخلفاء وعلى الأمراء ، وعلى السادة والعظماء ؛ لأن ذلك أشبه بالاحتفال ، وبالتعظيم والإجلال ، وأبعد من التبذل والاسترسال ، وأجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم في منازلهم ومواضع انقباضهم .

وللخلفاء عمّة ، وللفقهاء عمّة ، وللبقالين عمّة^(٤) ، وللأعراب عمّة ، وللصوص عمّة ، وللأبناء عمّة^(٥) ، وللرثوم والنصارى عمّة ، ولأصحاب التشاجى عمّة^(٦) .

ولكل قوم زيّ ، فلقضاة زيّ ، ولأصحاب القضاة زيّ ، وللشرط زيّ ، وللكتاب زيّ ، ولكتّاب الجند زيّ . ومن زيّهم أن يركبوا الحمير وإن كانت الهماليج لهم معرّضة^(٧) .

وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب : فمنهم من يلبس المبطنّة ،

(١) هو أبو الوجيه العكلى ، أحد فصحاء الأعراب . كان معاصراً للجاحظ وأبى عبيدة . وروى له الجاحظ أخباراً في الحيوان (١ : ٣٠٠ : ٤ / ١٩٤ : ٦ : ٥٩) .

(٢) الضرو ، بالفتح والكسر : شجر طيب الريح ، يستاك به ويجعل ورقه في العطر . ١٥

(٣) الغم ، بضممة ، وبضميتين ، وبفتحتين : شجر الزيتون البرى . ل : « الغم » ماعدا ل : « الغم » صوابهما ما أثبت . انظر الحيوان (٥ : ٤٥٣ — ٤٥٤) .

(٤) ماعدال : « وللبقالين » .

(٥) الأبناء ، هم أبناء قوم من فارس أرسلهم كسرى مع سيف بن ذى يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة فنصروه وملكوا اليمن وتديروها وتزوجوا في العرب فقيّل لأولادهم الأبناء ، وغلب عليهم هذا الاسم ، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم . اللسان (بنو) . وفي التنبيه والإشراف ٢٢٦ أنهم الذين ساروا مع خرزاذ بن نرسی بن جاماسب أخى قباد بن فيروز وفي ص ٢٤١ : الذين شخصوا مع وهزلى إلى اليمن . ويبدو أن جميع الذين اجتذبتهم الحروب من الفرس إلى جزيرة العرب كان العرب يسمونهم الأبناء . ٢٠

(٦) التشاجى : التمتع والتعازن ؛ من الشجى ، وهو الحزن . تشاجت : تمتعت وتمحازنت . اللسان (١٩ : ١٥٢) وفيه : « قال عمرو بن بحر : قلت لابن دبوقاء : أى شيء أول التشاجى ؟ قال : التباهر والفرمطة في المشى » . ٢٥

(٧) الهمالج : البرذون الحسن السير في سرعة وبخبرة .

ومنهم من يلبس الدَّرَاعَةَ^(١) ، ومنهم من يلبس القَبَاءَ ، ومنهم من يلبس
١٥٣ الباز بكند^(٢) * ويعلق الخنجر ، ويأخذ الجرز^(٣) ، ويتخذ الجُمَّة^(٤) .

وزئى مجالس الخلفاء فى الشتاء والصَّيف^(٥) فُرُش الصُّوف . وترى أن
ذلك أكلٌ وأجزلٌ وأخف وأنبل . ولذلك وضعت ملوك العجم على رؤوسها
التَّيجان ، وجلست على الأسيرة ، وظهرت بين الفُرُش . وهل يملأ عيون
الأعداء ويرعب قلوب المخالفين ، ويَشُو صدور العوامِّ إفراط التعظيم إلاَّ تعظيم
شأن السلطان ، والزيادة فى الأقدار ، وإلاَّ الآلات . وهل دواؤهم إلاَّ فى التهويل
عليهم ؟ وهل تُصلحهم إلاَّ إخافتك إيتام ؟ وهل ينقادون لما فيه الحظُّ لهم
ويُسَلِّسون الطاعة التى فيها صلاحُ أمورهم إلاَّ بتدبير يجمع المهابة والمحبة^(٦) .

وكانت الشعراء تلبس الوشَى والمقطَّعات^(٧) والأردية الشُّود ، وكلَّ ثوبٍ
١٠ مشهَّر . وقد كان عندنا منذ نحو خمسين سنة شاعرٌ يتزيَّا بزى الماضين ، وكان
له بُرْدٌ أسود يلبسه فى الصَّيف والشتاء ، فهجاه بعض الطَّيِّاب من الشعراء^(٨)
فقال فى قصيدة له :

(١) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم .

(٢) يبدو أنه كساء يلتقى على الكتف . و « باز » بالفارسية بمعنى الكتف .

(٣) الجرز ، بضمة وبضمين : ضرب من السلاح ، وهو عمود من حديد ، كما فى
اللسان . وفى حواشى التيمورية : « آلة للضرب كالقرع من حديد » .

(٤) الجمة من شعر الرأس : ماسقط على المنكبين .

(٥) ماعدال : « فى الصيف والشتاء » .

(٦) ماعدال : « المحبة والمهابة » .

(٧) المقطعات من الثياب : شبه الجباب ونحوها من الخز ، وقيل كل ما يفصل ويخاط ،

من قميص وجباب وسراويلات .

(٨) الطيَّاب ، بالكسر : جمع طيب ، وهو الفكك الزاح . انظر الحيوان (٣ : ٢٧ / ٦ :

٤٣٩) . وجاء فى سيبويه (٢ : ٢١١ س ٤ — ٥) : « وقالوا طيب وطيَّاب ، وجيد

٢٥ وجياد ، كما قالوا جياع ونجار » . وأنشد فى اللسان (طيب) قول جندل بن الثنى :

* هزت براعيم طيَّاب البسر *

ثم قال : « لأنما جمع طيبا ، أو طيَّبا » .

بِعْ بُرْدَكَ الْأَسْوَدَ قَبْلَ الْبَرْدِ فِي قَرَّةٍ تَأْتِيكَ صَمًّا صَرْدٌ^(١)
وكان لجَرْبَانَ^(٢) قَمِيصٍ بَشَّارِ الْأَعْمَى وَجُبَّتُهُ لَبِنَتَانِ ، فَكَانَ إِذَا أَرَادَ نَزْعَ
شَيْءٍ مِنْهَا أَطْلَقَ الْأَزْرَارَ فَسَقَطَتِ الثِّيَابُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَمْ يَنْزِعْ قَمِيصَهُ مِنْ
جَهَةِ رَأْسِهِ قَطًّا .

وَقَدَوِيَّةُ^(٣) الْعَدَوِيُّ الشَّحَاجِيُّ^(٤) ، لَمْ يَلْبَسْ قَطًّا قَمِيصًا ، وَهُوَ الْيَوْمَ
حَيٌّ ، وَهُوَ شَيْخُهُمْ ، وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ^(٥) .

وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي الْجَوَادُ الْخَطِيبُ^(٦) ، لَمْ يَنْزِعْ قَمِيصَهُ قَطًّا . فَقَدَوِيَّةُ
الشَّحَاجِيُّ ضَدُّ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي الْأُمَوِيِّ . وَقَالَ الْخَطِيبَةُ :

سَعِيدُ فَلَا يَغْرُكَ قَلَّةُ لَحْمِهِ تَخَدَّدَ عَنْهُ اللَّحْمُ فَهُوَ صَلِيبٌ^(٧)
وَكَانَ شَدِيدَ السَّوَادِ نَحِيفًا .

وَمِنْ شَأْنِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنْ يُشِيرُوا بِأَيْدِيهِمْ وَأَعْنَاقِهِمْ وَحَوَاجِبِهِمْ . فَإِذَا أَشَارُوا
بِالْعَصَى فَكَأَنَّهُمْ قَدْ وَصَلُوا بِأَيْدِيهِمْ أَيْدِيًّا أُخْرَى . وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ
الْأَنْصَارِيِّ^(٨) * حَيْثُ يَقُولُ :

وَسَارَتْ لَهَا سَيَارَةٌ ذَاتُ سُودٍ بِكُومِ الْمَطَايَا وَالْخُيُولِ الْجَاهِرِ^(٩)

(١) الصماء : الشديدة . والصد : البرد والبارد . قال رؤبة :

* بِمَطَرٍ لَيْسَ بِشَلْجٍ صَرْدٌ *

(٢) الجربان : جيب القميص ، كما سبق في ص ١١٣ . واللينة : رقعة تعمل موضع

جيب القميص .

(٣) كذا ورد ضبطه في ل .

(٤) الشحاجي : نسبة إلى بني شحاج ، وهم بطنان في الأزدي ، كما في القاموس .

(٥) هذه الجملة من ل فقط .

(٦) ترجم في (٢ : ٢٩٥) .

(٧) ديوان الخطيب ٤٢ . وقد سبق البيت في (١ : ٣١٥) .

(٨) هو صفوان الأنصاري . انظر القصيدة في (١ : ٢٥ — ٢٦) . وقد سبقت

الآيات في (١ : ٣٧١) .

(٩) الكوم : جمع كوما ، وهي الناقة العالية السنام . والجاهر : جمع جهرة ، وهي

المجتمع الكثير . وفي (١ : ٣٧١) « ذات سورة » .

يؤمنون مُلْكَ الشامِ حتى تمكّنوا ملوكاً بأرض الشام فوق المنابر
يُصَيِّبُونَ فصلَ القولِ في كلِّ خطبة إذا وصلوا أيمانهم بالخصاصِ
وقال الكميّ بن زيد :

ونزور مسئلة المهذب بالموبدّة السوائز^(١)

بالمذهبات المعجبات تلمفح منّا وشاعراً

أهلُ التجاوبِ في المحامدِ فل والمقاولُ بالخصاصِ

وأيضاً إنَّ حَمْلَ العصا والخصرة دليلٌ على التأثُّب للخطبة ، والتهيؤ للإطناج والإطالة ، وذلك شيءٌ خاصٌّ في خطباء العرب ، ومقصودٌ عليهم ، ومنسوبٌ إليهم . حتى إنَّهم ليذهبون في حوائجهم والخصاص بأيديهم ، إلغاً لها ، وتوقّعاً لبعض ما يوجب حملها ، والإشارة بها .

وعلى ذلك المعنى أشار النّساء بالمآلى^(٢) وهُنَّ قيامٌ في المناجات ، وعلى ذلك المثالِ ضربَ بن الصّدور بالتعال .

وإنما يكون العجزُ والذّلة في دخول الخلّ والنقص على الجوارح ، وأما الزيادة فيها فالصوابُ فيه . وهل ذلك إلّا كتعظيم كور العامة^(٣) ، واتخاذ القضاة القلائس العظام في حمارة القيظ^(٤) ، واتخاذ الخلفاء العامم على القلائس . فإن كانت القلائس مكشوفةً زادوا في طولها وحِدّة رءوسها ، حتى تكون فوق قلائس جميع الأمة .

(١) سبق لإنشاد الأبيات في (١ : ٣٧١) .

(٢) المآلى : جمع مثلاة ، وهي خرقة تمسكها المرأة عند النوح .

(٣) كور العامة ، بفتح الكاف : كل دائرة من داراتها .

(٤) حمارة القيظ ، بتخفيف الميم وتشديد الراء : شدته .

وكذلك القناع ، لأنه أهيب . وعلى ذلك المعنى كان يتقنعُ العباس بن محمد^(١) وعبدُ الملك بن صالح^(٢) ، والعباس بن موسى^(٣) وأشباههم . وسليمان بن أبي جعفر^(٤) ، وعيسى بن جعفر^(٥) ، وإسحاق بن عيسى^(٦) ، ومحمد بن سليمان^(٧) ، ١٥٥ ثم الفضل بن الربيع ، والسندی بن شاهك وأشباههما من الموالى . لأن ذلك أهيبُ في الصدور ، وأجلُّ في العيون .

والمقنع^(٨) أروعُ من الحاسر ، لأنه إذا لم يفارقه الحجاب وإن كان ظاهراً في الطريق^(٩) كان أشبهَ بمباينة العوام وسياسة الرعية .

وطرح القناع مُلابسةً وابتذالاً ، وموانسةً ومقاربةً . والدليل على صواب هذا العمل من بنى هاشم ، ومن صنائعهم ورجال دعوتهم ، وأنهم قد علموا حاجة الناس إلى أن يهابوهم ، وأن ذلك هو صلاح شأنهم — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أكثرَ الناس قناعاً .

(١) هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو أخو أبي العباس السفاح . ولى الجزيرة لأبي جعفر ثم الرشيد ، وكان الرشيد يحمله لإجلالاً عظيماً . وكان على المهمة ، قال رجل له : إني أتيتك في حاجة صغيرة . قال : فاطلب لها رجلاً صغيراً . توفي سنة ١٨٦ . المعارف ١٦٤ وتاريخ بغداد ٦٥٨٠ . وفيه يقول القائل .

لو قيل للعباس يا ابن محمد قل لا وأنت مخلد ما قالها
(٢) ترجم في (١ : ٣٣٤) .

(٣) هو العباس بن موسى الهادي ، ذكره الطبري في أولاد موسى الهادي (٣٨ : ١٠) .
(٤) هو سليمان بن أبي جعفر المنصور ، ذكره الطبري في أولاد المنصور (٩ : ٣١٨)
وأمة فاطمة بنت محمد ، من ولد طلحة بن عبد الله . ٢٠

(٥) هو عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، ولى البصرة وكورها وفارس والأهواز واليمامة والسند . ومات بدير بين بغداد وحلوات سنة ١٨١ . المعارف ١٦٣ — ١٦٤ وتاريخ بغداد ٥٨٤٦ . وقد ورد الاسم محرفاً في الأخير ؛ إذ ليس لأبي جعفر ولد يدعى « عيسى » بل والد عيسى هو جعفر بن أبي جعفر .

(٦) يبدو أنه ولد عيسى بن جعفر . انظر الحيوان (٣ : ٣١ : ٤ / ٤٢٣) . ٢٥

(٧) ترجم في (١ : ٢٩٥) .

(٨) ما عدال : « والمقنع » .

(٩) ما عدال : « في الطرق » .

والدليل على أن ذلك قد كان شائناً في الأسلاف المتبوعين ، أننا نجد رؤساء جميع أهل الملل ، وأرباب الفحل ، على ذلك . ولذلك اتخذوا في الحروب الرايات والأعلام ، وإنما ذلك كله خرق سود وحر وصفر وبيض . وجعلوا اللواء علامةً للعقد^(١) ، والعلم في الحرب مرجعاً لصاحب الجولة . وقد علموا أنها وإن كانت خرقاً على عصي أن ذلك أهيب في القلوب وأهول في الصدور ، وأعظم في العيون . ولذلك أجمعت الأمم رجالها ونساؤها على إطالة الشعور ؛ لأن ذا الجمة أضخم هامةً وأطول قامة ، وأن الكاسي أخف من العاري . ولولا أن خلق الرأس طاعةً وعبادةً ، وتواضعً وخضوعاً ، وكذلك السعي أورمى الجمار ، لما فعلوا ذلك .

وفي الحديث أنه لا يفتح عمورية^(٢) إلا رجال ثيابهم ثياب الرهبان ، وشعورهم شعور النساء .

وكل ما زادوه في الأبدان ، ووصلوه بالجوارح ، فهو زيادة في تعظيم تلك الأبدان .

والعصى والمخاصر مع الذي عدّناه ، ومع ذلك الذي ذكرناه وزيد ذكره^(٣) من خصال منافعها ، كله باب واحد .

والمعنى قد يوقع بالقضيب على أوزان الأغاني ، والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه . ففرّقوا ضروب الحركات على ضروب الألفاظ وضروب المعاني . ولو قبضت يده ومنع حركة رأسه ، لذهب ثلثا كلامه .

وقال عبد الملك بن مروان : لو أقيمت الخيزرانة من يدي لذهب شطر كلامي .

(١) لعله يعني عقد العدد . انظر ما مضى في (١ : ٧٦) .
(٢) سمورية من بلاد الروم ، فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ .
(٣) ما عدل : « وتزيد ذكره » .

وأراد معاوية سحبان وائل على الكلام ، وكان قد اقتضبه اقتضاباً^(١) ،
فلم ينطق حتى أتوه بمخصرة ، فرطلها بيده^(٢) فلم تعجبه حتى أتوه بمخصرة^(٣)
من بيته .

والمثل المضروب بعصا الأعرج ، يقولون : « أقرب من عصا الأعرج »
ويضربون المثل بعصا النهدي . قال علقمة بن عبدة في صفة فرس أنثى :
سلاءة كعصا النهدي غل لها منظم من نوى قرآن معجوم^(٤)
ويضربون المثل برُميح أبي سعد . وكان أبو سعد أعرج ، وقد وفد في عاد^(٥) .
قال ذو الإصبع العدواني :

إن تكن شكتي رُميح أبي سعد يد فقد أحمل السلاح معاً^(٦)

١٠ (١) اقتضب الكلام : ارتجله وتكلم به من غير تهينة .
(٢) رطل الشيء : رازه ووزنه ليعلم كم وزنه .
(٣) ما عدال : « بمخصرته » .

(٤) البيت في ديوانه ١٣١ والحيوان (٢ : ٢٣٦) والمفضليات (٢ : ٢٠٤) واللسان
(سلاءة غلل ، فياً ، قرر ، عجم) . السلاءة : شوكة النخل ، شبه فرسه بها لإرهاق صدرها
وتعام عجزها . النهدي ، أراد شيخاً من نهد قد كبر وطال وعمره وإملاست عصاه . غل :
أدخل . أراد أدخل لها في باطن الحافر في موضع الفسور . وشبه الفسور بنوى قرآن لأنها
صلاب . أو عني أنه أدخل جوفها نوى من نوى نخيل قرآن حتى اشتد لحمها . وقرآن : قرية
باليامامة . معجوم : معضوض ملوك لم يطبخ فيلين . ورواية « فنظم » واردة في اللسان (غلل) .
(٥) كان القحط قد توالى ثلاث سنين على عاد ، وكان القوم إذا جهدهم القحط فزعوا
إلى البيت الحرام يستسقون الغيث ، فخرجت عاد إلى البيت يستسقون ، فاخترأوا سبعين رجلاً
على رأسهم أربعة منهم ، وهم قيل بن عتر ، ولقمان بن عاد صاحب الفسور ، وأبو سعد مرشد
ابن سعد وهو خيرهم وأعظمهم إيماناً ، وجلهمة بن الخبيري . وقال جلهمة في أبي سعد :
أبا سعد كأنك من قبيل سوى عاد وأمك من ثمود
انظر أخبار عبيد بن شربة ٣٢٧ — ٣٣٤ .

٢٥ (٦) البيت من قصيدة في المفضليات (١ : ١٥١ — ١٥٣) . وقيل أبو سعد هو لقمان
الحكيم ، كبر حتى مشى على عصا . وقيل لقمان بن لقمان ، وقيل أنه سكران . شرح
المفضليات واللسان (رمح) .

وقال عباس بن مرداس :

جَزَى الله خيراً خَيْرَنَا لصديقه وزوده زاداً كزادِ أبي سعدِ
وزوده صدقاً وِيراً وناثلاً وما كان في تلك الوفاة من حمدِ

وقال الآخر :

٥ فآبَ بِمَجْدَى زاملٍ وابنِ زاملٍ عدوُّك ، أو جَدْوَى كليبِ بنِ وائلٍ
ويقولون : « لو كان في العصا سِر » . ويقولون : « ما هو إلا أبنَةُ عصا ،
وعُقْدَةُ رِشاء ^(١) » . ويقولون : أخرج عودَه كمصا البَقَّار ^(٢) ، وأخرج أيضاً
عودَه كمصا الحادِي .

وكان أبو العتاهية أهدى إلى أمير المؤمنين المأمونِ عصا تَبْعٍ ، وعصا شريان ،
وعصا آبنوس ^(٣) ، وعصا أخرى كريمة العيدان ، شريفة الأغصان ، وأردية
١٠ قَطْرِيَّة ^(٤) ، وركاء يمانِيَّة ^(٥) ، ونعلاً سَبْتِيَّة ^(٦) ، فقبل من ذلك عصاً واحدة
وردَّ الباقي .

١٥٧ وبعث إليه مرّةً أخرى بنعلٍ وكتب إليه في ذلك :

نعل بعثتُ بها لتلبسها تسعى بها قدم إلى المجدِ

١٥ (١) انظر ما سبق في ٥١ — ٥٢ .

(٢) هذا يصحح ما سبق في ١٢ س ٥ و ٥١ س ١٤ .

(٣) انظر ما سبق في حواشي ص ٩٢ .

(٤) الثياب القطرية حمراء أعلام فيها الخشونة . وفي معجم البلدان : « قال أبو منصور :
في أعراض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لها قطر ، وأحسب الثياب
القطرية تنسب لآلِها » .

٢٠ (٥) الركاء : جمع ركوة ، وهو بتليث الراء : زق صغير . ويقال يمان ويماني
بتشديد الياء .

(٦) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ بالقرط .

لو كنت أقدر أن أشركها خدي جعلتُ شراكها خدي^(١)
فقبلها^(٢).

الكلبي عن أبي صالح^(٣)، عن ابن عباس، أن الشجرة التي نودي منها
موسى عليه السلام عوسج، وأنه نودي من جوف العوسج، وأن عصاه كانت
من آس الجنة، وأنها كانت من العود الذي في وسط الورقة، وكان طولها طول
موسى عليه السلام. وقالوا: من العليق.

وقال الآخر:

صفراء من تبع كلون الورس أبدوها بالدهن قبل نفسي
وأشد الأصمى عن بعض الأعراب:

ألا قالت الخنساء يوم لقيتها ١٠
كبرت ولم تجزع من الشيب مجزعا
رأت ذا عصا يمشي عليها وشيبة
تقنع منها رأسه ما تقنعا
فقلت لها لا تهزئي بي فقلما
يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا
وللقارح اليعسوب خير علالة
من الجذع المجري وأبعد منزعا^(٤)
وقال إسحاق بن سويد^(٥):

١٥ (١) شرك النعل: جعل لها شراكا، وهو أحد سيور النعل التي تكون على وجهها.
وتعدية هذا الفعل إلى اثنين ليست مروية. على أن رواية الأغاني لا شوب فيها، وهي: «لو كان
يصلح أن أشركها خدي»، أي لو كان يصلح خدي لتشريكها.
(٢) الخبر برواية أخرى في الأغاني (٣: ١٦٠) حيث ذكر أن هدية النعل كانت إلى
الفضل بن الربيع.

٢٠ (٣) أبو صالح ذكر أن السمان، سبقت ترجمته في (١: ٤٠٣)
(٤) القارح: الفرس في سفته الخامسة. واليعسوب: الطويل السريع. والعلاة،
بالضم: الجري الثاني، ويقال للجري الأول بداهة. والجذع من الخيل: ما استتم سنتين ودخل
في الثالثة.

(٥) هو إسحاق بن سويد بن هيرة العدوي التميمي البصري. كان ثقة فاضلا يقول
الشعر. توفي في الطاعون في أول خلافة أبي العباس سنة ١٣١. تهذيب التهذيب. ٢٥

في رداء النبي أقوى دليل ثم في القعب والعصا والقضيب^(١)
وقال أبو الشَّيْص الأعمى^(٢) في هارون الرشيد :

يا بني هاشم أفيقوا فإن الـ مُلْكَ منكم حيث العصا والرداء
ما لهارون في قریش كفيّ وقریش ليست لهم أكفاء

١٥٨ * وقال آخر :

على خشبات الملك منه مهابة وفي الحرب عبل الساعدين قرؤع
يشق الوغى عن رأسه فضل نجدة وأبيض من ماء الحديد وقيع^(٣)
ومما يجوز في العصا قول أبي الشَّيْص :

أنعى فتى الجود إلى الجود ما مثل من أنعى بموجود
أنعى فتى مص الثرى بعده بقيّة الماء من العود^(٤)

ومن هذا الباب قول عبد الله بن جُدعان :

- (١) ما عدال : « في القعب » تحريف . والقعب : قدح إلى الصغر يروى الرجل .
(٢) هو محمد بن رزين وفي نكت الهميان وتاريخ بغداد : محمد بن عبد الله بن رزين .
وأبو الشَّيْص لقب غلب عليه ، والشَّيْص : رديء الثمر . وهو عم دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ،
أو ابن عمه ، على الخلاف السابق . وقد صحح الخطيب أنه ابن عمه . وعمى أبو الشَّيْص في آخر
عمره ، وله مرثا في عينيه قبل ذهابهما وبمده . وكان أحد شعراء الرشيد معاصراً لأبي نواس
ومسلم بن الوليد فأخلا ذكره . الأغاني (١٥ : ١٠٤ — ١٠٨) والشعر والشعراء ، ونكت
الهميان ٢٥٧ ومعامد التنقيص (٢ : ١٤٢) وتاريخ بغداد ٢٩١٨ . والبيتان التاليان في
الشعر والشعراء
(٣) أى إن سيفه في الحرب يكشف عن نجدة . الأبيض : السيف . من ماء الحديد ،
وصف الأبيض ، كما في الخزانة (٣ : ٤٨٥) وأمالى المرتضى (١ : ٦٤) والإيضاف ٩٨ .
ومثله قول الآخر :

- وأبيض من ماء الحديد كأنه شهاب بدا والليل داج عساكره
الخزانة (٣ : ٤٨٥) . وقول زيد الخيل :
ولما دعاني الخيري أجبتّه بأبيض من ماء الحديد صقيل
حماسة البحرى ٥٨ . وقول أبي الأبيض العبسي :
ومال مال غير درع ومفقر وأبيض من ماء الحديد صقيل
بلوغ الأرب (١ : ١١٣) . والوقيع : المشحوذ المحدد .

(٤) في الشعر والشعراء ٥٦٣ — ٥٦٤ أن الشعر لأشجع السامى في رثاء محمد بن

زياد . وقد روى منه سبعة أبيات .

فلم أرَ مثلهم حَيِّينَ أبقي على الحدَثانِ إن طرقتُ طُرُوقاً^(١)
وأضربَ عند ضَنكِ الأمرِ منهم وأسلكهم لأخزَنِهِ طَرِيقاً^(٢)
شريتُ صلاحهم بتلادٍ مالى فعاد الفصنُ معتدلاً وريقاً^(٣)
ويقولون للرجُل إذا أترى وأفاد وكثرت نعمته : « ضَعْ عصاك » ، و « قد
وضع عصاه » .

وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل^(٤) :
وَنَجْرُ الأذْيَالِ فِي نِعْمَةٍ زَوْ لٍ تَقُولَانِ ضَعْ عَصَاكَ لَدَهْرٍ^(٥)
ويقولون للمستوطن في البلد والمستطيب المكان : « قد ألقى عصاه » .
وقال زهير بن أبي سلمى :
فلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقًا جَمَاهُ وَضَعْنَ عَصَى الحَاضِرِ المَبْخِمْ^(٦) ١٠

انقضى الكلام في العصا^(٧)

(١) الحدَثانِ ، بالتجريك : نوب الدهر وحوادثه ، ولفظه مذكر . قال الأزهري :
وربما أثنت العرب الحدَثانِ ، يذهبون به إلى الحوادث . وقال القراء : تقول العرب : أهلسكتنا
الحدَثانِ . وأخطأ صاحب القاموس في ضبطه بالكسر . طروقا ، أى بليل ؛ يقال أنا فلان
طروقا ، إذا جاء بليل . ١٥

(٢) أحزنه ، أى أشده حزونة وخشونة .

(٣) التلاد والتلبد : القديم الذى ولد عندك .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ٢٣٥) .

(٥) الزول : العجب . وقد سبق البيت في (١ : ٢٣٥) مع تخريج مقطوعته .

(٦) البيت من معلقته المشهورة والجما : جمع جم ، وهو معظم الماء . والحاضر :
المقيم على الماء . ٢٠

(٧) هذه العبارة في ل فقط .

كتاب الزهد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

١٥٩

نبدأ على اسم الله وعونه^(١) بشيء من كلام النَّسَّاك في الزُّهد ، وبشيء من ذِكْر أخلاقهم ومواعظهم .

عوف^(٢) ، عن الحسن قال : « لا تزول قدما ابن آدم حتى يُسأل عن ثلاث : شبابه فيما^(٣) أبلاه ، وعمره فيما أفناه ، وماله من أين كسبه ، وفيما أنفقه .
قالوا : وقال يونس بن عبيد^(٤) : سمعت ثلاث كلمات لم أسمع بأعجب منهن :
قول حسان بن أبي سنان^(٥) : ماشيء أهون من ورع ، إذا رابك شيء فدعه .
وقول ابن سيرين : ما حسدت أحداً على شيء قط . وقول مورك العجلي^(٦) :
لقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة ، ما قضاها ولا يؤت منها . فقل لمورك :
ما هي ؟ قال : ترك ما لا يعنيني^(٧) .

(١) ما عدال : « باسم الله وعونه » .

(٢) هو عوف بن أبي جميلة البصري المترجم في (٢ : ٣٧) .

(٣) ما عدال : « فيم » في المواضع الثلاثة . وهي اللغة الغالبة . وبغيرها قرأ عكرمة وعيسى : (عما يتساءلون) . وقال حسان :

١٥

على ما قام يشتمني لثيم
تخنزير تمرغ في رماد

الغنى والحزاة (٢ : ٥٣٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (٢ : ٢٢٠) .

(٥) هو حسان بن أبي سنان البصري ، كان صدوقاً عابداً ، ترجم له في تهذيب التهذيب .

وانظر صفة الصفوة (٣ : ٢٥٤ — ٢٥٧) . والخبر في تهذيب التهذيب ومجالس نعلب
٢٠ ٣١٢ ، ٤٧٨ وصفة الصفوة (٣ : ١٧٤) . على أن هذا القول روى في عيون الأخبار

(٢ : ٣٧٤) منسوباً إلى ابن سيرين .

(٦) ترجم في (١ : ٣٥٣) .

(٧) في صفة الصفوة : « أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ، ولست

٢٥

بتارك طلبه أبداً . قالوا : وما هو يا أبا المعتمر ؟ قال : الصمت عما لا يعنيني » .

وقال أبو حازم الأعرج^(١) : إن عوفينا من شر ما أعطينا لم يضرنا ما زوى عنا^(٢) .

وقال أبو عبد الحميد^(٣) : لم أسمع أعجب من قول عمر : « لو أن الصبر والشكر يعيران ما باليت أيهما أركب^(٤) » .

وقال ابن ضبارة : إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله .

وقال زياد^(٥) عبد [عبد الله بن^(٦)] عياش بن أبي ربيعة : أنا من أن أمنع الدعاء أخوف من أن أمنع الإجابة^(٧) .

وقال له عمر بن عبد العزيز : يا زياد ، إن أخاف الله مما دخلت فيه . قال : لست أخاف عليك أن تخاف ، وإنما أخاف عليك ألا تخاف .

وقال بعض النساك : كفى موعظة أنك لا تموت إلا بجياة ، ولا تحيا إلا بموت .

وهو الذي قال : اصحب من ينسى معروفه عندك .

(١) ترجم في (١ : ٣٦٤) .

(٢) في صفة الصفوة (٢ : ٨٩) . « إن وقينا شر ما أعطينا لم نبال ما فاتنا » .

(٣) يبدو أنه أحد القصاص الزهاد . وقد أورد له في الحيوان (٦ : ٥٠٨) خبراً في أثناء أخبار بعض الزهاد . قال : « وكان أبو عبد الحميد المكفوف يتمثل في قصصه بقوله : يا راقد الليل مسروراً بأوله إن الحوادث قد يطرغن أسحارا » .

(٤) ما عدال : « أيهما ركبت » .

(٥) هو زياد بن أبي زياد ميسرة المخزومي المدني ، مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة .

كان من العباد الزهاد ، ويقال إنه كان من الأبدال — والأبدال فيما يزعمون سبعون رجلاً أربعون بالشام وثلاثون بغيرها لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس ، ككافي القاموس (بدل) — وكان عمر بن عبد العزيز يحله ويكرمه . وبعث إلى مولاه ليبيعه إياه ، فأبى وأعتقه . توفي سنة ١٣٥ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٥٩) .

(٦) التكملة من المرجعين السابقين .

(٧) روى هذا القول في عيون الأخبار (٢ : ٢٨٦) منسوباً إلى أبي حازم .

وهو الذي قال : « لا تجعل بينك وبين الله مَنعاً ، وعدَّ النعم منه عليك مغرمًا » .

ودخل سالم بن عبد الله^(١) ، مع هشام بن عبد الملك البيت ، فقال له هشام : سألني حاجتك . فقال : أكره أن أسأل في بيت الله غير الله .

وقيل لرابعة القيسية^(٢) : لو كلمت^(٣) رجالَ عشيرتك فاشترؤا لك خادمًا . تكفيك مهنة بيتك^(٤) ؟ قالت : « والله إنني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا فكيف أسألهما من لا يملكها ١٦٠ »

وقال بعضُ النساك : ديارُكم أمامكم ، وحياتُكم بعد موتكم .
وقال السَّمَوَال بن عاديّ اليهودي :

ميتًا خلقت ولم أكن من قبلها شيئًا يموت فمت حين حييت^{١٠}
وقال أبو الدرداء : « كان الناس ورَقًا لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورق فيه^(٥) » .

الحسن بن دينار قال : رأى الحسن رجلاً يَكِيدُ بنفسه^(٦) ، فقال : « إن امرأً هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله ، وأن امرأً هذا أوله لجدير أن يُخاف آخره » .^{١٥}

قال أبو حازم^(٧) : الدنيا غرَّت أقوامًا فعملوا فيها بغير الحق ، فلما جاءهم الموت خلفوا ما لهم^(٨) لمن لا يحمدهم ، وصاروا إلى من لا يعذرهم . وقد خلفنا

(١) سالم بن عبد الله بن عمر ، ترجم في (٢ : ٢٩١) .

(٢) رابعة القيسية العدوية ، ترجمت في (١ : ٣٦٤) .

(٣) ما عدال : « لو كلمنا » .

(٤) المهنة ، بالفتح والكسر والتعريك وكلمة : العمل والحذق به .

(٥) مثله ما روى عنه في عيون الأخبار (٢ : ١) : « وجدت الناس أخبر نقله »

(٦) يكيد بنفسه : يجود بها عند الاحتضار .

(٧) أبو حازم الأعرج ، سبقت ترجمته في (١ : ٣٦٤) .

(٨) ما عدال : « ففاجأهم الموت فخلفوا ما لهم » .

بَعْدَم ، فينبغي لنا أن ننظرَ إلى الذي كَرِهناه منهم أن نجتنبه^(١) ، وإلى الذي غَبَطْنَاهُمْ به أن نستعمله^(٢) .

موسى بن داود^(٣) ، رفع الحديث قال : « النَّظَرُ إِلَى خَمْسَةِ عِبَادَةٍ : النَّظَرُ إِلَى الْوَالِدَيْنِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْبَحْرِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَصْحَفِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الصَّخْرَةِ^(٤) ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْبَيْتِ » .

عبد الله بن شدَّاد^(٥) ، قال : « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدْ بَرِيَ مِنَ الْكِبَرِ : مَنْ اعْتَقَلَ الْبَعِيرَ^(٦) ، وَرَكَبَ الْحِمَارَ ، وَابَسَ الصُّوفَ ، وَأَجَابَ دَعْوَةَ الرَّجُلِ الدُّونَ » .

وَذُكِرَ عِنْدَ أَنَسٍ الصَّوْمُ قُتِلَ : « ثَلَاثٌ مِنْ أَطَاقِهِنَّ فَقَدْ ضَبِطَ أَمْرَهُ : مَنْ تَسَحَّرَ ، وَمَنْ قَالَ^(٧) ، وَمَنْ أَكَلَ قَبْلَ أَنْ يَشْرَبَ » .

(١) ما عدال : « فنجتنبه » .

(٢) ما عدال : « فنستعمله » .

(٣) هو موسى بن داود الضبي ، كان ثقة صاحب حديث ، ولى قضاء المصيصة ثم طرسوس ، ومات بها سنة ٢١٧ . ذكر الجاحظ أنه كان فصيحاً خطيباً فاضلاً . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٦٩٩٠ .

(٤) هي صخرة بيت المقدس ، بها أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم . معجم البلدان (المقدس) .

(٥) ترجم في (٢ : ١١٣) .

(٦) البعير : الجمل البازل ، وهو الذى استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة ، وقيل هو الجذع ، وهو الذى استكمل الرابعة ودخل فى الخامسة . قال الجوهرى : « يقال للجمال بعير وللناقة بعير » . والمراد هنا الناقة . وفى حديث عمر : « من اعتقل الشاة وحلبها وأكل مع أهله فقد برى من الكبر » . اعتقل شاته : وضع رجلها بين ساقه وفخذيه فحلبها . وهذا غير متصور فى الناقة . فالمراد بالاعتقال هنا اعتقال الرجل « وهو أن يثنى الراكب رجله فيضعها على المورك . وفى هامش التيمورية إشارة إلى أنها فى نسخة : « اكتفل » . اكتفل البعير ، إذا أدار على سنامه ، أو على موضع من ظهره كساء وركب عليه .

(٧) قال من القيلولة ، وهى النوم فى القائلة ، أى الظهيرة . والمراد إفاقة هذه الأمور مع حال الصوم .

وقال أبو سعيد ، عبد الكريم العقابي^(١) : من أخر السَّحُور وقَدَّمَ الفَطور ،
وأكل قبل أن يشرب ، وشرب ثم لم يأكل ، فقد ضبط أمره^(٢) .
وقال الجَمَّاز^(٣) : ليس يقوى على الصَّوم إلا مَنْ كَبَّرَ لقمه ، وأطاب
أذمه^(٤) .

مجالد بن سعيد^(٥) ، عن الشعبي ، قال : حدَّثني مُرَّةُ الهمداني^(٦) — قال
مجالد : وقد رأيته — وحدَّثنا إسماعيل بن أبي خالد^(٧) أنه لم يرَ مثل مُرَّةٍ قطَّ ؛
كان يصلي في اليوم واللييلة خمسمائة ركعة .

١٦١ وكان مُرَّةٌ يقول : لما قُتِلَ عثمان رحمه الله : حدَّثُ الله ألا أكونَ دخلتُ في
شيءٍ من قَتَلِهِ ، فصلَّيت مائة ركعة . فلَمَّا وقع الجَلُّ وصِفِّين حدَّثُ الله ألا أكون
دخلتُ في شيءٍ من تلك الحروب ، وزدت مائة ركعة . فلَمَّا كانت وقعةُ النِّهروان^(٨) ١٠

(١) العقابي : نسبة إلى عقابة ، بالضم ، وهم بطن من حضرموت . السمعاني ٣٩٤ .
وفي التيمورية : « الفقاري » . وهذا الإسناد وما بعده من الكلام إلى « يشرب » ساقط
من ب ، ح .

(٢) في التيمورية : « ضبط أمره نفسه » بدون حرف نسق .

(٣) الجَمَّاز ، لقب له ، ومعناه الوثاب . واسمه محمد بن عمرو بن عطاء بن ريسان . شاعر
أديب بصرى ، وكان ماجناً خبيث اللسان ذا نادرة ، وكان أكبر سنّاً من أبي نواس . دخل بغداد
في أيام الرشيد والمتوكل ، وقد أعجب به المتوكل يوماً فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخذها وانحدر
فمات فرحاً بها . تاريخ بغداد ١١٤٣ .

(٤) ما عدال : « كثر لقمه » . واللقم « بالفتح : سرعة الأكل ، وبضم ففتح : جمع
لقمة . والأدم ، بالضم : الإدام ، وهو ما يؤكل بالخبز .

(٥) ترجم في (١ : ٢٤٢) .

(٦) هو ممرّة بن شراحيل الهمداني السكسكي ، المعروف بمرة الخير ، وممرّة الطيب ،
لقب بذلك لعبادته . روى عن أبي بكر وعمر وعلي ، وتوفي سنة ٧٦ . تهذيب التهذيب وصفة
الصفوة (٣ : ١٧) .

(٧) هو إسماعيل بن أبي خالد البجلي الأحمسي ، كوفي عابد ثقة . وكان يسمى « الميزان » ،
وكان طحاناً . توفي سنة ١٤٦ . تهذيب التهذيب والخلاصة ٢٨ .

(٨) النهروان ، بفتح النون . قال ياقوت : وأكثر ما يجري على الألسنة بكسر النون .

حَدَّثَ اللَّهُ إِذْ لَمْ أَشْهَدْهَا ، وَزَدَتْ مِائَةَ رَكْعَةٍ ، فَلَمَّا كَانَتْ فَتْنَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ حَدَّثَ
اللَّهُ إِذْ لَمْ أَشْهَدْهَا ، وَزَدَتْ مِائَةَ رَكْعَةٍ .

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لِمُرَّةٍ . عَلَى أَنَا لَا نَعْرِفُ لِبَعْضٍ مَا قَالَ وَجْهًا ؛ لِأَنَّكَ
لَا تَعْرِفُ فَقِيهًا مِنْ أَهْلِ الْجَمَاعَةِ لَا يَسْتَحِلُّ قِتَالَ الْخَوَارِجِ ، كَمَا أَنَا لَا نَعْرِفُ
أَحَدًا مِنْهُمْ لَا يَسْتَحِلُّ قِتَالَ اللَّصُوصِ . وَهَذَا ابْنُ عُمَرَ ^(١) ، وَهُوَ رِئِيسُ الْحِلْسِيَّةِ ^(٢)
بِرِجَالِهِمْ ، قَدْ لَبَسَ السِّلَاحَ لِقِتَالِ نَجْدَةٍ ^(٣) .

وَقِيلَ لَشَرِيحٍ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَلَّمَكَ مِنَ الْقِتَالِ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْفِتَنِ .
قَالَ : كَيْفَ أَصْنَعُ بِقَلْبِي رَهَوَايَ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : قَتَلَ النَّاقَةَ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَمَّ الْقَوْمَ بِالْعَذَابِ ،
لِأَنَّهُمْ عَمَّوهُ بِالرِّضَا ^(٤) . ١٠

وَسُئِلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ قَتْلَةِ عُثْمَانَ وَخَاذِلِيهِ وَنَاصِرِيهِ فَقَالَ : تِلْكَ
دِمَاءُ كَفَّ اللَّهُ يَدَيَّ عَنْهَا ، فَأَنَا لَا أَحِبُّ أَنْ أُغَسَّ لِسَانِي فِيهَا .

(١) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ . انْظُرْ أَيْضًا تَهْدِيدَهُ لِمَصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي الطَّبَرِيِّ (٧ : ١٥٨) .
(٢) الْحِلْسِيَّةُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ فَلَانِ حِلْسٍ بَيْتُهُ ، أَيْ لَا يَبْرَحُهُ . وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْقَاعِدُونَ الَّذِينَ
لَا يَنْفِرُونَ إِلَى الْقِتَالِ . ل : « الْجِلْسِيَّةُ » تَحْرِيفٌ . وَفِي حَوَاشِي التَّيْمُورِيَّةِ : « فِي بَعْضِ الْكُتُبِ
يُقَالُ فَلَانِ حِلْسٍ بَيْتُهُ ، أَيْ مَلَاظِمُهُ » . ١٥

(٣) هُوَ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ — وَقِيلَ عَامِرٌ — الْحَنْظَلِيُّ ، كَانَ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، ثُمَّ
فَارَقَهُ هُوَ وَنَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَصَارَ نَافِعٌ إِلَى الْبَصْرَةِ وَنَجْدَةُ إِلَى الْيَمَامَةِ ، وَذَلِكَ فِي
سَنَةِ ٦٤ هـ . الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ (١ : ١٦٥) وَالتَّبَرِيُّ (٧ : ٥٦ — ٥٧) . ثُمَّ صَارَ إِلَى الطَّائِفِ
فَوَجَدَ ابْنَتَهُ لِعَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ قَدْ وَقَعَتْ فِي السَّبْيِ فَاشْتَرَاهَا مِنْ مَالِهِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَبَعَثَ
بِهَا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ وَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ بِخَيْلٍ بَعْدَ خَيْلٍ فَهَزَمَهُمْ .
وَقَدْ ظَلَّ خَمْسَ سِنِينَ هُوَ وَعَمَلُهُ بِالْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَامَةِ وَعُمَانٍ وَهَجَرَ وَالْعَرَضَ ، فَلَمَّا تَقَمَّتْ عَلَيْهِ
الْخَوَارِجُ خَلَعُوهُ — وَكَانَ يُسَمَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — وَأَقَامُوا أَبَا فَدْيِكَ الْمُرْتَجِمَ فِي (٢ : ٢٠٤)
وَذَلِكَ سَنَةِ ٧٢ هـ . الطَّبَرِيُّ (٧ : ١٩٤) . فَغَلَبَ أَبُو فَدْيِكَ عَلَى الْبَحْرَيْنِ وَقَتَلَ نَجْدَةَ فِي تِلْكَ
السَّنَةِ . وَإِلَيْهِ تَنَسَّبَ فِرْقَةُ النُّجَدَاتِ . انْظُرْ آرَاءَهُمْ فِي الْمَلَلِ ، وَالْفُرُقَ بَيْنَ الْفُرُقِ ٦٧
وَالْمَوَاقِفِ ٦٢٩ . ٢٥

(٤) أَيْ بِالرِّضَا عَنْ قِتَالِ النَّاقَةِ وَعَدَمِ اسْتِنْكَارِهِمْ لِذَلِكَ .

ودخل أبو الدرداء على^(١) رجل يعودده ، فقال له : كيف تجدك ؟ قال :
أفرق من الموت . قال : فمن أصبت الخير كله ؟ قال : من الله . قال : فلم
تفرق ممن لم تصب الخير كله إلا منه ؟ !

ولما قذف إبراهيم عليه السلام في النار قال له جبريل عليه السلام : ألك
حاجة يا خليل الله ؟ قال : أمّا إليك فلا .

قال : ورأى بعضُ النّسك صدقاً له من النّسك مهنوماً ، فسأله عن حاله
ذلك ، فقال : كان عندي يتيماً أحسبُ فيه الأجر ، فمات . قال : فاطلب يتيماً
غيره فإن ذلك لا يُعديمك إن شاء الله^(٢) . قال : أخاف أن لا أصيب يتيماً في سوء
خلقه . [فقال : أما إنى لو كنت مكانك لم أذكره سوء خلقه] .

قال : ودخل بعضُ النّسك على صاحبٍ له وهو يكيّد بنفسه ، فقال له :
طِبْ نفساً فإنّك تلقى ربّاً رحيماً . قال : أمّا ذنوبي فإني أرجو أن يغفرها الله لي ،
وليس اغتنامي إلا لمن أدع من بناتي . قال له صاحبه : الذي ترجوه لمغفرة ذنوبك
١٦٢ فارجه * لحفظ بناتك .

قال : وكان مالك بن دينار يقول : لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا الكلام .

وقال يونس بن عُبيد : لو أمرنا بالجزع لصبرنا^(٣) .

وكان يقول : كسبت في هذه السوق ستين ألف درهم ، ما منها درهم^(٤)
إلا وأنا أخاف أن أسأل عنه .

قال : وسمع عمرو بن عُبيد ، عبد الرحيم بن صدّيقة^(٥) يقول : قال الخطيئة :

(١) الكلام بعده إلى كلمة « وكان إذا قرى » في ص ١٣٤ ، ساقط من التيمورية .

(٢) يقال : أعدمني الشيء ، إذا لم أجده .

(٣) وكذا في عيون الأخبار (٢ : ٢) . وفي الحيوان (١ : ١٦٧) : « لو أخذنا » .

(٤) ما عدال : « ما فيها درهم »

(٥) ب ، ج : « عبد الرحمن بن حذيفة » .

إنما أنا حَسَبُ موضوع : فقال عمرو : كَذَبَ تَرَّحَهُ اللهُ^(١) ، ذلك التَّقْوَى .
وقال أبو الدَّرْدَاءِ : نعم صومعةُ المؤمن منزلٌ يَكْفُفُ فيه نفسه وبصره وفرجه .
وإِنَّا كَمُ والجلوسَ في هذه الأسواق ، فإنها تُلغِي وتُلْهِى^(٢) .

وقال الحسن^(٣) : يا ابن آدم ، بَعْدَ دُنْيَاكَ بآخِرَتِكَ تَرْجَحُهُمَا جَمِيعاً ، ولا تَبِعْ
آخِرَتِكَ بِدُنْيَاكَ فَمُخْسِرَهما جَمِيعاً . يا ابن آدم ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ فِي الْخَيْرِ فَنَافِسُهُمْ
فِيهِ ، وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ فِي الشَّرِّ فَلَا تَغْبِطَهُمْ بِهِ . الشَّوَاءُ هَاهُنَا قَلِيلٌ ، وَالْبَقَاءُ هُنَاكَ
طَوِيلٌ . أَمُتُّكُمْ آخِرَ الْأَمَمِ وَأَنْتُمْ آخِرُ أَمَّتِكُمْ ، وَقَدْ أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ ؟
الْمَعَايِنَةُ ؟ فَكَأَن قَدْ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ، ذَهَبَتِ الدُّنْيَا بِحَالِهَا^(٤) ، وَبَقِيَتِ الْأَعْمَالُ
قَلَانِدٌ فِي أَعْنَاقِ بَنِي آدَمَ ، فَيَالِهَا مَوْعِظَةٌ لَوْ وَافَقَتْ مِنَ الْقُلُوبِ حَيَاةً ! أَمَّا إِنَّهُ
وَاللَّهِ لَا أُمَّةَ بَعْدَ أُمَّتِكُمْ ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ ، وَلَا كِتَابَ بَعْدَ كِتَابِكُمْ . أَنْتُمْ
تَسُوقُونَ النَّاسَ وَالسَّاعَةَ تَسُوقُكُمْ ، وَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ أَنْ يَلْحَقَ آخِرُكُمْ . مِنْ
رَأَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ رَأَاهُ غَادِيًا رَاحِمًا^(٥) ، لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ ،
وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ . رُفِعَ لَهُ عِلْمٌ فَشَمَّرَ إِلَيْهِ . فَالْوَحَاءُ الْوَحَاءُ ، وَالنَّجَاءُ النَّجَاءُ .
١٥ علام تَعْرِجُونَ . أُتِيتُمْ وَرَبَّ السَّكْبَةِ . قَدْ أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ وَأَنْتُمْ كُلَّ يَوْمٍ
تَرْدُلُونَ^(٦) ، فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى عِلْمٍ مِنْهُ ،

(١) تَرَّحَهُ : أَحْزَنَهُ . وَالتَّرْحُ : تَقْيِيزُ الْفَرْحِ .

(٢) أَرَادَ بِالْإِلْفَاءِ أَنَّهَا تَحْمِلُ الْمَرْءَ عَلَى الْغَوَى ، وَهُوَ مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ وَغَيْرِهِ .

(٣) الْحَظْبَةُ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ٣٤٤) وَابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ (١ : ٤٦٩) .

(٤) أَيْ حَالِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . وَهَذَا مَا وَرَدَ فِي ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ حَيْثُ صَرَحَ بِنَقْلِهِ عَنِ الْبَيَانِ
وَالْتَبِينَ . وَفِي الْأَصُولِ : « بِحَالِهَا » وَلَا وَجْهَ لَهُ . وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ : « بِحَالِهَا »
بِإِهْمَالِ السَّكْبَةِ الْأُولَى .

(٥) أَيْ فِي كَسْبِ الضَّرُورِيِّ مِنَ الْعَيْشِ .

(٦) رَذَلَ يَرَذُلُ : صَارَ رَذُلًا ، وَهُوَ الرَّدَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

اختاره لنفسه ، وبعثه برسالته ، وأنزل عليه كتابه ، وكان صفوته من خلقه ،
 ١٦٣ ورسوله إلى عباده ، ثم وضعه من الدنيا موضعاً ينظر إليه أهل الأرض ، وآتاه
 منها قوتاً وبلغته ، ثم قال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ،
 فرغب أقوامٌ عن عيشه ، وسخطوا ما رضى له ربه ، فأبعدهم الله وأسحقهم . يا ابن
 آدم ، طأ الأرضَ بقدميك فإنها عما قليل قبرك ، وأعلم أنك لم تزل في هدم عمرك
 مذ سقطت من بطن أمك . فرحِمَ الله رجلاً نظراً فتفكر ، وتفكر فاعتبر ، واعتبر
 فأبصر ، وأبصر فصبر . فقد أبصر أقوامٌ فلم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم ولم
 يُدِرِ كوما طلبوا ، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا . يا ابن آدم ، اذكر قوله : ﴿ وَكُلَّ
 إِنْسَانَ أَزْمَنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا . اقْرَأْ
 كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ . عدل [والله] عليك من
 جعلك حسيب نفسك . خذوا صفاء الدنيا وذرّوا كدرها ؛ فليس الصّفو ما عاد
 كدرًا ، ولا الكدر ما عاد صفواً . دعوا ما يُرِيكم إلى ما لا يُرِيكم ^(١) . ظهر
 الجفاء وقلت العلماء ، وعفت الشّنة وشاعت البدعة . لقد صحبت أقواماً ما كانت
 صحبتهم إلّا قرّة العين ، وجلاء الصدر . ولقد رأيت أقواماً كانوا من
 حسناتهم ^(٢) أشفق من أن تُردّ عليهم ، منكم من سيّئانكم أن تُعذّبوا عليها ،
 ١٥ وكانوا فيما أحلّ الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم عليكم منها . [مالى ^(٣)]
 أسمع حسيباً ولا أرى أنيساً . ذهب الناس وبقي النّسناس ^(٤) . لو تكاشفتُم

(١) يقال رابه الأمر ، إذا علم منه الريبة ، وأرابه ، إذا أوهمه الريبة . وبالفتن روى
 الحديث : « دع ما يريك إلى ما لا يريك » ، يروى بفتح الياء وضمة .

(٢) ما عدل : « لحسناتهم » . وانظر ما سيأتى في ص ١٥٥ س ٨ — ٩ .

(٣) هذه التكملة من ب ، ج وابن أبي الحديد . وبدلها في عيون الأخبار : « لاني » .

(٤) النّسناس ، بفتح النون وكسرهما : خلق على صورة الإنسان . وقد عني به الذين

يتشبهون بالناس .

ما تدافنتم^(١) . تهاديتم الأطباق ولم تهادوا النصائح . قال ابن الخطّاب : رحم الله امرأً أهدي إلينا مساوينا . أعدّوا الجواب فإنكم مسئولون . المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أخذه من قبل ربه . إن هذا الحق قد جهّد أهله وحال بينهم وبين شهواتهم ، وما يصير عليه إلا من عرف فضله ، ورجا عاقبته . فمن حمد الدنيا ذم الآخرة ، وليس يكره لقاء الله إلا مقيم على سخطه . يا ابن آدم ، ليس الإيمان بالتخلّي ولا بالتمنّي^(٢) ، ولكنه ما وقر في القلوب ، وصدّقته الأعمال .

وكان إذا قرئ^(٣) : ﴿ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾ قال : عمّ ألهاكم ؟ ! ألهاكم عن دار الخلوّة ، وجنة لا تبديد . هذا والله فضح القوم ، وهتك السّتر وأبدى العوار^(٤) . ١٦٤
تنفق مثل دينك في شهواتك سرفاً ، وتمنع في حقّ الله درهماً . ستمعلم يا لكع^(٥) . الناس ثلاثة : مؤمن ، وكافر ، ومنافق . فأما المؤمن فقد أجمه الخوف ، ووقه ذكر العرض^(٦) . وأما الكافر فقد قمه السيف ، وشرّده الخوف ، فأذعن بالجزية ، وأسمح بالضريبة . وأما المنافق ففي الحجرات والطرقات ، يسرّون غير ما يعلنون ، ويضمّرون غير ما يظهرون . فاعتبروا إنكارهم [ربهم] بأعمالهم الخبيثة . ويلك ! قتلت وليّه ثم تمنّيت عليه جنّته !
وكان يقول : رحم الله رجلاً خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه ، فإن وافقه

(١) رواه في اللسان (دفن) . وقال : « أي لو تكشف عيب بعضكم لبعض » . وذكر قبله : « التدافن : التكاثر » . ورواه في (كشف) وقال : « ابن الأثير : أي لو علم بعضكم بسريرة بعض لاستنقل تشييع جنازته ودفنه » . وقد سبق الحديث في (٢ : ٢٣) وذكر الجاحظ أنه مما روى لأقوام شتى . ٢٠
(٢) عند ابن أبي الحديد : « بالتمني ولا بالتشهي » . وانظر ما سيأتي في ص ٤١٤ .
(٣) ماعدال : « قرأ » . وإلى هنا ينتهي سقط التيمورية الذي بدأ في ص ١٣١ س ١ .
(٤) العوار ، بتثنية العين : العيب .
(٥) اللكع : اللثيم ، والأحقق .
(٦) وقه : رده أشد الرد . ماعدال : « وقومه » ، تحريف . ٢٥

حَمْدَ رَبِّهِ وَسَأَلَهُ الزِّيَادَةَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَإِنْ خَالَفَهُ أَعْتَبَ وَأَنَابَ ^(١) ، وَرَجَعَ مِنْ قَرِيبٍ . رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا وَعَظَ أَخَاهُ وَأَهْلَهُ فَقَالَ : يَا أَهْلِي ، صَلَاتُكُمْ صَلَاتُكُمْ ، زَكَاتُكُمْ زَكَاتُكُمْ ، جِيرَانُكُمْ جِيرَانُكُمْ ، إِخْوَانُكُمْ إِخْوَانُكُمْ ، مَسَاكِنُكُمْ مَسَاكِنُكُمْ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحُمَكُمْ . فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَثْنَى عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ ^(٢) فَقَالَ : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ . يَا بَنَ آدَمَ : كَيْفَ تَكُونُ مُسْلِمًا وَلَمْ يَسَلِّمْ مِنْكَ جَارُكَ ، وَكَيْفَ تَكُونُ مُؤْمِنًا وَلَمْ يَأْمَنْكَ النَّاسُ .

وَكَانَ يَقُولُ : لَا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى لَا يَعِيبَ النَّاسُ بَعِيبَ هُوَ فِيهِ ، وَلَا يَأْمُرُ بِإِصْلَاحِ عِيُوبِهِمْ حَتَّى يَبْدَأَ بِإِصْلَاحِ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يُصْلَحْ عَيْبًا إِلَّا وَجَدَ فِي نَفْسِهِ عَيْبًا آخَرَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُصْلِحَهُ . ١٠
فَإِذَا قَعَلَ ذَلِكَ شُغِلَ بِمَخَاصِئِ نَفْسِهِ عَنْ عَيْبٍ غَيْرِهِ . وَإِنَّكَ نَاطِرٌ إِلَى عَمَلِكَ يُوزَنُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ ^(٣) ، فَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ وَإِنْ صَغُرَ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ سَرَّكَ مَكَانُهُ . وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ وَإِنْ صَغُرَ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَكَ سَاءَكَ مَكَانُهُ .
وَكَانَ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً كَسَبَ طَيِّبًا وَأَنْفَقَ قَصْدًا ، وَقَدَّمَ فَضْلًا .

١٦٥ وَجَّهُوا هَذِهِ الْفُضُولَ حَيْثُ وَجَّهَهَا اللَّهُ ، وَضَعُوهَا حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ ؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَ مِنَ الدُّنْيَا بِلَاغِهِمْ وَيُؤْثِرُونَ بِالْفَضْلِ . أَلَا إِنَّ هَذَا الْمَوْتَ قَدْ أَضَرَ بِالْدُّنْيَا فَفَضَّحَهَا ، فَلَا وَاللَّهِ مَا وَجَدَ ذُولِبٍ فِيهَا فَرَحًا . فَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ السُّبُلَ

(١) اعتب ، أى رجع من أمر كان فيه إلى غيره وانصرف عنه . ما عدال : « أعتب » ، أى عمل بطاعة الله . والوجه « اعتب » .

(٢) هو إسماعيل عليه السلام . وقبل الآية التالية ، وهى ٥٥ من سورة صمد : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) .

(٣) ناظر ، أى ستنظر يوم الحساب . ما عدا : « بوزن » موضع : « يوزن »

المتفرقة ، التي جماعها الضلالة وميعادها النار . أدركت من صدر هذه الأمة قوماً كانوا إذا أجنبهم الليل فقيامٌ على أطرافهم ، يفتشون وجوههم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يناجون مولاهم في فسك رقايمهم^(١) . إذا عملوا الحسنة سرّتهم وسألوا الله أن يتقبلها منهم ، وإذا عملوا سيئة ساءتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم .
يا بن آدم ، إن كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس هاهنا شيء يُغنيك ، وإن كان يُغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يغنيك . يا ابن آدم ، لا تعمل شيئاً من الحق رياء ، ولا تتركه حياء .

وكان يقول : إن العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم من أهل الدنيا ، وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضي أهل الدنيا بدنيام فيها ، وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبةً في علمهم ، فأصبح أهل العلم اليوم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبةً في دنياهم ، فرغب أهل الدنيا بدنيام عنهم ، وزهدوا في علمهم ، لِمَا رَأَوْا من سوء موضعه عندهم .

وكان يقول : لا أذهب إلى من يُوارى عني غناه ويُبدي لي فقره ويُغلق دوني بابه ويمنعني ما عنده ، وأدع من يفتح لي بابه ويُبدي لي غناه ويدعوني إلى ما عنده .

وكان يقول : يا ابن آدم ، لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر .

مؤمن منهم^(٢) ، وعِلجُ أغتم^(٣) ، وأعرابي لا فقه له ، ومنافقٌ مكذب ،

(١) الفسك ، بفتح الفاء وكسرها . وفك الرقبة : تخليصها من إسار الرق . أي تخليصهم من إسار الدنيا وشهواتها ، أو مما يرتقبهم من جزاء لا يرضونه .

(٢) ما عدال : « مهم » . ومثل هذا الأسلوب ما ورد في خطبة علي في (٢ : ٥٠ س ٦) حين عدد أنواع الناس ولم يذكر ما يشعر بذلك .

(٣) العِلج : الرجل من كفار العجم . والأغتم : الذي لا يفصح شيئاً . والفتمة : عجمة في المنطق .

ودنياوى مُتَرْفٍ^(١) ، نَعَقَ بِهِمْ نَاعِقٌ قَاتِبَعُوهُ ؛ فَرَّاشٍ نَارٍ^(٢) وَذِبَّانٍ طَمَعٍ .
والذى نَفْسُ الْحَسَنِ بِيَدِهِ مَا أَصْبَحَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ مُؤْمِنٌ إِلَّا وَقَدْ أَصْبَحَ مَهْمُومًا
حَزِينًا^(٣) ، وَلَيْسَ لِمُؤْمِنٍ رَاحَةٌ دُونَ لِقَاءِ اللَّهِ ؛ وَالنَّاسُ مَا دَامُوا فِي عَافِيَةٍ
مُسْتَوْرُونَ ، فَإِذَا نَزَلَ بِهِمْ بَلَاءٌ صَارُوا إِلَى حَقَائِقِهِمْ ، فَصَارَ الْمُؤْمِنُ إِلَى إِيْمَانِهِ ،
وَالْمُنَافِقُ إِلَى نِفَاقِهِ . أَيُّ قَوْمٍ ، إِنْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَسَارِعُوا
إِلَى رَبِّكُمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِمُؤْمِنٍ رَاحَةٌ دُونَ الْجَنَّةِ ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَهُ
وَاعْظُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَكَانَتْ الْحَاسِبَةُ مِنْ هَمِّهِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ فِي يَوْمِ فِطْرِ^(٤) ، وَقَدْ رَأَى النَّاسَ وَهَيْئَتِهِمْ^(٥) : إِنْ اللَّهَ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى جَعَلَ رَمَضَانَ مِضْمَارًا لَخَلْقِهِ^(٦) يَسْتَبِقُونَ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ ، فَسَبَقَ
أَقْوَامٌ فَنَازُوا ، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ خَنَابُوا . فَالْعَجَبُ مِنَ الضَّاحِكِ اللَّاعِبِ فِي الْيَوْمِ
الَّذِي يَفُوزُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ ، وَيَخْسِرُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ . أَمَّا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كُشِفَ الْغَطَاءُ
لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بِإِحْسَانِهِ ، وَمَسَى بِإِسَاءَتِهِ ، عَنْ تَرْجِيلِ شَعْرٍ^(٧) ، وَتَجْدِيدِ ثَوْبٍ .

* * *

وَحَدَّثَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ :

- ١٥ (١) يُقَالُ فِي النِّسْبَةِ إِلَى الدُّنْيَا : دُنْيَاوَى ، وَدُنْيَوَى ، وَدُنْيَى .
(٢) أَيُّ كَالْفَرَّاشِ الَّذِي يَتَهافت على النار ، يعجبه حسنُها ولألأؤها وفيها حتفه .
(٣) كَلِمَةٌ « وَقَدْ » مِنْ لَفْظٍ .
(٤) انْظُرْ قَوْلَهُ هَذَا فِي زَهْرِ الْآدَابِ (٢ : ٢٥٩) . وَفِي الْكَامِلِ ٥٧ : « وَنَظَرَ الْحَسَنُ
إِلَى النَّاسِ فِي مَصَلَى الْبَصَرَةِ يَضْحَكُونَ وَيَلْعَبُونَ فِي يَوْمِ عِيدٍ » .
٢٠ (٥) لَفْظٌ : « وَهَيْئَتِهِمْ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي سَائِرِ النُّسخِ وَزَهْرِ الْآدَابِ .
(٦) الْمِضْمَارُ : الْأَيَّامُ الَّتِي تَضْمُرُ فِيهَا الْخَيْلُ لِلْسَبَاقِ ، وَقَدَرَهَا أَرْبَعُونَ يَوْمًا . وَتَضْمِيرُ
الْخَيْلِ : أَنْ يَظَاهِرَ عَلَيْهَا بِالْعَلْفِ حَتَّى تَسْمَنَ ، ثُمَّ لَا تَعْلَفُ إِلَّا الْقَوْتَ ، وَهُوَ قَدَرُ مَا يَمْسِكُ الرَّمَقُ .
(٧) تَرْجِيلُ الشَّعْرِ : تَسْرِيحُهُ وَتَنْظِيفُهُ . وَفِي الْكَامِلِ : « تَرْطِيلٌ » . وَالتَّرْطِيلُ :
تَلْيِينُ الشَّعْرِ بِالذَّهْنِ وَمَا أَشْبَهَهُ .

الناس طالبان : فطالب يطلب الدنيا فافرضوها في نَحْرِهِ ، فَإِنَّهُ رَبَّمَا أدرك
الذي طلب منها فهلك بما أصاب منها ، وربَّمَا فاتهُ الذي طلب منها فهلك بما فاتهُ
منها . وطالب يطلب الآخرة ، فإذا رأيتُم طالب الآخرة فنافِسُوهُ .

وَحَدَّثَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ ^(١) :
يَأْتِيهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ أَتَى عَلَى حِينٍ وَأَنَا أَحْسِبُ أَنَّهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ إِنَّهُ إِنَّمَا
يُرِيدُ [بِهِ] اللَّهَ وَمَا عِنْدَهُ . أَلَا وَقَدْ خِيلَ إِلَيَّ أَنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَرِيدُونَ
بِهِ مَا عِنْدَ اللَّهِ . أَلَا فَأَرِيدُوا اللَّهَ بِقِرَاءَتِكُمْ ، وَأَرِيدُوهُ بِأَعْمَالِكُمْ ، فَإِنَّمَا كُنَّا
نَعْرِفُكُمْ إِذِ الْوَحْيُ يُنْزِلُ ، وَإِذِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرُنَا ^(٢) ؛ فَقَدْ
رُفِعَ الْوَحْيُ وَذَهَبَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّمَا أَعْرِفُكُمْ بِمَا أَقُولُ لَكُمْ ^(٣) . أَلَا
فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا ظَنَّنَا بِهِ خَيْرًا وَأَثْبَيْنَا عَلَيْهِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا شَرًّا ظَنَّنَا بِهِ شَرًّا
وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ . اقْدَعُوا هَذِهِ النَّفُوسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا ^(٤) ، فَإِنَّهَا طُلَعَةٌ ^(٥) ، وَإِنَّكُمْ
إِلَّا تَقْدَعُوهَا تَنْزِعَ بِكُمْ إِلَى شَرٍّ غَايَةٍ . إِنَّ هَذَا الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ
خَفِيفٌ وَبِئْسَ ^(٦) ، وَتَرِكَ الْخَطِيئَةَ خَيْرٌ مِنْ مَعَالِجَةِ التَّوْبَةِ . وَرُبَّ نَظَرَةٍ زَرَعَتْ
شَهْوَةً ، وَشَهْوَةً سَاعَةً أَوْرَثَتْ حُزْنًا طَوِيلًا .

وَكَتَبَ الْحَسَنُ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٧) : أَمَّا بَعْدُ فَكَأَنَّكَ بِالدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ ١٦٧

- (١) الخطبة في صبح الأعشى (١ : ٢١٤) والعقد (٤ : ٦٣ — ٦٤) .
(٢) بعده في العقد : « يَنْبُئُنَا عَنْ أَحْبَارِكُمْ » .
(٣) في العقد : « بِالْقَوْلِ » .
(٤) القدح : السكف والمنع . وانظر ما سبق في (١ : ٢٩٧) من نسبته إلى الحسن .
(٥) الطلعة : الكثير التطلع إلى الشيء ، الكثيرة الميل إلى هواها .
(٦) أى إن الحق عاقبته حميدة والباطل وخيم العاقبة . وكلمة « مَرِيءٌ » ساقطة من ل .
(٧) في الشعراء ٥٥٣ ليسك أن الكتاب لعمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله .

وكأنك بالآخرة لم تزل^(١).

وقال أبو حازم الأعرج^(٢) : وجدت الدنيا شيئين : شيئاً هولى لن أعجله دون أجله ولو طلبته بقوة السموات والأرض ، وشيئاً هو لغيرى لم أنله فيما مضى ولا أناله فيما بقى . يُمنع الذى لى من غيرى^(٣) ، كما مُنِع الذى لغيرى مِنى . ففى أى هذين أفنى عمرى ، وأهلك نفسى .

ودخل على بعض الملوك من بنى مروان فقال : أبا حازم ، ما أخرج مما نحن فيه ؟ قال : تنظر إلى ما عندك فلا تضعه إلا فى حقه ، وما ليس عندك فلا تأخذه إلا بحقه ، قال : ومن يطيق ذلك يا أبا حازم ؟ قال : فمن أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين . قال : ما مالك ؟ قال : ما لان . قال : ما هما ؟ قال : الثقة بما عند الله ، واليأس مما فى أيدي الناس . قال : ارفع حوائجك إلينا . ١٠ قال : هيهات هيهات ، قد رفعتها إلى من لا تختزل الحوائج دونه^(٤) ، فأبى . أعطانى منها شيئاً قبلت ، وإن زوى عنى منها شيئاً رضيت .

وقال الفضيل بن عياض^(٥) : يا ابن آدم ، إنما يفضلك الغنى بيومك^(٦) . أمس قد خلا ، وغد لم يأت ، فإن صبرت يومك أهدت أمرك ، وقويت على غدك . وإن عجزت يومك أذمت أمرك ، وضعفت عن غدك ، وإن الصبر يورث البزء ، والجزع يورث السقم ، وبالسقم يكون الموت ، وبالبزء تكون الحياة .

(١) وذكر ابن قتيبة أن على بن جبلة أخذ معنى ما فى الكتاب فقال :

شباب كأن لم يكن وشيب كأن لم يزل

(٢) ترجم فى (١ : ٣٦٤) .

(٣) كلمة « من غيرى » ساقطة مما عدال ، وإسقاطها يضعف المعنى .

(٤) تختزل : تقطع . (٥) ترجم فى (١ : ٢٥٨) .

(٦) أى أن تكون غنيا بيومك ، عاملاً فيه ما يسعدك . ٢٥

وقال الحسن : أبا فلان ، أترضى هذه الحال التى أنت عليها الموت إذا نزل بك ؟ قال : حديثاً بغير حقيقة . قال : أبعد الموت دار فيها مُستعْتَبٌ ^(١) ؟ قال : لا . قال : فهل رأيت عاقلاً رَضِيَ لنفسه بمثل الذى رَضِيتَ به لنفسك ؟ !

٥ قال عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظَرَ الناسُ إلى ظاهرها ، وإلى آجل الدنيا حين نظَرَ الناسُ إلى عاجلها ، فأماتوا منها ما خَشَوْا أن يُمِيتَ ١٦٨ قلوبهم ، وتركوا منها ما علموا أن سِيتَرُكهم .
ورأوه يخرج من بيت مومسة ، فقيل له : يارُوح الله ما تصنع عند هذه ؟
١٠ قال : « إنما يأتى الطَّيِّبُ المَرْضَى ^(٢) » .

وقال حين مرَّ ببعض الخلق فشتموه ، ثم مرَّ بآخرين فشتموه ، فكلاما قالوا شرًّا قال خيراً ، فقال له رجل من الخواريين : كلما زادوك شرًّا زدتهم خيراً حتى كأنك إنما تُغريهم بنفسك ، وتحثهم على شتمك ! قال : « كلُّ إنسان يعطى مِمَّا عنده ^(٣) » .

١٥ وقال : « ويلكم يا عبيد الدنيا ، كيف تخالفُ فروغكم أوصالكم ، وعقولكم أهواءكم . قولكم شفاء يبرىء الداء ، وعمدكم داء لا يقبل الدواء . لستم كالكرممة التى حُسِّنَ ورقها ، وطاب ثمرها ، وسهل مرتقاها ، بل أنتم كالسَّمرة التى قلَّ ورقها وكثر شوْكُها ، وصعب مرتقاها . ويلكم يا عبيد الدنيا ، جعلتم العملَ تحت

(١) مستعْتَبٌ ، أى استرضاء . وذلك لأن الأعمال تبطل عنده وينقضى زمانها ، ويبدأ

٢٠ زمان الجزاء .

(٢) مثله ما ورد فى إنجيل مرقس (١٧ : ٢) حين رآه الكتبة والفرنسيون يأكل مع العشارين والخطاة فقالوا : ما باله يأكل معهم ؟ فقال : « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ، بل المرضى » . اقرن هذا بما ورد فى لوقا (١٥ : ١) . وانظر قول المسيح عليه السلام فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

٢٥ (٣) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

أقدامكم ، مَنْ شاء أخذه ، وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لا يُستطاع تناولها ، لا عبيدٌ أتقياء ، ولا أحرارٌ كرام . ويلكم أجراء السوء ، الأجر تأخذون ، والعمل تُفسدون . سوف تلقون ما تحذرون . يوشك ربُّ العمل أن ينظرَ في عمله الذي أفسدتم ، وفي أجره الذي أخذتم . ويلكم غرماء السوء تبدهون بالهدية قبل قضاء الدين ، بالنوافل تطوِّعون ، وما أمرتم به لا تؤدُّون . إنَّ ربَّ الدين لا يقبل الهدية حتى يُقضى دينه .

وكان أبو الدرداء يقول : « أقرب ما يكون العبدُ من غضب الله إذا غضب ، واحذر أن تظلم مَنْ لا ناصر له إلا الله . »

وقال وزرَّ العبد :

١٠

لعمري أبي المملوك ما عاش إنَّه وإن أعجبته نفسه لذليل
يرى الناس أنصاراً عليه وماله من الناس إلا ناصرون قليل
شيخ من أهل البادية قال ^(١) : المعرض بالناس ^(٢) اتقى صاحبه ولم يتق ربه .
وكان بكر بن عبد الله ^(٣) يقول : « اطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم » .
وقال : « مَنْ كان له من نفسه واعظٌ عارضه ساعة الغفلة ، وحين الحمية » .
وقال عليُّ للأشتر : « انظر في وجهي » حين جرى بينه وبين الأشعث
[ابن قيس] ماجرى .

١٦٩

وكانت المعجم تقول : « إذا غضب الرجل فليستلق ، وإذا أعيا فليرفع رجليه » .

وقال أبو الحسن : كان لرجل من النساك شاة ، وكان مُعجباً بها ، فجاء يوماً

٢٠

(١) ما عدال : « وقال شيخ من أهل البادية » .
(٢) يقال عرض له وعرض به ، إذا عابه ولم يصرح .
(٣) بكر بن عبد الله المزني ترجم في (١ : ١٠٠) .

فوجدتها على ثلاثِ قوائمَ فقال : مَنْ صنَعَ هذا بالشاة ؟ قال غلامه : أنا . قال : ولم ؟ قال : أردت أن أغمَّكَ . قال : لا جرمَ لأُغمَّنَ الذي أمرَكَ بغمِّي ، اذهب فأنت حرٌّ .

سعيد بن عامر^(١) ، عن محمد بن عمرو بن علقمة^(٢) ، قال سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وهو يقول : ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً فانتزعها منه فعاضةً من ذلك الصَّبرِ إلَّا كان ماعاضه الله أفضلَ مما انتزع منه . ثم قرأ ﴿ إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد^(٣) عن أصحابه قالوا : حضرت عمرو بن عُبيد الوفاة فقال لعديله : نزل بي الموت ولم أتأهب له . اللهم إني أعلم أنه لم يستخ لي أمران لك في أحدهما رضاً ولي في الآخر هوىً إلَّا اخترت^(٤) رضاك على هواي ، فاعفِرْ لي .

ولما خبر أبو حازم^(٥) سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمُذَنَّبِينَ ، قال سليمان : ما ين رحمته الله ؟ قال أبو حازم : قريبٌ من المحسنين .

قال : وخرج عثمان بن عفان رحمه الله من داره فرأى في دِهليزه أعرابياً في بَتٍّ ، أشغى^(٦) ، غائر العينين ، مشرف الحاجبين ، فقال يا أعرابي : أين ربُّكَ ؟

(١) هو أبو محمد سعيد بن عامر الضبعي البصري ، ثقة من أئمة محدثي البصرة روى عن خاله جويرية بن أسماء ، وشعبة ، وابن أبي عمير . ومحمد بن عمرو بن علقمة ، وأبان ابن أبي عياش وغيرهم . وكان مولده سنة ١٢٢ ووفاته سنة ٢٠٨ . وذكر الخزرجي في خلاصة التهذيب ١١٩ أن وفاته سنة « ثمان وثمانين » صوابها « ثمان ومائتين » .
(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي المدني ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وروى عنه مالك في الموطأ . توفي سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب . والخلاصة ٢٩٣ .
(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد المدائني ، المترجم في (٢ : ١٨٠) .

(٤) ما عدال : « آثرت » .
(٥) أبو حازم الأعرج سبقت ترجمته (١ : ٣٦٤) . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

(٦) الأشغى : الذي تختلف نبتة أسنانه بالكبر والصغر ، والدخول والخروج . وفي عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) : « رأى شيخاً ثظاً » .

قال : بالمرصاد . وكان الأعرابيُّ عامر بن عبد قيس ^(١) ، وكان ابنُ عامر ^(٢) سَيَرَهُ إليه .

قال : وغدا أعرابيٌّ من طيِّ مع امرأةٍ له ، فاحتلبا لبناً ثم قعدا يتمججان ^(٣) ، فقالت امرأته : أنحن أنعم عيشاً أم بنو مروان ؟ قال : هم أطيب طعاماً منا ، ونحن أردأ كسوةً منهم ؛ وهم أنعمُ متأنهاراً ، ونحن أظهرُ منهم ايلاً .

قال : وعظ عمرُ بن الخطاب رجلاً فقال : لا يُلهك الناسُ عن نفسك ؛ فإنَّ الأمرَ يصير إليك دونهم ! ولا تَقْطع النهارَ سادراً ^(٤) فإنه محفوظٌ عليك ١٧٠ ما عملت . وإذا أسأتْ فأحسنْ ؛ فإني لم أر شيئاً أشدَّ طلباً ولا أسرعَ دَرَكَاً من حسنةٍ حديثةٍ لذنبٍ قديم .

قال : كان هلالُ بن مسعودٍ يقول : زاهدٌ كم راغب ، ومجتهدٌ كم مقصِّر ، وعالمٌ كم جاهل ، وجاهلٌ كم مغترٌّ .

مسلمة بن محارب قال : قال عامر بن عبد قيس : الدنيا والدَّةٌ للموت ، ناقضةٌ للمُبَرَم ، مرتجعةٌ للعطيَّة ، وكلُّ من فيها يجري إلى ما لا يدري ، وكلُّ مستقرٍّ فيها غيرُ راضٍ بها ، وذلك شهيدٌ على أنها ليست بدارٍ قرار .

قال الحسن : مَنْ أيقنَ بالخلفِ جادَ بالعطيَّة .

وقال أسماء بن خارجة ^(٥) : إذا قَدُمْتَ المودَّةُ سمَّجَ الثَّناء .

وقال عمر بن عبد العزيزٍ لمحمد بن كعب ^(٦) [القرظيُّ] : عِظْنِي . قال :

لا أرضى نفسي لك ، إني لأصِلِّي بين الفقير والغنيِّ قَامِيلٌ على الفقير وأوسَّعٌ للغنيِّ .

(١) ترجم في (١ : ٨٣) . وانظر ما سبَّأت في ص ١٨٧ من أرقام الأصل .

(٢) عبد الله بن عامر ، ترجم في (١ : ٣١٨) وكان من ولاة عثمان .

(٣) التمجع : أن يأكل التمر ويشرب عليه اللبن .

(٤) السادر : الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع .

(٥) أسماء بن خارجة ، ترجم في (٢ : ٨٢) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٥٦) .

(٦) ترجم في (٢ : ٣٤ ، ٣٠٠) . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

قال : وقال الحسن : ما أطال عبدُ الأمل إلا أساء العمل .
 قال كان أبو بكر رحمه الله إذا قيل له : مات فلان ، قال : « لا إله إلا الله » .
 وكان عثمان يقول : « فلا إله إلا الله ^(١) » .
 وركب سليمان بن عبد الملك يوما في زِيٍّ عجيب ، فنظرت إليه جارية له
 فقالت : إنك لمعنى بيتي الشاعر . قال : وما هما ؟ فأنشدته :
 أنتَ نِعَمَ المَتَاعِ لو كنتَ تَبَقَى غير أن لا بقاء للإنسانِ
 ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ كان في الناس غير أنكَ فانِ
 قال : ويلك نعتِ إلى نفسي .
 قال : صام رجلٌ سبعين سنة ، ثم دعا إلى الله بحاجة فلم يستجب له ، فرجع
 لنفسه فقال : « منك أُتيتُ » . فكان اعترافه أفضلَ من صومه .
 وقال : مَنْ تذكَّرَ قُدْرَةَ الله لم يستعمل قدرته في ظلم عبادِ الله .
 وقال الحسن : إذا سرَّكَ أن تنظر إلى الدُّنيا بعدك فانظر إليها بعدَ غيرك .
 وكان الحسن يقول : ليس الإيمانُ بالتحلِّي ولا التَّمَنِّي ، ولكن ما وُقِرَ في
 القلوب ، وصدَّقته الأعمال ^(٢) .

١٥ قال : مات ذرُّ بن أبي ذرٍّ الهَمْداني ، من بني مُرْهَبَة ^(٣) ، وهو ذرُّ بن عُمَر
 ابن ذرٍّ ^(٤) * فوقف أبوه على قبره فقال : يا ذرُّ ، والله ما بنا إليك من فاقة ، ١٧١
 وما بنا إلى أحد سوى الله من حاجة . يا ذرُّ ، شغلني الحزنُ لك عن الحزن

(١) زيد بعد هذا فيما عدل : « وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه كثيرا ما ينشد :
 لا تزال تنعى ميتا حتى تكونه وقد يرجو الفنى الرجا فيموت دونه »
 ٢٠ وقد يكون هذا النص مقحما على الكتاب ، والشعر فيه محتل .
 (٢) ما عدل : « وصدقه العمل » . وانظر ما سبق في ص ١٣٤ .
 (٣) بنو مرهبة بن عامر بن مالك بن معاوية الاشتقاق ٢٥٦ ونهاية الأرب (٢: ٣٢٠) .
 (٤) ل فقط : « ذر بن عمرو بن ذر » وأثبت ما في سائر النسخ وعيون الأخبار
 (٢: ٣١٣) حيث ورد الخبر .

عليك . ثم قال : اللهم إنيك وعدتني بالصبر على ذرٍ صلوأتك ورحمتك . اللهم وقد وهبتُ ما جعلت لي من أجرٍ على ذرٍ لذرٍ فلا تعرفه قبيحاً من عمله . اللهم وقد وهبتُ له إساءته إلى فهب لي إساءته إلى نفسه ؛ فإنك أجود وأكرم .
فلما انصرف عنه التفت إلى قبره وقال : يا ذرُّ ، قد انصرفنا وتركناك ، ولو أقمنا ما نفعناك !

سُحيم بن حفص قال : قال هاني بن قبيصة ، لحُرقة بنت النعمان ، وراها تبكي : مالك تبكين ؟ قالت : رأيت لأهلك غضارة^(١) ، ولم تمتلي داراً قط فرحاً إلا امتلأت حزاناً .

قال : ونظرت امرأة أعرابية إلى امرأة حولها عشرة من بناتها كأنهم الصقور ، فقالت : لقد ولدت أمكم حزناً طويلاً^(٢) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه : « أسرعكن بي لحاقاً أطولكن يداً^(٣) » . فكانت عائشة تقول : أنا تلك ، أنا أطولكن يداً . فكانت زينب بنت جحش^(٤) ، وذلك أنها كانت امرأة كثيرة الصدقة ، وكانت صناعاً تصنع بيديها وتبنيه وتتصدق به . قال الشاعر^(٥) :

وما إن كان أكثرهم سواماً ولكن كان أطولهم ذراعاً
قال : كان الحسن يقول : ما أنعم الله على عبدٍ نعمة إلا وعليه فيها تبعه ، إلا ما كان من نعمته على سليمان صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الله عز وجل قال [عند ذكره] : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

(١) الغضارة : النعمة وسعة العيش . ل : « لأهل غضارة » . وسيأتي في ١٨٠ من الأصل : « لأهلك غضارة » .

(٢) الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) .

(٣) ما عدال : « أسرعكن لحاقاً بي » .

(٤) أي فكانت أسرعهن لحاقاً به زينب . وانظر شروح سقط الزند ١٠٧ س ١ .

(٥) هو أبو زياد الأعرابي الكلابي ، كما في الحماسة (٢ : ٢٦٨) .

قال : باع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضاً بثمانين ألفاً ، فقيل له : لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخراً . قال : « إنما أجعل هذا المال ذخراً لي عند الله ، وأجعل الله ذخراً لولدي » . وقسم المال .

وقال رجل : صحبت الربيع بن خثيم^(١) سنتين فما كلمني إلا كلمتين ، قال لي مرة : أمك حية ؟ وقال لي مرة أخرى : كم في بني تميم من مسجد ؟
وقال أبو فروة : كان طارق صاحب شرط خالد بن عبد الله القسري * ١٧٢ مرة بابت شبرمة^(٢) ، وطارق في موكبه ، فقال ابن شبرمة :

فإن كانت الدنيا تحب فإنها سحابة صيف عن قليل تقشع^(٣)
اللهم لي ديني ولهم دنياهم . فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء فقال ابنه :
أتذكر قولك يوم [مرة] طارق في موكبه ؟ فقال : يا بني ، إنهم يجدون مثل أبيك ، ولا يجد أبوك مثلهم . يا بني ، إن أباك أكل من حلوائهم وخط في أهوائهم .
قال الحسن : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء .

وقال الحسن : ما أعطى رجل من الدنيا شيئاً إلا قيل له خذْه ومثله
١٥ من الحرص .

قال : مرة مروان بن الحكم في العام الذي بُويع فيه بزُرارة بن جزي^(٤) السكلابي ، وهم على ماء لهم^(٥) ، فقال : كيف أنتم آل جزي ؟ قالوا : بخير ،

(١) التيمورية « خثيم » ، وما عداها « خثيم » ، لكن صوابه بتقديم التاء على الباء كما أثبت . وقد ترجم في (١ : ٣٦٣) .

(٢) عبد الله بن شبرمة ، ترجم في (١ : ٩٨) .

(٣) هذه رواية ل . وفي سائر النسخ وكذا في عيون الأخبار (١ : ٥٦) :

أراها وإن كانت تحب كأنها سحابة صيف عن قريب تقشع

(٤) يقال جزي ، وجزء أيضاً ، كما في الإصابة ٢٧٨٨ . وقد مضت ترجمة زُرارة في

(١ : ١٤٧) .

(٥) ما عدال : « على ما لهم » ، وهي صحيحة لأن قرئت بالرسم القديم .

زَرَعَنَا اللَّهُ فَأَحْسَنَ زَرْعَنَا ، وَحَصَدَنَا فَأَحْسَنَ حَصَادَنَا .

وقال الحسن : يا ابن آدم ، إنما أنت عددٌ ، فإذا مضى يومٌ فقد مضى بعضُك .

وقال الحسن ^(١) : يا ابن آدم ، إن كان يُغْنِيكَ من الدُّنيا ما يكْفِيكَ

فأدنى ما فيها يغْنِيكَ ، وإن كان لا يغْنِيكَ منها ما يكْفِيكَ فليس فيها شيءٌ يُغْنِيكَ .

قال : نزل الموتُ بفتًى وكان فيه رَمَقٌ ، فرفع رأسه فإذا أبواه يَبْكِيَانِ عند

رأسه ، فقال : ما لكما تبْكِيَانِ ؟ قالا : تخوفاً عليك من الذي كان من إسرَافِكَ

على نفسِكَ . فقال : لا تبْكِيَا ، فوالله ما يسرُّني أن الذي بيد الله بأيديكما .

أبو الحسن ، عن علي بن عبد الله القرشي ^(٢) قال : قال قتادة : يُعْطَى الله

العبدُ على نِيَّةِ الآخرة ما شاء من الدُّنيا والآخرة ^(٣) ، ولا يُعْطَى على نِيَّةِ

الدُّنيا إلا الدنيا .

١٠

عَوَانَةُ قال : قال الحسن : قدم علينا بِشْرُ بْنُ مَرْوَانَ أخو الخليفة وأميرُ

المِصْرَيْنِ ، وأشبَّ النَّاسَ ، فأقام عندنا أربعين يوماً ثم طَعِنَ في قَدَمَيْهِ ^(٤) فمات ،

فأخرجناه إلى قبره ، فلما صِرْنَا إلى الجَبَّانِ ^(٥) إذا نحنُ بأربعةِ سُودَانٍ يحملون

صاحباً لهم إلى قبره ، فوضعنا السِّرِيرَ فصلَّينا عليه ، ووضعوا صاحبهم فصلَّوا

عليه ، ثم حملنا بِشْرًا إلى قبره وحملوا صاحبهم إلى قبره ، ودفنَّا بِشْرًا ودفنوا

صاحبهم ، ثم انصرفوا وانصرفنا ، ثم التفتُ التفاتةً فلم أعْرِفْ قبرَ بِشْرٍ من قبر

الحبشي . فلم أر شيئاً قطُّ [كان] أعجبَ منه .

(١) ما عدال : « مسأمة : قال الحسن » .

(٢) هو علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي المدني . ولد ليلة قتل

٢٠ علي في رمضان سنة ٤٠ . وكان يدعى « السجاد » لكثرة صلاته : كان يصلي كل يوم ألف ركة فيما زعموا . وكانت وفاته بالبقاء من أرض الشام سنة ١١٨ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ٥٩) والخلاصة ٢٣٣ .

(٣) هذه الكلمة من ل فقط . (٤) ما عدال : « في قدمه » .

(٥) الجبان والجبانة : الصحراء ، وتسمى بهما المقابر لأنها تكون في الصحراء ، تسمية

للشيء باسم موضعه . ما عدال : « الجبانة » .

وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِي (١) :

وَالْعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَنَا وَسَوَاءٌ قَبْرٌ مَثَرٌ وَمُقِلٌّ (٢)

وتقول الحكماء : ثلاثة أشياء يستوى فيها الملوك والشُّوْقَة ، والعِلْيَة والسُّفْلَة : الموت ، والطلُّق ، والنَّزْع .

وقال الهيثم بن عَدِي ، عن رجاله : بينا حُذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ (٣)

يَتَذَاكَرَانِ أَعَاجِيبَ الزَّمَانِ ، وَتَغْيِيرَ الْأَيَّامِ ، وَهَمَا فِي عَرَصَةِ إِيوَانَ كِسْرَى ، وَكَانَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ غَامِدٍ يَرعى شَوِيهَاتٍ لَهُ نَهَارًا ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ صَيَّرَهُنَّ إِلَى دَاخِلِ الْعَرَصَةِ ، وَفِي الْعَرَصَةِ سَرِيرٌ رَخَامٌ كَانَ كِسْرَى رَبَّمَا جَلَسَ عَلَيْهِ ، فَصَعِدَتْ غَنِيَمَاتٌ (٤) الْغَامِدِيُّ عَلَى سَرِيرِ كِسْرَى . فَقَالَ سَلْمَانُ : وَمَنْ أَعْجَبَ مَا تَذَاكَرْنَا صُعُودَ غَنِيَمَاتِ الْغَامِدِيِّ عَلَى سَرِيرِ كِسْرَى .

قال : لَمَّا انْصَرَفَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ صِفِّينَ مَرَّةً بِمَقَابَرٍ فَقَالَ :

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ الْمَوْحِشَةِ ، وَالْحَالِ الْمُقَرَّرَةِ ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ . أَنتُمْ لَنَا سَلَفٌ قَارِطٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، وَبِكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ لَاحِقُونَ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ ، وَتَجَاوَزْ بِغَفْوِكَ عَنَّا وَعَنْهُمْ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٥) . أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتًا . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَعَلَيْهَا يُحْشَرُكُمْ ، وَمِنْهَا يَبْعَثُكُمْ ، وَطُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ ، وَأَعَدَّ لِلْحِسَابِ ، وَقَنَعَ بِالْكَفَافِ .

(١) ترجم في (١ : ١٠٨) .

(٢) انظر القصيدة في السيرة ٦١٦ جوتنجن . وبعض أبياتها في الحيوان (٥ : ٥٦٤) .
٢٠ وقد أنشد هذا البيت ابن فارس في المفاتيح (خس) ، وقال : « ويقال هذه الأمور خساسة بينهم ، أي دول » . وضبطها صاحب القاموس ككتاب . ولم تذكر هذه الكلمة في اللسان .
(٣) ترجم حذيفة في (٢ : ١٤٠) وسلمان في (٢ : ١٠٢) . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧١) .

(٤) بعد هذه الكلمة سقط في التيمورية ينتهي في السطر السادس من ص ١٥٧ .
٢٥ (٥) أي تكفت الناس ، تحفظهم أحياء على ظهورها في دورهم ، وأمواتاً في بطنها .

وقال عمر رحمه الله « استغزروا الدموع بالتذكر^(١) » .

وقال الشاعر^(٢) :

سَمِعْنُ بِهِيْجًا أَوْجَفَتْ فذَكَرْنَهُ^(٣) : وَلَا يَبْعَثُ الْأَحْزَانُ مِثْلُ التَّذْكَرِ^(٤)

وقال أعرابي :

لَا تُشْرِفَنَّ يَفَاعًا إِنَّهُ طَرَبٌ وَلَا تَغْنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُشْتَاقًا^(٥) .

* * *

قال ابن الأعرابي : سمعت شيخاً أعرابياً يقول : إني لأسرّ بالموت ، لا دين ولا بنات .

١٧٤ علي بن الحسن قال : قال صالح المري^(٥) : دخلت دار المورياني^(٦) ، فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله ، استخرجتها حين ذكرت الحال ، فيها قوله عز وجل : ﴿ فَبِئْسَ مَا كَانُوهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ؛ وقوله : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَدَّ كَرِي ﴾ ؛ وقوله : ﴿ فَبِئْسَ مَا كَانُوهُمْ ﴾ . قال : فخرج إلى أسود من ناحية الدار فقال : يا أبا بشر ، هذه سخطة الخلق ، فكيف سخطة الخالق^(٧) !

(١) ومثله في عيون الأخبار (٢ : ٢٩٨) . وفي البيان (١ : ٢٩٧) : « لا تستغزروا الدموع إلا بالتذكر » .

(٢) هو ليلى الأخيلية تراثي توبة بن الحمير ، من قصيدة في الأغاني (١٠ : ٧٢ — ٧٣) . وقد سبق البيت في (١ : ٢٩٨) .

(٣) اقتصر في ل على إنشاد عجزه .

(٤) في اللسان : « يقال أشرفت الشيء : علوته » .

(٥) هو صالح بن بشير المري ، المترجم في (١ : ١١٣) .

(٦) هو سليمان بن مخلد ، المكنى بأبي أيوب . ونسبته إلى « موريان » قرية من قرى الأهواز . وكان وزير المنصور العباسي بعد خالد بن برمك جد البرامكة . وكان في أول أمره مقرباً لدى المنصور ، ثم نقم عليه فأوقع به وعذبه ، وأخذ أمواله . وتوفي سنة ١٥٧ . وفيات الأعيان (١ : ٢١٥ — ٢١٦) .

٢٥

(٧) ما عدال : « هذا سخط الخلق فكيف سخط الخالق » .

قال : وأصاب ناساً مطرٌ شديد وظلمة وريح^(١) ، ورعدٌ وبرق ، فقال رجلٌ من النَّسَّاك : اللهم إني قد أرَيْتَنَّا قَدْرَتَكَ فَأَرِنَا رَحْمَتَكَ .

عَوَانة قال : قال عبد الله بن عمر : فازَ عمر بن أبي ربيعة بالدُّنيا والآخرة : غَزَا في البحر فأحرقوا سفينته فاحترق .

قال : وطلَّق أبو الخندق امرأته أمَّ الخندق ، فقالت : أتطلِّقني بعد طول الصَّحبة ؟ فقال : ما دهاكِ عندي غيرُهُ .

وكان أبو إسحاق^(٢) يقول : ما أَلَامَهَا من كلمة .

قال : مرَّ عمر بن الخطاب رحمه الله بقوم يتمنون ، فلما رأوه سَكُتُوا ، قال : فيم كنتم ؟ قالوا : كنَّا نتمنَّى ، قال : فتمنَّوْا وأنا معكم^(٣) . قالوا : فتمنَّ .

قال : أتمنَّى رجالاً ملء هذا البيت مثل أبي عبيدة بن الجراح^(٤) ، وسالم مولى أبي حذيفة^(٥) . إنَّ سالمًا كان شديد الحُبِّ لله ، لو لم يخف الله ما عصاه^(٦) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل أمة أمينٌ ، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

(١) ما عدال : « وريح وظلمة » .

(٢) يعني إبراهيم بن سيار النظام .

(٣) ما عدال : « وأنا أتمنى معكم » .

(٤) أبو عبيدة بن الجراح الفهري ، أحد العشرة السابقين ، واسمه عامر بن عبد الله ابن الجراح ، اشتهر بكنيته والنسبة إلى جده . وقد ضرب المثل العالي في قيادته للمسلمين في فتح الشام . وتوفي في طاعون عمواس سنة ١٨ . الإصابة ٤٣٩٣ وصفة الصفوة (١ : ١٤٢) .

(٥) هو سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أحد السابقين الأولين . ترجم له في الإصابة ٣٠٤٦ .

(٦) لو ، في مثل هذا الأسلوب ، هي التي يذكر النحاة أنها لتقرر الجواب وجد الشرط أو فقد ، ولسكنها مع فقده أولى . أي إن عدم عصيانه يتحقق إذا لم يكن منه خوف لله ، فما باله إذا كانت منه الخوف . وقد روى ابن هشام في الغني (في باب لو) ، أن عمر قال : « نعم العبد (صهيب) لو لم يخف الله لم يعصه » .

شعبة ، عن عمرو بن مرة ^(١) قال : قدِم وفدٌ من أهل اليمن على أبي بكرٍ رحمه الله ، فقرأ عليهم القرآن فبكوا ، فقال أبو بكر : هكذا كنّا ، حتّى قَسَتِ القلوب .

وقال أبو بكر : « طوبى لمن مات في نأنة الإسلام ^(٢) » .

قال سعد بن مالك ^(٣) ، أو معاذ ^(٤) : « ما دخلت في صلاةٍ فعرَفْتُ مَنْ عن يميني ولا مَنْ عن شمالي ، وما شِيعَت جنازة قطُّ إلاَّ حدَّثْتُ نفسي بما يُقال له وما يقول ^(٥) » ، وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شيئاً قطُّ إلاَّ علمت أنه كما قال .

قال أبو الدرداء : أضحكني ثلاثٌ وأبكاني ثلاثٌ : أضحكني مؤمِّلُ الدنيا والموتُ يطلبه ، وغافلٌ ولا يُغفلُ عنه ، وضاحكٌ ملء فيه * ولا يدرى ساخطٌ ربه أم راضٍ . وأبكاني هولُ المطلع ^(٦) ، وانقطاعُ العمل ، وموقفى بين يدي الله لا يذرّى أيا مَرَّبِي إلى الجنّة أم إلى النار .

سُحَيْم بن حفص ، قال : رأى إياسُ بن قتادة العبشمي ^(٧) شَيْبَةً في

(١) هو عمرو بن مرة عبد الله بن طارق الجملي المرادي ، روى عنه شعبة والثوري والأعمش وغيرهم . وفيه يقول شعبة : « ما رأيت عمرو بن مرة في صلاة قط إلا ظننت أنه لا ينتقل حتى يستجاب له » . توفي سنة ١١٦ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٥٩) .
(٢) النأنة : العجز والضعف . يعني أول الإسلام قبل أن يقوى ويكثر أهله وناصره والداخلون فيه ، فهو عند الناس ضعيف .

(٣) سعد بن مالك بن أهيب . ترجم في (١ : ٢٦١) .
(٤) هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل ، ترجم ، في (١ : ٢٤) .
(٥) الجنازة ، بالفتح : الميت نفسه . وبالكسر السرير الذي يحمل عليه . وهو يشير بالقول هنا إلى سؤال الملوك .

(٦) المطلع : ما يشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٥٩) .

(٧) إياس بن قتادة التيمي ، ابن أخت الأحنف بن قيس . وكذا جاءت نسبته في البيان « العبشمي » . والصواب أنه مجاشعي تيمي . انظر الكامل ٨٢ ليسك وصفة الصفوة (٣ : ١٤٤) حيث ترجم له ابن الجوزي . ومجاشع ، هو ابن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم .

لحيته^(١) فقال : « أرى الموتَ يطلبُنِي ، وأُراني لا أفوتُهُ . أعوذُ بك من فجأةِ الأمور^(٢) » ، وبَغَتَاتِ الحوادث . يا بني سعد ، إني قد وهبتُ لكم شبابي فهبوا لي شيبتي . ولزِمَ بيته ، فقال له أهله : تَمُوتُ هَزْلاً^(٣) ! قال : « لَأَنْ أَمُوتَ مُؤْمِناً مهزولاً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمُوتَ مُنَافِقاً سَمِيناً » .

وذكر قومٌ إبليسَ فلعنوه وتغيظوا عليه ، فقال أبو حازم الأعرج : وما إبليس ؟ ! لقد عُصِيَ فما ضَرَّ ، وأُطِيعَ فما نَفَعَ .

قال : وقال بكر بن عبد الله المزني : الدنيا ما مَضَى منها فحُلُمٌ ، وما بقي منها فآمَانِي .

قال : ودخل أبو حازم مسجداً دِمَشْقَ ، فوشَّسَ إليه الشيطانُ ، إنَّكَ قد أَحْدَثْتَ بعد وضوئِكَ . قال : أَوْ قَدْ بَلَغَ هذا من نصيحتِكَ !
وقال بعض الطِّيَّابِ^(٤) :

عجبت من إبليس في كِبَرِهِ وَخُبْتِ ما أبداه من نَيْتِهِ
تاه على آدمَ في سَجْدَةٍ وصارَ قَوَّاداً لِدُرِّيَّتِهِ

قال : فأنشدتها^(٥) مِسمعَ بنِ عاصم فقال : وأبيكَ لقد ذَهَبَ مَذْهَباً .
الفضل بن مُسلم قال : قال مُطَرِّفُ بن عبد الله بن الشَّخِيرِ^(٦) : لا تنظروا

(١) فيما عدال : « شِيبَةُ لحيته » . والخبر في صفة الصفوة بتفصيل ، وعيون الأخبار (٢ : ٣٢٤) مع خلاف في الرواية فيهما .

(٢) ما عدال : « أعوذ من فجاءات الأمور » . وفي عيون الأخبار : « أعوذ بك يا رب من فجاءات الأمور » .

(٣) الهزل ، بفتح الهاء وضمها : الهزل « تقيض السمن » .

(٤) الطِّيَّاب ، بالكسر : جمع طيب ، مثل جيد وجياد . انظر الحيوان (٣ : ٢٦)

وسيبويه (٢ : ٢١١) ، وما سبق في ص ١١٥ .

(٥) ما عدال : « فأنشدتها » .

(٦) ترجم في (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

إلى خَفَضَ عَيْشِهِمْ ، وَلَيْنَ لِأَمِيرِهِمْ ، وَلَكِنْ انْظُرُوا إِلَى سُرْعَةِ ظَنِّهِمْ وَسُوءِ مُنْقَلَبِهِمْ .

قال أبو ذَرٍّ : لَقَدْ أَصْبَحْتُ وَإِنَّ الْفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى ، وَالسُّقْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّحَّةِ ، وَالْمَوْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَيَاةِ . قَالَ دَهْنَمُ ^(١) : « لَكِنِّي لَا أَقُولُ ذَلِكَ . قَالَ دَاوُدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُمَّ لَا صِحَّةَ تُطْفِئَنِي ، وَلَا مَرَضًا يُضْنِي . وَلَكِنْ بَيْنَ ذَيْنِكَ » .

قال الحسن : إِنَّ قَوْمًا جَعَلُوا تَوَاضُعَهُمْ فِي ثِيَابِهِمْ ، وَكِبَرَهُمْ فِي صُدُورِهِمْ ، ١٧٦ حَتَّى لَصَحِبُ الْمِدْرَعَةَ بِمِذْرَعَتِهِ ^(٢) ، أَشَدُّ فَرَحًا مِنْ صَاحِبِ الْمُطَارِفِ بِمُطَرَفِهِ ^(٣) .
قال : وَقَالَ دَاوُدُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّ لِلَّهِ سَطَوَاتٍ وَنَقَمَاتٍ » . فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فِدَاوُوا قُرُوحَكُمْ بِالْذُّعَاءِ ^(٤) ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : « لَوْلَا رِجَالُ خُشَعٍ ، وَصِيبَانُ رُضَعٍ ، وَبَهَائِمُ رُتَعٍ ، لَصَبِئْتُ عَلَيْكُمْ الْعَذَابَ صَبًّا » .
قال : اشْتَرَى صَفْوَانُ بْنُ مُحَرِّزٍ ^(٥) بَدَنَةً بِتِسْعَةِ دَنَانِيرٍ ^(٦) ، فَقِيلَ لَهُ : أَتَشْتَرِي بَدَنَةً بِتِسْعَةِ دَنَانِيرٍ وَلَيْسَ عِنْدَكَ غَيْرُهَا ؟ قَالَ : سَمِعْتُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ .

وقيل لمحمد بن سُوْقَةَ ^(٧) : تَحْجُجُ وَعَلَيْكَ دَيْنٌ ؟ قَالَ : هُوَ أَقْضَى لِلدَّيْنِ . ١٥

(١) هُوَ دَهْنَمُ بْنُ قُثْرَانَ الْعُكْلِيُّ . رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَيَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ ، وَعَنْهُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ عِيَّاشٍ ، وَمَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْفَزَارِيُّ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ . مَا عَدَالَ : « وَهْنَمُ » تَحْرِيفٌ .
(٢) الْمِدْرَعَةُ ، بِالْكَسْرِ : ثَوْبٌ مِنَ الصُّوفِ .
(٣) الْمُطَرَفُ ، كَمَكْرَمٍ وَمَنْبَرٍ : رِءَاءٌ مِنْ خَزْ صَرِيعٍ ، لَهُ أَعْلَامٌ . وَالْخَبَرُ بِرِوَايَةِ أُخْرَى فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ٣٧٢) .

(٤) مَا عَدَالَ : « فَرَحَكُم » . وَالْحَدِيثُ التَّالِي سَبَقَ فِي (٢ : ٢٤) .
(٥) سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي (١ : ٣٦٣) . مَا عَدَالَ : « مُحَرِّزُ بْنُ صَفْوَانَ » تَحْرِيفٌ .
(٦) الْبَدَنَةُ : نَاقَةٌ أَوْ بَقَرَةٌ تَنْحَرُ بِمَكَّةَ ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمُونَهَا فَنَبْدَنَ .
(٧) هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُوْقَةَ الْقَنْوِيُّ الْكُوفِيُّ الْعَابِدُ ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَتَقَاتِهِمْ ، رَوَى عَنْ أَنَسٍ وَنَافِعٍ وَجَاعَةَ ، وَرَوَى عَنْهُ الثَّوْرِيُّ وَابْنُ الْمُبَارَكِ وَعِطَاءٌ وَغَيْرُهُمْ . قَالَ سَفِيَّانُ : « كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سُوْقَةَ لَا يَحْسُنُ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ » . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ وَصِفَةُ الصَّفْوَةِ (٣ : ٦٥) .

قال : ولقي ناسكاً ناسكاً ومعه خُفٌّ فقال : ما تصنع بهذا ؟ قال عُدَّةٌ للشتاء . قال : كانوا يستحيون من هذا .

قال أبو ذرٍّ : تَخْضَمُونَ وَتَقْضَمُونَ^(١) ، والموعِدُ الله .

قال الزُّبَيْرُ : يكفيننا من خَضَمِكُمُ الْقَضَمُ^(٢) ومن نَصَّكُمْ الْعَنْقُ^(٣) .

وقال أيمن بن خُرَيْمٍ^(٤) :

رَجَوْا بِالشَّقَاقِ الْأَكَلَ خَضَمًا فَقَدْ رَضُوا

أخيراً مَنْ أَكَلَ الْخَضَمَ أَنْ يَأْكُلُوا قَضَمًا^(٥)

وقال عمرو لمعاوية : مَنْ أَصْبَرُ النَّاسِ ؟ قال : مَنْ كَانَ رَأْيُهُ رَادًّا لِهَوَاهُ .

وتواصَّفُوا حَالَ الزَّاهِدِ بِحُضْرَةِ الزُّهْرِيِّ ، فقال الزُّهْرِيُّ : « الزَّاهِدُ مَنْ لَمْ يَغْلِبْ

الْحَرَامُ صَبْرَهُ ، وَلَا الْحَلَالُ شُكْرَهُ^(٦) » .

قال : وَذُكِرَ عِنْدَ أَعْرَابِيٍّ رَجُلٌ بِشِدَّةِ الْجَهْدِ ، وَكَثْرَةِ الصَّوْمِ ، وَطُولِ

الصَّلَاةِ ، فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ سَوَاءٌ ، أَوْ مَا يَظُنُّ هَذَا أَنَّ اللَّهَ يَرْحُمُهُ حَتَّى يَعْذِّبَ

نَفْسَهُ هَذَا التَّعْذِيبُ .

قال أبو بكر^(٧) : مَا ظَنُّكَ بِخَالِقِ الْكَرَامَةِ لِمَنْ يَرِيدُ كَرَامَتَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ قَادِرٌ ؟

وَمَا ظَنُّكَ بِخَالِقِ الْهَوَانِ لِمَنْ يَرِيدُ هَوَانَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ قَادِرٌ ؟

(١) الخضم : الأكل بجميع القم ، والقضم بأطراف الأسنان . وفي اللسان (خضم) :
« وفي حديث أبي هريرة أنه بمروان وهو يبنى بنياناً له ، فقال : ابنوا شديداً ، وأملوا
بعيداً ، واخضموا فسقضم » .

(٢) من خضمكم ، أى بدل خضمكم .

(٣) النص : أن تستخرج من الدابة أقصى سيرها . والعنق : ضرب من السير .

(٤) هو أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك ، من شعراء الدولة الأموية ، ولأبيه
حبة برسول الله ورواية عنه . وقد جعله أبو الفرج في الأغاني (٢١ : ٥) شيعياً ، ولكن
المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٥٣ عده عثمانياً . وبذلك يكون قد اضطرب بين التيارين .

(٥) ما عدال : « القضا » .

(٦) سبق هذا الخير والذي قبله في (٢ : ١٨٨) .

(٧) لعله أبو بكر الهذلي الخطيب القاسم . انظر ترجمته في (١ : ٣٥٧) .

وزعم أبو عمرو والزَّغْرَانِيّ ، قال : كان عمرو بن عُبيد عند حَفْص بن سالم ، فلم يسأله أحدٌ من أهله وحَشَمه حاجةً إلَّا قال : لا . فقال عمرو : أَقِلَّ من قولٍ لا ، فإنه ليس في الجنة لا ^(١) .

قال : وقال عمرو : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل ما يجِدُ أعطى ، وإذا سئل ما لا يجِدُ قال : يصنع الله ^(٢) .

١٧٧ قال : وقال عمر بن الخطاب * رحمه الله : « أَكْثَرُوا لَهُنَّ من قولٍ لا ، فإنَّ نَعْمَ يُضَرِّبَنَّ عَلَى المسألة » . قال : وإنما يخصُّ بذلك عُمر النساء ^(٣) .

قال الحسن : أدركتُ أقواماً كانوا من حسناتهم أشفقَ من أن تُرَدَّ عليهم ، منكم من سيئاتكم أن تعذَّبوا عليها ^(٤) .

١٨ قال أبو الدرداء : من يشتري منى عاداً وأموالها بدرهم ^(٥) .

ودخل عليُّ بن أبي طالب رضى الله عنه المقابرَ فقال : « أَمَّا المنازل فقد سُكِنَتْ ، وأَمَّا الأموال فقد قُسِمَتْ ، وأَمَّا الأرواح فقد نُسَكِحَتْ . هذا خَيْرُ ما عندنا فما خَيْرُ ما عندكم ؟ ثم قال : « والذي نفسى بيده لو أُذِنَ لهم في الكلام لأخبرُوا أنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » .

١٩ قال أبو سعيد الزَّاهِد : عَيَّرَتِ اليهودُ عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم بالفقر فقال : « مِنَ الْغِنَى أُتَيْتُمْ » .

وقال آخر : لو لم يُعْرِفْ من شرف الفقر إلا أَنَّكَ لا ترى أحداً يعصى الله ليفتقر ^(٦) . وهذا الكلام بعينه مدخول .

(١) في عيون الأخبار (٣ : ١٣٧) : « فإن لا ليست في الجنة » .

(٢) كلمة طيبة يرد بها السائل . والصنع : الرزق . اللسان (صنع ٨٠) . وانظر

عيون الأخبار (٣ : ١٣٧) وما سبق في (٢ : ١٩٠) . وعمرو هذا هو عمرو بن عبيد .

(٣) مضى الخبر في (٢ : ١٩٠) .

(٤) سبق هذا القول في ص ١٣٣ من هذا الجزء .

(٥) انظر النص بكامله وصحته في خطبته في عيود الأخبار (٢ : ٣٣١) .

(٦) كذا ورد القول في جميع النسخ . أى لسكفاء ذلك شرفاً .

قال : سأل الحجاج أعرابياً عن أخيه محمد بن يوسف ، كيف تركته ؟
فقال : تركته بضاً عظيماً سمينا . قال : لست عن هذا أسألك . قال تركته ظلوماً
غشوماً . قال : أو ما علمت أنه أخي ؟ قال : أترأه بك أعز مني بالله !

وقال بعضهم : نجد في زبور داود : « من بلغ السبعين اشتكى من
من غير علة ^(١) » .

جعفر بن سليمان قال : قال محمد بن حسان النبطي : لا تسأل نفسك العام
ما أعطتك في العام الماضي ^(٢) .

أبو إسحاق بن المبارك قال : قيل لخالد بن يزيد بن معاوية : ما أقرب شيء ؟
قال : الأجل . قيل : فما أبعد شيء ؟ قال : الأمل . قيل : فما أوحش شيء ؟ قال :
الميت . قيل : فما آنس شيء ؟ قال : الصاحب المواتي .

وقال آخر : نسي عامر بن عبد الله بن الزبير عطاءه في المسجد ، فقبل له :
قد أخذ . فقال : سبحان الله ، يأخذ أحد ما ليس له ^(٣) .

جرير بن عبد الحميد ^(٤) ، عن عطاء بن السائب ، عن عبدة الثقفي ^(٥) قال :
لا يشهد على الليل بنوم أبداً ، ولا يشهد على النهار بأكل أبداً ^(٦) . فبلغ
ذلك عمر بن الخطاب فعزم عليه ، فكان يفطر في العيد وأيام التشريق .
وقال الحسن بن أبي الحسن : يكون الرجل عالماً ولا يكون عابداً ، ويكون

(١) عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) .

(٢) عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) .

(٣) ما عدال : « وهل يأخذ أحد » . وقد سبق الخبر في (٢ : ٣٤٩) .

(٤) هو جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي الرازي القاضي ، وكان من الثقات العباد
أصحاب الليل . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٤ : ٦٨) .

(٥) عبدة بن هلال الثقفي ، ذكره في صفة الصفوة (٣ : ٣٠) ، وروى له الخبر التالي .

(٦) في صفة الصفوة : « لله على أن لا يشهد على ليل بنوم ، ولا شمس بأكل » .

١٧٨ عابداً * ولا يكون عاقلاً . وكان مسلم بن يسار^(١) عالماً عابداً عاقلاً^(٢) .

وقال عبادة بن الصامت : من الناس من أوتي علماً ولم يُؤت حِلماً .
وشَدَّاد بن أوس^(٣) أُوتي علماً وحلماً .

قال إبراهيم : كان عمرو بن عُبيد عالماً عاقلاً عابداً ، وكان ذا بيان ،
وصاحب قرآن .

إبراهيم بن سعد ، عن^(٤) أبي عبد الله القيسي قال : قال أبو الدرداء :
لا يُحرز المؤمن من شرار الناس إلا قبره .

وقال عيسى بن مريم صلوات الله عليه : « الدنيا لإبليس مزرعة ، وأهلها
له حرَّاثون » .

عبد الملك بن عمير^(٥) ، عن قبيصة بن جابر^(٦) قال : « ما الدنيا في الآخرة
إلا كنفجة أرنب^(٧) » .

قال عمر رحمه الله : « لولا أن أسير في سبيل الله ، وأضع جبهتي لله ، وأجالس

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٢٤٢) . ما عدال : « مسلم بن بدر تحريف .

(٢) مضي الخبر في (١ : ٢٤٢) .

(٣) سبقت ترجمته وخبر له مع عبادة بن الصامت في (١ : ١٩١) .

(٤) إلى هنا ينتهي سقط التيمورية الذي بدأ في ص ١٤٨ س ٩٠ .

(٥) سبقت ترجمته في (١ : ٥٦) . وفي النسخ « عبد الله بن عمير » تحريف

صوابه في الحيوان (٦ : ٣٥٢) حيث الخبر .

(٦) هو قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك بن عميرة الأسدي ، روى عن جماعة من

الصحابة ، وعنه الشعبي ، وعبد الملك بن عمير ، والعريان بن الهيثم وغيرهم . وفي تهذيب
٢٠ التهذيب : « قال عبد الملك بن عمير : عن قبيصة بن جابر ، ألا أخبركم بمن صحبت ؟ صحبت
عمرو بن العاص فما رأيت أتم ظرفاً منه ، وصحبت معاوية فما رأيت أكثر حلماً منه ، وصحبت
زيداً فلم أر أكرم جلساً منه ، وصحبت المغيرة فلو أن مدينة لها أبواب لا يخرج من كل باب
منها إلا بالسكر لخرج من أبوابها كلها » .

(٧) فيما عدال : « الأرنب » . وفي اللسان : « نفج الأرنب ، إذا ثار » . وقد

٢٥ روى هذا الحديث فيه بلفظ « عند الآخرة » . وعقب عليه بقوله : « أي كوثبته من مجثمه » .
يريد تقليل مدتها » .

أقواماً يَنْتَقِمُونَ أحسنَ الحديثِ كما يُنْتَقَى أطايبُ التَّمْرِ ، لم أبالِ أن أكون قد مِتَّ ^(١) .

قال عامرُ بنُ عبدِ قيس ^(٢) : ما آتَى من العراقِ إلّا على ثلاثٍ : ظمأُ الهواجرِ ، وتجاوُبُ المؤذنينِ ، وإخوانٍ لى منهم الأسودُ بنُ كلثوم ^(٣) .

قال مُورِقُ العِجلى ^(٤) : ضاحكٌ معترفٌ بذنبِهِ خيرٌ من باكٍ مُدِلٍّ على ربِّهِ . وقال : خيرٌ من العُجْبِ بالطاعة ، أن لا تأتى بطاعة .

قالوا : كان الربيعُ بنُ خُثَيْم ^(٥) يقول : لا تُطْعِمُ إلّا صحيباً ولا تَكْسُ إلّا جديداً ، ولا تُعْتِقُ إلّا سويّاً .

قال بعضُ الملوكِ لبعضِ العلماءِ : ذمّ لى الدنيا . فقال : أيُّها الملكُ ، الآخذةُ لما تعطى ، المورثةُ بعد ذلك الندمِ ، السالبةُ ما تكسو ، المُعقبةُ بعد ذلك الفُضوحِ ، تسدُّ بالأرذالِ مكانَ الأفاضلِ ، وبالعجزةِ مكانَ الحزَمَةِ . تجد فى كلِّ من كلِّ خلفاً ، وترضى من كلِّ بكلِّ بدلاً . تُسكِنُ دارَ كلِّ قَرْنٍ قَرناً ، وتطعمُ سُورَ كلِّ قومٍ قوماً .

وكان سعيدُ بنُ أبى عروبة ^(٦) يُطْعِمُ المساكينَ الشُّكْرَ ^(٧) ، ويتأوّلُ قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ .

قال . وكان محمدُ بنُ عليّ ^(٨) إذا رأى مبتلىً أخفى الاستعانة . وكان

(١) الخبر فى عيون الأخبار : (١ : ٣٠٨) .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٨٣) . والخبر فى عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) .

(٣) مضت ترجمته فى (١ : ٣٦٣) كما سبق الخبر فى (٢ : ١٩٦) .

(٤) ترجم فى (١ : ٣٥٣) ومضى قول مورق فى (٢ : ١٩٨) .

(٥) ترجم فى (١ : ٣٦٣) . وفى الأصل : « خَيْم » ، وصواب اسمه « خُثَيْم » .

(٦) سعيد بن أبى عروبة ، ترجم فى (١ : ٣٦٩) .

(٧) مثله ما روى عن الربيع بن خثيم ، أنه كان إذا أتاه سائل قال : أطعموه سكراً .

فإنى أحب السكر . صفة الصفوة (٣ : ٣٥) .

(٨) محمد بن علي بن الحسين بن علي أبو جعفر الباقر ، ترجم فى (٢ : ٢٦٢) ، والخبر فى عيون الأخبار : (٢ : ٢٠٨) .

لا يسمع من داره : يا سائل^(١) بُوركَ فيك ، ولا يا سائلُ خذْ هذا . وكان يقول : سَمُّوهم بأحسنِ أسمائهم^(٢) .

قال : وتمنّى قومٌ عند يزيد الرقاشي^(٣) ، فقال يزيد : سأتمنّى كما تمنّيتُم .

١٧٩ قالوا : تمنّ قال : ليتنا لم نُخلَق ، وليتنا إذ مُتْنَا لم نُبعث ، وليتنا إذ بُعِثْنَا

لم نُحاسِب ، وليتنا إذ حُوسِبْنَا لم نَعذب ، وليتنا إذ عُدِّبْنَا لم نُخلَد .

قال : وقال رجلٌ لأمِّ الدرداء^(٤) : إني أجد في قلبي داءً لا أجد له دواءً ،

وأجدُ قسوةً شديدةً ، وأملأُ بعيداً . قالت : اطلّع القبورَ ، واشهد الموتى .

ابن عَوْن قال : قلت للشَّعبيّ : أين كان علقمة^(٥) من الأسود^(٦) ؟ قال :

كان الأسود صَوَّاماً قَوَّاماً ، وكان علقمة مع البطيء وهو يسبق السريع^(٧) .

١٠ قال : وقيل لغالب بن عبد الله الجُهضمي : إننا نخاف على عينيك العمى من

طُول البكاء . قال : هو لها شهادة^(٨) .

(١) ما عدال : « للسائل » .

(٢) في عيون الأخبار : « ويقول : سموهم بالحسن الجميل عباد الله . فنقولون : يا عبد الله بورك فيك » .

١٥ (٣) يزيد بن أبان الرقاشي ، المترجم في (١ : ٢٠٤) .

(٤) سبقت ترجمتها في (١ : ٣٦٥) .

(٥) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ، ولد في حياة الرسول ، وكان ناس من الصحابة يسألونه ويستفتونه . ويروى أنه قرأ القرآن في ليلة . وقد شهد صفين وغزا خراسان وأقام بخوارزم سنتين ، ودخل مرو فأقام بها مدة . وهو عم الأسود وعبد الرحمن ابني يزيد بن قيس ، وكانا أسن منه . توفي سنة ٦٢ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة ٢٠ (٣ : ١٣ — ١٤) والإصابة ٦٤٤٨ .

(٦) الأسود بن يزيد بن قيس ، وهو ابن أخي علقمة ، كما سبق القول . وكان من العباد ، يروى أنه كان يصوم الدهر ، وذُهب إحدى عينيه من الصوم . توفي سنة ٧٤ . الإصابة ٤٥٧ وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١١) .

٢٥ (٧) انظر مفاضلة أخرى بينهما في تهذيب التهذيب (٧ : ٢٧٧) .

(٨) الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٢٩٦) .

محمد بن طلحة بن مُصَرِّف^(١) ، عن محمد بن جُحَادَة^(٢) ، قال : لَمَّا قُتِلَ الحسين رضي الله عنه أتى قومُ الربيع بن خثيم فقالوا : لنستخرجنَّ منه كلاماً . فقالوا : قُتِلَ الحسين . قال : الله يحكم بينهم يومَ القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . وأتته بُنَيَّةٌ له فقالت : يا أبة ، أذهبُ ألب ؟ قال : اذهبي فقولي خيراً وافعلي خيراً .

وقال أبو عُبَيْدَة : استقبلَ عامر بن عبد قيس رجلٌ في يوم حَلَبَةٍ ، فقال : مَنْ سَبَقَ يا شيخ ؟ قال المقرَّبُونُ^(٣) .

علي بن سليم ، قال : قيل للربيع بن خثيم^(٤) : لو أرختَ نفسك ؟ قال : راحتها أريد ، إن عمرَ كان كَيْسًا^(٥) .

وقال أبو حازم : لِمَتَّقَ [الله] أحدكم على دينه ، كما يَتَّقِي على نَعْلِهِ .
جعفر بن سُلَيْمَانَ الضُّبَعِيُّ^(٦) ، قال : أتى مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير ، فجلس مجلسَ مالك بن دينار وقد قام ، فقال أصحابه : لو تكلمتَ ؟ قال : هذا ظاهرٌ حسن ، فإن تكونوا صالحين فإنَّه كان لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا .

(١) ما عدال : « بن مضرب » تحريف . وهو محمد بن طلحة بن مصرف الياي الكوفي ، روى عن الأعمش وحيد الطويل . توفي سنة ١٧٦ . تهذيب التهذيب ، وخلاصة التهذيب ٢٨٢ والسماعى ٥٩٧ .

(٢) محمد بن جعادة الإياي الكوفي « روى عن أنس وعطاء ونافع ، وكان زاهداً يلبس الخلقان يفسلها ، وكان يفلو في التشيع . توفي سنة ١٣١ . تهذيب التهذيب وخلاصة التهذيب ٢٨١ والسماعى ٤ . والإياي نسبة إلى إيام ، وهو بطن من همدان ، ويقال لهم أيضاً « يام » كما نص السماعى . وإيام ، ضبط في القاموس ككذاب ، أى بكسر الهمزة وتشديد الياء . (٣) وكذا نسب الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٠) إلى عامر بن عبد قيس ، لكن سبقت نسبه في (٢ : ٢٨٢) إلى بلال مولى أبى بكر .

(٤) كذا في الأصل وخلاصة التهذيب . والصواب « خثيم » . قال ابن دريد في الاشتقاق ١١٢ : « وخثيم تصغير أخثم — يريد تصغير ترخيم — والأخثم : العريض الأنف . ومنه اشتقاق خيشمة » . وقد ضبطه كذلك ابن حجر في تقريب التهذيب .

(٥) الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٣٧٢) .

(٦) سبقت ترجمته في (٢ : ١٧٣) .

وقال رجلٌ لآخرٍ وباع ضيعةً له : أمّا والله لقد أخذتها ثقيلةً الممونة قليلةً الممونة . فقال الآخر : وأنت والله لقد أخذتها بطيئةً الاجتماع ، سريعةً التفرق . واشترى رجلٌ من رجلٍ داراً فقال لصاحبه : لو صبرتَ لا اشتريتُ منك الذراعَ بعشرة دنانير . قال : وأنت لو صبرتَ لبعيتك الذراعَ بدرهم .

ورأى ناسكٌ ناسكاً في المنام فقال له : كيف وجدتَ الأمر يا أخى ؟ قال : ٥
١٨٠ وجدنا ما قدّمنا ، ورَبَحنا ما أنفقنا * وخسرنا ما خلفنا .

وقال بكرٌ بن عبد الله المزني : اجتهدوا في العمل ، فإنَّ قصَرَ بكم ضعفٌ فكشّفوا عن المعاصي .

قال : وقال أعرابي : إنه ليقتل الخُبَارَى جوعاً ظلمُ للناسِ بعضهم لبعض (١) !
قال : قيل لمحمد بن علي (٢) : من أشدُّ الناس زهداً ؟ قال : من لا يُبالي ١٠
الدُّنيا في يدٍ من كانت .

وقيل له : من أخسرُ الناسِ صَفَقَةً ؟ قال : من باعَ الباقي بالنفاني .
وقيل له : من أعظمُ الناسِ قدراً ؟ قال : من لا يرى الدُّنيا لنفسه قدراً .
الأصمعي ، عن شيخٍ من بكر بن وائل ، أن هاني بن قبيصة (٣) ، أتى
حُرقة بنتَ الثَّعْمَانِ وهي باكيةٌ ، فقال لها : لعلَّ أحداً آذاك ؟ قالت : لا ، ١٥
ولكنِّي رأيتُ غَضَارَةً في أهلكم (٤) ، وقلما امتلأت دَارُ سروراً إلا امتلأت حزنًا .
وقالوا : يهرَم ابنُ آدمَ وتَشِبُّ له خصلتان : الحرصُ والأمل .

(١) في الحيوان (٥ : ٤٤٤) : « هزلاً » بدل « جوعاً » . وقد فسر الجاحظ الخبر بقوله : « يقول : إذا كثرت الخطايا منع الله عز وجل در السحاب . وإنما تصيب الطير من الحب ومن الثمر على قدر المطر » .

(٢) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي ، أبو جعفر الباقر ، المترجم في (٢ : ٢٦٢) .

(٣) هاني بن قبيصة الشيباني ، كان شريفاً عظيماً القدر ، وكانت نصرانياً ، وأدرك الإسلام فلم يسلم ، ومات بالكوفة . الاشتقاق ٢١٦ .

(٤) الغضارة : النعمة والسعة في العيش . وقد سبق الخبر في ١٧١ من الأصل « برواية : « رأيت لأهلك غضارة » .

الأصمعي ، قال : قال محمد بن واسع ^(١) : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث :
بُلغَةٍ من عيشٍ ليس لأحد فيها على مِنة ولا لله فيها على تبعة ، وصلاةٍ في جَمْعٍ ^(٢)
أَكفَى سهوها ويُدخِر لي أجرها ، وأخٍ في الله ^(٣) إذا ما اعوججت قوامي .
وقال آخر : ما آسى من العراق إلا على ثلاث : ليل الحزير ^(٤) ، ورطب
الشكر ، وحديث ابن أبي بكرة ^(٥) .

وقال آخر : إذا سمعت حديث أبي نضرة ^(٦) ، وكلام ابن أبي بكرة ،
فكأنك مع ابن لسان الحمرة ^(٧) .

وقال أبو يعقوب [الحريري] الأعور ^(٨) : تلقاني مع طلوع الشمس سعيداً

- (١) محمد بن واسع الأزدي ، ترجم في (١ : ٣٥٣) .
(٢) جمع ، بالفتح : اسم للزدلفة ، سميت بذلك لاجتماع الناس بها .
(٣) كلمة « في الله » من ل فقط .
(٤) ما عدال : « الحريق » تحريف . وفي هامش ب والتمورية : « حكي الجاحظ
في كتاب الأمثال : بالبصرة موضع يقال له الحريق (صوابه الحزير) لم ير الناس قط هواء
أعدل « ولا نسيا أرق ، ولا سماء أطيب من ذلك الموضع » .
(٥) سبق الخبر في (٢ : ١٩٦) . وقد أورده ابن قتيبة في عيون الأخبار (١ : ٣٠٨) .
وابن أبي بكرة هذا ، هو عبيد الله ، المترجم في (١ : ١٧٣) حيث قال الجاحظ عند الكلام
على ابن الزبير : « وكيف يكون هذا وقد ذكروا أنه كان من أحسن الناس حديثاً ، وأن أبا نضرة
وعبيد الله بن أبي بكرة إنما كانا يحكيانه » . وهذا النص وقرائنه يخطئ ما استظهرته
في (٢ : ١٩٦) .
(٦) أبو نضرة ، سبقت ترجمته في (١ : ١٧٣) .
(٧) ابن لسان الحمرة ، اسمه عبيد الله بن الحصين ، أو ورقاء بن الأشعر ، كما في القاموس
والمعارف ٢٣٣ . وفي الفهرست ١٣٢ « وقاء » وهو تحريف . وكان يكنى أبا كلاب ، كما
في الحيوان (٢ : ٢٠٠) . وهو أعرابي من بني تيم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه .
قال ابن قتيبة : « وكان أنسب العرب وأعظمهم بصراً » . دخل الكوفة وعليها المغيرة
ابن شعبة ، فسأله المغيرة عن طبائع قبائل من العرب ، وعن خلق النساء ، فأجاب أجوبة ممتعة ،
سردها أبو الفرج في الأغاني (١٤ : ١٣٨) . وسأله معاوية يوماً فقال له : بم نلت العلم ؟
قال : بلسان سئول وقلب عقول . انظر حياة الحيوان للدميري في ترجمته « الحمرة » . والحمرة :
طائر يشبه العصفور .
(٨) ترجم أبو يعقوب الحريري في (١ : ١١٥ ، ١١٥) . والخبر في عيون الأخبار
(٢ : ١٢٨) .

ابن وهب ، فقلت : أين تريد ؟ قال : أدور على المجالس فلعلّي أسمع حديثاً حسناً .
ثم لم أجاوز بعيداً حتى تلقاني أنس بن أبي شريح^(١) ، فقلت له : أين تريد ؟
قال : عندي حديث حسن فأنا أطلب له إنساناً حسن الفهم ، حسن الاستماع .
قال : قلت : حدثني فأنا كذلك^(٢) . قال : أنت حسن الفهم رديء الاستماع ،
وما أرى لهذا الحديث إلا إسماعيل بن غزوان^(٣) .

١٨١ هشام ، قال : أخبرني رجل من أهل البصرة قال : وُلِدَ لِلْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ
غَلامٌ ، فقال له بعض جلسائه : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي هَبْتِهِ ، وزادك في أحسن نعمته .
فقال الحسن : الحمد لله على كل حسنة ، ونسأل الله الزيادة في كل نعمة ، ولا
مرحباً بمن إن كنت عائلاً أتعبني^(٤) ، وإن كنت غنياً أذهاني ، لا أرضى بسعي
له سعيًا ، ولا بكدي له في الحياة كدًا ، حتى أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي ،
وأنا في حال لا يصل إليّ من همّه حزنٌ ، ولا من فرحه سرور .

قال الحسن للعقبة بن مخرش التيمي : إِنَّ مَنْ خَوْفَكَ حَتَّى تَلْقَى الْأَمْنَ ،
خَيْرٌ لَكَ مِمَّنْ أَمَّنَكَ حَتَّى تَلْقَى الْخَوْفَ .

وقال عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : مَا أَحْسَنَ الْحَسَنَةُ فِي إِثْرِ الْحَسَنَةِ ،
وَأَقْبَحَ السَّيِّئَةُ فِي إِثْرِ السَّيِّئَةِ .

الحسن قال : مَا رَأَيْتُ يَقِينًا لَا شَكَّ فِيهِ أَشْبَهَ بِشَكِّ لَا يَقِينَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ
نَحْنُ فِيهِ .

(١) ترجم في (٢ : ٢٥٢) .

(٢) ما عدال : « كذاك » .

(٣) إسماعيل بن غزوان هذا ممن ردد الجاحظ ذكرهم في كتابه « البخلاء » ، وكثيراً
ما يقرنه بسهل بن هارون . وكان ممسكاً شديد البخل . انظر البخلاء ١٣٠ .

(٤) العائل : الفقير . والعيلة : الحاجة والفقير . ما عدال : « أنصبتني » .
أنصبه : أتعبه .

قال : وكان الحسن إذا ذكر الحجاج قال : يتلو كتاب الله على نلحـ وجُذام ،
ويعظ عظة الأزارقة ، ويبطش بطش الجبارين .

وكان يقول : اتقوا الله ؛ فإن عند الله حجاجين كثيراً .

وقال سنان بن سلمة بن قيس^(١) : اتقوا الله ؛ فإن عند الله أياماً مثل شوال^(٢) .

وقال خالد بن صفوان : بت ليلتي كلها أتمنى ، فكسبت^(٣) البحر الأخضر
بالذهب الأحمر ، فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيان ، وكوزان ، وطمران^(٤) .

وكان الحسن يقول : إنكم لا تنالون ما تحبون ، إلا بترك ما تشتهون ،
ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون .

ودخل قوم على عوف بن أبي جميلة^(٥) في مرضه ، فأقبلوا يُثنون عليه ،
فقال : دعونا من الثناء ، وأمدونا بالدعاء . ١٠

وقال أبو حازم : نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب
حتى نموت .

وكان الحسن يقول : يا ابن آدم ، نهارك ضيفك فأحسن إليه ؛ فإنك إن
أحسنst إليه ارتحل بحمدك ، وإن أنت أسأت إليه ارتحل بدمك .
وكذلك ليلاك . ١٥

وقيل * لبعض العلماء : من أسوأ الناس حالاً ؟ قال عبد الله بن عبد الأعلى ١٨٢

(١) ما عدال : « وكان سنان بن سلمة بن قيس يقول » .

(٢) كانت العرب تنظير من شوال وخاصة من عقد المناكح فيه ، وتقول إن المنكوحة
تمتنع من ناكحها ، كما تمتنع طروقة الجمل إذا لقت وشالت بذنبها لترية أنها حامل . وقد أبطل
الإسلام ذلك . وقالت عائشة : « تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال ، وبني بي
في شوال ، فأى نسائه كان أحظى عنده مني » . ٢٠

(٣) ما عدال : « فكسبت » تحريف . وفي هامش التيمورية : « فلات . نسخة .
فكسوت . نسخة » .

(٤) الطمر ، بالكسر : الثوب الخلق .

(٥) ترجم في (٢ : ٣٧) . ٢٥

الشَّيْبَانِيَّ ، القاتِلُ عند موته : دخلتها جاهلاً ، وأقت فيها حائراً ، وأخرجت منها كارهاً — يعني الدنيا .

وقيل لآخر : مَنْ أسوأ الناس حالاً ؟ قال : مَنْ قويت شهوته وبعُدت همته ، وآتسمت معرفته وضائق مقدرته .

وقيل لآخر : مَنْ شرُّ الناس ؟ قال : مَنْ لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً .

وقيل لآخر : مَنْ شرُّ الناس ؟ قال : القاسي . فقيل : أيُّما شرُّ الوقاح^(١) ، أم الجاهل ، أم القاسي ؟ قال : القاسي .

وذَكَرَ أبو صفوان ، عن البَطَّال أبي العلاء ، من بني عمرو بن تميم قال : قيل له قبل موته : كيف تجدك يا أبا العلاء ؟ قال : أجِدُنِي مغفوراً لي . قالوا : قل : إن شاء الله . قال : قد شاء الله . ثم قال :

أوصيكمُ بِالْجَلَّةِ التَّلَادِ^(٢) فَإِنَّمَا حَوْلَكُمْ الْأَعَادِي

قال ابن الأعرابي : كان العباس بن زفر^(٣) لا يكلم أحداً حتَّى تنبسط الشمس ، فإذا انقُلت عن مُصَلَّاهُ ضَرَبَ الْأَعْنَاقَ ، وقَطَعَ الْأَيْدِي والأَرْجُلَ . وكان جريرُ بن الخطَّابي لا يتكلم حتَّى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قَذَفَ المحصَّنة .

قال : ومَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فبَكَى وقال : أَحْرَقْتَنِي هَذِهِ الْجِنَازَةُ^(٤) ! قيل : فلم تَقْذِفْ المحصَّنة ؟ قال : يبدولي ولا أصير .

وكان يقول : أَنَا لَا أَبْتَدِي وَلَسْكَنَ أَعْتَدِي^(٥) .

(١) الوقاح ، كسحاب : القليل الحياء .

(٢) الجلة : المسان من الإبل . والتلاد : كل مال قديم يورث عن الآباء .

(٣) كان للعباس بن زفر صلاة بالمؤمن قبل الخلافة . انظر الأغاني (١٢ : ٢٠ — ٢١) .

(٤) ما عدال : « الجنابة » بالإنفراد .

(٥) في الحيوان (٣ : ٩٩) : « ولكني أعتدي » . والنص في الحيوان مسبوق

بقوله : « وقيل لجرير : إلى كم تهجو الناس ؟ » . والاعتداء هنا بمعنى المجازاة ، مثله في قول

الله : « فن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم » .

الحسن بن الربيع الكندي بإسناد له ، قال : قال رجلٌ للنبي صلى الله عليه وسلم : دُلّني على عملٍ إذا أنا عملته أحبّني الله وأحبّني الناس . قال : « ازهد في الدنيا يُحبّك الله » وازهد فيما في أيدي الناس يُحبّك الناس » .

قال : وبلغني عن القاسم بن مخيمرة الهمداني ^(١) ، أنه قال : إني لأغلق بابي فما يجاوزُه همّي ^(٢) .

وقال أبو الحسن : وُجد في حجرٍ مكتوبٍ : يا ابن آدم ، لو أنّك رأيتَ سيرَ ما بقي مِن أجلك لزهدتَ في طول ما ترجو من أملك ، ولرغبتَ في الزيادة في عملك ، ولقصرتَ من حرصك وحيلك . * وإنما يلقاك غداً ندّمك ١٨٣ لو قد زلتَ بك قدمك ، وأسلمك أهلُك وحشَمُك ، وتبرأ منك القريب ، وانصرف عنك الحبيب ، فلا أنتَ إلى أهلِكَ بعائدٌ ، ولا في عملِكَ بزائدٌ . ١٠

وقال عيسى بن مريم صلوات الله عليه : « تعملون للدنيا وأنتم تُرزقون فيها بغير العمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا تُرزقون فيها إلا بالعمل » .

قال : أوحى الله تبارك وتعالى إلى الدنيا : من خَدَمَنِي فَاخْدُمِيهِ ، ومن خَدَمَكَ فاستخدميه ^(٣) .

وقال : من هوان الدنيا على الله أنه لا يُعصى إلا فيها ، ولا يُنال ما عنده إلا بتركها . ١٥

(١) مخيمرة ، ضبطه في الخلاصة بضم الميم الأولى وفتح الثانية . لكن قواعد التصغير تقتضي كسر ما بعد الياء في مثله . وهو بالخاء المعجمة . وفيما عدال : « مخيمرة » بالمهملة ، تحريف . وهو أبو عمرو القاسم بن مخيمرة الهمداني الكوفي ، كان معلماً بالكوفة ثم سكن الشام . روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبي سعيد الخدري ، وشريح بن هانئ وغيرهم . ٢٠ وتوفي سنة مائة . تهذيب التهذيب ، وخلاصة التهذيب ٢٦٧ وصفة الصفوة (٣ : ٥٢) .

(٢) في صفة الصفوة : « قال القاسم بن مخيمرة : ما اجتمع على مائدتي لوان من طعام واحد ، ولا أغلقت بابي ولى خلفه هم » .

(٣) انظر عيون الأخبار (٢ : ٣٢٩) .

قال : مرَّ عيسى بن مريم عليه السلام بقوم يبكون ، فقال : ما بالهم يبكون ؟ فقالوا : على ذنوبهم . قال : « اتركوها يُغفرْ لكم ^(١) » .

قال : وقال زياد بن أبي زياد ، مولى [عبد الله بن] عَيَّاش بن أبي ربيعة ^(٢) : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فلما رآني تَزَحَّلَ عن مجلسه ^(٣) وقال : إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلاً فلا تأخذُ عليه شرفَ المجلس .

وقال الحسن : « إنَّ أهل الدنيا وإنْ دَقَدَت بهم الهماليج ^(٤) ، ووطئُ الناسُ أَعقابَهُم فإنَّ ذلَّ المعصية في قلوبهم » .

قالوا : وكان الحجاج يقول إذا خطب : « إِنَّا والله ما خُلِقْنَا لِلْفَنَاءِ ، وَإِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْبَقَاءِ ، وَإِنَّمَا نَنْقُلُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ » . وهذا من كلام الحسن .

ولما ضَرَبَ عبدُ الله بن عليٍّ ^(٥) تلكَ الأعناق قال له قائل : هذا والله جَهْدُ

(١) ما عدال : « تغفر لكم » .

(٢) التكملة مما سبق من التحقيق في ص ١٢٦ . وفيما عدال : « بن ربيعة » تحريف . والخبر في عيون الأخبار (١ : ٣٠٧) .

(٣) تَزَحَّلَ عن مجلسه : تنحى وتباعد . ل : « تَرَجَلَ » وفي التيمورية « تَرَحَّلَ » صوابهما ما أثبت من ب ، ح . وفي عيون الأخبار : « رحل » .

(٤) الدققة : حكاية أصوات حوافر الدواب في سرعة تردددها . والهماليج : جمع هملاج ، وهو البرذون الحسن السير في سرعة وبخثرة .

(٥) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس ، عم أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور . ولأه أبو العباس حرب مروان بن محمد ، فسار إليه حتى قتله واستولى على بلاد الشام . ولم يزل أميراً عليها مدة خلافة السفاح ، فلما ولي المنصور خالف عليه ودعا إلى نفسه ، فوجه إليه المنصور أبا مسلم صاحب الدولة غاربه بنصيبين ، فانهزم عبد الله بن علي واختفى وصار إلى البصرة ، فأشخصه سليمان بن علي وإلى البصرة إلى بغداد ، فحبسه أبو جعفر ، ولم يزل في حبسه ببغداد حتى وقع عليه البيت الذي حبس فيه فقتله ، وذلك سنة ١٤٧ . تاريخ بغداد ١١٨ هـ والمعارف ١٦٣ — ١٦٤ . وذكر المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٨٥ أن عبد الله بن علي قتل من الأمويين على نهر أبي فطرس بفلسطين نحواً من ثمانين رجلاً مثله ، واحتذى أخوه داود بن علي بالحجاز فعله ، فقتل منهم نحواً من هذا العدد بأنواع المثل .

البلاء ؟ فقال عبدُ الله : ما هذا وشرُّ طَعة الحِجَّام إلا سَوَاء . وإنما جَهدُ البلاء فقرُّ مُدِّقِع بعد غِنَى مُوسَى .

وقال آخر : أشدُّ من الخوف الشيء الذي من أجله يشتدُّ الخوف .
وقال آخر : أشدُّ من الموت ما يُتمنَّى له الموت ، وخيرٌ من الحياة ما إذا فقدته أبفضت له الحياة .

وقال أهل النار : ﴿ يا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَشْبَكَ ﴾ ، فلما لم يُجَابُوا إلى الموت قالوا : ﴿ أفيضوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾ .

وقالوا : ليس في النار عذابٌ أشدُّ على أهله من علمهم بأنَّه ليس لكرهم تنفيس ، ولا لِضيقهم ترفيه ، ولا لعذابهم غاية . ولا في الجنة نعيمٌ أبلغُ من علمهم أن ذلك المُلْك لا يزول . ١٠

قالوا : * قارف الزُّهرى ذنباً ، فاستوحش من الناس وهام على وجهه ، فقال ١٨٤ له زيد بن علي : يا زُهرى ، لَقْنُوطُكَ من رحمة الله التي وسَّعت كلَّ شيءٍ أشدُّ عليك من ذنبك ! فقال الزُّهرى : ﴿ الله أعلمُ حيثُ يَجْعَلُ رِسالته ^(١) ﴾ . فرجع إلى ماله وأهله وأصحابه .

قال ابن المبارك : أفضلُ الزهد أخفاه . ١٥

الأوزاعي ، عن مكحول قال : إن كان في الجماعة الفضيلة فإن في العُرلة السلامة .

إسماعيل بن عيَّاش ، عن عبد الله بن دينار ^(٢) ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله كره لكم العبث في الصلاة ، والرَّفَث في الصيام ، والضَّحِك في المقابر » . ٢٠

(١) من الآية ١٢٤ في الأنعام . وهذه قراءة جمهور القراء . وقرأ ابن كثير وحفص وابن محيصن : (رسالته) بالإفراد . إتخاف فضلاء البشر ٢١٦ .

(٢) سبقت ترجمته وترجمة إسماعيل في (٢ : ٢٣) حيث سلف الخبر .

وقال أَرْدَشِيرُ خُرَّهَ^(١) : أَخْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ ، وَاللَّيْمَ إِذَا شَبِعَ .

قال واصل بن عطاء : الْمُؤْمِنُ إِذَا جَاعَ صَبَرَ ، وَإِذَا شَبِعَ شَكَرَ .

وقيل لعامر بن عبد قيس : مَا تَقُولُ فِي الْإِنْسَانِ ؟ قَالَ : مَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِيمَنْ إِذَا جَاعَ ضَرَعَ ، وَإِذَا شَبِعَ طَفَى .

قال : وَنَظَرَ أَعْرَابِيٌّ فِي سَفَرِهِ إِلَى شَيْخٍ قَدْ صَحِبَهُ ، فَرَأَاهُ يَصَلِّي فَسَكَنَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَالَ : أَنَا صَائِمٌ ، ارْتَابَ بِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

صَلَّى فَأَعْجَبَنِي وَصَامَ فَرَأَيْتَنِي نَحَّ الْقُلُوصَ عَنِ الْمَصَلَّى الصَّائِمِ^(٢) وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مُسْجُونًا تُسَأَّلُهُ مَا بَالُ سَجْنِكَ إِلَّا قَالَ : مُظْلُومٌ^(٣)

الثَّوْرِيُّ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ^(٤) ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ^(٥) ، قَالَ : كَانَ يُقَالُ : اْعْمَلْ وَأَنْتَ مُشْفِقٌ ، وَدَعْ الْعَمَلَ وَأَنْتَ تَحْبُهُ .

(١) كَذَا . وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ « أَرْدَشِيرَ خُرَّهَ » اسْمُ كُورَةٍ مِنْ كُورِ فَارَسَ ، وَمَعْنَاهُ بَهَاءُ أَرْدَشِيرَ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ، وَاسْتَبْنِجَاسُ ٣٥ . فَلَمَّا كَلِمَةُ « خُرَّهَ » مَقْحَمَةٌ ، أَوْ مَحْرَفَةٌ عَنْ كَلِمَةِ « مَرَّةَ » . وَأَرْدَشِيرُ بْنُ بَابِكٍ مَعْرُوفٌ بِالْحِكْمَةِ ، وَقَدْ اخْتَارَ ابْنُ قَتَيْبَةَ طَائِفَةً مِنْ أَقْوَالِهِ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ .

(٢) الْقُلُوصُ : الْفَتْيَةُ مِنَ الْإِبِلِ . مَا عَدَالُ : « عَدَّ الْقُلُوصَ » .

(٣) وَكَذَا جَاءَتْ رَوَايَتُهُ فِي الْحَيَوَانَ (١٠٦ : ٢) . وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (١ : ٧٩ / ٢) :

(١١٦) :

مَا يَدْخُلُ السَّجْنَ لِإِنْسَانٍ فَتَسَأَلُهُ مَا بَالُ سَجْنِكَ إِلَّا قَالَ مُظْلُومٌ

(٤) هُوَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ قَيْسُ بْنُ دِينَارِ الْأَسَدِيِّ السَّكَوِيِّ . رَوَى عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَنْسَ وَغَيْرِهِمْ ، وَرَوَى عَنْهُ الْأَعْمَشُ وَالثَّوْرِيُّ وَشُعْبَةُ وَغَيْرُهُمْ . تَوَفَّى سَنَةَ ١١٩ . تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ وَصِفَةُ الصَّفْوَةِ (٣ : ٥٩) .

(٥) يَحْيَى بْنُ جَعْدَةَ بْنِ هَبِيرَةَ بْنِ أَبِي وَهْبٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَائِدَةَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومِ الْقُرَشِيِّ الْخَزْزَوِيِّ . رَوَى عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمْ .

قال : وقيل لرابعة القيسية ^(١) : هل عملت عملاً قط ترين أنه يُقبل منك ؟
قالت : إن كان شيء ، فخوفى من أن يُردَّ عليّ .

وقال محمد بن كعب القرظي ^(٢) ، لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين
لا تنظرنَّ إلى سِلعةٍ قد بارت على من كان قبلك تريد أن تجوزَ عنك ^(٣) .

الحسن قال : * كان من كان قبلكم أرقَّ منكم قلوباً وأصفقَ ثياباً ، وأنتم ١٨٥
أرقُّ منهم ثياباً وأصفقُ منهم قلوباً ^(٤) .

عبد الله بن المبارك قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبد الله
الحَكَمي :

« إن استطعت أن تدعَ مما أحلَّ الله لك ما يكون حاجزاً بينك وبين
ما حرَّم الله عليك فافعلْ ؛ فإنه من استوعب الحلالَ كلَّه تآقت نفسه ١٠
إلى الحرام » .

وقال أبو بكر الصديق رحمه الله لخالد بن الوليد حينَ وجهه : « احرصْ على
الموت توهبَ لك الحياة » .

وقال رجل : أنا أحبُّ الشهادة . فقال رجل من النُّسَّاك : أحبُّها إن وقعتْ
عليك ، ولا تحبُّها حُبَّ من يريدُ أن يقعَ عليها . ١٥

وقال رجل ^(٥) لداود بن نصير الطائي العابد ^(٦) : أوصني . قال : اجعل

(١) مضت ترجمتها في (١ : ٣٦٤) .

(٢) ترجم في (٢ : ٣٤ ، ٣٠٠) .

(٣) في عيون الأخبار (٢ : ٣٤٣) : « ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على غيرك
٢٠ ترجو جوازها عنك » .

(٤) ماعدال : « وأصفق قلوباً » .

(٥) هو عبد الله بن إدريس ، كما في صفة الصفوة (٣ : ٧٥) .

(٦) داود بن نصير الطائي الكوفي الفقيه الزاهد . ومما يروى من أخباره أنه دفن
كتبه . توفي سنة ١٦٥ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة .

الدنيا كيومِ صُمَّتْهُ ، واجعل فِطْرَكَ الموت ، فكانُ قَدْ ، والسلام . قال : زدني .

قال : لا يَرَكُ الله عند ما نهاك عنه ، ولا يَفْقِدُكَ عند ما أَمَرَكَ به . قال : زدني .

قال : ارضَ باليسير مع سلامة دينك ، كما رضى قومٌ بالكثير مع هلاك دينهم .

قال رجل ليونس بن عبيد^(١) : أتعلم أحداً يعمل بعمل الحسن ؟ قال : والله

ما أعرفُ أحداً يقول بقوله ، فكيف يعمل مثل عمله ؟ ! قال : صفه لنا . قال : هـ

كان إذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حميمه ، وكان إذا جلس فكأنه أسير قد

أمر بضرب عنقه . وكان إذا ذُكرت النار عنده فكأنها لم تُخلق إلا له .

وهيب بن الورد^(٢) قال : بينا أنا أدور في الشوق إذ أخذَ أَخِذٌ بقفاي

فقال لى : يا وهيب ، اتق الله في قدرته عليك ، واستحي الله في قربه منك^(٣) .

وقال عبد الواحد بن زيد^(٤) لأصحابه : ألا تستحيون من طول ما لا تستحيون ! ١٠

الهيثم قال : كان شيخٌ من أعرابِ طيٍّ كثير الدعاء بالمغفرة ، فقيل له في

ذلك ، فقال : والله إنَّ دعائى بالمغفرة مع قبجٍ إصرارى للؤم ، وإنَّ تركي الدعاء

مع قوَّة طمعى لَعَجَز .

قال أبو بشر صالح المرسي^(٥) : إن تكن مصيبتك في أخيك أحدثت لك

(١) ترجم في (٢ : ٢٢٠) . وكانت من أثبت الناس في الحسن . والخبر في عيون

الأخبار (٢ : ٣٥٥ — ٣٥٦) .

(٢) وهيب لقب له ، واسمه عبد الوهاب بن الورد بن أبي الورد القرشي . كان من العباد

المتجردين لترك الدنيا . توفي سنة ١٥٣ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٢ : ١٢٣ — ١٢٨) .

(٣) في صفه الصفوة : « قال : بينا أنا واقف في بطن الوادي إذا أنا برجل قد أخذ

بمنكبي فقال : يا وهيب ، خف الله لقدرته عليك ، واستحي منه لقربه منك . قال : فالتفت

فلم أر أحداً » .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ٣٦٤) .

(٥) ترجم في (١ : ١١٣) . ما عدال : « أبو بشر » تحريف .

خشيةً فنع المصيبة مصيبتك ، وإن تكن مصيبتك بأخيك أحدثت لك جزءاً
فبئس المصيبة مصيبتك^(١).

١٨٦

وقال عمرو بن عبيدٍ لرجلٍ يعزّيه : كان أبوك أصلك ، وابنك فرعك ، فما
بقاء شيء ذهب أصله ولم يبق فرعُهُ .

وقال الحسن : إن امرأ ليس بينه وبين آدم إلا أبٌ مميت^(٢) لمُعْرِقٍ في الموت .

وقالوا : أعظمُ من الذنب اليأسُ من الرحمة ، وأشدُّ من الذنب الماطلة بالتوبة .

ابن لهيعة^(٣) ، عن سيّار بن عبد الرحمن^(٤) ، قال : قال لي بكير بن

الأشج^(٥) : ما فعل خالك ؟ قلت : لزم بيته . فقال : أما لئن فعل لقد لزم

قومٌ بيوتهم من أهل بدرٍ بعد مقتل عثمان رحمه الله ، فما خرجوا منها إلا إلى قبورهم .

وقال الحسن : إن الله ترائك في خلقه ، لولا ذلك لم ينتفع النبيون وأهلُ

الانقطاع إلى الله بشيء من أمر الدنيا : وهي الأمل ، والأجل ، والنسيان .

وقال مطرف بن عبد الله^(٦) لابنه : يا بني لا يلهيَنَّك الناسُ عن نفسك ؛

فإن الأمر خالصٌ إليك دونهم . إنك لم تر شيئاً هو أشدُّ طلباً ولا أسرعَ دركاً ،

من توبةٍ حديثة لذنوبٍ قديم .

وفي الحديث أن أبا هريرة مرَّ بمروان^(٧) وهو يبني داره ، فقال

(١) الخبر برواية أخرى في عيون الأخبار (٣ : ٥٣) .

(٢) ما عدال : « إلا أب قد مات » .

(٣) هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة ، المترجم في (١ : ٣٦٢) .

(٤) سيّار بن عبد الرحمن الصدقي المصري . روى عن عكرمة ، وحنش ، وبكير وغيرهم .

٢٠ وروى عنه الليث ، وابن لهيعة ، وحيوة بن شريح . تهذيب التهذيب ، وخلاصة التهذيب ١٣٦ .

(٥) هو بكير بن عبد الله بن الأشج القرشي مولاهم ، نزيل مصر . قالوا : لم يكن بالمدينة

بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب ، ويحيى بن سعيد ، وبكير بن عبد الله بن الأشج . خرج

قديماً إلى مصر فنزل بها . وتوفي سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب وخلاصة تهذيب السكّال ٤٤ .

(٦) مطرف بن عبد الله بن الشخير ، ترجم في (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

(٧) هو مروان بن الحسك ، المترجم في (١ : ٣٧٧) .

يا أبا عبد القدوس^(١) ، ابن شديداً وأملٌ بعيداً ، وعِشٌ قليلاً وكُلٌّ خَضماً ،
والموعدُ الله^(٢) .

قال : كان عمرو بن خُوَلَّة — أبوه سعيد بن عمرو بن العاص ، وأمه خُوَلَّة
من المسامعة^(٣) — وكان ناسكاً يجتمع إليه القراء والعلماء يوم الخميس . وقال
الشاعر فيه :

وأصبح زورك زورُ الخميس إليك كمرعيّة وارده

وقال الآخر في ابن سيرين :

فأنت بالليل ذئبٌ لا حريمَ له وبالنهار على سمتِ ابن سيرين^(٤)

وقال ابن الأعرابي : قال بعضُ الحكماء : لا يغلبَنَّ جهلُ غيرِكَ بك
علَمُكَ بنفسِكَ .

قال : وصلى محمد بن المنكدر^(٥) ، على عمران بقرة^(٦) ، ف قيل له في ذلك ،

١٨٧ فقال : إني لأستحي من الله أن أرى أن رحمته * تعجز عن عمران بقرة .

(١) لم يعرف من أولاد مروان من يدعى « عبد القدوس » . انظر المعارف لابن قتيبة
وصروج الذهب (٣ : ٩٨) . وقد ذكر فيهما أنه كان له من الولد أحد عشر ذكراً وثلاث
بنات ، ليس من بينهم عبد القدوس .

(٢) الخضم : الأكل بجميع القم . انظر ما سبق في ص ١٥٤ . وقد روى هذا الخبر
في اللسان (خضم) برواية : « فقال ابنوا شديداً ، وأملوا بعيداً ، واخضمو فستقضم » .

(٣) المسامعة ، أبوه مسمع بن شهاب بن عمرو بن عباد بن ربيعة بن جحدر بن ربيعة
ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب على بن بكر بن وائل . وقيل فيهم مسامعة ،
كما قيل في المهلبين مهالبة . وللمسامعة محلة بالبصرة . انظر معجم البلدان .

(٤) أنشده الجاحظ في الحيوان (٣ : ٤٩١) والثعالبي في ثمار القلوب ٧٠ . والسمت :
الطريق وهيئة أهل الخير . قال الثعالبي : « لما لم يستقم له أن يقول : على ورع ابن سيرين ، أقام
السمت مقامه وأحسن » .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بن عبد العزيز التيمي ، من
جلاة التابعين ، وكان من سادات القراء والمحدثين . توفي سنة ١٣٠ . تهذيب التهذيب وصفة
الصفوة (٢ : ٧٩) .

(٦) في هامش التيمورية : « عمران بقرة : لقب لرجل كان مسرفاً على نفسه » .

وقال محمد بن يسير :

كأنه قد قيل في مجلسٍ قد كنت آتية وأغشاه
محمد صار إلى ربّه يرحمنا الله وإياه

وقال الآخر :

• لَقَلَّ عَارًا إِذَا ضَيْفٌ تَضَيَّفَنِي مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أُعْطِيتَ مَجْهُودِي^(١)
فَضْلُ الْمُقِلِّ إِذَا أُعْطَاهُ مُصْطَبِرًا وَمَكْثَرٍ فِي الْغِنَى سَيَّانٍ فِي الْجُودِ^(٢)
لَا يَعْدَمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا نَوَالِي وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِي
وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ ، إِذَا قِيلَ لَهُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا يَزِيدَ ، قَالَ :
أَصْبَحْنَا ضَعْفَاءَ مَذْنِبِينَ ، نَأْكُلُ أَرْزَاقَنَا وَنَنْتَظِرُ آجَالَنا .

وقال ابن المقفع : الجود بالمجهود مُنتَهَى الجود . ١٠

قال مطرف بن عبد الله : كَانَ يُقَالُ : لَمْ يَلْتَقِ مُؤْمِنَانِ إِلَّا كَانَ أَحْفَظُهُمَا
أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ . وَكُنْتُ أَرَى أَنِّي أَشَدُّ حُبًّا لِلْمَذْعُورِ بْنِ طُفَيْلٍ^(٣) مِنْهُ لِي ،
فَلَمَّا سَيَّرَ لِقَائِي لَيْلًا فَخَدَّتْنِي فَقُلْتُ : ذَهَبَ اللَّيْلُ ! قَالَ : سَاعَةٌ . ثُمَّ قُلْتُ : ذَهَبَ
اللَّيْلُ . فَقَالَ : سَاعَةٌ . فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَشَدُّ حُبًّا لِي مِنِّي . فَلَمَّا أَصْبَحَ سَيَّرَهُ ابْنُ عَامِرٍ
مَعَ عَامِرٍ^(٤) . ١٥

(١) في عيون الأخبار (٣ : ١٧٩) : « وما أبالي إذا ضيف تضيفني » .

(٢) في عيون الأخبار : « جهدا لمقل » .

(٣) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣ : ١٧٦) ولم يذكر والده ، ولكنه مع

ذلك روى خبره مع مطرف بن عبد الله .

(٤) ابن عاصم ، هو عبد الله بن عاصم المترجم في (١ : ٣١٨) . وعاصم ، هو عاصم ٢٠

ابن عبد قيس المترجم في (١ : ٨٣) . وقد سَيَّرَ مذعور من العراق إلى الشام كما في صفة

الصفوة . وسير عاصم بن عبد قيس أيضاً إليها حين وشى به إلى عثمان ، فأمر أن ينفي إلى الشام على

قنب ، فأنزله معاوية الحضراء فرأى منه خيراً ، فكتب معاوية إلى عثمان بحاله فأمره أن يصله

ويدينه . الإصابة ٦٢٨٠ . وقد سبق في ١٤٣ خبر تسيير ابن عاصم لعاصم بن عبد قيس إلى

عثمان بن عفان . ٢٥

قال : وقالوا لعيسى بن مريم : من نجالس ؟ قال : مَنْ يُذَكِّرُكُمْ اللهَ رُؤْيَتَهُ ،
ويزيد في علمكم منطقته ، ويرغبكم في الآخرة عمله .

إسحاق بن إبراهيم قال : دخلنا على كنهس العابد^(١) ، فجاءنا بإحدى عشرة
بصرة حمراء . فقال : هذا الجهد من أخيم ، والله المستعان .

الأصمعي ، عن السَّكَنِ الحرشي^(٢) قال : اشتريت من أبي المنهال سَيَّار
ابن سلامة ، شاةً بستين درهماً ، فقلت : تكون عندك حتى آتيك بالثمن . قال :
ألست مُسْلِمًا ؟ قلت : بلى . قال : فخذها . فأخذتها ثم انطلقت بها ، ثم أتيتها
١٨٨ بالستين ، فأخرج منها خمسة دراهم وقال لي : اعلفها بهذه .
وقال مساور الوراق لابنه^(٣) :

شَمَّرَ قِمِصَكَ واستعدَّ لقائلٍ واحكك جبينك للقضاء بثوم^(٤)
واجعل صحابك كلَّ حبرٍ ناسكٍ حسن التعهد للصلاة صؤوم^(٥)

(١) هو أبو عبد الله كنهس بن الحسن النيمي البصري ، أحد الثقات الزهاد . توفي
سنة ١٤٩ بمكة . تهذيب التهذيب وصفه الصفوة (٣ : ٣٢٤) . والخبر في صفة الصفوة .
(٢) ل : « الحرشي » .

(٣) وكذا جاءت النسبة في العقد (٣ : ٢١٦ لجنة التأليف) والأغاني (١٦ : ١٦٢) .
ونسب في شرح الشريشي لمقامات الحريري (١ : ٢٠٦) إلى محمود الوراق يقوله لابن أخيه .
وورد في الحيوان (٣ : ٤٦٧) بدون نسبة . ومساور هذا ، هو مساور بن سوار
ابن عبد الحميد ، من آل قيس بن عيلان بن مضر . ويقال إنه مولى جديلة من عدوان ، كوفي
قليل الشعر ، من أصحاب الحديث ورواته . وقد روى عن صدر من التابعين ، وروى عنه
وجوه أصحاب الحديث . وهو القائل في أبي حنيفة وأصحابه :

كنا من الدين قبل اليوم في سعة حتى بلينا بأصحاب المقاييس
قوم إذا اجتمعوا ضجوا كأنهم نعالب ضبجت بين النواويس
وله أخبار أخرى مع أبي حنيفة . الأغاني وتهذيب التهذيب .

(٤) لقائل ، أي لمن يمدحك أو يذمك . وفي الأغاني « للعهد » بدل « القضاء » .
والجيين إذا حك بالثوم ظهرت فيه سمة سمراء توهم الأعرار أن صاحبها عريق في التقوى ، كثير
السجود . ولا يزال بعض المتظاهرين بالتقوى يفعلون ذلك في عصرنا .

(٥) الصحاب ، بالكسر : جمع صاحب . والخبر ، بكسر الخاء وفتحها : العالم ،
أو الصالح . صؤوم : كثير الصوم .

من ضَرْبِ حَمَادٍ هُنَاكَ وَمِسْعَرٍ ^(١) وَسِمَاكِ الْعَبْسِيِّ ، وابنِ حَكِيمٍ
وعَلَيْكَ بِالْغَنَوَى فاجلسْ عِنْدَهُ حتى تصيبَ وديعةً لِيَتِمَّ
وقال : بينا سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ يتوضأُ ، ليسَ عنده غيرُ خَالِهِ وَالْغَلَامُ يُصَبُّ
عليه الماءُ ، إِذْ خَرَّ الْغَلَامُ مَيِّتًا ، فقال سليمان :

قَرَّبْ وَضُوءَكَ يَا حَصِينُ فَإِنَّمَا هَذِي الْحَيَاةُ تَعَلَّةٌ وَمَتَاعٌ ^(٢)
ونظر سليمانُ في مِرَآةٍ فقال : أَنَا الْمَلِكُ الشَّابُّ ! فقالت جارية له :
أَنْتَ نِعَمُ الْمَتَاعِ لو كنتَ تَبْقَى غيرَ أَن لا بقاءَ لِلْإِنْسَانِ ^(٣) !
قال : قيل لسعيد بن المسيَّب : إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ ، سَقَطَ
عليه حَائِطٌ فَقَتَلَهُ . فقال : إِنَّ كَانَ لَوْ صَوْلًا لَرَجَّحَهُ ، فَكَيْفَ يَمُوتُ مَيِّتَةً سَوْءًا !
وقال أسماءُ بنُ خارجة :

عَبَّرْتَنِي خَلْقًا أَبْلَيْتُ جِدَّتَهُ وَهَلْ رَأَيْتُ جَدِيدًا لَمْ يَعُدْ خَلْقًا
قال : وتمثلَ عبدُ الملكِ بنُ مروان :
وكلُّ جَدِيدٍ يَا أُمِّمٍ إِلَى بَلَى وَكُلُّ فَتًى يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا ^(٤)
وقال آخر :

فَاعْمَلْ عَلَى مَهَلٍ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَاكْدَحْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
فَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكْ إِذْ مَضَى وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ قَدْ كَانَ
قال : وكان عثمانُ بنُ عفَّانَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : « إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ
عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَنْظُرَ فِيهِ إِلَى عَهْدِ اللهِ » ، يعني المُنْصَحَفَ .

(١) الضرب : المثل والنظير . ومسعر ، هو مسعر بن كدام ، المترجم في (١ : ٤٠٠) .
وفيه يقول ابن المبارك :

من كان ملتصقاً جليساً صالحاً فليأت حلقه مسعر بن كدام
ما عدال : « ومسمع » تحريف . و « العبسي » هي في الأغاني « المتكي » .
(٢) التعللة : ما يتعلل به ويتلهى .
(٣) بعده في الأغاني (٩ : ٩٤) : « فأعرض بوجهه ، فلم تدر عليه الجمعة إلا وهو في قبره » .
(٤) ما عدال : « وكل امرئ يومًا يصير إلى كان » .

قال : وكان عثمانُ حافظاً ، وكان حِجرُهُ لا يكادُ يفارقُ المصحفَ ، فقيل له في ذلك فقال : « إِنَّهُ مُبَارَكٌ جَاءَ بِهِ مُبَارَكٌ ! » .

ولما مات الحجاجُ خرجتُ معجوزاً من داره وهي تقول :

اليومَ يرحمنا مَنْ كان يَغِيظُنَا واليومَ نَقْبَعُ مَنْ كانوا لنا تَبَعَا

حدثني بكرُ بن المَعْتَمِر^(١) ، عن بعض أصحابه قال : قال أبو عثمان النهدي^(٢) :
أنت على ثلاثون ومائة سنة ، مامني شيء إلا وقد أنكرته ، إلا أُملي فإنه يزيد^(٣) .

قال مسور بن مخرمة^(٤) لجلسائه : لقد وارت الأرضُ أقواماً لو رأوني معكم لاستحييت منهم .

وأنشدني أعرابي :

ما منع الناسُ شيئاً جئتُ أطلبه إلا أرى اللهَ يكفي فقد ما منعوا

قال : جَزَعُ بكرُ بن عبد الله^(٥) على امرأته ، فوعظه الحسنُ ، فجعل يصِفُ فضلها ، فقال الحسن : عند الله خيرٌ منها ، فزَوَّجَ أختها ! فلقبه بعد ذلك فقال :
هي يا أبا سعيدٍ خيرٌ منها ! وأنشد :

(١) بكر بن المعتمر : أحد كتاب الأمين ، كتب له كتاباً إلى المأمون سنة ١٩٣ . انظر تاريخ الطبري .

(٢) هو أبو عثمان عبد الرحمن بن مل بن عمرو بن عدي النهدي ، عاش في الجاهلية ستين سنة ، وسكن الكوفة ، ولما قتل الحسين تحول إلى البصرة وقال : لا أسكن بلداً قتل فيه ابن بنت رسول الله ، وقد أسلم على عهد الرسول ولم يلقه ، وحج ستين ما بين حج وعمره . وروى عنه أنه قال : « كنا في الجاهلية إذا تحملنا حملنا حجراً على بغير ، فإذا رأينا أحسن منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا سقط عن البعير قلنا : سقط إلهم فالتسوا غيره » .
توفي أبو عثمان سنة ١٠٠ . ومل ، بفتح الميم ويجوز ضمها وكسرهما ، ولامه مشددة . الإصابة ٦٣٧٥ وتهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٣ : ١٢٥) .

(٣) الخبر في تهذيب التهذيب وصفة الصفوة ، وصدره في الإصابة .

(٤) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري . كان مولده بعد الهجرة بستين ، وقتل في خصار ابن الزبير الأول من الجيش الذي أرسله يزيد بن معاوية سنة ٦٥ . الإصابة ٧٩٨٧ وتهذيب التهذيب .

(٥) بكر بن عبد الله المزني ، ترجم في (١ : ١٠٠) .

يُؤْمَلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُثْمَرُ نُوحٍ وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ^(١)

* * *

عوف^(٢) ، عن الحسن قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « للمسلم على أخيه ست خصال : يسلم عليه إذا لقيه ، وينصح له إذا غاب . ويعوده إذا مرض ، ويشيع جنازته إذا مات ، ويحييه إذا دعاه ، ويشمته إذا عطس » .
وقال أعرابي :

تُبَصِّرُنِي بِالْعَيْشِ عِرْسِي كَأَنَّمَا تُبَصِّرُنِي الْأَمْرَ الَّذِي أَنَا جَاهِلُهُ
يَعِيشُ الْفَقِيرُ يَوْمًا وَبِالْغِنَى وَكُلًّا كَأَنْ لَمْ يَلْقَ حِينَ يُزَايِلُهُ
وَأَنشَدَ أَبُو صَالِحٍ^(٣) :

وَمَشِيدًا دَارًا لَيْسَكُنْ دَارَهُ سَكَنَ الْقُبُورَ ، وَدَارَهُ لَمْ يَسْكُنْ

١٩٠ * وَكَانَ صَالِحُ الْمُرِّيَّ أَبُو بَشَرٍ^(٤) يَنْشُدُ [فِي قَصَصِهِ] :

وَبَاتَ يَرْوِي أَسْوَلَ الْفَسِيلِ فَعَاشَ الْفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّجُلُ^(٥)

وقال الآخر :

إِذَا أَبَقَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ فَمَا قَاتَهُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرٍ

١٥ (١) البيت مع سابق له في الحيوان (١١٣ : ٣) وعبون الأخبار (١ : ٢١١) ،
٣١٤) والأغاني (١٨ : ٢٠٦) . وهو :

أَلَمْ تَرِ حَوْشِبًا أَضْحَى يَبْنِي قُصُورًا نَفَعَهَا لَبْنِي بَقِيلَهُ

ل : « نؤمل أن نعمر » ، والوجه ما في سائر النسخ . ما عدال : « بطرق كل ليلة » .
وسائر المصادر على الرواية المثبتة .

٢٠ (٢) هو عوف بن أبي جميلة ، المترجم في (٢ : ٣٧) .

(٣) هو أبو صالح مسعود بن قند الفزاري ، روى عنه الجاحظ في الحيوان (٥ : ١٥٧) .

(٤) سبقت ترجمته في (١ : ١١٣) .

(٥) أنشده في الحيوان (٦ : ٥٠٨) . والفسيل : جمع فسيلة ، وهي الصغيرة من

النخل . وفي الحيوان وما عدال : « فبات يروي » بالقاء .

فلن تعدل الدنيا جناح بعوضة
فما رضى الدنيا ثواباً لمؤمن
ولا وزن زف من جناح لطائر^(١)
ولا رضى الدنيا عقاباً لكافر^(٢)
وقال الآخر^(٣) :

أبعد بشر أسيراً في بيوتهم
فلن أصالهم ما دمت ذا فرس
يرجو الخفارة مني آل ظلام^(٤)
فاثماً الناس ، يا لله أمهم ،
واشد قبضاً على السيلان إبهام^(٥)
هم يهلكون ويبقى بعد ما صنعوا
أكائل الطير أو حشو لآرام^(٦)
كان آثارهم خُطت بأقلام
وأشد لمحمد بن يسير :

عجباً لي ومن رضى بحال
عالم لا أشك أنى إلى عد
أنا منها على شفا تقرير
ن إذا ميت أو عذاب السعير^(٧)
كلما مرّ بي على أهل ناد
كنت حيناً بهم كثير المور
قيل من ذا على مرير المنايا
قيل هذا محمد بن يسير
وأشد :

لكل أناس مقبر بفنائهم
فهم ينقصون والقبور تزيد^(٨)

- ١٠ (١) الزف ، بالكسر : الصغير من الريش .
(٢) أى مارضى الله ذاك .
(٣) هو الزبرقان بن بدر السعدي ، كما في حاشية البحري ٣٦ . والبيت الثانى من هذه المقطوعة أنشده صاحب اللسان في (سيل) منسوباً إليه .
(٤) الخفارة ، بتثنية الحاء : الأمان .
(٥) السيلان ، بالكسر : ما يدخل من السيف والسكين في النصاب .
(٦) أكائل : جمع أكيلة ، وهى الفريسة . والآرام : جمع آرام ، مثل ضلع وأضلاع ، وهى حجارة تنصب علماً فى المفازة ، عني بها رجام القبر .
(٧) ما عدال : « أنى إذا مت إلى عدن » .
(٨) المقبر : موضع القبر ، وهو الدفن . والشعر لعبد الله بن ثعلبة الحنفي ، كما فى اللسان (قبر) والحاشية (١ : ٣٦٨) . وأنشده فى عيون الأخبار (٣ : ٦٦) بدون نسبة . = ٢٥

١٩١ مُمُ جَبْرَةِ الْأَحْيَاءِ أَمَّا مَحَلُّهُمْ فِدَانٍ وَلَكِنَّ الْقَاءَ بَعِيدٌ^(١)
وقال أبو العتاهية :

سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكَوَاتِ أَيْةُ لَيْلَةٍ نَخَضَتْ بَوَاجِهِ صَبَاحَ يَوْمِ الْمَوْقِفِ^(٢)
لو أَنَّ عَيْنًا وَهَمَّتْهَا نَفْسُهَا مَا فِي الْفِرَاقِ مُصَوِّرًا لَمْ تَطْرِفِ^(٣)
وقال أبو العتاهية أيضاً :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا إِلَى نَفْسِهَا أَنْفَحْ عَنْ خِطْبَتِهَا تَسْلَمَ^(٤)
إِنَّ الَّتِي تَخْطُبُ غَرَارَةً قَرِيبَةُ الْعُرْسِ مِنَ الْمَأْتَمِ^(٥)
وقال الآخر :

نَادَاهَا بِفِرَاقٍ بَيْنَهُمَا الزَّمَانُ فَأَمْرَعَا^(٦)
وكذلك لم يزل الزَّمانُ مُفَرِّقًا مَا جَمَعَا
وقال آخر :

يَا وَيْحَ هَذِي الْأَرْضُ مَا تَصْنَعُ أَكُلَّ حَيٍّ فَوْقَهَا تَضْرَعُ

== وقبل هذا البيت في اللسان :

١٥ أَزُورُ وَأَعْتَادُ الْقُبُورَ وَلَا أَرَى سِوَى رَمْسٍ أَحْجَارٍ عَلَيْهِ رُكُودٌ
وبين هذا البيت وتاليه في الحماسة وعيون الأخبار :
وما إن يزال رسم دار قد اخلقت وبيت لميت بالفناء جديد
(١) ل فقط : « وهم جيرة الأحياء » . وفي الحماسة وعيون الأخبار : « وأما
الملتقى فبعيد » .

(٢) أراد موقف القيامة . وفي الديوان ١٦٥ :
٢٥ لله در أيبك أَيْةُ لَيْلَةٍ نَخَضَتْ صَبِيحَتَهَا يَوْمَ الْمَوْقِفِ
(٣) أراد بالتوهم التخيل وتوجيه الوهم . وفي الديوان :
لو أَنَّ عَيْنًا شَاهَدَتْ مِنْ نَفْسِهَا يَوْمَ الْحِسَابِ تَمَثَّلًا لَمْ تَطْرِفِ
(٤) البيتان لم يرويا في ديوان أبي العتاهية .
(٥) ما عدال : « سريفة العرس » تحريف .
٢٥ (٦) ل : « فأسرعا » . والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

تزرعهم حتى إذا ما استَوَوْا عادت لهم تحصد ما تزرع^(١)
وقال الآخر^(٢):

[ذكرتُ أبا أروى فبتُّ كأنِّي برَدُّ أمور الماضياتِ وكيْلُ]
لكلِّ اجتماعٍ من خليلين فرقةً وكلُّ الذي قبل الفراقِ قليلُ^(٣)
وإنَّ افتقادي واحداً بعد واحدٍ دليلٌ على أن لا يدوم خليلُ
وقال محمد بن المنتشر^(٤): « إذا أيسرَ الرَّجُلُ ابتلي به أربعة : مَولاهُ القديمُ
١٩٢ يَنَتَنِي منه ، وامراتُهُ يتسرَّى عليها ، ودارُهُ يهدمُها ويبنِي غيرها ، ودابَّتُهُ
يَسْتَبْدِلُ بها » . وقال الآخر :

يَجْدُدُ أحزانًا لنا كلُّ هالكٍ ونُسِرِعُ نسيانًا ولم يأتِنَا أَمْنُ
فإنَّا ، ولا كُفْرانَ لله ربَّنَا لكالبُدنِ ما تدرى متى يومُها البدنُ
١٠ الأوزاعي^(٥) ، عن مكحول^(٦) قال : « إن كان في الجماعة فضلٌ فإنَّ في
العزلة سلامةٌ » .

(١) ما عدال : « حتى إذا ما أتوا » .

(٢) في هامش التيمورية : « ذكر ابن الأنباري أن هذه الأبيات لعل بن أبي طالب كرم
الله وجهه حين دفن فاطمة رضي الله عنهما . وقال ابن الأعرابي : لأنها لشقران الساماني » .
١٥ وفي الكامل ٧٢٤ ليسك أن الشعر تمثل به علي بن أبي طالب عند قبر فاطمة . وقد روى
البحترى في حاشية ٢٣٣ البيتين الأخيرين .

(٣) ما عدال « دون الممات » . وفي الكامل : « وإن الذي دون الفراق » . وفي
حاشية البحترى : « وكل الذي دون الفراق » .

(٤) هو محمد بن المنتشر بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي ، روى عن عمه مسروق
٢٠ وابن عمر وعائشة ، وكان من ثقات المحدثين . تهذيب التهذيب .

(٥) الأوزاعي : نسبة إلى الأوزاع ، وهم بنو صرثد بن زيد ، من همدان . وقيل
الأوزاع قرية بدمشق ، أو موضع مشهور بدمشق سكنه في صدر الإسلام بقايا من قبائل
شقي . وهو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الشامي الفقيه . ولد سنة ٨٨ . وكان من فقهاء
أهل الشام وقراءهم وزهادهم ، ونزل بيروت في آخر عمره فمات بها مرابطاً . وكانت الفتيا تدور
٢٥ بالأندلس على رأي الأوزاعي إلى زمن الحكم بن هشام المتوفى سنة ٢٥٦ . وكان فصيحاً
ذا رسائل مأثورة . توفي سنة ١٥٥ . تهذيب التهذيب ، وصفة الصفوة (٤ : ٢٢٨) .

(٦) مكحول الشامي سبقت ترجمته في (٢ : ٣٦) .

أبو جناب الكلبي^(١) ، عن أبي الحجل^(٢) ، عن ابن مسعود قال : « ثلاثٌ من كن فيه دخل الجنة : من إذا عرف حق الله عليه لم يؤخره ، وكان عمله الصالح في العلانية على قوام من السرية^(٣) ، وكان قد جمع ما قد يحمل صلاح ما يؤمل » .

وقال : « كفى موعظةً إنك لا تحيا إلا بموت ، ولا تموت إلا بحياة » .
وقال أبو نواس :

شاع في الفناء سُفلاً وعلواً وأراني أموتُ عُضواً فعضواً
ذهبتُ جِدَّتِي بطاعةِ نفسي وتذكرتُ طاعةَ الله نِضواً^(٤)
وقال آخر :

وكم من أكلةٍ منعتُ أخاها بلذةٍ ساعةٍ أكلاتِ دهر
وكم من طالبٍ يسعى لشيءٍ وفيه هلاكه لو كان يدرى
وقال الآخر :

كلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ في أهله^(٥) والموتُ أدنى من شراكِ نَعْلِهِ
[وقال الآخر :

واستيقني في ظلم البيوتِ أنك إن لم تقتل تموت] ١٥

(١) هو أبو جناب يحيى بن أبي حية الكلبي الكوفي ، روى عنه أبيه والضحاك ابن مزاحم والحسن البصري وجماعة ، وعنه السفينان ، والحسن بن صالح ، ووکیع وغيرهم . توفي سنة ١٤٧ . تهذيب التهذيب وال خلاصة .

(٢) لم أعثر له على ترجمة فيما لدى .

(٣) قوام الأمر بالكسر : نظامه .

(٤) النضو ، بالكسر : البعير المهزول من كثرة السير « شبه نفسه به » .

(٥) مصبح : ماتى بالموت صباحاً . وقد أنشده في اللسان (صبح) مسبوقاً بقوله :

« وفي حديث أبي بكر » .

وقال عنقرة بن شداد :

بَكَرْتُ تُخَوِّنُنِي الْحَيُوفَ كَأَنِّي
فَأَجَبْتُهَا إِنَّ الْمَنِيَّةَ مِنْهُ ———
١٩٣ * فَأَقْنَى حِيَاءَكَ لَا أَبَالِكَ وَاعْلَمِي
إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَوْ تُصَوِّرُ صُورَتَ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ (٢) :

أُذِنَ حَتَّى تَسْمَعِي
عِشْتُ تَسْمَعِينَ حِجَّةً
أَنَا رَهْنٌ بِمَصْرَعِي
لَيْسَ زَادٌ سِوَى التُّقَى
وَأَسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي
ثُمَّ وَافَيْتُ مَضْجَعِي (٣)
فَأَحْذِرِي مِثْلَ مَصْرَعِي
فَتُخْذِي مِنْهُ أَوْ دَعِي (٤)

١٠

وقال الخليل بن أحمد :

عَشْ مَا بَدَا لَكَ قَصْرُكَ الْمَوْتَ
بَيْنَا غِنَى بَيْتٍ وَبِهَجْرَتِهِ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

أَسْمَعُ فَقَدْ أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ
نَزَلَ كُلَّ مَا شِيتَ وَعَشَ نَاعِمًا
١٥
إِنْ لَمْ تَبَادِرْ فَهُوَ الْقَوْتُ
آخِرَ هَذَا كُلِّهِ الْمَوْتُ

(١) قفى الحياء ، بكسر النون ، يقناه قفياً بضم القاف : لزمه وحفظه . والأبيات في ديوان عنقرة ١٨٠ .

(٢) الأبيات التالية أمر أبو العتاهية أن تكتب على قبره . انظر الأغاني (١٧٥ : ٣) والعقد (٢٤٨ : ٣) .

(٣) فى الأغاني : « اسلمتنى لمضجعى » .

(٤) قبل هذا البيت فى الأغاني :

كم ترى الحمى ثابتاً فى ديار التزعزع

(٥) البيتان فى اللسان (قصر) بدون نسبة . والقصر ، بالفتح : الغاية .

(٦) ما عدال : « آل الغنى » .

٢٥

وقال الوزير :

وأعلمُ أننى سأصيرُ مَيْمَنًا إذا سارَ النَّوَاجِعُ لا أَسِيرُ^(١)

وقال السَّائِلُونَ مِنَ الْمُسَجِّى فَقَالَ الْمُخْبِرُونَ لَهُمْ وَزِيرُ^(٢)

وقال أبو العتاهية :

الحقُّ أَوْسَعُ مِنْ مُعَا لَجَةِ الْهَوَى وَمَضِيْقِهِ

لا تَعْرِضَنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ أَنْتَ غَيْرُ مُطِيقِهِ

وَالْعَيْشُ يَصْلُحُ إِنْ مَزَّجْتَ غَلِيظَهُ بِرَقِيْقِهِ

لَا يَخْدَعَنَّكَ زُخْرُفُ الدُّنْيَا بِحُسْنِ بَرِيْقِهِ

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّأْيَ مُضْطَرَبًا فَخُذْ بَوَثِيْقِهِ

وَلِرُبَّمَا غَصَّ الْبَغِيْلُ إِذَا اسْتَنْبِلَ بِرِيْقِهِ^(٣)

وقال أيضاً :

مَنْ أَجَابَ الْهَوَى إِلَى كُلِّ مَا يَدُ عُوهُ مِمَّا يُضِلُّ ضَلًّا وَتَاهَا

مَنْ رَأَى عِبْرَةً فَفَكَرَّ فِيهَا آذَنَتْهُ بِالشَّيْءِ حِينَ يَرَاهَا^(٤)

رُبَّمَا اسْتَغْلَقَتْ أُمُورٌ عَلَى مَنْ كَانَ يَأْتِي الْأُمُورَ مِنْ مَاتَاهَا

وَسَيَأْوِي إِلَى يَدِ كُلِّ مَاتَأٍ تِي وَتَأْوِي إِلَى يَدِ حُسْنَاهَا^(٥)

قَدْ تَكُونُ النَّجَاةُ تَكْرَهَهَا النَّفْسُ وَتَأْتِي مَا كَانَ فِيهِ أَذَاهَا^(٦)

(١) النواجع : جمع ناجع ، فهو من إخوان الفوارس . يقال نجع الفارس الأرض : طلب كلاًها ومساقط الغيث فيها .

(٢) المسجى : الميت يسجى عليه الثوب ، أى يمد .

(٣) استنبل : طلب نواله . ل : « إذا استنبل » .

(٤) ما عدال : « آذنته بالبين » .

(٥) ما عدال : « وهياذى إلى يد كل ما » ، تحريف : .

(٦) ما عدال : « فيه رداها » .

وقال أيضاً :

لو أنَّ عبداً له خزانٌ ما في الأرض ما عاشَ خوفَ إملاقٍ
يا عجباً كلُّنا يَحِيدُ عن الحَيْنِ وكلُّ الحَيْمِ لَاقٍ
كأنَّ حَيًّا قد قام نادُّهُ والتفت السَّاقُ مِنْهُ بالسَّاقِ^(١)
واستلَّ مِنْهُ حَيَاتَهُ ملكُ المو ت خفياً وقيل : مَنْ راقٍ^(٢)

وقال السَّمَوَال بن عاديء اليهودي :

تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا قُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ^(٣)
وما قلَّ مَنْ كانت بقاياهُ مثلنا شبابٌ تسامى للعلَى وكُهولٌ
وما ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وجارُنَا عزيزٌ وجارُ الأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ^(٤)
فنعنُّ كجاء المَزَن ما في نِصابنا كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بِخِيلٍ^(٥)
وأسيافنا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ بها من قِراع الدَّارَعِينَ فُلُولٌ^(٦)

١٩٥

(١) اقتباس من الآية ٢٩ من سورة القيامة . وهو كناية عن شدة كرب الدنيا في آخر يوم منها وشدة كرب الآخرة في أول يوم منها . وقال ابن المسيب والحسن : هي حقيقة ، والمراد ساقا الميت عند ما لقا في السكفن . وقال الشعبي وقتادة : التفافهما لشدة المرض لأنه يقبض ويبسط ، ويركب هذه على هذه . تفسير أبي حيان (٨ : ٣٩٠) .

١٥

(٢) اقتباس من الآية ٢٧ من سورة القيامة . وذلك إذا مرض الرجل طلبوا له من يرقى ويطب ويشفي ، وهو استفهام حقيقة ، أو استفهام إبعاد وإنكار ، وذلك حين اليأس من حياته . ومن المحتمل أن يكون القائل الملائكة ، أي من يرقى بروحه إلى السماء ، أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب . وقد وقف حفص على « من » سكنا لطيفا ، كما وقف في « بل ران » ، ولم يدر وجه قراءته إلا أن يكون أراد أن يشعر أنهما كلتان .

٢٠

(٣) الأبيات في ديوان الحماسة (١ : ٢٧) ، والأغاني (٦ : ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠) ، وأمالى القالى (١ : ٢٦٩ — ٢٧٠) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ١٧٣) حيث نسب بيتين من القصيدة إلى دكين الراجز .

(٤) الأكثرون : الذين كثر عددهم .

٢٥

(٥) النصاب : الأصل ، وقد أراد به العدد ، ولم تصرح المعاجم بهذا المعنى . وإنما ذكرت نصاب الزكاة ، وهو استعمال إسلامي . والنصاب : القدر الذي تجب فيه الزكاة . والكهام : كسحاب : البطيء عن النصره والحرب .

(٦) الدارع : لابس الدرع . والفلول : جمع قل ، وهو الثلم .

[معودةً ألا تسَلَّ نصالها فتغمدَ حتى يستباحَ قتيْلُ]

سلي، إن جهلتِ، الناسَ عَنَّا وعنهم
وقال الرِّبيعُ بن أبي الحقيق^(١) :

ومن يكُ غافلاً لم يلقَ بُوساً

تعاوَرُهُ بناتُ الدهرِ حتى

وكلُّ شديدةٍ نزلت بحَيِّ

وبعض خلائق الأَقوامِ داء

وأنشد :

قد حال من دونِ ليلى معشرٌ قَزَمَ

واللهُ يعلمُ أنِّي إن نأتُ حَجَجَا

وأنشد :

وليل يقولُ الناسُ من ظلماتِهِ

كأنَّ لَنَا مِنْهُ بيوتاً حصينةً

سواء بصيراتُ العُيونِ وعُورها^(٦)

مُسُوحٌ أعالِها وساجٌ كُسُورها^(٧)

(١) سبقت ترجمته في (٢١٣ : ١) . والبيت الأخير في الحيوان (٦٨ : ٣) .

(٢) في الأصول : « ومن يك عاقلاً » .

(٣) بعده في الحيوان :

وبعض القول ليس له عناج كخض الماء ليس له إناء

(٤) القزم ، بفتح تين ، وصف يستوى فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث ، ومصدره القزم أيضاً ، وهو في الناس صغر الأخلاق ، وفي المال صغر الجسم . مواليها ، أي عصباتها وأنصارها .

(٥) ب ، ج : « أنت حجج » مع أثر تصحيح في ب لكلمة « حجج » . وفي التيمورية « أنت حججاً » وهذه الأخيرة محرفة .

(٦) البيتان لمضرس بن ربيع الأسدي ، كما في حساسة ابن الشجرى ٢١٠ .

(٧) ما عدال : « مسوحاً أعالِها وساجاً » ، وهي رواية صحيحة نص عليها في اللسان (سوج) عند إنشاد البيتين ، قال : « إنما نعت بالاسمين لأنه صيرهما في معنى الصفة ، كأنه قال :

مسودة أعالِها مخضرة كسورها . كما قالوا صهرت بسر ج خز ، نعت بالخز وإن كان جوهرًا لما كان في معنى لين » . والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو كساء من شعر . والساج :

الطيلسان الأخضر . والكسور : جمع كسر ، بكسر الكاف ، وهو جانب البيت .

قالوا : أتى سعيدُ بنُ عبد الرحمن بن حسان ، أبا بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم^(١) ، وهو عامل سليمان بن عبد الملك فسأله أن يكلم سليمان في حاجة له فوعده أن يقضيها ولم يفعل ، وأتى عمر بن عبد العزيز فكلّمه ففرض حاجته ، فقال سعيد :

١٩٦ * [ذُيِّمْتُ وَلَمْ تُحَمَّدْ وَأَدْرَكْتُ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ شُكْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا^(٢)]
أَبَى لَكَ فَعَلَ الْخَيْرَ رَأَى مُقَصِّرُ
وَإِنْ نَفْسٌ أَضَاقَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ بِأَعْمَا
إِذَا هِيَ حَثْبُهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً
عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطَاعَهَا
سِتْكَفِيكَ مَا ضَيَّعْتَ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا
يُضَيِّعُ الْأُمُورَ سَادِرًا مِنْ أَضَاعَهَا^(٣)
وَلَايَةُ مَنْ وَلَّاكَ سُوءَ بَلَايَهَا
وَوَلَّى سِوَاكَ أَجْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا
وَأَنشُد :

إِذَا مَا أَطَعَتِ النَّفْسَ مَالُهَا الْهُوَى إِلَى كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ^(٤)
[وَأَنشُد :

حَسَبَ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ زَادَ يَبْلُغُهُ الْحُـلَا
خُبْزٌ وَمَاءٌ بَارِدٌ وَالظِّلُّ حِينَ يَرِيدُ ظِلًّا

١٥ (١) هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي القاضي ، وكان واليا لعمر بن عبد العزيز من قبل ، وكان عظيم المروءة كثير العبادة كثير الحديث . توفي سنة ١٠٠ .
تهذيب التهذيب ، وصفة الصفة (٢ : ٧٥) . ل : « بن عمر بن حزم » ، تحريف صوابه في المصادر السابقة وتاريخ الطبري (٨ : ١٠٢) والأغانى (٧ : ١٥٨) حين ورد الخبر في الأخير .

٢٠ (٢) في الأغاني :

سئلت فلم تفعل وأدركت حاجتي تولى سواكم حمدا واصطناعها

(٣) ما عدال : « سيكفيك ما ضيعت منها » .

(٤) ما عدال : « مال بك الهوى » .

وأنشد :

وما العيش إلا شعبةٌ وتشرُّقٌ وتمرُّ كأخفاف الرباع وماء^(١)]

قالوا : استبطأ عبدُ الملك بن مروان ، ابنه مسلمة في مسيره إلى الرُّوم ،

وكتب إليه :

لَمَنْ الظَّعَانُ سَيرُهُنَّ تَرْحُفُ سَيرَ السَّفينِ إذا تقاعسَ يُجذَفُ^(٢)

فلما قرأ الكتاب مسلمة^(٣) كتب إليه :

ومستعجب مما يرى من أناثينا ولو زبنته الحربُ لم يترمرم^(٤)

ومسلمة هو القائل عند ما دُلِّيَ بعضهم في قبره^(٥) ، فيمثل بعضُ من

١٠ حضر فقال :

فما كان قيسٌ هلكه هلكَ واحدٌ وليكنه بنيانُ قومٍ تهدما^(٦)

(١) سبق هذا البيت والبيتان اللذان قبله في (١٨٩ : ٢) .

(٢) الترحف : السير في بطاء وكلال . تقاعس : تأخر ورجع إلى خلف . ويقال جذف الملاح السفينة : حركها بالمجذاف . ما عدال « يجذف » بالمهمله ، وكلاهما صحيح .

(٣) ما عدال : « فلما قرأ مسلمة الكتاب » .

١٥

(٤) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ٢٨ واللسان (رمم) ومقاييس اللغة (٢ : ٣٨٠) . زبنته الحرب : صدمته ، ومنه حرب زبون . ل : « زبقته » تحريف . لم يترمرم : لم يحرك فاه بالكلام .

(٥) هو عبد الملك بن مروان ، والخبر برواية أخرى في الأغاني (١٢ : ١٤٨)

٢٠ قال : « لما مات عبد الملك بن مروان اجتمع ولده حوله ، فبكى هشام حتى اختلفت أضلاعه ثم

قال : رحلك الله يا أمير المؤمنين ، فأنت والله كما قال عبدة بن الطبيب :

وما كان قيس هلكه هلك واحد وليكنه بنيان قوم تهدما

قال له الوليد : كذبت يا أحول يا مشثوم ، لسنا كذلك ، ولكننا كما قال الآخر :

إذا مقرر منا ذرا حد نابه تخبط منا ناب آخر مقرر »

٢٥

(٦) البيت لعبدة بن الطبيب ، المترجم في (١ : ١٢٢) من أبيات يرثي بها قيس بن

عاصم المترجم في (١ : ٢١٨) . انظر الحماسة (١ : ٣٢٨) والأغاني (٩ : ١٢/٩٣ : ١٤٨)

وعيون الأخبار (١ : ٢٨٧) : ومن يمثل بهذا الشعر أحمد بن أبي دؤاد ، يمثل به في حضرة

المأمون ، حين توفي أخوه أبو عيسى صالح بن الرشيد . الأغاني (٩ : ٩٣) .

فقال مَسْلَمَة : لقد تكَلَّمَت بكَلِمَة شَيْطَانٍ ، هَلَا قَلْتُ (١) :

إِذَا مُقَرَّمٌ مَثًّا ذَرَا حَدًّا نَابَهُ تَحْمَطُ فِيهِ نَابُ آخَرِ مُقَرَّمٍ (٢)
وكان مَسْلَمَة شَجَاعاً خَطِيباً ، وَبَارِعَ اللِّسَانِ جَوَادًا ، وَلَمْ يَكُنْ فِي وَلَدِ
عَبْدِ الْمَلِكِ مِثْلُهُ وَمِثْلُ هِشَامٍ بَعْدَهُ (٣) .

وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ يَهْجُو قَوْمًا :

تَصَبَّرَ لِلْبَلَاءِ الْحَتْمَ صَبْرًا إِذَا جَاوَزْتَ حَيَّ بَنِي أَبَانَ (٤)
أَقَامُوا الدَّيْدَبَانَ عَلَى يَفَاعٍ وَقَالُوا يَا احْتَرِسْ لِلدَّيْدَبَانَ (٥)

(١) ل : « لم لا قلت » .

(٢) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ٢٧ واللسان (قمر ، ذرا ، خط) ومقاييس اللغة (ذرو) . والمقمر : السيد الرئيس من الرجال ، شبه بالمقمر من الإبل ، وهو المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل . ذرا حد نابه : انكسر أو وقع . والتخمت ، أصله للفجل ، وهو أن يهدر ويشور ويشتد غضبه ، جعل التخمت للأنياب .

(٣) ترجم مَسْلَمَة بن عبد الملك في (١ : ٢٩٢) . وأما هشام بن عبد الملك فقد ولى الخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢ ، وكان أحول شديد انقلاب العين ، جامعا للأموال قليل البذل للنوال ، متيقظا في سلطانه ، سائسا لرعيته . وفي أيامه ظهر زيد بن علي ابن الحسين بن علي بالكوفة ، وعلى الكوفة يومئذ يوسف بن عمر الثقفي ، فلقبه يوسف في جموع عظيمة ، وكان القتال شديدا قتل فيه زيد ومن معه ، ثم صلب بالكناسة . وذلك سنة ١٢٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٩ والطبرى سنة ١٢٢ .

(٤) هم بنو أبان بن عدي بن سنبل . نهاية الأرب (٢ : ٣٠٠) . والأبيات الثلاثة بعده في عيون الأخبار (٣ : ٢٤١) .

(٥) في عيون الأخبار : « وقالوا لا تم للديدبان » . وفي الأصل هنا : « وقالوا لي احترس بالديدبان » تحريف . والديدبان بفتح الدالين : الربيثة يربأ للقوم ، وهو فارسي معرب . قال ابن دريد : « ولا أحسب العرب تكلمت به » . المعرب ١٤١ والجمهرة (٣ : ٤١٣) ، (٥٠٠) . وهو بالفارسية : « ديد بان » . مكون من « ديد » بمعنى العين ، أو النظر . و« بان » وهي من اللواحق الفارسية التي تفيد المحافظة والولاية والحراسة ، مثل مرزبان ، وشتربان ، ودربان . اللسان (ددب) ومعجم استينجاس ٥٥٢ . واليفاع ، كسحاب : ما أشرف من الأرض وارتفع .

فَإِنْ أَبْصَرْتَ شَخْصًا مِنْ بَعِيدٍ فَصَفِّقْ بِالْبَنَانِ عَلَى الْبَنَانِ ١٩٧
تَرَاهُمْ خَشِيَةَ الْأَضْيَافِ خُرْسًا يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ بِلَا أَذَانٍ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ يَمْدَحُ قَوْمًا :

وَسَارٍ تَعْنَاهُ الْمَبِيتُ فَلَمْ يَدَّعِ لَهُ حَابِسُ الظُّلُمَاءِ وَاللَّيْلِ مَذْهَبًا
رَأَى نَارَ زَيْدٍ مِنْ بَعِيدٍ فَخَالَهَا وَقَدْ كَذَّبَتْهُ النَّفْسُ وَالظَّنُّ كَوَكْبًا
رَفَعَتْ لَهُ بِالْكَفِّ نَارًا تَشْبُهَا شَامِيَّةٌ نَكَبَاءُ أَوْ عَارِضٌ صَبَا (١)
وَقُلْتُ أَرْفَعُوهَا بِالصَّعِيدِ كَفَى بِهَا مُشِيرًا لِسَارِي لَيْلَةٍ إِنْ تَأَوَّبَا (٢)
فَلَمَّا أَتَانَا وَالسَّمَاءُ تَبَلَّلُهُ نَقُولُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
وَقَتُّ إِلَى الْبَرْكِ الْمَوَاجِدِ فَاتَّقَتْ بِكُومَاءٍ لَمْ يَتْرُكْ لَهَا الْيَتَّى مَهْرَبًا (٣)
فَرَحَّبْتُ أَعْلَى الْجَنْبِ مِنْهَا بِطَعْنَةٍ ١٠
دَعَتْ مُسْتَكَنَّ الْجُوفِ حَتَّى تَصِيبَا (٤)

وَقَالَ الْآخَرُ :

وَاسْتَيْقَنِي فِي ظُلَمِ الْبُيُوتِ أَنْكَ إِنَّمَا لَمْ تُقْتَلِ تَمُوتِي
وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الزَّاهِدُ : « مِنْ عَمَلٍ بِالْعَافِيَةِ فَيَمُنْ دُونَهُ رُزْقُ الْعَافِيَةِ مِنْ
فَوْقِهِ (٥) » . ١٥

(١) شَامِيَّةٌ : رِيحٌ تهبُّ مِنْ قِبَلِ الشَّامِ . وَالنَّكَبَاءُ : الرِّيحُ بَيْنَ رِيحَيْنِ . وَالصَّبَا : رِيحٌ تهبُّ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ .

(٢) الصَّعِيدُ : الْمَرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ . بِهَا ، بِالنَّارِ . مَا عَدَالَ : « بَنَا » تَحْرِيفٌ . وَتَأَوَّبَ : رَجَعَ .

(٣) الْبَرْكِ ، بِالْفَتْحِ : الْإِبِلُ الْبَوَارِكُ ، الْوَاحِدُ بَارِكٌ وَالْوَحْدَةُ بَارَكَةٌ . وَالْمَوَاجِدُ : النُّوَامُ . وَالْكُومَاءُ : النَّاقَةُ الْعَالِيَةُ السَّنَامِ . وَالَّتِي بَفَتْحِ النَّوْنِ وَكَسْرِهَا : الشَّجَمُ . يَقُولُ : قَدْ أَغْرَاهُ بِهَا كَثْرَةُ الشَّجَمِ فَتَحَرَّاهُ ، فَوْقَ ذَلِكَ سَائِرُ الْبَرْكِ .

(٤) أَرَادَ بِالْتَّرْحِيبِ التَّوَسُّيعَ . وَقَدْ نَصَّتِ الْمَعَاجِمُ عَلَى الْإِرْحَابِ فَحَسِبَ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْحِجَاجِ حِينَ قَتَلَ ابْنَ الْفَرِيَةِ : « أَرْحَبُ يَا غَلَامُ جَرَحِهِ » .

(٥) مَا عَدَالَ : « أُعْطِيَ الْعَافِيَةُ مِنْ فَوْقِهِ » . وَالْعَافِيَةُ : صَرْفُ الْأَذَى . ٢٥

قال : وقال عيسى بن مريم عليه السلام : « في المال ثلاثُ خصال أو بعضُها » . قالوا : وما هي يا رُوح الله ؟ قال : « يكسبُهُ من غير حِلِّه » . قالوا : فإن كسبَهُ من حِلِّه ؟ قال : « يمنعه من حَقِّه » . قالوا : فإن وضعَهُ في حَقِّه ؟ قال : « يشغله إصلاحُهُ عن عبادةِ ربِّه » .

قال : قيل لرجل مريضٍ : كيف تجدُك ؟ قال : أجدُني لم أرضَ حياتي لموتي .
سعيد بن بشير^(١) ، عن أبيه ، أن عبد الملك قال حين ثقل ورأى غَسَّالاً يُلوي ثوباً بيده : « ودِدْتُ أَنْ كُنْتُ غَسَّالاً^(٢) لَا أُعِيشُ إِلَّا مِمَّا أَكْتَسَبُ يَوْمًا يَوْمٌ^(٣) » . فذكرَ ذلك لأبي حازم^(٤) فقال : الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يَتَمَنُّونَ ما نَحْنُ فيه ، ولا نَتَمَنَّى عند الموت ما هُمْ فيه .

الهيثم قال : أخبرني موسى بن عبيدة الرِّبَذي^(٥) عن عبد الله بن خِدَاشٍ ١٠
الِنِفَارِيِّ قال : قال أبو ذَرٍّ : فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوتني من الجمعة إلى الجمعة مُدًّا^(٦) ، ولا والله لا أزدادُ عليه حتى ألقاه .

قال : وكان يقول : إِنَّمَا مَالُكَ لَكَ ، أَوَّلُ الْجَانِحَةِ ، أَوَّلُ الْوَارِثِ . فَأَغْنِ وَلَا تَكُنْ أَحْمَجَ الثَّلَاثَةِ .

١٥ (١) هو أبو عبد الرحمن سعيد بن بشير الأزدي البصري ، روى عن قتادة والزهرى والأعمش ، وعنه وكيع وهشيم وبقية وغيرهم . وكان أبوه بشير قد أقدمه البصرة ، فبقي يطلب الحديث مع سعيد بن أبي صروبة . توفي سنة ١٦٨ . تهذيب التهذيب .

(٢) ما عدال : « أنى كنت غسالا » .

(٣) ما عدال : « يوماً فيوما » .

٢٠ (٤) أبو حازم الأعمرج ، ترجم في (١ : ٣٦٤) .

(٥) ما عدال : « الرِّبَذي » تحريف . والرِّبَذي : نسبة إلى الرِّبْذة ، بفتح الراء والباء وهي من قرى المدينة على ثلاثة أميال ، وبها قبر أبي ذر الغفاري . وموسى بن عبيدة بن نسيط ابن عمرو بن الحارث الرِّبَذي ، قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، وضعفه آخرون . توفي سنة ١٥٢ . تهذيب التهذيب ، ومعجم البلدان (الرِّبْذة) ، وتاريخ دمشق لابن عساكر مخطوط التيمورية .

٢٥ (٦) المد ، بضم الميم : ضرب من المسكايل ، وهو ربع ضاع .

فَضَّيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ، عَنِ الْمَطْرَحِ بْنِ يَزِيدَ^(١)، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زَحْرٍ^(٢)،
عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَزِيدَ^(٣) عَنْ الْقَاسِمِ^(٤) مَوْلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ
الْبَاهِلِيِّ^(٥) قَالَ : قَالَ عَمْرٍو رَحِمَهُ اللَّهُ :

« أَدَّبُوا الْخَيْلَ ، وَتَسَوَّكُوا ، وَاقْعُدُوا فِي الشَّمْسِ ، وَلَا تَجَاوِرَنَّكُمْ الْخَنَازِيرُ ،
وَلَا يُرْفَعَنَّ فِيكُمْ صَلَيبٌ ، وَلَا تَأْكُلُوا عَلَى مَائِدَةٍ يُشْرَبُ عَلَيْهَا خَمْرٌ^(٦) ، وَإِيَّاكُمْ
وَأَخْلَاقَ الْعَجَمِ ، وَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَدْخُلَ الْحَمَّامَ إِلَّا بِمُتَزَرٍّ ، وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مِنْ
سُقْمٍ ؛ فَإِنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْنِي قَالَتْ : حَدَّثَنِي خَلِيلِي عَلَى مِفْرَشِي هَذَا^(٧) : إِذَا وَضَعْتَ
الْمَرْأَةَ خِمَارَهَا فِي غَيْرِ بَيْتٍ زَوْجَهَا هَتَكَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ دُونَ الْعَرْشِ » .

(١) المطرح ، بضم الميم وتشديد الطاء المفتوحة وكسر الراء . وهو المطرح بن يزيد
الأسدي السكناني الكوفي ، روى عن عبيد الله بن زحر ، وبشر بن غير ، وأبي طاهر وجماعة .
وروى عنه عاصم بن أبي النجود ومات قبله ، والأعمش ، والحسن بن صالح وغيرهم . وذكره
أنه كان ضعيف الحديث . تهذيب التهذيب ، والتقريب .

(٢) هو عبيد الله بن زحر الضمري مولاهم الإفريقي . ولد بإفريقية ودخل العراق في
طلب العلم ، فكان من شيوخه علي بن يزيد الألهاني ، وخالد بن أبي عمران ، والأعمش . قال
ابن حبان : إذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات . وزحر ، بفتح الزاي وسكون الحاء .
تهذيب التهذيب ، والخلاصة .

(٣) هو علي بن يزيد بن أبي هلال الألهاني الدمشقي . ونسبه إلى ألهان بن مالك ،
وهو أخو همدان بن مالك . وكان على فاضلا ، أدرك أربعين من المهاجرين والأنصار ، وقد
تكلم فيه علماء الرجال وضعفوه . توفي في العشر الثاني بعد المائة . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٤) هو أبو عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي ، مولى آل أبي سفيان بن حرب
وقيل كان مولى لجويرية بنت أبي سفيان فورث بنو يزيد بن معاوية ولأهله ، ولذلك يقال مولى
بني يزيد بن معاوية . وكان ممن رحل إلى القسطنطينية . قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر :
ما رأيت أحدا أفضل من القاسم ، كنا بالقسطنطينية فكان الناس يرزقون رغيفين رغيفين
في كل يوم ، فكان يتصدق برغيف ، ويصوم ويفطر على رغيف . توفي سنة ١١٢ .
تهذيب التهذيب .

(٥) هو الصحابي الجليل أبو أمامة مُصَدِّقُ بن عجلان بن وهب الباهلي . وصدي بهيئة
التصغير . وكان أبو أمامة ممن بايع تحت الشجرة ، وشهد أحدا وصفين مع علي . وكان آخر
صحابي مات بالشام . توفي سنة ٨٦ . الإصابة ٥٤ ، وتهذيب التهذيب .

(٦) ما عدال : « الخمر » .
(٧) المفرش ، بكسر الميم . وفي اللسان : « المفرش شيء كالشاذ كونه » . والشاذ كونه
بالفارسية كل ما يتكأ عليه . استينجاس ٧٢٢ . وفي اللسان أيضا : « والمفرشة : شيء يكون
على الرجل يقعد عليها الرجل ، وهي أصغر من المفرش » .

ومن نساك البصرة وزهادهم

- عامر بن عبد قيس ، وبجالة بن عبدة العنبريَّان^(١) ، وعثمان بن الأدم ،
والأسود بن كلثوم^(٢) ، وصيلة بن أشيم^(٣) ، ومذعور بن الطفيل^(٤) .
ومن بني منقر جعفر^(٥) وحرب ابنا جرفاس . وكان الحسن يقول : إني
لا أرى كالجعفرين جعفرأ . يعني جعفر بن جرفاس ، وجعفر بن زيد العبدى .
ومن النساء : معاذة العدوية ، امرأة صيلة بن أشيم ، ورابعة القيسية^(٦) .

زهاد الكوفة

- عمرو بن عتبة^(٧) ، وهام بن الحارث^(٨) ، والربيع بن خثيم^(٩) ، وأويس
القرنى^(١٠) .

- ١٠ (١) عامر بن عبد قيس ترجم في (١ : ٨٣) . وأما بجالة فهو عبدة التميمي
العنبري البصري ، كاتب جزء بن معاوية في خلافة عمر ، وقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يره . وبجالة كسعابة ، وعبدة بالتحريك . الإصابة ٧٥٧ وتهذيب التهذيب .
(٢) ترجم في (١ : ٣٦٣) . (٣) ترجم في (١ : ٣٦٣) .
(٤) سبقت ترجمته في ص ١٧٤ من هذا الجزء .
(٥) ذكره ابن دريد في الاشتقاق ١٥٤ . وقال : « كان من عباد أهل البصرة المعدودين »
ثم ساق خبر الحسن التالى . والجرفاس ، بكسر الجيم ، معناه الأسد . وأما حرب فلم أجد
له ترجمة .
(٦) ترجمت معاذة ورابعة في (١ : ٣٦٤) .
(٧) عمرو بن عتبة بن فرقد ، ترجم في (١ : ٣٦٣) .
(٨) هو هام بن الحارث بن قيس بن عمرو بن ربيعة بن حارثة النخعي السكوفي العابد .
٢٠ قالوا : كان لا ينام إلا قاعداً ، وكان يدعو ويقول : « اللهم اكفنى من النوم باليسير ، وارزقنى
سهرأ فى طاعتك » . توفى فى إمارة عبد الله بن يزيد الخطمى على السكوفة سنة ٦٥ . تهذيب
التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٨) .
(٩) ترجم فى (١ : ٣٦٣) . ما عدال : « خثيم » والأوفى ما أثبت .
(١٠) هو أويس بن عامر القرنى ، بفتح القاف والراء ، نسبة إلى قرن بن رذمان ، وهم
حى من مراد بن مذحج . أدرك أويس حياة الرسول ، وشهد صفين مع على ، وفيها قتل .
الإصابة ٤٩٧ وتهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ٢٢) .

قال الراجز :

١٩٩ من عاشَ دهرًا فسيأتيه الأجلُ والمرءُ تَوَاقُّ إلى ما لم يَنَلْ
الموتُ يَتَلَوُّهُ وَيُلْهِمُهُ الأَمَلَ

وقال الآخر^(١) :

• كُلُّنَا يَأْمُلُ مَدًّا فِي الأَجَلِ والمنايا هي آفاتُ الأَمَلِ

وقال الآخر :

لا يَغُرُّنَكَ مَسَاءٌ سَاكِنٌ قَدْ يُؤَافِي بِالْمَنِيِّاتِ السَّحَرُ^(٢)

وقال الآخر :

١٠ أَنْتِ وَهَبْتَ الفَتِيَّةَ السَّلَاحِيبَ^(٣) وَهَجْمَةً يُحَارُّ فِيهَا الحَالِبَ^(٤)
وَعَنَمًا مِثْلَ الجُرَادِ السَّارِبِ^(٥) مَتَاعَ أَيَّامٍ وَكُلُّ ذَاهِبٍ

وقال المسعودي :

إِنَّ الكِرَامَ مُنَاهِبُـو كَ المَجْدِ كُلُّهُمْ فَنَاهِبٌ
أَخْلَفَ وَأَتْلَفَ كُلُّ شَيْءٍ زَعَزَعَتْهُ الرِّيحُ ذَاهِبٌ^(٦)

- (١) هو أبو النجم العجلي ، كما في الحيوان (٦ : ٥٠٨ — ٥٠٩) .
١٥ (٢) ما عدال : « عشاء ساكن » و « بالمنيات الأجل » . ونحو هذا في المعنى قوله
القائل في ص ٢٠٢ وقد سبق في الحيوان (٦ : ٥٠٨) :
يا راقدا الليل مسرورا بأوله « إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
(٣) الفتية ، كذا وردت في جميع النسخ والحيوان (٣ : ٧٥) . وظنى أنها الفتية ،
وهي بالكسر : كل ما اكتسب . والслаيب : جمع ساهب ، وهو من الخيل الطويل على
٢٠ وجه الأرض .
(٤) الهجمة ، بالفتح : عدد عظيم من الإبل .
(٥) السارب : الذاهب على وجهه في الأرض .
(٦) البيت في الحيوان (٣ : ٧٦) . وسيعيد لإنشاد البيتين في ص ٢٢٩ ، ٣٣٦ من
أرقام صفحات الأصل .

وقال التيمي^(١):

إذا كانت السبعون سنك لم يكن
وإنَّ امرأً قد سار سبعين حجة^(٢)
إلى منهل من ورده لقريب^(٣)
وخلفت في قرن فأنت غريب^(٤)
[إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل]
خلوت ولكن قل على رقيب^(٥) .
وقال غسان خال الغدار :

ايض مني الرأس بعد سواد
ودعا المشيب حليتي لبعاد^(٦)
واستحصد القرن الذي أنا منهم^(٧)
وكفى بذاك علامة لعصادي^(٨)

* * *

قال : كان علي بن عيسى بن ماهان^(٩) ، كثيراً ما يقول : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ
علينا صبراً وتوفناً مسلمين ﴾^(١٠) .

٢٠٠ وكان كثيراً ما يقول : ويل للظالمين من الله !

(١) جعله ابن قتيبة في عيون الأخبار (٢ : ٣٢٢) « الحجاج بن يوسف التيمي »
وأراه تحريف ناسخ .

(٢) في أمالي القالي (١ : ٣) : « خمسين حجة » . قال : « كتب الحجاج بن يوسف
إلى قتيبة بن مسلم : لاني نظرت في عمري فإذا أنا قد بلغت خمسين سنة ، وأنت نحوى في السن ،
وإن امرأً قد سار إلى منهل خمسين عاماً لقم أن يكون دنا منه . فسمع التيمي منه هذا فقال :
وإن امرأً قد سار خمسين حجة إلى منهل من ورده لقريب »

وقد رويت القصة والأبيات الأربعة في عيون الأخبار ، برواية : « سبعين حجة » .

(٣) القرن : مثلك في السن .

(٤) الحليلة : الزوجة . ما عدال : « يبعاد » .

(٥) استحصد التبت : حان حصاده ، مثل أحصد .

(٦) كان علي بن عيسى بن ماهان هو والفضل بن الربيع من رجال الأميين ، وكان علي

ابن عيسى صاحب أمره كله . وعقد له في سنة ١٩٥ على كور الجبل كلها : نهاوند وهذان

وقم وأصفهان ، حربها وخراجها . وقد شخص في هذه السنة إلى حرب المأمون حتى بلغ الري ،

فلقية طاهر بن الحسين ، واستمر القتال بينهما إلى أن قتل على سنة ١٩٥ . تاريخ الطبري

(١٠ : ١٣٨ — ١٤١) .

(٧) من الآية ١٢٦ في سورة الأعراف .

وقال محمد بن واسع^(١) : الإبقاء على العمل أشد من العمل^(٢) .

وكان أبو وائل النهشلي يقول في أول كلامه : إن الدهر لا يذوق طعم ألم الفراق ولا يُذيقه أهله ، وإنما يَغْتَمِسُونَ في ليل^(٣) ، ويطفئون في نهار ، فيوشك شاهد الدنيا أن يغيب ، وغائب الآخرة أن يشهد .

قال : وسأل رجل رجلاً ، فقال المستول : اذهب بسلام ! فقال السائل : قد أنصفنا من ردنا إلى الله .

الحزامي^(٤) ، عن سفيان بن حمزة^(٥) ، عن كثير بن الصلت^(٦) أن حاكم ابن حزام^(٧) باع داره من معاوية بستين ألف درهم ، فقيل له : غبنك والله معارية ! فقال : والله ما أخذتها في الجاهلية إلا بزق من خمر ، أشهدكم أنها في سبيل الله ، فانظروا أيننا المغبون ؟ !^(٨)

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٣٥٣) .

(٢) في الأصول : « الاتقاء » تحريف . ومثل هذا التحريف ما ورد في عيون الأخبار (٢ : ٣٦١) من قول أبي حازم : « إني لأرضى أن يتقى أحدكم على دينه ، كما يتقى على نعله » .

(٣) ما عدال : « يغمسون » وكلاهما صحيح ، يقال غمسه فانغمس واغتمس .

(٤) ب ، ح : « الحزامي » .

(٥) هو سفيان بن حمزة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، روى أيضاً عن كثير بن زيد الأسلمي ، وعروة بن سفيان ، وكان صالح الحديث . تهذيب التهذيب .

(٦) كثير بن الصلت بن معديكرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية الكندي . قيل : له إدراك ، روى عن جمع من كبار الصحابة ، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة ، وقيل كان اسمه قليلاً فسماه عمر كثيراً . وكان له شرف وحال جميلة ، وإليه اختص الشماخ وزوجه وكان عثمان قد أقعده للنظر بين الناس . الإصابة ٧٤٧٣ وتهذيب التهذيب .

(٧) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي ، وهو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج رسول الله . ولد قبل الفيل بثلاث عشرة سنة . وفيه ورد الحديث : « من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن » . وكان من المؤلفين قلوبهم ، وشهد حينئذ وأعطى من غنائمها مائة بعير ، ثم حسن إسلامه . الإصابة ١٦٩٥ .

(٨) الخبر روى بوجه آخر في الإصابة . قال : « وكانت دار الندوة بيده ، فباعها بعد من معاوية بمائة ألف درهم ، فلامه ابن الزبير فقال له : يا ابن أخي ، اشتريت بها داراً في الجنة ! فتصدق بالدرهم » .

قال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : لَيْسَ مِنْ ضَلَالَةٍ إِلَّا عَلَيْهَا زِينَةٌ ، فَلَا تَعْرِضْنِ دِينَكَ
لِمَنْ يُبَغِّضُهُ إِلَيْكَ .

وقال عمر بن عبد العزيز : مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلِ .
وَأَتَى مُسْلِمًا نَصْرَانِيًّا يُعْزِّيهِ ، فَقَالَ لَهُ : مِثْلِي لَا يُعْزِي مِثْلَكَ ، وَلَكِنْ انْظُرْ
إِلَى مَا زَهَدَ فِيهِ الْجَاهِلُ فَارْغَبْ فِيهِ .

وكان الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي يُلقب ذا الدِّمعة^(١) ،
فإذا عُوِّتَبَ فِي كَثْرَةِ الْبُكَاءِ قَالَ : وَهَلْ تَرَكْتُ الْفَارُ وَالسَّهْمَانِ لِي مَضْحَكًا !
يُرِيدُ قَتْلَ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَيُحْيِي بَنِي زَيْدٍ^(٢) .

وقيل لشيخ من الأعراب : قُمْتَ مَقَامًا خِفْنَا عَلَيْكَ مِنْهُ ! قَالَ : أَلَمُوتَ
أَخَافُ ، شَيْخٌ كَبِيرٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ، وَلَا دِينَ وَلَا بَنَاتِ .
وقال أبو العتاهية :

وَمَا تَبَلَّى وَجْهَهُ فِي الثَّرَى فَكَذَا يَبَلَى عَلَيْهِنَّ الْحَزَنُ

وقال بشار :

كَيْفَ يَبْكِي لَمْخَبِسٍ فِي طُلُولٍ مِنْ سَيْفُضِي لِحَبْسٍ يَوْمٍ طَوِيلٍ^(٣)

١٥ إِنَّ فِي الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ لَشَفْلًا عَنْ وَقُوفٍ بِرَسْمِ دَارٍ تَحْمِلُ

٢٠١ * وقال محمود الوراق^(٤) :

أَلَيْسَ عَجِيبًا بَأَنَّ الْفَتَى يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ

(١) ل : « الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي كان يلقب ذا الدمعة » .

(٢) زيد بعدها فيما عدل : « أخاه » والوجه « أخيه » .

(٣) الحبس ، بكسر الباء : اسم لموضع الحبس ، ويكون أيضاً المصدر كقوله تعالى :

(إلى الله مرجعكم) أي رجوعكم ؛ وقوله : (ويستلونك عن الحيف) ، أي الحيف .

(٤) ل : « محمود الوراق النحاس » .

فمن بين بالك له موجع^(١) وبين معز مغذ إليه^(٢)
ويسلبه الشيب شرح الشباب
فليس يعزیه خلق عليه^(٣)
وقال أيضاً :

بكيت لقرب الأجل^(٤) وبعد فوات الأمل^(٥)
ووافد شيب طرا^(٦) بعقب شباب رحل^(٧)
شباب كأن لم يكن^(٨) وشيب كأن لم ير^(٩)
طواك بشير البقاء^(١٠) وحل بشير الأجل^(١١)
[طوى صاحب صاحباً كذاك اختلاف الدول]

وقال^(١٢) :

رأيت صلاح المرء يصلح أهله^(١٣) ويُعديهم داء الفساد إذا فسد^(١٤)
يُعظم في الدنيا بفضل صلاحه^(١٥) ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد^(١٦)
وقال الحسن بن هاني :

أية نار قدح القادح^(١٧) وأى جد بلغ المازح^(١٨)
لله در الشيب من واعظ^(١٩) وناصح لو حظى الناصح^(٢٠)
يأبى الفتى إلا اتباع الهوى^(٢١) ومنهج الحق له واضح^(٢٢)
فاسم بعينيك إلى نسوة^(٢٣) مهورهن العمل الصالح^(٢٤)
لا يحتلى الحسناء من خدرها^(٢٥) إلا امرؤ ميزانه راجح^(٢٦)

(١) المغذ : المسرع . والإغذاذ : الإسراع في السير .

(٢) شرح الشباب : أوله ونضارته وقوته .

(٣) في الشعراء ٨٤٣ أن الشعر لعل بن جبلة . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٣٢٦) .

(٤) ما عدال : « وقال محمود أيضاً » .

(٥) ل : « لن يحتلى الحسناء » . وفي الديوان ١٩٢ : « لا يحتلى الحوراء » .

من اتقى الله فذاك الذي سيق إليه المتجرُّ الرابعُ

٢٠٣ * وقال أيضاً :

خَلَّ جَنبِيكَ لِرَامٍ وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ
مُتَّ بَدَاءَ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
[إِنَّمَا السَّلَامُ مِنَ الْجَمِّ فَاهُ بِلَجَامٍ]
رُبَّمَا اسْتَفْتَحْتَ بِالْقَوْلِ لِمَغَالِيقِ الْجَمَامِ^(١)
رُبَّ لَفْظٍ سَاقٍ آجَا لَ فِتَامٍ وَفِتَامِ^(٢)
فَالْبَسِ النَّاسَ عَلَى الصَّحَّةِ مِنْهُمْ وَالسَّقَامِ^(٣)
وَالْمَنَاسِيَا أَكَلَاتُ شَارِبَاتٍ لِلْأَنَامِ
[شَبْتَ يَا هَذَا وَمَا تَتَرَكُ أَخْلَاقَ الْغَلَامِ]

وقال أيضاً :

كُنْ مِنَ اللَّهِ يَكُنْ لَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ لَعَلَّكَ
لَا تَكُنْ إِلَّا مُعِدًّا لِلْمَنَاسِيَا فَكَأَنَّكَ
إِنْ لِلْمَوْتِ لَسَهْمًا وَاقْعَا دُونَكَ أَوْ بِكَ
نَحْنُ نَجْرِي فِي أَفَا نَيْنِ سُكُونٍ وَتَحْرُكٍ
فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ وَبِتَقْوَاهُ تَمَسَّكْ

وله أيضاً :

يَا نُوَاسِيُّ تَفَكَّرْ وَتَعَزَّزْ وَتَصَبَّرْ^(٤)

(١) ما عدل : « بالمرح » . والمغاليق : جمع مفلاق ، وهو المرتاج ، وهو

ما يفلق به الباب .

(٢) : « لفثام » وبذلك غيرت في ب . والفتام : الجماعة الكثيرة من الناس .

(٣) بدله فيما عدل :

فالزم الصمت فإن الـ صمت أبقى للجوام

(٤) في الديوان ١٩٦ : « يا نواسي توقر » .

ساء لك الدهرُ بشيء ولما سرك أكثر
يا كبير الذنب عفوا لله من ذنبك أكبر
أكبر الأشياء في أصغر عفوا لله يصغر^(١)

وقال سعد^(٢) بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم :

ألا إنما هذا اللال الذي ترى وإدبار جسمي من ردى العثرات^(٣)

وكم من خليل قد تجلّدت بعده تقطع نفسي دونه حسرات^(٤)
وهذا من قديم الشعر .

وقال الطرماح بن حكيم^(٥) ، في هذا المعنى :

وشيبني أن لا أزال مناهضا يغير قوئى أنزوبها وأبوع^(٦)

[وإن رجال المال أضحووا ومألهم لهم عند أبواب الملوك شفيع]

أختري ريب المنون ولم أنل من المال ما أعصى به وأطيع^(٧)

ومن قديم الشعر قول الحارث بن يزيد ، وهو جد الأخميم اللص السعدى^(٨) :

لا لا أعق ولا أخو ب ولا أغير على مضر^(٩)

(١) البيت من ل فقط ، وأثبت في هامش التيمورية ، وفي الديوان : « عن أصغر

١٥ عفوا لله أصغر » ، صواب هذا « من أصغر » .

(٢) ما عدال : « سعيد » .

(٣) ل : « جسمي ردى العثرات » تحريف .

(٤) ما عدال : « بعده حسرات » .

(٥) « بن حكيم » من ل فقط . وسبقت ترجمته في (١ : ٤٦) .

(٦) باع يبيع : بسط باعه في المشى . والباع : قدر مد اليدين ، أصله في الدابة .

(٧) اختارته المنية من بين أصحابه : أخذته من بينهم .

(٨) الأخميم السعدى ، شاعر من لصوص العرب ، مثل عبيد بن أيوب العبدي ،

ترجم له ابن قتيبة في الشعر والشعراء . وقال : « وهو متأخر ، وقد رآه شيوخنا » وهو القائل :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت لإنسان فكدت أطيير

(٩) أحوب ، من الحوب ، وهو الإثم . المصدر بفتح الحاء ، والاسم بضمها .

لَكِنَّا غَمَزَوِي إِذَا ضَجَّ الْمَطِيُّ مِنَ الدَّبَرِ^(١)

وقال آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز^(٢) :

وإن قالت رجالٌ قد تَوَلَّى زَمَانُكُمْ وَذَا زَمَنٍ جَدِيدُ

فما ذَهَبَ الزَّمانُ لَنَا بِمَجْدٍ وَلَا حَسَبٍ إِذَا ذُكِرَ الْجُدُودُ

وما كُنَّا لَنُخْلِدَ إِذْ مَلَكْنَا وَأَيُّ النَّاسِ دَامَ لَهُ الْخُلُودُ

وقيل لأخيه بعد أن رآوه حملاً : لقد حطَّكَ الزَّمانُ ، وعَضَّكَ الْخَدَّانِ !

فقال : ما فَقَدْنَا مِنْ عَيْشِنَا إِلَّا الْفُضُولُ !

وقال عروة بن أذينة الكِنَانِيُّ :

نُرَاعُ إِذَا الْجَنَائِزُ قَابَلَتْنَا وَيَحْزُنُنَا بَكَاءُ الْبَاكِياتِ^(٣)

كَرْوَعَةٍ ثَلَاثَةٍ لِمُعَارِ ذَنْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِمَاتِ^(٤)

وقالت خنساء بنت عمرو :

تَرْتَعُ مَا غَفَلْتَ حَتَّى إِذَا أَذْكَرْتَ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ^(٥)

(١) أنشد الجاحظ البيتين في الحيوان (١ : ١٣٣) ، وعقب بقوله : « وإنما نثر

بالغزو في ذلك الزمان » . وأنشدها كذلك في (٣ : ٧٧ / ٥ : ٣٣) المطي : جمع مطية .

ضج : صاح ، والمراد اشتد ألمه . والدبر ، بالتحريك : جمع دبيرة ، وهي قرحة الدابة .

(٢) ما عدال : « آدم بن عبد العزيز بن عبد العزيز » تحريف . وهو حفيد عمر

ابن عبد العزيز بن مروان بن الحكم . وهو أحد من من عليه أبو العباس السفاح من بني أمية .

وكانت في أول أمره خليعاً ماجناً منهمكاً في الشراب ، ثم نسك بعد ما عمر ، ومات على توبة

ومذهب جميل ، وكان المهدي يقربه ويصطفيه . الأغاني (١٤ : ٥٨ — ٦٠)

(٣) البيتان في الحيوان (٦ : ٥٠٧) وعيون الأخبار (٣ : ٦٢) . وفي عيون

الأخبار : « ونلهو حين تخفي ذاهبات » .

(٤) الثلة ، بالفتح : جماعة الغنم . والمغار : مصدر ميمي من أغار . وفي الحيوان :

« لمغار سبع » .

(٥) من صرثية لها في أخيها صخر . والبيت في صفة ناقة ثكلت ولدها . وقبله :

فما عجول على بو تطيف به / قد ساعدتها على التحنان أظفار

ما غفلت ، أي عن ذكر ولدها . جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر كأنها تجسمت من الإقبال

والإدبار . انظر الحيوان (٦ : ٥٠٧) والحزاة (١ : ٢٠٧) .

• وقال أبو النجم :

فلو ترى الثيوس مُضَجَّاتٍ عَرَفْتَ أَنَّ لَسَنَ بِسَالِمَاتٍ
[أقول إذ جنن مُذْبَحَاتٍ] أَلَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ رَاتِعَاتٍ^(١)
ما أقرب الموت من الحياة

وقال سليمان بن الوليد^(٢) :

رُبَّ مَفْرُوسٍ يُعَاشِ بِهِ عَدِمَتُهُ كَفَّ مَفْتَرِسِهِ^(٣)
وكذاك الدهرُ مَاتَهُ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُرْسِهِ

وقال آخر :

يا راقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِأَوَّلِهِ إِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ أَسْحَارًا^(٤)
وقالت امرأة في بعض الملوك^(٥) :

أَبْكِيكَ لَا لِلنَّعِيمِ وَالْأَنْسِ بَلْ لِلْمَعَالِي وَالرُّمَحِ وَالْفَرَسِ
أَبْكِي عَلَى فَارِسٍ فَجِئْتُ بِهِ أَرْمَلَنِي قَبْلَ لَيْلَةِ الْعُرْسِ

(١) ما عدال : « واقعات » تحريف . وفي ل : « رايعات » ، صوابهما ما أثبت .
(٢) هو سليمان بن الوليد الأعمى ، أخو مسلم بن الوليد الأنصاري . قال الجاحظ في الحيوان (٤ : ١٩٥) حيث أنشد الشعر : « وكانوا لا يشكون بأن سليمان هذا الأعمى كان من مستجبي بشار الأعمى » وأنه كان يختلف إليه وهو غلام فقبل عنه ذلك الدين . وقد جعله ياقوت في إرشاد الأديب (١١ : ٢٥٥) والصفدي في نكت الهميان ١٦٠ ابناً لمسلم . قال ياقوت : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريح القواني ، الشاعر المعروف . كان كأبيه شاعراً مجيداً . وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متهماً بدينه . مات سنة ١٧٩ » . والشعر في المرجعين المتقدمين وعيون الأخبار (٣ : ٦١) وفيها أنه « سليمان الأعمى » . و « الأعمى » تحريف « الأعمى » .
(٣) ل فقط : « عدمته عين مفترسه » .

(٤) ل : « مسروراً برقدته » وأثبت ما في سائر النسخ والحيوان (٦ : ٥٠٨) .
وقد نسب البيت مع قرين له في تفسير القرطبي إلى ابن الرومي ، وذلك في سورة الطارق .
(٥) المرأة ، هي بنت عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وكانت مملكة ، أي معقوداً عليها ، للأمين بن هارون الرشيد ، فقالت الشعر التالي ترضيه به حين قتل . الحيوان (٣ : ٨٩) والطبري (١٠ : ٢١٠) . وفي العقد (٣ : ٢٧٧) أنها لبابة بنت علي بن ربيعة ، ترضى زوجها المأمون ، وكان قتل عنها ولم يبين بها . وفي الطبري أيضاً (١٠ : ٢١٠) أنها لبابة بنت علي بن المهدي .

أخلاق من شعر ونوادر وأحاديث

قال هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ الْخَزُومِيُّ^(١) :

وإنَّ مقال المرء في غير كُنْهِهِ لَكَائِبِلٌ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نَصَالُهُمَا^(٢)
وقال الرَّاجِزُ :

والقول لا تملكُهُ إِذَا نَمَا كَالسَّهْمِ لَا يَرْجِعُهُ رَامٍ رَمَى .
وإلى هذا ذهبَ عَامِرُ الشَّعْبِيِّ حَيْثُ يَقُولُ : « وَإِنَّكَ عَلَى إِيقَاعٍ مَا لَمْ تُتَوَقَّعْ
أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا قَدْ أُوقِعْتَ » .
وأنشد :

فداوَيْتُهُ بِالْحِلْمِ وَالْمِرَّةِ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ^(٣)
وقال الأنصاري^(٤) :

وبعضُ القولِ لَيْسَ لَهُ حَصَاةٌ كَمَخْضِ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِتَاءٌ^(٥)
[وبعضُ خلائقِ الأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ]^(٦)

(١) سبقت ترجمته في (١ : ٣١٩) .

(٢) في غير كُنْهِهِ ، أى في غير وجهه . وقد سبق البيت في (٢ : ٢٩١) .

(٣) البيت لمعن بن أوس المزني في ديوانه ٦ لبيسك وحاسة البحتري ٣٨٢ . برواية : ١٥
« فبادرت منه الثأى » .

(٤) هو قيس بن الخطيم الأنصاري . ديوانه ٢٧ — ٢٨ ، والبيان (٢ : ٢٧٦) .
وانظر ما سبق في ص ١٨٦ من نسبة بعض الشعر إلى الربيع بن أبي الحقيق . والبيتان
في الحيوان (٣ : ٦٨) مع نسبتها إلى بعض الأنصار .

(٥) الحصاة ، هاهنا : العقل . قال كعب بن سعد الغنوي :

وإن لسان المرء ما لم يكن له حصاة ، على عوراته لدليل
والإتاء ، بالكسر : الزبد .

(٦) في ١٨٦ : « ليس له شفاء » .

* وقال الآخر :

وَمَوَّلَى كِدَاءِ الْبَطْنِ أَمَّا لِقَاؤُهُ فَحِلْمٌ وَأَمَّا غَيْبُهُ فَظَنُونُ^(١)

وقال الآخر :

تَقَسَّمَ أَوْلَادُ الْمَلِيسَةِ مَغْنَمِي جِهَارًا ، وَلَمْ يَغْلِبَكَ مِثْلُ مُغْلَبِ^(٢)

وقال الثَّلبُ اليماني :

* وَهَنْ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غُلِبَ *

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَرَبَّ كِتَابَهُ ، فَإِنَّ التُّرَابَ مُبَارَكٌ ، وَهُوَ أَنْجَحٌ لِلْحَاجَّةِ » .

وذكر الله آدمَ الذي هو أصلُ البشر فقال : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ . ولذلك كَتَبَ النبي عليه السلام عليًّا أَبَا تُرَابٍ .
١٠ قالوا : وكانت أَحَبَّ الْكُنَى إِلَيْهِ .

وقال الآخر :

[وَإِنْ جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ]
وَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَلِي غَرِيمٌ مِنْ الْأَعْرَابِ قُبْحٌ مِنْ غَرِيمٍ
١٥ لَهُ أَلْفٌ عَلَى وَنِصْفُ أَلْفٍ وَنِصْفُ النِّصْفِ فِي صَكِّ قَدِيمٍ
دِرَاهِمٌ مَا انْتِفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ وَصَلْتُ بِهَا شُيُوخَ بَنِي تَمِيمٍ
وقال الكمي^(٣) :

(١) الظنون : المتهم ومن لا يوثق به .

(٢) الملية ، من الإلمام ، أي التي تلم بالرجال تزورهم وتحرس عليهم . والمغلب : المغلوب .

٢٠ انظر ما مضى في ص ١١ من هذا الجزء .

(٣) كان من قصة الشعر ما رواه أبو الفرج قال : « خرجت الجعفرية على خالد ابن عبد الله القسري وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم ، فخرجوا في التباين ينادون : لبيك جعفر ، لبيك جعفر ! وعرف خالد خبرهم وهو يخطب على المنبر ، فدهش فلم يعلم ما يقول فزعا ، فقال : أطعموني ماء ! ثم خرج الناس إليهم فأخذوا ، فجعل يحض بهم إلى المسجد ويؤخذ =

خَلَفْتُ رَبَّ النَّاسِ : مَا إِمُّ خَالِدٍ يَا مُلْكَ إِذْ أَصَوَاتُنَا الْهَلْ وَالْهَبُ ^(١)
 وَلَا خَالِدٌ يَسْتَطِيعُ الْمَاءَ قَائِمًا بِعِذْلِكَ وَالِدَاعِي إِلَى الْمَوْتِ يَنْعَبُ ^(٢)
 وَقَالَ ابْنُ نَوْفَلٍ ^(٣) :

تَقُولُ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعَمُونِي شَرَابًا ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ
 لِأَعْلَاجِ ثَمَانِيَةٍ وَشَيْخِ كَبِيرِ السِّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرٍ ^(٤)
 وَقَالَ ابْنُ هَرَمَةَ ^(٥) :

تَرَاهُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ كَلْبُهُ يَكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ ^(٦)
 قَالَ : وَقَالَ الْمُهَلَّبُ : « عَجِبْتُ لِمَنْ يَشْتَرِي الْمَالِيكَ بِمَالِهِ وَلَا يَشْتَرِي الْأَحْرَارَ
 بِمَعْرُوفِهِ » .

١٠ = طن قصب ، فيطلى بالنفط ويقال للرجل : احتضنه . ويضرب حتى يفعل ثم يحرق ، فخرقهم جميعاً .
 فلما قدم يوسف بن عمر دخل عليه الكميث وقد مدحه بمد قتلته زيد بن علي فأنشده قوله فيه :
 خرجت لهم تمقى البراح ولم تكن كن حصنه فيه الرجاج المضرب
 وما خالد يستطعم الماء فاغراً بعذلك والداعي إلى الموت ينعب
 قال : والجند قيام على رأس يوسف بن عمر ، وهم يمانية ، فتمصبوا لخالد فوضعوا ذباب
 سيوفهم في بطن الكميث فوجئوه بها وقالوا : أتنشد الأمير ولم تستأمره . فلم ينزل ينزفه الدم
 حتى مات . . الأغاني (١٥ : ١١٦) .

(١) خالد ، هو ابن عبد الله القسري كما سبق في الخبر . والأم بفتح الهزة وكسرهما :
 الشكل والأمر والقصد . انظر اللسان (١٤ : ٢٨٩) ومجالس نعلب ٤٦٦ والزهر (١ : ٥١٣) .
 يقول : ليس يكون خالد مثلك في الثبات والشجاعة حين تشتد الغارة وبصاح فيها بالخيول :
 هلا ، وهي .

٢٠ (٢) المعدل ، بالكسر : المثل والنظير . ما عدل ل : « بعذلك ، تحريف . ينعب :
 يصيح . ل : « يسغب » صوابه في سائر النسخ والأغاني . وانظر لاستطعام خالد الماء ما سبق
 من الخبر في الحواشي .

(٣) هو يحيى بن نوفل المترجم في (٢ : ٢٦٦) .

٢٥ (٤) سبق الكلام على البيتين في (٢ : ٢٦٧) .

(٥) هو إبراهيم بن هرمة ، المترجم في (١ : ١١١) .

(٦) البيت من أبيات سبقت بدون نسبة في الحيوان (١ : ٣٧٧ — ٣٨٨) . وهي
 كذلك عارية من النسبة في الحماسة (١ : ٢٦٠ — ٢٦١) . وفيهما : « يكاد إذا ما أبصر
 الضيف » .

وقال الشاعر :

رُزِقْتُ لُبًّا ولم أرْزُقْ مَرْوَةً وما المَرْوَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ^(١)
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً تَقَعَّدَنِي عَمَّا يُنَوِّهُ بِاسْمِي رَقَّةُ الْحَالِ^(٢)

٢٠٦

* وقال الأحنف :

فَلَوْ مُدَّةً سَرَوِي بِمَالٍ كَثِيرٍ لَجَدْتُ وَكُنْتُ لَهُ بِإِذِلَا^(٣)
فَإِنَّ الْمَرْوَةَ لَا تُسْتَطَاعُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَالُهَا فَاضِلًا
وقال جرير بن يزيد^(٤) :

خَيْرٌ مِنَ الْبُخْلِ لِلْفَقِي عَدَمُهُ وَمِنْ بَيْنِينَ أَعْقَى عَقْمُهُ^(٥)
قال : ومشي رجال من تميم إلى عتّاب بن ورقاء ، ومحمد بن عمير^(٦) ، في عَشْرِ
دِيَّاتٍ فقال محمد بن عمير : عَلَى دِيَّةٍ . فقال عتّاب : عَلَى الْبَاقِيَةِ . فقال محمد :
نَعِمَ الْعَوْنُ عَلَى الْمَرْوَةِ الْمَالِ^(٧) .

[وقال الآخر :

وَلَا خَيْرَ فِي وَصْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَى طَوْلِ مَرَّةِ الْحَادِثَاتِ بَقَاءٌ]
وقال الآخر :

شَفَاءُ الْحُبِّ تَقْبِيلٌ وَضَمٌّ وَجَرٌّ بِالْبُطُونِ عَلَى الْبُطُونِ^(٨) ١٥

(١) البيتان في عيون الأخبار (١ : ٢٣٩) .

(٢) في اللسان (قعد) : « ابن السكيت : يقال : ما تقعدني عن ذلك الأمر إلا شغل ،
أى ما حبسني » . ما عدال : « تقاعدني » تحريف .

(٣) سبق البيتان في (٢ : ٢٩٢) .

(٤) ذكره الجاحظ في الحيوان (٧ : ٨٤) . ٢٠

(٥) يقال بضم العين وفتحها وبالتحريك .

(٦) عتّاب بن ورقاء الرياحي ، ترجم في (٢ : ٢٣٥) . ومحمد بن عمير بن عطار
ترجم في (٢ : ٢٩٢) حيث سبق الخبر .

(٧) في (٢ : ٢٩٢) : « اليسار » بدل « المال » .

(٨) ما عدال : « وشم وضم بالبطون » . ٢٥

وأنشد^(١) :

والله لا أرضى بطول ضمٍّ ولا بتقبيل ولا بشمٍّ
إلا بهزهازٍ يسلى همي يسقط منه فتخى في كمي
[لمثل هذا ولدني أمي]

وأنشد :

لا ينفعُ الجاريةُ الخِضابُ ولا الوشاحانِ ولا الجِلبابُ
من دُونِ أن تصطَفِقَ الأركابُ^(٢) وتلتقي الأسبابُ والأسبابُ
ويخرجَ الزُبُّ له لعابُ

وقال الآخر :

١٠ ولقد بدا لي أن قلبك ذاهلٌ عني وقلبي لو بدا لك أذهل^(٣)
كلُّ يُجَامِلُ وهو يُخْفِي بُغْضَهُ إنَّ الكريمَ على القلي يتجملُ

وقال الآخر :

وحظك زورة في كلِّ عامٍ موافقةً على ظَهر الطريق^(٤)
سَلاماً خالياً من كلِّ شيءٍ يعود به الصديق على الصديق [

وقال الآخر :

١٥ وزعت أُنَّ قد كذبتك مرَّةً بعض الحديثِ فما صدقتك أكثر^(٥)

(١) الرجز للدهناء بنت مسحل زوج العجاج . انظر حواشي (٢ : ٣٥١) . والفتخ : جمع فتخة ، بالتحريك ، وهي حلقة تلبس في الإصبع كالحاتم لا فص فيها ، فإذا كان فيها فص فهي الحاتم ، وحقيقتها أن تلبس في أصابع الرجلين ، وتلبس أيضاً في أصابع اليدين .

(٢) الأركاب : جمع ركب ، بالتحريك ، وهو منبت العانة . والرجز في اللسان والمقاييس (ركب) .

(٣) البيتان لمن بن أوس ، كما سبق في (٢ : ٣٥٤) . وليس في ديوانه .

(٤) سبق البيتان في (٢ : ٣٦٢) .

(٥) ل : « بعد الحديث » ، تحريف .

وقال الآخر :

أهينوا مطاياكم فإني وجدته يهون على البرذون موت الفتى النذب^(١)

وقال الآخر :

لا يحفل البرد من يبلى حواشيه ولا تبالي على من راحت الإبل

وقال الآخر :

ألا لا يبالي البرد من جر فضله كما لا تبالي مهزة من يقودها

٢٠٧

وقال الآخر^(٢) :

وإني لأرني للكريم إذا غدا على حاجة عند اللئيم يطالبه

وأرني له من مجلس عند بابه كمرثتي للطرف والعليج راكبه^(٣)

١٠ وقال الفرزدق :

أترجو ربيع أن تجيء صغارها بخير وقد أعيأ ربيعاً كبارها^(٤)

وقال الشاعر :

ألم تر أن سير الخير ريث وأن الشر راكبه يطير^(٥)

(١) النذب : الخفيف في الحاجة الظريف النجيب .

(٢) هو عبيد الله بن عكراش ، كما في عيون الأخبار (١ : ٨٩) .

١٥

(٣) مجلسي ، أي جلوسي . والطرف ، بالكسر : الفرس الكريم الطرفين ، أي الأبوين . والعليج : الرجل من كفار العجم .

(٤) ربيع بالتصغير ، من بني الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . الاشتقاق ١٥١ والقاموس (ربيع) . والبيت لم يرو في ديوانه ، ولكنه منسوب إليه في الأغاني (١٥ : ١٩) وابن سلام ١٢٧ . قال ابن سلام : « وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلداً ، والمقلد : البيت المستغنى بنفسه المشهور الذي يضرب به المثل » . وللفرزدق في هذا المعنى قوله في الديوان ٣٨٤ :

ترجي أن تزيد بنو فقيم صغارهم وقد أعيأ كبارا

(٥) الريث : البطء . يطير : يسرع .

وقال ابن يسير^(١) :

تأتى المكاره حين تأتى جملة وترى الشرور يحيى مع الفلتات^(٢)
 قيل لبلال بن أبي بردة : لم لا تؤلى أبا العجوز بن أبي شيخ الغراف^(٣)
 — وكان بلال مسترضعا فيهم ، وهو من بلهجم^(٤) — قال : لأني رأيت منه
 ثلاثا : رأيتُه يحتجم في بيوت إخوانه ، ورأيتُ عليه مظلة وهو في الظل ، ورأيتُه
 يبادر بيض البقيلة^(٥) .

وكان عندي شيخ عظيم البدن جهر الصوت ، يستقصي الإعراب ، وقد
 ولده رجل من أهل الشورى ، وكان بقربي عبد أسود دقيق العظم دميم
 الوجه^(٦) ، ورأيتُ أكبره ، فقال لي حين نهض ورأى عظما : يا أبا عثمان ،
 لا والله إن يساوي ذلك العظم البالي ، بصرت عيني به في الحمام وتناول قطعة ١٠

(١) محمد بن يسير الرياشي المترجم في (١ : ٦٥) . ما عدال : « بشر » تحريف

(٢) ما عدال : « يحيى في الفلتات » .

(٣) ما عدال : « العراف » بالعين المهملة .

(٤) بلهجم ، أي بنو الهجم ، وهو الهجم بن عمرو بن تميم بن مر . المعارف ٣٥

والاشتقاق ١٢٤ . ونظيره قولهم في بني الحارث وبني القين : بلحارث ، وبلقين . وفي
 اللسان (حرث) : « وقولهم بلحارث لبني الحارث بن كعب من شواذ الإدغام ؛ لأن النون
 واللام قريبا المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام بسكون اللام حذفوا النون كما قالوا مست وظلت .
 وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل بلعنبر وبلهجم ، فإذا لم تظهر اللام فلا
 يكون ذلك » .

(٥) بيضة البقيلة ، قال الثعالي في ثمار القلوب ٣٩٣ : « تذكر في عيون الأطعمة ،
 ولا يستحسن المبادرة إليها » ، ولم يفسرها بأكثر من هذا . ثم نقل عن الجاحظ في البخل
 قوله : « فإن كان لابد من المؤاكلة ولا بد من المشاركة ، فع من لا يستأثر على بالخ ، ولا
 ينتهز بيض البقيلة ، ولا يلتهم كبد الدجاجة ، ولا يبادر إلى دماغ رأس السلاء ، ولا يختطف
 كلية الجدى ، ولا يزدرد قانصة الكركي » . فيفهم من سوقها مع هذه النظائر أنها قطعة من
 متخير اللحم ، تشبه البيض .

٢٥

(٦) الدميم : القبيح . ما عدال : « ذميم » تحريف .

من فَخَّارٍ فَأَعْطَاهَا رَجُلًا وَقَالَ لَهُ : حُكَّ بِهَا ظَهْرِي ! أَفْتِظَنُّ هَذَا يَا أَبَا عُثْمَانَ
يُفْلِحُ أَبَدًا .

قال أبو الحسن : سأل الحجاجُ غلامًا فقال له : غلامُ مَنْ أنت ؟ قال : غلامُ
سَيِّدِ قَيْسٍ . قال : وَمَنْ ذاك ؟ قال : زُرَّارَةُ بْنُ أَوْفَى^(١) . قال : وكيف يكون
سَيِّدِ قَيْسٍ فِي دَارِهِ الَّتِي يَنْزِلُ فِيهَا^(٢) مُكَانٌ ؟

قال : وقال رجل لابنه : إذا أردت أن تعرفَ عَيْبَكَ فَخَاصِمُ شَيْخًا مِنْ
قُدَمَاءِ جِيرَانِكَ . قال : يَا أَبَتِ لَوْ كُنْتُ إِذَا خَاصَمْتُ جَارِي لَمْ يَعْرِفْ عَيْبِي^{٢٠٨}
غَيْرِي كَانَ ذَلِكَ رَأْيًا ، وَلَكِنْ جَارِي لَا يَعْرِفُنِي عَيْبِي حَتَّى يَعْرِفَهُ عَدُوِّي .
وَقَدْ أَخْطَأَ الَّذِي وَضَعَ هَذَا الْحَدِيثَ لِأَنَّهُ أَبَاهُ نِهَاهُ وَلَمْ يَأْمُرْهُ .

وقال الآخر :

اصْطَنَعَنِي وَأَقْلَنِي عَثْرَتِي إِنِّهَا قَدْ وَقَعَتْ مِنِّي بَقْرٌ^(٣)
وَأَعْلَمَنِي أَن لَيْسَ أَلْفَا دِرْهَمٌ لِمَدِيحِي وَهِيَ بَخْطَرٌ^(٤)
يَذْهَبُ الْمَالُ وَيَبْقَى مَنْطَقٌ شَائِعٌ يَأْثُرُهُ أَهْلُ الْخَبْرِ
نَمْ أَرْمِيكُمْ بِوَجْهِ بَارِزٍ لَسْتُ أَمْشِي لَعْدُوِّي بِخَمَرٍ^(٥)

(١) هو أبو حجاب زرارة بن أوفى العامري الحرشي القاضي ، كان فقيهاً محدثاً من التابعين
وكان من العباد ، توفي سنة ٩٣ . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٥٢) . وكان
الفرزدق يشبب ببنته ملاءة ، وبنتها عاتكة ، وبنيت بنتها نائلة . قال أبو الفرج في (٧٤ : ١٢)
عن ابن سلام : « لا أعلم أن امرأة شبيب بها وبأمها وجدتها غير نائلة » .

(٢) ما عدال : « ينزلها » .

(٣) أقاله عثرته : عفا عنه . وقعت بقر ، أي صارت الشدة إلى قرارها .

(٤) الخطر ، هنا : مثل الشيء وعدله ومساويه .

(٥) الخمر ، بالتحريك : ما وارك من الشجر والجبال ونحوها . والمعروف في مثل هذا

المعنى : « مشى له الخمر » بنزع الباء ، يقال ذلك للرجل إذا ختل صاحبه .

وقال أشهب بن رُمَيْلة^(١) يومَ صِفِّينَ : إلى أينَ يا بني تميم ؟ قالوا : قد ذهب الناسُ . قال : تَفِرُّونَ وتَعْتَذِرُونَ ؟

قال : ونهض الحارث بن حَوَاطٍ اللَّيْثِيُّ إلى عليّ بن أبي طالب ، وهو على المنبر ، فقال : أَتَظُنُّ أَنَّا نَظُنُّ أَنَّ طَلْحَةَ والزُّبَيْرَ كانا على ضَلَالٍ ؟ قال : « يا حَارِثُ ، إنه ملبوسٌ عَليكَ ، إنَّ الحقَّ لا يُعَرِّفُ بالرجال . فاعرف الحقَّ تَعْرِفُ أَهْلَهُ » .
قال عمر بن الخطَّابِ رحمه الله : « لا أدركتُ أنا ولا أنتَ زمانًا يتغيَّرُ الناسُ فيه^(٢) على العِلْمِ كما يتغيَّرونَ على الأزواج » .

قال : وبعثَ قَسَامَةُ بن زُهَيْرِ العَنْبَرِيُّ إلى أَهْلِهِ بثلاثينَ شاةً ونَحْيِي صغير فيه سَمْنٌ ، فسرقَ الرِّسُولُ شاةً ، وأخذ من رأسِ النَّحْيِ شيئاً من السَّمْنِ ، فقال لهمُ الرِّسُولُ : أَلَكُمُ إِلَيهِ حَاجَةٌ أُخْبِرُهُ بِهَا ؟ قالت له امرأته : أَخْبِرْهُ أَنَّ الشَّهْرَ ١٠ محاقٌّ ، وَأَنَّ جَدِّيْنَا الَّذِي كَانَ يُطَالِعُنَا وَجَدْنَاهُ مَرْتُومًا^(٣) . فاستَرَجَعَ منه الشَّاةَ وَالسَّمْنَ .

قال عليّ بن سليمان لرؤبة : ما بقي من باهك يا أبا الجحَّاف : قال : يَمْتَدُّ ولا يَشْتَدُّ ، وأَسْتَعِينُ بِيَدِي ثُمَّ لا أُورِدُ ، وَأَطِيلُ الظَّمَءَ ثُمَّ أَقْصُرُ . قال : ذاك الكِبَرُ^(٤) . قال : لا وَلَكِنَّهُ طُولُ الرِّغَاثِ^(٥) .

(١) الأشهب بن رُمَيْلة : شاعر إسلامي مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، ولم تعرف له صحبة . الإصابة ٤٦٤ . ورُمَيْلة أمه ، فهو ممن نسب إلى أمه من الشعراء ، ولم يذكره ابن حبيب في كتابه . وأبوه ثور بن أبي حارثة ينتهي نسبه إلى تميم . وكان الأشهب ممن هاجى الفرزدق . انظر الحيوان (١ : ٣١٥) والحزاة (٤ : ٥١٠) .

(٢) ما عدال : « يتغيَّرون فيه » .

(٣) المَرْتُوم : المكسور .

(٤) ما عدال : « الكبير » تحريف .

(٥) الرِّغَاثُ ، لعله من قولهم : رَغِثَ فلان : كثر عليه السؤال حتى نفذ ما عنده . ولم أجد الرِّغَاثَ ولا رَاغَثَ في معجم .

وقيل لأعرابي : أي الدواب آكل ؟ قال : يرذونه رَغُوث^(١) .
وقيل لغيره : لم صارت اللبؤة أنزق ، وعلى اللحم أحرص ؟ قال :
هي الرَغُوث .

* قال : وقال عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ : اتَّقُوا مَنْ تَبْفُضُهُ قُلُوبُكُمْ .
وقال إسماعيل بن غزوان : لَا تُنْفِقْ دِرْهَمًا حَتَّى تَرَاهُ^(٢) ، وَلَا تَتَّقِ بِشُكْرٍ
مَنْ تُعْطِيهِ حَتَّى تَمْنَعَهُ ، فَالصَّابِرُ هُوَ الَّذِي يَشْكُرُ ، وَالْجَازِعُ هُوَ الَّذِي يَكْفُرُ .
عاصم بن يحيى بن أبي كثير^(٣) قال : لَا تَشْهَدْ لِمَنْ لَا تَعْرِفُ ، وَلَا تَشْهَدْ
عَلَى مَنْ لَا تَعْرِفُ ، وَلَا تَشْهَدْ بِمَا لَا تَعْرِفُ .

أبو عبد الرحمن الضرير ، عن علي بن زيد بن جُدعان^(٤) ، عن سعيد بن
المُسَيَّبِ قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ
الْبُودُّ إِلَى النَّاسِ » .

وقالت عائشة : لَا سَمَرَ إِلَّا لثَلَاثَةٍ : مُسَافِرٍ ، وَمُصَلٍّ ، وَعَرُوسٍ .
قال : قال معاوية يوماً : مَنْ أَفْصَحُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ قَائِلٌ : قَوْمٌ ارْتَفَعُوا عَنْ
لَخْلَخَانِيَةِ الْفَرَاتِ^(٥) ، وَتَيَامَنُوا عَنْ عِنْعِنَةِ تَمِيمٍ^(٦) وَتَيَامَسَرُّوا عَنْ كَسْكَسَةِ

(١) رَغُوث : مرضعة . انظر الخبر في الحيوان (١ : ١١٢) .

(٢) ل : « حتى ترده » ، تحريف .

(٣) لم أجد لعاصم ترجمة ، وأما يحيى بن أبي كثير الطائي ، فهو ممن روى عن أنس
وعكرمة وعطاء . وكان أعلم الناس بحديث أهل المدينة . وتوفي سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب
والخلاصة .

(٤) هو علي بن زيد بن عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة
التيمنى البصري . روى عن أنس والحسن وسعيد بن المسيب ، ولد أعمى ، وكان كثير الحديث
غالياً في التشيع . توفي سنة ١٢٩ . تهذيب التهذيب والخلاصة ونكت الهميان ٢١٢ .

(٥) ويروى : « عن لَخْلَخَانِيَةِ الْعِرَاقِ » كما في اللسان (لَخَج) . واللَخْلَخَانِيَةُ : العجمة
في المنطق .

(٦) عِنْعِنَةُ تَمِيمٍ : قولهم في موضع أن : عن ، قال ذو الرمة :

أَعْنُ تَوَسَّمتُ مِنْ خِرْفَاءِ مَنْزِلَةٍ مَاءَ الصَّبَاةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٍ =

بكر^(١) ، ليست لهم غفمة قضاة^(٢) ولا طمطمانية خير^(٣) . قال : من هم ؟
قال : قریش . قال : ممن أنت ؟ قال : من جرم . قال : اجلس^(٤) .
وقال الراجز :

إن تمياً أعطيت تماماً وأعطيت مائراً عظاماً
وعدداً وحسباً قمقاماً^(٥) وباذخاً من عزها قدماً
في الدهر أعيان الناس أن يراما إذا رأيت منهم الأجساما
والدّلّ والشّيمة والكلاماً^(٦) وأذرعاً وقصرّاً وهاماً^(٧)
عرفت أن لم يخلقوا طغماً^(٨) ولم يكن أبوهم مسقاماً
لم ترَ فيمن يأكلُ الطعاماً أقلّ منهم سقطاً وداماً^(٩)
تقولُ العرب : « لو لم يكن في الإبل إلا أنها رقوء الدم^(١٠) » .
قال جندل بن صخر ، وكان عبداً مملوكاً :

- = مجالس ثعلب ١٠٠ — ١٠١ والزهر (١ : ٢١١) والخصائص ٤١١ وفقه اللغة ١٢١
والصاحبي ٢٤ والخزانة (٤ : ٥٩٥ — ٥٩٦) . ما عدال : « كشكشة تيم » تحريف .
وإنما الكشكشة لربعة ، وهي أن يجعل ما بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئا .
(١) هو بنو بكر بن هوازن . والكسكسة : أن يجعل بعد كاف المذكر أو مكانها شيئا .
(٢) الغفمة : كلام غير بين .
(٣) الطمطمانية ، بضم الطاءين : المعجمة . وفي اللسان : « شبه كلام حمير لما فيه من
الألفاظ المنكرة بكلام المعجم » .
(٤) قال اجلس ، من ل فقط .
(٥) القمقام : العدد الكثير .
(٦) القصر ، بالتحريك : جمع قصرة ، وهي أصل العنق . والهام : جمع هامة ،
وهي الرأس .
(٧) الطعام ، بفتح الطاء : أرذال الناس وأوغادهم .
(٨) الدام : العيب .
(٩) أي لكفاهما ذلك فضلا . والرقوء : الدواء الذي يوضع على الدم ليرقته فيسكن ،
أي لأنها تعطى في الديات بدلا من القود فتحقق بها الدماء .

وَمَا فَكَّ رِقِّي ذَاتُ دَلٍّ خَبْرَنَجٍ وَلَا شَاقَ مَالِي صَدَقَةٌ وَعُقُولٌ^(١)
 * ولكنْ نَمَانِي كُلُّ أبيضَ خَضِرِمٍ فَأَصْبَحْتُ أَدْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ^(٢) ٢١٠
 وقال الفقيمي* ، وهو قاتلُ غالبِ أبي الفرزدقِ :
 وما كنتُ نَوَامًا ولكنْ ثَائِرًا أَنَاخَ قَلِيلًا فَوْقَ ظَهْرِ سَبِيلٍ^(٣)
 وقد كنتُ مجرورَ اللِّسَانِ وَمُفْجَمًا فَأَصْبَحْتُ أَدْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ^(٤)

* * *

قال المغيرة بن شعبة : من دخلَ في حاجةِ رجلٍ فقد ضَمِنَهَا .
 وقال عمرُ رَحِمَهُ اللهُ : لكلِّ شيءٍ شَرَفٌ ، وشرفُ المعروفِ تعجيلُهُ .
 وقال رجلٌ لإبراهيمَ النخعي* : أَعِدُّ الرَّجُلَ الْمِيعَادَ فَإِلَى مَتَى^(٥) ؟ قال :
 ١٠ إلى وقتِ الصلاة .
 قال : وقال لي بعضُ القُرَشِيِّينَ : من خافَ الكَذِبَ أَقَلَّ من المَوَاعِيدِ .
 وقالوا : أَمْرَانِ لَا يَسْلَمَانِ مِنَ الكَذِبِ : كثرةُ المَوَاعِيدِ ، وشِدَّةُ الاعتذارِ .
 وقال إبراهيمُ النَّظَّامُ : قُلْتُ لَخَنْجِيرٍ كُونُ^(٦) مَمْرُورٍ الزَّيَادِيِّينَ^(٧) : أَعْمَدُ هَاهُنَا
 حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ . قال : أَمَا حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى فَإِنِّي لَا أَضْمِنُ لَكَ^(٨) ولكنْ أَقْعُدْ
 ١٥ لك إلى اللَّيْلِ .

(١) الخبرنج : الخلق الحسن . والعقول : جمع عقل ، وهو الدية .
 (٢) نَمَاه : رفع إليه نسبه . والخضرم : السيد المحول . ل : « فأصبحت أدري فيه
 كيف أقول » .

(٣) أي ولكنني ثائر .
 (٤) المجرور ، أصله الفصيل يشق لسانه لثلا يرضع ، يقال جر الفصيل وأجره . قال
 عمرو بن معديكرب :

فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت
 ما عدال : « مخزون اللسان » ، ولا وجه له .

(٥) ما عدال : « قال إلى متى » تحريف . (٦) ما عدال : « لخنجيركور » .
 (٧) الممرور : الذي غلبت عليه المرة فاقتل عقله . (٨) ما عدال : « لا أصبر لك » . ٢٥

هذه رسالة إبراهيم بن سيابة^(١)

إلى يحيى بن خالد بن برمك

وبلغنى أن عامة أهل بغداد يحفظونها في تلك الأيام ، وهي كما ترى .
وأولها :

• للأصيد الجواد^(٢) ، الوارى الزناد^(٣) ، الماجد الأجداد ، الوزير الفاضل ،
الأشم الباذل ، اللباب الحلال^(٤) ، من المستكين المستجير ، البأس الضير .
فإني أحمد الله ذا العزة القدير ، إليك وإلى الصغير والكبير ، بالرحمة العامة ،
والبركة التامة .

أما بعد فاغتم واسلم ، واعلم إن كنت تعلم ، أنه من يرحم يرحم ، ومن
يحرّم يحرم^(٥) ، ومن يحسن يغنم ، ومن يصنع المعروف لا يعدم . وقد سبق
إلى تغضبك على ، واطراحك لى ، وغفلتك عني بما لا أقوم به^(٦) ولا أقعد ،
٢١١ ولا أنقبه ولا أرقد ، فلست بذى حياة صحيح^(٧) ، ولا بميت مستريح ، ففرت
بعد الله منك إليك ، وتحملت بك عليك . ولذلك قلت :

أسرعت بي حثا إليك خطائي فأنأخت بمذنب ذى رجاء^(٨)

- ١٥ (١) سبقت ترجمته في (١ : ٤٠٥) .
(٢) الأصيد : الذى يرفع رأسه كبرا .
(٣) يقال : هو وارى الزناد ووريه ، يكون ذلك فى الكرم وغيره من الخصال الحمودة .
ورى الزند : خرجت ناره .
(٤) اللباب : الخالص المحض . والحلال : السيد الضخم المروءة .
٢٠ (٥) ما عدال : « من يحرم يحرم » ، تحريف .
(٦) ما عدال : « له » .
(٧) ما عدال : « بحى صحيح » .
(٨) الخطاء ، بالكسر : جمع خطوة بالفتح ، كما قالوا : ركوة وركاء . ما عدال :
« بمذهب » بدل : « بمذنب » .

راغبٍ راهبٍ إليك يُرجى منك عفواً عنه وفضلَ عطاءٍ
ولعمري ما من أصرَّ ومن با... ت مُقراً بذنبه بسواء^(١)
فإن رأيت — أراك الله ما تحبُّ ، وأبقاك في خيرٍ — ألا تزهد فيما ترى
من تضرُّعي وتخشعي ، وتذللي وتضعفي ، فإن ذلك ليس مني بنحيزة
ولا طبيعة^(٢) ، ولا على وجه تصيدٍ وتصنعٍ وتخضع^(٣) ، ولكنه تذللٌ وتخضع
وتضرُّع ، من غير ضارع ولا مهين ولا خاشع^(٤) لمن لا يستحق ذلك ، إلا لمن
اليتضرَّع له عزٌّ ورفعة وشرف . والسلام^(٥) .

* * *

محمد بن حرب الهلالي قال : دخل زُفر بن الحارث^(٦) على عبد الملك ،
بعد الصلح فقال : ما بقي من حُبِّكَ للضحَّاك^(٧) ؟ فقال : ما لا ينفعني
ولا يضرُّك . قال : شدَّ ما أحببتُموه معاشر قيس ! قال : أحبيناهُ ولم نُواسيه ،
ولو كُنَّا آسيناهُ لقد كُنَّا أدرَكنا ما فاتنا منه . قال : فما منعك من مواساته .

(١) ما عدال : « ومن تاب مقرا » .

(٢) النحيزة : الطبيعة ، وجمعها نحائر ، ومثله النحيطة والنحائط .

(٣) ما عدال : « ولا على وجه تصنع ولا تخضع » . ١٥

(٤) في القاموس (خدع) : « وككتاب : المنع ، والحيلة . والتخضع : تكلفه » .

(٥) هذه الكلمة من ل فقط .

(٦) هو زفر بن الحارث الكلابي ، أحد بني عمرو بن كلاب . الكامل ٥٣٣ ليسك
والاشتقاق ١٨٠ . وكان قد خرج على عبد الملك بن مروان وظل يقاتله تسع سنين ، ثم رجع
إلى الطاعة . الجهمياري ٣٥ ، وكان سيد قيس في زمانه ، ويكنى أبا الهذيل . وكان على قيس
يوم صرح راهط . وهو القاتل : ٢٠

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وثبقى حزازات النفوس كما هيا
المؤتلف ١٢٩ . وكان من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج .
شرح شواهد المفق للسيوطي ٣١٥ .

(٧) الضحَّاك بن خالد الفهري ، المترجم في (١ : ٣٨٠) . ٢٥

يوم المَرَج^(١) . قال : الذي مَنَعَ أباك من مُواساةِ عثمان يوم الدَّار .

* * *

قال الشاعر :

لَكُلِّ كَرِيمٍ مِنَ الْأُمِّ قَوْمِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَاسِدُونَ وَكُشَّحُ^(٢)

قال : وقال سليمان بن سعد^(٣) لو صَحِبَتْنِي رَجُلٌ فَقَالَ اشْتَرِطْ عَلَيَّ خَصْلَةً وَاحِدَةً .
لا تَزِيدُ عَلَيْهَا لُقْلُتُ : لا تَكْذِبْنِي^(٤) .

قال : كان يُقال : أربع خِصَالٍ يَسُودُ بِهَا الْمَرْءُ : العلم ، والأدب ، والعِفَّةُ والأمانة .

وقال الشاعر :

أَيُّنَ طَبَتَ نَفْسًا عَنْ ثَمَانِي فَإِنِّي

لَأَطِيبُ نَفْسًا عَنْ نَدَاكَ عَلَى عُسْرِي^(٥)

فلستُ إلى جَدِّوَاكَ أَعْظَمَ حَاجَةً

عَلَى شِدَّةِ الْإِعْسَارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي

وقال الآخر :

٢١٢

أَنْ سُمِّتَنِي ذُلًّا فَعَفِيتُ حِيَاضَهُ سَخِطْتَ ، وَمَنْ يَأْبَ الْمَذَلَّةَ يُعْذَرُ

فَهَانَا مُسْتَرْضِيكَ لَا مِنْ جَنَايَةٍ جَنَيْتُ وَلَكِنْ مِنْ تَجَنُّيكَ فَأَغْفِرْ

(١) هي وقعة مرج راهط ، ومرج راهط من نواحي دمشق ، وكان هذا اليوم لمروان ابن الحكم بن أبي العاص ، على الضحاك بن قيس الفهري عامل يزيد بن معاوية ، وزفر بن الحارث . الأغاني (١٧ : ١١١ — ١١٤) والميداني (٢ : ٣٦٧) .

(٢) الكشج : جمع كاشج ، وهو العدو الذي يضمّر عداوته ويطوى عليها كشحه ، وهو الحصر .

(٣) الخبر في عيون الأخبار (٢ : ٢٦) .

(٤) ما عدال : « ولا تزد عليها قلت لا تكذبي » .

(٥) البيتان في عيون الأخبار (٣ : ١٦٦) .

وقال إياسُ بن قتيادة^(١) :

وَإِنَّ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لَوْ أُطِيعَتْهُ دَعَاكَ إِلَى نَارِ يَنْفُورٍ سَمِيرُهَا
وقال الآخر^(٢) :

عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ لِأَمْرِ مَا يَسْوَدُ مِنْ يَسْوَدٍ
وقال الهذلي^(٣) :

وَإِنَّ سَيَادَةَ الْأَقْوَامِ فَاعْلَمْ لَهَا صَعْدَاءَ مَطْلَبِهَا طَوِيلُ
وقال حارثة بن بدر^(٤) :

إِذَا الِهْمُّ أَمْسَى وَهُوَ دَالٌ فَأَمْضِهِ وَلَسْتَ بِمَمْضِيهِ وَأَنْتَ تُعَادِلُهُ^(٥)
وَلَا تُنْزِلَنَّ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بِأَمْرِي إِذَا رَامَ أَمْرًا عَوَّقَتْهُ عَوَاذِلُهُ
وَقُلْ لِلْفُؤَادِ إِنْ نَزَا بِكَ نَزْوَةٌ

مَنْ الرَّوْعِ أَفْرَحَ أَكْثَرَ الرَّوْعِ بَاطِلُهُ

(١) يقوله في الأحنف بن قيس ، كما في الحيوان (٣ : ٨٠) . وهذا هو إياس بن قتيادة المجاشعي ، وكان الأحنف بن قيس قد دفعه إلى الأزد رهينة بعد حرب مسعود حتى تؤدي الديات . وفخر بذلك الفرزدق فقال :

ومنا الذي أعطى يديه رهينة لفاري معد يوم ضرب الجمجم
عشية سال المربدان كلاهما

الكامل ٨٢ ليبسك والإصابة ٣٨٣ .

(٢) هو أنس بن مدركة الخثعمي ، كما في الحيوان (٣ : ٨١) والخزانة (١ : ٤٨٦) وقد سبق في (٢ : ٣٥٢) ، وهو من شواهد سيبويه (١ : ١١٦) ، يشهد لجواز جر الظروف غير المتمكنة في لغة خثعم . وقيل إن « ذو » فيه زائدة .

(٣) هو حبيب بن عبيد الله الهذلي ، المعروف بالأعلم . انظر ما سبق في حواشي (١ : ٢٧٥ / ٢ : ٣٥٤) .

(٤) سبقت ترجمته في (٢ : ١٨٧) .

(٥) الأبيات في الحيوان (٣ : ٧٧) وأمالى المرتضى (٢ : ٤٧) ، والأول منها في اللسان (١٣ : ٤٦٢) والثالث سبق في (٢ : ١٨٧) . تعادله ، من قولهم أنا في عدال من هذا الأمر ، أي في شك منه أمضى عليه أم أتركه . يقول : اجزم بطرد الهم ولا تتردد في ذلك .

وقال الآخر^(١) :

وإنّ بقومٍ سودوكَ لفاقةٌ إلى سيّدٍ لو يظفرونَ بـسيّدٍ^(٢)

وقال الآخر :

وما سُدّتَ فيهم إنَّ فضلكَ عمّهم ولكنَّ هذا الحظَّ في الناسِ يُقسَمُ^(٣)

وقال حارثةُ بن بدر :

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِّ^(٤)

٢١٣ الفضل بن تميم قال : قال المغيرة : « مَنْ لَمْ يَفْضُبْ لَمْ يُعْرِفْ حِلْمَهُ » .

وقال الشاعر :

مَا بَالُ ضَبْعٍ ظَلَّ يَطْلُبُ دَائِبًا فَرِيسَتَهُ بَيْنَ الْأَسْوَدِ الضَّرَاغِمِ

وقال الآخر :

ذَكَرْتُ بِهَا عَهْدًا عَلَى الْمَجْرِ وَالْقَلَى وَلَا بُدَّ لِلْمَشْتَاكِ أَنْ يَتَذَكَّرَا

وقال الآخر :

[إِذَا مَا شَفِيتُ النَّفْسَ أَبْلَغْتُ عُذْرَهَا وَلَا لَوْمَ فِي أَمْرٍ إِذَا بَلَغَ الْعُذْرُ

وقال الآخر] :

(١) هو أبو نخيلة ، كما في الحيوان (٨٠ : ٣) .

(٢) الفاقة : الحاجة .

(٣) أى ما سدت لأن فضلك عمهم ، بل جاءت هذه السيادة لزمية من غير رام .

(٤) البيت في الحيوان (٨٠ : ٣) وأمالى المرتضى (٥٣ : ٢) والأغانى (٢١ : ٣١) .

وروى أبو الفرج — ونحوه ما روى المرتضى — أن حارثة بن بدر الفداني اجتاز بمجلس من مجالس قومه بنى تميم ، ومعه كعب مولاة ، فكلمها اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا : مرحباً بـسيدنا ، فلما ولى قال له كعب : ما سمعت كلاماً قط أقرّ لعيني ولا ألدّ بسمي من هذا الكلام الذى سمعته اليوم ! فقال له حارثة : لكنى لم أسمع كلاماً قط أكره لنفسى وأبغض إلى مما سمعته ! قال : ولم ؟ قال : ويحك يا كعب ، إنما سودّنى قوى حين ذهب خيارهم وأماثلهم ، فاحفظ عني هذا البيت :

٢٥ خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردى بالسود

لعمرك ما الشكوى بأمرٍ حَزَامَةٍ ولا بُدَّ من شكوى إذا لم يكن صَبْرٌ^(١)
[وقال الآخر :

لو ثلاثٌ هنَّ عيشُ الدهرِ الماء والنومُ وأُمُّ عمرو
* لَمَّا خَشِيتُ مِنْ مَضِيقِ القَبْرِ *

وقال لَقِيطُ بن زُرَّارة :

شَتَّانَ هذا والعِناقُ والنومُ والمشرَبُ البَارِدُ والظِّلُّ الدَّوْمُ^(٢)
وقال والبة^(٣) :

ما العِيشُ إلَّا في المَدَا م وفي اللَّزَامِ وفي القُبُلِ
وإدارة الظبي الغري رِ تَسُومُهُ ما لا يَحِلُّ^(٤)

وقال شيخ من أهل المسجد : ما كنتُ أريدُ أن أجلسَ إلى قومٍ إلَّا
وفيه من يُحدِّثُ عن الحسن ، ويُنشدُ للفرزدق .

وقال أبو مجيب^(٥) : لا تَرَى امرأةً مُصَبَّرةَ العينِ ، ولا امرأةً عليها طاق
يَمْنَةٍ ، ولا شريفاً يهنأ بهيراً .

وقال أبو بَراح : ذهبَ الفتيانُ فلا ترى فتى مفروقَ الشعرِ بالدُّهْنِ ، مُعلِّقاً
نعلَهُ ، ولا دِيكَيْنِ في خِطَارٍ^(٦) ، ولا صديقاً له صديقٌ إن قَمَرَ ضَفَا^(٧) ، وإن

(١) مجز هذا البيت في الحيوان (١ : ٢٠٢) .

(٢) الظل الدوم : الدائم . ما عدال : « في ظل الدوم » تحريف . صوابه هذه
« في الظل الدوم » كما في إحدى روايتي اللسان . والرجز يقوله في يوم جبلة ، كما في اللسان
(دوم) . وقبل البيتين :

يا قوم قد أحرقتُموني باللوم ولم أقاتل عامراً قبل اليوم

(٣) والبة بن الحباب سبقت ترجمته في ٤١ . ل : « وايلة » تحريف .

(٤) ما عدال . « وإرادة الظبي » .

(٥) أبو المجيب الربيعي سبقت ترجمته في (١ : ٣٧٣) . وقد سبق الخبر في (٢ : ١٦٤)

(٦) الخطار والمخاطرة : الرهان والمراهنة .

(٧) قر : غلب في القمار . ضفا : صاح .

عوقِبَ جَزَع ، وإن خلا بَصْدِيقَ فَتَى حَبَّيْهِ ^(١) ، وإن ضَرِبَ أَقْرَ ، وإن طال حَبْسُهُ ضَجَرَ ، ولا ترى فَتَى يُحْسِنُ أن يَمْشَى في قَيْدِهِ ولا يُخَاطِبُ أَمِيرَهُ .

وقال أبو الحسن : قال أبو عبيدة : ترى زقاقَ بَراقش ، وبساتين هَزَارِمَرْدَ ^(٢) ما كان يَسْلُكُهُ غُلامٌ إلّا بِخَفِير ، وَهُمْ اليومَ يَخْتَرِقُونَهُ . قُلْتُ : هذا من صَلاحِ الْفِتْيَانِ . قال : لا ولكن من فسادِهِم .

٢١٤ اليقطريُّ ، قال : قِيلَ لِطُفَيْلِ الْعِرَاسِ : كم اثنانُ في اثنين ؟ قال : أربعةٌ أرغفة .

وقال رَجُلٌ لرجُلٍ : انتظرْتُكَ على البابِ بِقَدَرِ ما يَأْكُلُ إنسانٌ جَرْدَقَتَيْنِ ^(٣) .

١٠ عبدُ اللَّهِ بنُ مُصْعَبٍ قال : أَرْسَلَ أَبُو طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بنَ عَبَّاسٍ ، لما قَدِمَ الْبَصْرَةَ فقال ^(٤) :

« ايتِ الزبيرَ ولا تَأْتِ طَلْحَةَ ، فإنَّ الزبيرَ أَلْيَنُ ، وإنَّكَ تَجِدُ طَلْحَةَ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ ^(٥) ، يَرْكَبُ الصُّعُوبَةَ ويقولُ هِيَ أَسهَلُ ؛ فاقْرئه السَّلامَ ^(٦) ،

١٠ (١) خبيبه : خدعه وأفسده . وفي الحديث : « من خيب امرأة أو مملوكا على مسلم فليس منا » . اللسان (١ : ٣٣١) ، ما عدال : « خنته » .

(٢) هزارد ، أصل معناه في الفارسية ألف رجل . هزار : ألف . ل : « هزارد » التيمورية « هزارد » صوابهما في ب ، ح .

(٣) الجردقة : الرغيف ، فارسية معربة من « كَرْدَه » ، ومعناه في الفارسية الرغيف المستدير الغليظ . اللسان والمغرب ١١٥ واستنجا ١٠٨١ .

٢٠ (٤) كلام على هذا في نهج البلاغة . انظر شرح ابن أبي الحديد (١ : ١٦٩ — ١٧٢) وكان قد أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستغيثه إلى طاعته .

(٥) عصى قرنه : عطفه . والمراد بالقرن هاهنا الضفيرة ، يقال للرجل قرنان ، أي ضفيران ، ويصح أن يريد صفة الثور .

٢٠ (٦) ما عدال : « فاقراء عليه السَّلام » . يقال قرأ عليه السَّلام وأقرأه السَّلام ، أي أبلغه ، وكان معناه في الأخير أنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السَّلام ويرده .

وقل له : « يقول لك ابنُ خالك : عرفيتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق ، فما عداً مما بدأ لك ^(١) ؟ » .

قال : فأتيت الزبيرَ فقال : مرحباً يا ابنَ لبابة ^(٢) أزايراً جئت أم سفيراً ؟ قلت : كلَّ ذلك . وأبلغته ما قال عليّ ، فقال الزبير . أبلغه السلامَ وقُل له : « بيننا وبينك عهدُ خليفةٍ ودمُ خليفة ^(٣) ، واجتماعُ ثلاثةٍ وانفراد واحد ^(٤) ، وأُمٌّ مبرورة ^(٥) ، ومشاورةُ العشيرة ، ونشرُ المصاحف ، فنحِلْ ما أحلت ، ونحرِّمْ ما حرَّمت » . فلما كان من الغدِ حرَّشَ بين الناسِ غوغاؤهم فقال الزبير : ما كنت أرى أن مثلَ ما جئنا له يكونُ فيه قتال !

* * *

قال : ومن جيِّد الشعر قولُ جرير :

(١) الذي في نهج البلاغة : « فاعداً مما بدا » بإسقاط « لك » . عدا ، أراد عداك أي صرفك . ومعناه ما صرفك عما كان بدا منك وظهر ، أي ما الذي صدك عن طاعتي بعد إظهارك لها . قال الرضى جامع نهج البلاغة : « وهو عليه السلام أول من سمعت منه هذه الكلمة » .
(٢) لبابة هذه ، هي لبابة بنت الحارث الهلالية ، أخت ميمونة بنت الحارث زوج الرسول صلوات الله عليه . وكنيتها أم الفضل ، وهي المعروفة بلبابة الكبرى . ولها أخت سمية لها تدعى لبابة الصغرى وتلقب بالمصماء ، وهي أم خالد بن الوليد ، وفي إسلام هذه الأخيرة وصحتها نظر . وللبابة الكبرى أول امرأة آمنت بعد خديجة ، وماتت في خلافة عثمان قبل زوجها العباس . الإصابة ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ١٤٤٠ من قسم النساء والمعارف ٥٣ .
(٣) أما عهد الخليفة فالذي عاهد عليه عمر أهل الشورى أن يقرروا من يقع عليه الاختيار وأهل الشورى ستة نفر : علي ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص . والدم : دم عثمان الذي اختاره أهل الشورى .
(٤) الثلاثة هم الزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، أجمعوا على اختيار الرابع ، وهو عثمان . وأما الخامس علي بن أبي طالب فقد انفرد بالخلاف ، ثم بايع وهو يقول : « خدعة وأى خدعة ! » . وأما السادس طلحة فكان غائباً ، كفيل برأيه سعد بن أبي وقاص . انظر قصة الشورى في الطبرى (٥ : ٣٣ — ٤٢) ، وكذا كتب التاريخ في سنة ٢٣ .

(٥) يعني أم المؤمنين عائشة التي خرجت في طلب دم عثمان يوم الجمل .

لئن عَمِرَتْ تَيْمٌ زَمَانًا بِفِرَّةٍ لَقَدْ حُدِيتْ تَيْمٌ حُدَاءً عَصَبَصَبَا (١)
فَلَا يَصْغَمَنَّ اللَّيْثُ تَيْمًا بِفِرَّةٍ وَتَيْمٌ يَشْمُونُ الْفَرِيسَ الْمُنْدَبَا (٢)
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : « كَحَلْنِي بِالْمِيلِ الَّذِي تُكْحَلُ بِهِ الْعِيُونُ الدَّاءَةُ » (٣)
وَقَالَ ابْنُ أَحْمَرَ :

[بِهَجَلٍ مِنْ قَسَا ذَفِيرِ الْخُزَامِي تَهَادَى الْجَرِيَاءُ بِهِ الْحَنِينَا (٤)]
بِهِ تَنْزَخَرُ الْقَلْعُ السَّوَارِي وَجُنَّ الْخَازِبَارِ بِهِ جُفُونَا (٥)
[تَكَادُ الشَّمْسُ تَخْشَعُ حِينَ تَبْدُو لَهْنٌ وَمَا نَزَلْنَ وَمَا عَسَيْنَا]
وَقَالَ الْحَكَمُ الْخُضْرِيُّ (٦) :
كُومٌ تَظَاهَرَ نَيْثُهَا وَتَرَبَّتْ بِقَلَا بَعِيْهَمُ وَالْحَمَى مَجْنُونَا (٧)

- (١) البيتان في ديوان جرير ١٣ وأولهما في اللسان (عمر) . وعمر : عاش وبقى زماناً طويلاً . والفرة : الغفلة . وفي المثل : « الفرة تجلب الدرة » ، أى تجلب الرزق . ما عدل : « بعزة » . وهى تخالف رواية الديوان واللسان . العصبص : الشديد ، يريد سبقت سوطاً شديداً وعنف بها .
- (٢) وكذا في الحيوان (٧ : ٦٣) . وفي الديوان : « عكلا بفرة * وعكلا » . وهذه هى الرواية الصحيحة . يقول : قد فرست تيماً فأياكم يا عكل أن تمرضوا لى فتكونوا مثلهم . والشاة والناقة إذا رأيت شاة مذبوحة أو ناقة منحورة فزعت منها فنفرت . فشمها إياها نظرهما إليها . وقيل إن السبع إذا ضغم شاة ثم طرد عنها أقبلت الغنم تشم موضع الضغم فيفترسها السبع وهى تشم .
- (٣) الميل ، بالكسر : المرود . والداءة : المريضة التى بها الداء .
- (٤) الهجل ، بالفتح : المطمئن من الأرض . وقسا ، بالفتح : موضع بالعالية ، ويقال بالكسر أيضاً ، كما في المقصور ٨٨ . ذفر : ذكى الرائحة . والخزاي : نبت طيب الرائحة . والجرياء : الريح الشمالية الباردة . والحنين : صوت الريح . الحيوان (٣ : ١٠٨) ، واللسان والكامل ٤٦٤ ليسك ومعجم البلدان (قسا) والمخصص (١١ : ٢٠٧) .
- (٥) تنزخر : يكثر ماؤها . ب والتمورية : « بها يتزخر » . ح : « بها يتزخر » . والأخيرة محرفة . والقلع ، بالتحريك : قطع من السحاب كأنها الجبال ، الواحدة قلعة . والخازبار : ذباب يظهر في الربيع فيدل على خصب السنة أو هو نبت . وجنونه : تكاثفه .
- (٦) هو الحكم بن معمر الخضرى ، المترجم في (٢ : ١٣٦) .
- (٧) كوم : جمع أ كوم وكوماء ، وهى العالية السنام . والنى ، بكسر النون وفتحها : الشحم . وعيهم والحمى : موضعان . والبيت في اللسان (جنن) بدون نسبة ، وبرواية : « تظاهرها لما رعت روضاً بعيهم » .

والجنون : المصروع ، ومجنون بني عامر ، ومجنون بني جعدة ^(١) .
 وإذا فخر النبات قيل : قد جن ^(٢) . وقال الشنفرى :
 ٢١٥ فدقت وجلت واسبكرت وأنضرت فلو جن إنسان من الحسن جنت ^(٣)
 قال : وسمع الحجاج امرأة من خلف حائط تنأغي طفلاً لها ، فقال :
 مجنونة أو أم صبي !
 وقال أبو ثمامة بن عازب ^(٤) :
 وكلهم قد ذاقنا فكأنما يرون علينا جلد أجرب هامل ^(٥)
 وقال التّغابى ^(٦) :
 يرى الناس ممّا جلد أسود سالخ وفروّة ضرغام من الأسد ضيغم ^(٧)

(١) جعلهما الجاحظ شخصين ، والمعروف أن الجنون العاصى ، هو قيس بن الملوح
 ابن مزاحم بن قيس بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فهو
 عامرى ثم جمدى . انظر المؤلف ١٨٨ والأغانى (١ : ١٦١ ساسى) .
 (٢) الفاخر : الذى بلغ وجاد من النبات ، فكأنه فخر على ما حوله . وأنشد فى اللسان
 (فخر) شاهداً لذلك قول لبيد :

حتى تزينت الجواء بفاخر قصف كألوان الرحال عميم
 (٣) البيت من قصيدة له فى المفضليات (١ : ١٠٦ — ١١٠) . وأنشد البيت
 فى الحيوان (٣ : ٦ / ١٠٨ : ٢٤٤) ومجالس ثعلب ٤٢٦ . أى دق جسمها فى المواضع التى
 يستحسن فيها الدقة كالخصر ، وعظم فى الأجزاء التى يرضى فيها العظم كالردف . اسبكرت :
 استقامت واعتدلت وحسن قوامها . وأنضرت ، من قولهم : أنضر النبات والشجر ، إذا نضر
 ٢٠ واخضر ورقه . ل فقط : « أنظرت » تحريف . والرواية فى المراجع المتقدمة : « وأكلت »
 بدل : « وأنضرت » . قال ثعلب : « ويقال إن الحسان تتبعهم الشياطين » . وفى اللسان :
 « وفى حديث الحسن : لو أصاب ابن آدم فى كل شىء جن . أى أعجب بنفسه حتى يصير كالجنون
 من شدة إعجابه . وقال الفتيبي : وأحسب قول الشنفرى من هذا » .

(٤) هو شاعر ضبي ، كما سبق فى (٢ : ٢٧٦) .
 (٥) الهامل : المسيب الذى لا راحى له .

(٦) ما عدال : « الثعلبي » تحريف . وإنما هو جابر بن حنى بن حارثة بن عمرو بن بكر
 ابن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب بن وائل ، شاعر جاهلى قديم ، كان صديقاً لامرى القيس
 وكان معه لما لبس الحلة المسمومة التى بعثها إليه قيصر دون أنقرة يوم . وقصيدة البيت فى
 المفضليات (٢ : ٩ — ١٢) .

(٧) البيت آخر أبيات المفضلية . الأسود العظيم من الحيات ، وإنما يقال له سالخ لأنه =

وأنشدنا الأصمعي :

مُنْهَرَّتُ الشُّدْقَيْنِ عَوْدٌ قَدْ كَمَلَ ^(١) كَأَنَّمَا قُمَصَ مِنْ لَيْطٍ جُعِلَ ^(٢)
وقال نُصَيْبُ لَعْمَرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : إِنَّ لِي بُنْيَةً ذَرَرْتُ عَلَيْهَا مِنْ سَوَادِي .
وقال عبد الملك للوليد :

لا تَعْمَلْ أَخَاكَ عَبْدَ اللَّهِ عَنْ مِصْرَ ، وَانْظُرْ عَمَّاكَ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ فَأَقْرِهُ عَلَى
الْجَزِيرَةِ ، وَأَمَّا الْحَجَّاجُ فَأَنْتَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْهُ إِلَيْكَ ، وَانْظُرْ عَلَى بَنِي عَبْدِ اللَّهِ
فَاسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا .
فَضْرَبَ عَلِيًّا بِالسَّيَاطِ ، وَعَزَلَ أَخَاهُ وَعَمَّهُ .
وقال أَبُو نُخَيْلَةَ ^(٣) :

أَنَا ابْنُ سَعْدٍ وَتَوَسَّطْتُ الْعَجَمَ فَأَنَا فِيمَا شِيتُ مِنْ خَالٍ وَعَمٍّ
وأنشد :

هُمْ وَسَطٌ يَرْضَى الْإِلَهُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ
يَجْعَلُونَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

١٥ = يسلخ جلده في كل عام . الضرغام والضيغم من أسماء الأسد . يقول : إن الناس يهابونهم
هيبتهم الأنبي والأسد .

(١) يصف أسود سالخا ، كما في الحيوان (٣ : ٥٠٢) . منهرت الشدقين : واسعهما .
والعود : المسن ، وأصله الجمل المسن وفيه بقية .

(٢) قص : ألبس قبصا . والليط ، بالكسر : قشر القصب اللازق به ، عني به الجلد .
والجمل : حشرة طائرة سوداء يضرب بسوادها المثل ، يصف سواد الحية .

٢٠ (٣) أبو نخيلة اسمه يعمر ، وإنما سمى أبا نخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة . وهو من
بني حمان بن كعب بن سعد ، ويظهر من قوله التالي أن أمه عجمية . وكان يهاجى العجاج . ومما
أخذ عليه قوله في نعت امرأة :

برية لم تأكل المرققا ولم تذق من البقول الفستقا

ظن أن الفستق بقل . انظر الشعراء ٣٨١ ليسك والمؤتلف ١٩٣ ، والأغاني
(١٨ : ١٣٩ — ١٥٢) والحزاة (١ : ٧٨ — ٨٠) .

(١٥ — البيان — ثالث)

وأنشد :

٢١٦ * ولولا خُلَّةٌ سَبَقَتْ إِلَيْهِ وَأَخُوهُ كَانَ مِنْ عَرَقِ الْمَدَامِ^(١)
دَلَفْتُ لَهُ بِأَبْيَضٍ مَشْرِفِي كَمَا يَذْنُو الْمَصَافِحُ بِالسَّلَامِ^(٢)
وقال يَزِيدُ بْنُ ضَبَّةَ^(٣) :

• لَا تُبَدِّينَ مَقَالَهَ مَأْثُورَةً لَا تَسْتَطِيعُ إِذَا مَضَتْ إِدْرَاكَهَا
وقال ابنُ مِيَادَةَ :

يَأْيُهَا النَّاسُ رَوْوَا الْقَوْلَ وَاسْتَمِعُوا وَكُلُّ قَوْلٍ إِذَا مَا قِيلَ يُسْتَمَعُ^(٤)
وقال الآخر :

مَا الْمُدْلَجُ الْغَادِي إِلَيْهِ بِسُحْرَةٍ إِلَّا كَأَخْرَجَ قَاعِدٍ لَمْ يَبْرَحْ
١٠ وقال العلاءُ بْنُ مِنْهَالٍ الْغَنَوِيُّ^(٥) فِي شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٦) :

فَلَيْتَ أَبَا شَرِيكَ كَانَ حَيًّا فَيُقَصِّرَ عَنْ مَقَالِهِ شَرِيكَ

(١) الأخو : لغة في الأخ ، ومثلها الأخأ بالقصر ، كالفتى . وأنشد لخليج الأعمى :
قد قلت يوماً والركاب كأنها قوارب طير خان منها ورودها
لأخوين كانا خير أخوين شيمة وأسرعه في حاجة لي أريدها
والعرق من الحمر : الذي قد مزج قليلاً كأنه جعل فيه عرق من الماء . ١٥

(٢) المشرقي : نسبة إلى المشارف ، من قرى اليمن . ما عدال : « للسلام » .
(٣) ضبة أمه ، غلبت على نسبه ؛ لأن أباه مات وخلفه صغيراً . واسمه يزيد بن مقسم الثقفي
مولي ثقيف . وكان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متصلاً به لا يفارقه ، فلما ولي هشام
الخليفة وتشكر له صار إلى الطائف ، فلم يزل مقيماً بها حتى ولي الوليد الخلافة ، فوفد عليه فأشده
القصيدة التي أولها : ٢٠

سليمي تلك في العير قني أسألك أو سيري
فأمر الوليد أن تمد أبيات القصيدة ويعطى لكل بيت ألف درهم ، فمدت فكانت خمسين
فأعطى خمسين ألفاً ، فكان أول خليفة فعل ذلك . الأغاني (٦ : ١٤١ — ١٤٣) .
(٤) أراد : رروا في القول ، فحذف الجار . والتروية : النظر والتفكير . ما عدال :
٢٥ « ردوا القول » .

(٥) ل : « العنزي » وأثبت ما في سائر النسخ واللسان (١ : ٦٦) .
(٦) شريك بن عبد الله النخعي ، ترجم في (٢ : ٢٥٣) . وفي اللسان : « فيقصر
حين يبصره » .

وَيَتْرُكَ مِنْ تَدْرِئِهِ عَلَيْنَا إِذَا قُلْنَا لَهُ هَذَا أَبُوكَ^(١)
وقال طارق بن أنال الطائي :

ما إن يزال ببغداد يزاحفنا على البراذين أشباه البراذين^(٢)
أعطاهم الله أموالاً ومنزلةً من الملوك بلا عقل ولا دين^(٣)
ماشئت من بغلة سفواء ناجية ومن أئاث وقول غير موزون^(٤)
وقال منقذ بن دثار الهلالي^(٥) :

لا تتركني — إن صنيعه سلفت منك وإن كنت لست تنكرها
عند امرئ — أن تقول إن ذكرت يوماً من الدهر : لست أذكرها
فإن إحياءها إمامتها وإن منّا بها يكدرها ٢١٧

وقال بعض الحكماء : « صاحب من ينسى معروفه عندك ، ويتذكر
حقوقك عليه^(٦) » .

وقال منقر بن فروة المنقرى :

- (١) في البيت لإقواء ظاهر . وفي الأصل : « أبوك » ولا يستقيم به الوزن ، وأثبت صوابه من اللسان على ما فيه من الإقواء . وروايته فيه : « ويترك من تدريه » . قال : « قال ابن سيدة : إنما أراد من تدريه فأبدل الهمزة لإبدالاً صحيحاً حتى جعلها كأن موضوعها الياء ، وكسر الراء لمجاورة هذه الياء المبذلة » . والتدري : الاندفاع .
- (٢) تقدمت الأبيات في (١ : ٢٢٧) . وفيما عدل ، تقديم البيت الثالث على الثاني .
- (٣) والأبيات بدون نسبة في مجالس ثعلب ١٧٨ .
- (٤) في مجالس ثعلب : « أقداراً ومنزلة » .
- (٥) في مجالس ثعلب : « ومن فعال وقول » .
- (٦) هو منقذ بن عبد الرحمن بن دثار الهلالي ، قال المرزباني : بصرى خليف ماجن ، متهم في دينه يرمى بالزندقة ، كان في صدر الدولة العباسية . وأنشد له :
ما أرى الفضل والتكرم إلا كفك النفس عن طلاب الفضول
وبلاء حمل الأيادي وأن تسامع منا تؤتي به من منيل
معجم الشعراء ٤٠٤ . وفيه : « زياد » بدل « دثار » . وقد ذكره أبو الفرج في الأغاني (١٦ : ١٤٣) في نص منقول من الجاحظ ، وسماه : منقذ بن عبد الرحمن الهلالي ، وجعله من أصحاب والبة وبشار ، ومطيع بن إياس ، وأبان اللاحق .
- (٦) سبق الخبر في (٢ : ٨٣) منسوباً إلى رجل من بني تميم .

وإن خفت من أمرٍ فواتاً قوله سِوَاكَ وعن دَارِ الْأَذَى فَتَحَوَّلَ
وما المرء إلا حيثُ يجعلُ نفسهُ في صالحِ الأخلاقِ نفسك فاجعل^(١)
ونظر أبو الحارث جُمَيْن^(٢) إلى بردونٍ يُستقى عليه الماء ، فقال :
* وما المرء إلا حيثُ يجعلُ نفسهُ *

لو هملجَ هذا البرذونُ لم يُجعلَ للراوية !

وأنشد :

لا خيرَ في كلِّ فتى تُؤومُ لا يعتريه طارقُ الهُمومِ

وأنشد :

اجعلْ أبا حَسَنِ كُنْ لم تعرفِ واجره مُعْتَزَماً وإن لم يُخلفِ^(٣)
آخِ الكرامِ المنصفينَ وصِلْهُمُ واقطعْ مودَّةَ كلِّ من لم يُنصفِ
وقال عُمارةُ بنُ عَقِيلِ بنِ بِلَالِ بنِ جَرِيرٍ^(٤) :

ما زال عَصِيَانُنَا لِلَّهِ يُسْلِمُنَا^(٥) حَتَّى دُفِعْنَا إِلَى يَمْحَى وَدِينَارِ^(٦)

(١) سبق لإنشاد هذا البيت في (١٠٣: ٢) بدون نسبة . ماعدال : « صالح الأعمال » .

(٢) مضت ترجمته في (١٠٣ : ٢) حيث سبق الخبر .

(٣) كذا في ب ، ح . وفي ل : « تحلف » . وفي التيمورية تقرأ بالثاء والياء مع

الحاء المعجمة .

(٤) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطمي ، كان من الشعراء
الفصحاء ، قدم من اليمامة فدح المأمون ووجوه قواده ، واتصل بإسحاق بن إبراهيم المصعبي
وله فيه مدح كثير . واجتمع الناس وكتبوا شعره ، وبقي إلى أيام الواثق ومدحه ، وعمى قبل
موته . معجم المرزباني ٢٤٧ والأغاني (١٨٣ : ٢٠ — ١٨٨) وتاريخ بغداد ٦٧٢٢ .

(٥) في الأغاني : « يرذلنا » بدل « يسلمنا » . وفي كنيات الثعالي : « يوبقنا » .

(٦) البيتان نسباً في الأغاني (١٨ : ٤٦) وكنيات الثعالي ١٨ إلى دعبل بن علي
الخزاعي . ويحيى ودینار أخوان ، وهما يحيى بن عبد الله ، ودینار بن عبد الله ، كان دعبل
مدحهما فلم يرض ثوابهما ، فقال الشعر بهجوما .

إلى عَلِيَّيْنِ^(١) لم تُقَطَّعْ ثَمَارُهَا^(٢) قد طال ماسجداً للشمسِ والنارِ^(٣)
وشاتمَ أعرابيٌّ أعرابياً فقال : « إنَّكم لتعتصرونَ العطاءَ ، وتُعَيرونَ
النِّساءَ ، وتبديعونَ الماءَ » .

وقال أبو الأسود الدؤليُّ :

لنا جيرةٌ سَدُّوا المَجَازَةَ بيننا فإن ذكروك السَّدَّ فالسَّدُّ أ كَيْسُ
٢١٨ وَمِنْ خَيْرِ مَا أَلَصَقَتْ بِالْدارِ حائِطٌ زَلُّ به صُقْعُ الخطاطيفِ أَمَلَسُ
وَأَنشَد :

إذا لم يكنَ للعَرءِ بُدٌّ من الرَّدَى فأكرمُ أسبابِ الردى سَبَبُ الحُبِّ
وقال الآخر :

وإذا شَنِتُّ فَنِّي شَنِتُّ حَديثُهُ وإذا سَمِعْتُ غِناءَهُ لم أَطربِ
وَأَنشَد المَسْرُوحِيَّ ، الكَامِلُ بنَ عِكْرِمَةَ^(٤) :

لها كلَّ عامٍ موعِدٌ غيرَ مُنَجَزٍ وَوَقْتُ إذا ما رَأْسُ حَوْلٍ تَجَرَّما^(٥)
فإن وَعَدَتِ شِراً أتى دُونَ وَقْتِهِ وإن وَعَدَتِ خيراً أَرثَ وَعَمَّا^(٦)

(١) في الأغاني : « وغدين عليّين » . والعلج : الرجل من كفار المعجم .
(٢) لم تقطع ثمارها ، كناية عن أنهما لم يخطئا ، كما هو عادة الملوّج . وثمرة السوط :
١٥ عقدة طرفه . قال الثعالبى : « ومما يكفى به عن القلفة قول دعبيل ... » . وَأَنشَد البيهقي .
(٣) سبق البيتان والكلام على قصتهما في (٢ : ٣٥٤ — ٣٥٥) .
(٤) ذكره المرزبانى في معجمه ٣٥٥ ، وَأَنشَد له البيهقي .
(٥) تجرم : انقضى وانصرم . وفي المعجم : « أرى كل عام موعداً غير ناجز وخلفاً » .
(٦) في معجم المرزبانى : « فإن أوعدت شراً أتى قبل وقته » . وفي اللسان : الأزهرى
٢٠ كلام العرب : وعدت الرجل خيراً ووعدته شراً ، وأوعدته خيراً وأوعدته شراً . فإذا لم
يذكروا الخير قالوا : وعدته ، ولم يذكروا الشراً قالوا : أوعدته ، ولم
يسقطوا الألف . وَأَنشَد لعاصم بن العفيل :
ولانى وإن أوعدته أو وعدته لأخلف لإيعادى وأنجز موعدى
أراث : أبطأ . وعم : أبطأ أيضاً . المرزبانى : « وأعما » ، يقال عم وأعم وعم ، بمعنى .
٢٥

وقال الآخر :

ألم ترَ أنَّ سَيْرَ الخيرِ ريثٌ وأنَّ الشرَّ راكِبُهُ يطيرُ^(١)
وقال محمد بن يسير :

تأتي المكاره حين تأتي جملة وترى الشرور يجي في الفلقات^(٢)
وقال الآخر :

إذا ما بريد الشام أقبل نحونا ببعض الدواهي المظلمات فأسرعا
فإن كان شرًّا سار يومًا وليلة وإن كان خيرًا قصد السير أربعا^(٣)
وقال آخر :

وتعجبنا الرؤيا فجُلَّ حاديثنا
إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا^(٤)
فإن حسنت لم تأت عجلي وأبطأت وإن قبحت لم تحتبس وأتت عجلي
وقال آخر :

وإذا نهضت فما النهوض بدائم وإذا نكبت توالى النكبات^(٥)

قال : قيل لأعرابي : ما أعددت للشتاء ؟ قال : جلة ربوضا^(٦) ، وصيصية

(١) سبق البيت في ص ٢٠٨ .

(٢) مضى في ص ٢٠٩ .

(٣) قصد السير : فصله ، كما يقال قصد العظم ، كسره وفصله .

(٤) قبله في عيون الأخبار (١ : ٨١) :

إلى الله أشكو أنه موضع الشكوى وفي يده كشف المصيبة والبلوى

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

إذا جاءنا السجات يوماً لحاجة عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا

(٥) موضع هذا البيت فيما عدل متقدم على البيتين السابقين .

(٦) الجلة ، بالضم : وعاء من الخوص ، يوضع فيه التمر ويكنز . والربوض : الضخمة العظيمة .

سَلُوكًا^(١) ، وَشَمْلَةً مَكُودًا^(٢) ، وَقُرْمُوصًا دَفِيئًا^(٣) ، وَنَاقَةً مُجَالِحَةً^(٤) .

وقيل لآخر : ما أعددت للشتاء ؟ قال : شِدَّةُ الرَّعْدَةِ .

[وقيل لآخر : كيف ليلكم ؟ قال : سحرٌ كله] .

وقيل لآخر : كيف البردُ عندكم ؟ قال : ذاك إلى الرِّيحِ .

وقال مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ^(٥) :

فَلَا وَأَبِي حَبِيبٍ مَا نَفَاهُ مِنْ أَرْضِ بَنِي رَبِيعَةَ مِنْ هَوَانٍ^(٦)

وَكَانَ هُوَ الْغَنَى إِلَى غِنَاهُ وَكَانَ مِنَ الْعَشِيرَةِ فِي مَكَانٍ^(٧)

تَكَنَّفُهُ الْوُشَاةُ فَأَرْحَمُهُ وَدَسَّ مِنْ فَضَالَةٍ غَيْرُ وَإٍ^(٨)

فَلَوْلَا أَنَّ أُمَّ أَيْمِهِ أُمِّي وَأَنْ مَنْ قَدْ هَجَاهُ فَقَدْ هَجَانِي

[وَأَنَّ أَبِي أَبُوهُ لَذَاقَ مَنِّي مِرَارَةً مَبْرَدِي وَلَسَكَانَ شَانِي]^(٩)

إِذَا لِأَصَابِهِ مَنِّي هَجَاءٌ يُمِرُّ بِهِ الرَّوِيُّ عَلَى لِسَانِي^(١٠)

(١) المبيضية : شوكة الحائك التي يسوى بها السداة واللحمة . والسلوك : السهلة السلوك .

(٢) الشملة ، بالفتح : كساء دون القطيفة يشتمل به . والمكود : الدائمة . من قولهم ماء ماكد : دائم لا تنقطع مادته .

(٣) الفرصوص كعصفور : حفرة يستدفئ فيها الصرد من البرد ، واسعة الجوف ضيقة الرأس .

(٤) المجالحة من النوق : التي تدر في الشتاء لا تبالي القحط . يقال ناقة مجالحة .

(٥) في ديوانه ٢٤ برواية القالي : « قال أبو عمرو : وكان معن بن أوس رجلاً كثير الإبل ، وكان له ابن يقال له حبيب ، فأتاه ابن عم له يقال له [فضالة] بن عبد الله فقال له : يا حبيب ، هل لك أن تخرج بنا إلى الشام وتأخذ إبلًا من إبل أبيك ؟ فقال : نعم . فخرجنا إلى الشام ، فطعن حبيب فأت ، ورجع ابن عمه فضالة . فقال معن في ذلك » .

(٦) في الديوان : « لعمر أبي ربيعة » . فلعل كنية حبيب أبو ربيعة .

(٧) أي في مكان عظيم .

(٨) فضالة هو ابن عم حبيب ، كما ورد في القصة . وفي الأصل : « من قضاة » ،

صوابه من الديوان .

(٩) في شرح الديوان : « مبردى يعني لساني . لكان شاني ، أي لكان همي

لا أفرط في أمره » .

(١٠) يمر : يصير مرًا . والروى : حرف القافية ، عني به الشعر . ورواية الديوان :

« يذل به الروى » .

أَعْلَمُهُ الرِّمَاءَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رِمَانِي^(١)

وقال بعض اليهود :

وَلَوْ كُنْتُ أَرْضِي لَا أَبَالِكَ بِالَّذِي بِهِ الْعَائِلُ الْجَثَامُ فِي الْخَفْضِ قَانِعُ^(٢)
إِذَا قَصُرَتْ عِنْدِي الْهَمُومُ وَأَصْبَحَتْ عَلَيَّ وَعِنْدِي لِلرِّجَالِ صَنَائِعُ^(٣)

ذكر ما قالوا في المهالبة^(٤)

إِنَّ الْمَهَالِبَةَ الْكِرَامَ تَحْمَلُوا دَفَعَ الْكَارِهِ عَنْ ذَوِي الْمَكْرُوهِ^(٥)

(١) هذا هو الصواب في رواية البيت . واستد ، من السداد ، وهو القصد . وفيما عدا التيمورية : « فلما اشتد » ، تحريف . انظر اللسان (سدد) حيث نبه على هذا الصواب . وفي اللسان : « قال ابن دريد : هو لما لك بن فهم الأزدي ، وكان ابنه سليمة رماه بسهم فقتله فقال البيت . قال ابن بري : ورأيت في شعر عقيل بن علفة يقوله في ابنه عماس حين رماه بسهم . وبعده :

فَلَا ظَفَرْتُ يَمِينِكَ حِينَ تَرَى وَشَلْتَ مِنْكَ حَامِلَةَ الْبَنَانِ .
وانظر الأغاني (٥ : ١٠ / ٦ : ٦٩) .

(٢) العائل : الفقير . والجثام : اللازم مكانه لا يبرح . الخفض : سعة العيش ، وهو هنا عيش من يمونه ويكفله .

(٣) الصنائع : جمع صنعة ، وهي ما يسدى من معروف أو يد إلى إنسان .
(٤) المهالبة : جمع مهلب ، نسبة إلى المهلب بن أبي صفرة ، فالتاء فيه للدلالة على أن واحدة منسوب ، وذلك أنهم حين أرادوا أن يجمعوا النسب جمع تكسير اضطرروا إلى حذف ياء النسب ، لأن ياء النسب والجمع لا يجتمعان فأتى بالتاء بدلا من ياء النسب . الصبان (٨٥ : ٤) .
وجدتم المهلب بن أبي صفرة ، واسم أبي صفرة ظالم بن سراق بن كندى بن عمرو بن عدى الأزدي العنكي . ولد المهلب في حياة الرسول عام الفتح ، وكان من أشجع الناس ، وهو الذي حمى البصرة من الخوارج ، وله معهم وقائع مشهورة استقصى أكثرها المبرد في الكامل ، ولنا قيل « بصرة المهلب » . وولى خراسان من قبل الحجاج بن يوسف ، فقد كان الحجاج أمير العراقين وخراسان وسجستان ، فولى المهلب خراسان وعبد الله بن أبي بكر سجستان . قال ابن قتيبة : « ويقال إنه وقع إلى الأرض من صلب المهلب ثلاثمائة ولد » . ففهم يزيد بن المهلب ، وقيصة بن المهلب ، والمغيرة بن المهلب ، ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وروح ابن يزيد بن أبي حاتم ، ومنهم الوزير المهلب ، وهو الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة ، المتوفى سنة ٣٥٢ . وكان بنو المهلب في دولة بني أمية كما كان البرامكة في دولة بني العباس ، مضرب المثل في الكرم . توفي المهلب سنة ٨٣ .

ابن خلكان والإصابة ٨٦٢٧ والمعارف ١٧٥ .

(٥) كذا ورد البيتان بدون أن يسبقا بعبارة للانشاد . وما للفرزدق في ديوانه ٨٨٥ وعبون الأخبار (١ : ٣٤٢) .

زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحُسْنِ حَدِيثِهِمْ وَكَرِيمِ أَخْلَاقٍ بِحُسْنِ وَجْهِهِ
وَقَالَ أَبُو الْجَهْمِ الْعَدَوِيُّ^(١) فِي مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ :

نُقَلِّبُهُ لِنَخْبَرُ حَالَتِيهِ فَنَخْبَرُ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلَيْنًا

نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلَى أَيْبِنَا

وَقَالَ الْآخَرُ^(٢) فِي هَذَا الشَّكْلِ :

إِنْ أَجَزَ عُلْقَمَةُ بْنُ سَيْفٍ سَعِيَهُ لَا أَجَزِهِ بِيَلَاءِ يَوْمٍ وَاحِدٍ^(٣)

لَأَحْبَبَنِي حُبَّ الصَّبِيِّ وَرَمَنِي رَمَّ الْهَدْيِ إِلَى الْغَنَى الْوَاحِدِ^(٤)

وَلَقَدْ شَفِيتُ غَلِيَّتِي فَتَقَمَّعْتُهَا مِنْ آلِ مَسْعُودٍ بِمَاءٍ بَارِدٍ

وَقَالَ بُكَيْرُ بْنُ الْأَخْنَسِ :

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًا فَقِيرًا بَعِيدَ الدَّارِ فِي سَنَةِ تَحْلِ^(٥)

فَمَا زَالَ بِي الْطَافُهِمْ وَافْتِقَادُهُمْ وَلَا كَرَامُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي^(٦)

(١) هُوَ أَبُو الْجَهْمِ بْنُ حَذِيفَةَ الْعَدَوِيُّ، الْمُرْتَجَمُ فِي (٢ : ٣٢٢) .

(٢) هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَهْرَاءَ ، اسْمُهُ فَدَكِيُّ بْنُ أَعِيدَ ، كَانَ مَجَاوِرًا لِعُلْقَمَةَ بْنِ سَيْفِ الْعَتَابِيِّ ، وَكَانَ لَهُ لِبَلٌ فَسُرِقَتْ ، فَلَمَّا عَلِمَ عُلْقَمَةُ بِذَلِكَ سَعَى فِي اسْتِدَادِهَا مِنْ خَارِبِهَا فَلَمْ يَوْفُقْ ، فَأَخْرَجَ مِنْ مَالِهِ مِائَةَ بَعِيرٍ وَسَاقَهَا إِلَى فَدَكِيِّ عَوْضًا ، فَقَالَ هَذَا الشَّعْرُ يَمْدَحُهُ . الْحَمَاسَةُ (٢ : ٢٦٧)
وَشَرَحَهَا لِلتَّبْرِيزِيِّ (٤ : ٧٠ — ٧١) وَاللَّسَانُ (لَمْ) .

(٣) رَوَى الْمَرْزُبَانِيُّ فِي مَعْجَمِهِ ٤٧٥ هَذَا الْبَيْتَ وَتَالِيَهُ مَفْسُوبِينَ إِلَى الْمُرْتَأَقِ الطَّائِي .
وَالْأَبْيَاتُ بِدُونِ نِسْبَةٍ فِي الْحَيَوَانَ (٣ : ٤٦٨) .

(٤) رَمَنِي ، بِالرَّاءِ ، أَيْ أَصْلَحَ حَالِي . وَالْهَدْيُ : الْعُرُوسُ تَزِفُ وَتَهْدِي إِلَى زَوْجِهَا .
وَالوَاحِدُ : الْغَنَى . وَرَوَايَةُ اللَّسَانِ : « وَلَمَنِي لَمْ الْهَدْيُ » ، وَبَعْدَهُ فِي الْمَعْجَمِ :
وَأَتَانِي يَوْمَ الصَّرَاحِ بِهَجْمَةٍ مِائَةً تَشَتْ عَلَى عَصَى الْفَائِدِ

(٥) الْبَيْتَانِ بِدُونِ نِسْبَةٍ فِي الْحَمَاسَةِ (١ : ١٠٩) ، وَنَقَلَهُمَا ابْنُ خُلْسَكَانَ فِي تَرْجَمَةِ
الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ رَوَايَةً مِنَ الْحَمَاسَةِ . وَهَذَا كَذَلِكَ بِدُونِ نِسْبَةٍ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (١ : ٣٤١)
وَفِي الْحَمَاسَةِ : « غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَلٍ مَحَل » . وَابْنُ خُلْسَكَانَ : « بَعِيدًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي
الزَّمَنِ الْمَحَل » وَابْنُ قَتَيْبَةَ : « بَعِيدًا قَصَى الدَّارِ فِي زَمَنِ مَحَل » .

(٦) الْإِطْلَافُ : الْإِتْحَافُ . وَالْإِفْتِقَادُ وَالتَّفَقُّدُ : طَلَبُ الشَّيْءِ عِنْدَ غَيْبَتِهِ ، عَنْ كَثْرَةِ
سُؤَالِهِمْ عَنْهُ وَاهْتِمَامِهِمْ بِأَمْرِهِ . وَفِي الْحَمَاسَةِ : « فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ وَإِطْلَافُهُمْ » .
وَالْإِفْتَاءُ : الْإِكْرَامُ . وَفِي الْوَفَايَاتِ : « فَمَا زَالَ بِي مَعْرُوفُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ وَبِرَّهُمْ » .

وقال في كلمة له أخرى :

وقد كنت شيخاً ذا تجارب جمة فأصبحت فيهم كالصبي المدلل
ورأى المهلب وهو غلام فقال :

خذوني به إن لم يسد سرواتهم ويبرع حتى لا يكون له مثل
وقال الحزين^(١) ، في طلحة بن عبد الله^(٢) بن عبد الرحمن بن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه — وأمه عائشة^(٣) بنت طلحة بن عبيد الله^(٤) ، من ولد
أبي بكر الصديق رحمه الله :

(١) الحزين لقب غلب عليه ، واسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك . شاعر من
شعراء الدولة الأموية ، حجازي . وكان هجاء متكسباً بالشعر ، يروون أنه كان يضرب على
كل رجل من قريش درهمين درهمين في كل شهر . وقد وفد إلى مصر ومدح عبد الله بن
عبد الملك ، واليها ، بأبيات منها :

لما وقفت عليه في الجموع ضحى وقد تعرضت الحجاب والخدم
حييته بسلام وهو مرتفق وضجة القوم عند الباب تزدحم
في كفه خيزران ربحه عبق في كف أروع في مريننه شم

الأغاني (١٤ : ٧٤ — ٧٢) والمؤلف ٨٨ .

(٢) الكلام بعده إلى « بن عبيد الله » من ل فقط . وطلحة هذا ، ممن له حجة ،
وأرسل عن جده الصديق . تهذيب التهذيب .

(٣) كانت عائشة زوجة لعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تزوجها مصعب
ابن الزبير فأعطاهما ألف ألف درهم . فقال أنس بن زعيم الديلمي لأخيه عبد الله :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة من ناصح لك لا يريد خداعا
بضع الفتاة بألف ألف كامل وتبيت سادات الجيوش جياعا
لو لأبي حفص أقول مقالتي وأقص شأن حديثهم لارتاعا

يعني أبا حفص عمر بن الخطاب . فلما قتل مصعب تزوجها عاصم بن عبيد الله بن معمر النخعي
المعارف ١٠٢ — ١٠٣ .

(٤) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة .
ويقال طلحة الخير ، وطلحة الفياض . ويقال له أيضاً طلحة الطلحات ، وهو لقب مشترك بينه وبين
طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي الذي قيل فيه :

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان ، طلحة الطلحات

كان طلحة من المهاجرين الأولين ، ومن العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد أصحاب الشورى
ولم يحضر يوم التشاور . وقد وقى الرسول يوم أحد من ضربة قصد بها إليه . توفي سنة ٣٦ .
الإصابة ٤٢٩ . المعارف ١٠٠ — ١٠١ .

فَإِنْ تَكْ يَا طَلَحُ أُعْطِيتَنِي جُمَالِيَّةً تَسْتَخِفُّ السَّفَارَا^(١)

فَمَا كَانَ نَفْعُكَ لِي مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَكِنْ مِرَارًا

وَقَالَ أَبُو الطَّمَحَانِ^(٢) :

سَأَمْدَحُ مَا لِكَأَ فِي كُلِّ رَكْبٍ لَقِيْتَهُمْ ، وَأَتْرُكُ كُلَّ رَذَلٍ^(٣)

فَمَا أَنَا وَالْبِكَارَةُ مِنْ مَخَاضٍ عِظَامٍ جِلَّةٍ سُدُسٍ وَبُزْلِ^(٤)

وَقَدْ عَرَفْتُ كِلَابُكُمْ ثِيَابِي كَأَنِّي مِنْكُمْ وَنَسِيتُ أَهْلِي^(٥)

نَمَتَكُمْ مِنْ بَنِي شَمَخٍ زِنَادٌ لَهَا مَا شِئْتَ مِنْ فَرْعٍ وَأَصْلٍ^(٦)

٢٢١

وَقَالَ أَبُو الشَّغْبِ^(٧) :

(١) الجمالية : الناقة تشبه الجمل في خلقها وشدها وعظمتها . والسفار : جبل يشد طرفه

على خطام البعير فيدار عليه ويجعل بقيته زماما .

(٢) سبقت ترجمته في (١ : ١٨٧) .

(٣) مالك هذا ، هو مالك بن حمار الشمخي ، الذي قتله خفاف بن نديبة . انظر الحيوان

(١ : ٣٨٠) وحواشيه . والرذل : الدون الحسيس .

(٤) البكاراة ، بكسر الباء : جمع بكر بالفتح ، وهو من الإبل بمنزلة الفقي من الناس .

والرفع في مثل هذا الأسلوب هو الأفضح . ويجوز فيه النصب مفعولا معه ، ومنعه بعض المتأخرين

كابن الحاجب . هم الهوامع (١ : ٢٢١) . والمخاض : الحوامل من الإبل ، واحتلتها خلفه

على غير قياس ، كما قالوا لواحدة النساء امرأة . والجلّة : المسان من الإبل . والسدس : جمع

سدس ، وهو الذي يلي السن بعد الرباعية ، وذلك في السنة الثامنة . والبزل ، وأصله بضم

الزاي ، جمع بزول ، ومثله البزل كركم جمع بازل ، وهو البعير حين يطعن في القاسعة . يقول :

ليست تعني تلك الصغار إذا ظهرت بين السكبار .

(٥) ما عدال : « كلابهم » على الالتفات .

(٦) بنو شمخ : قبيل مالك بن حمار الذي مدحه أبو الطمحن ، وهم بنو شمخ بن فزارة

ابن ذبيان بن بغيض بن غطفان . الاشتقاق ١٧١ . قال ابن دريد « ومنهم مالك بن حمار

الشمخي ، قتله خفاف بن نديبة السلمي » . انظر خير مصرعه في الأغاني (١٣ : ١٣٤) .

نماه : رفعه في النسب . والزناد : جمع زناد ، وهو العود الأعلى الذي يقتدح به النار . والزند

ووريه مثل في السكرم وغيره من الخصال المحموده ، يقال : هو واري الزند ، أي كريم ذو

خصال حميدة .

(٧) أبو الشغب العبسي : أحد شعراء الدولة الأموية . وأنشد له أبو تمام في الحماسة

(١ : ٣٨٣) أبياتا في خالد بن عبد الله القسري . وأخرى في (١ : ٤٣٠) يرثي ابنه =

بني الحارث السَّامِينَ للمجد إنَّكم بَنَيْتُمْ بِنَاءَ ذِكْرُهُ غَيْرُ بَائِدٍ
هَنِيئًا لِمَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ وَاعْلَمُوا بِأَنِّي سَاطِرِي خَالِدًا فِي الْقَصَائِدِ
فَإِنْ يَكُ عَقَّابٌ مَضَى لِسَبِيلِهِ * فَمَا مَاتَ مِنْ يَبْقَى لَهُ مِثْلُ خَالِدٍ^(١)

ومن شكلِ هذا الشعرِ قولُ حُسَيْنِ بْنِ مُطَيْرِ الْأَسَدِيِّ^(٢) :

[أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولَا لَقَ—بِرِهِ

سَقَمْتُكَ الْغَوَادِي مُرَبَّعًا ثُمَّ مُرَبَّعًا^(٣)]

فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كُنْتَ أَوَّلَ حُفْرَةٍ

مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتِ لِلْسِمَاحِ وَمَوْضِعًا^(٤)

[وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جَوْدَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْهَرُّ وَالْبَعْرُ مُتَرَعًا

بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيَّتٌ

وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضَقَّتْ حَتَّى تَصُدَّعًا^(٥)]

(١) قتل عتاب سنة ٢٤٢ ، قتله شبيب . الطبري (٧ : ٢٤٢) .

(٢) ما عدال : « الحسين بن مطير » . وهو الحسين بن مطير بن مكل — وفي الحماسة :
ابن مطير بن الأشيم — مولى لبني أسد بن خزيمه ، وهو شاعر من مخضرمي الدولتين ، ممن
مدح بني أمية وبني العباس ، وكان يذهب مذهب الأعراب وأهل البادية في زيه وفي كلامه .
الأغاني (١٤ : ١١٠ — ١١٤) والخزانة (٢ : ٤٨٥) .

(٣) معن هذا ، هو ابن زائدة الشيباني ، المترجم في (٢ : ١١٣) . والمرثية في الحماسة
(١ : ٣٨٧) والأغاني (١٤ : ١١٣) والخزانة (٢ : ٤٨٧) . وابن خلكان (٢ : ١١٢)
ويقال ألم به وعليه ، أي نزل عليه ولم يقم . وفي الأغاني والخزانة : « أَلِمَّا بِمَعْنٍ » .
والغواضي : السحب التي تغدو . والمربع بضم الميم وكسر الباء : الغيث العظيم ينبت بعده الربيع .
وفي حديث الاستسقاء : « اللهم اسقنا غيثاً مريعاً مريعاً » .

(٤) السباح والسباحة : الجود . في الأغاني والخزانة : « أيا قبر معن » . الأغاني
والحماسة وما عدال : « للسباحة موضعاً » . وفي الخزانة وابن خلكان : « المكارم مضجعا » .

(٥) تصدع ، هي تصدع بحذف إحدى التاءين ، أي تشقق .

فلما مضى مَعْنُ مَضَى الجودُ والنَّدَى وأصبحَ عَرْنِينُ المكارِمِ أَجْدَعاً^(١)
فَتَى عِيشَ في مَعْرُوفِهِ بعدَ موته كما كانَ بَعْدَ السَّيْلِ بِجَرَاهُ مَرْتَعاً
تَعَزَّ أبا العباسِ عنه ولا يَكُنْ جَزَاؤُكَ من مَعْنٍ بَأَنْ تَقْضِعَ مَعَا
فَمَاتَ من كُنْتَ ابْنَهُ لا ولا الذي لَهُ مِثْلُ مَا أَسَدَى أبوك وما سَعَى

٢٢٢

” تَمَنَّى أَناسٌ شَاوَهُ من ضَالِّهِم

فَأَنصَحُوا على الأَذْقَانِ صَرَعِي وظُلَّعاً^(٢)

وهذا مِثْلُ قولِ مُسْلِمِ بنِ الوليدِ ، في يَزِيدَ بنِ مَرْيَدَ^(٣) :

قَبْرُ بَرْدَعَةَ اسْتَسْرَ ضَرِيحُهُ خَطَرًا تَقَاصَرُ دُونُهُ الأَخْطَارُ^(٤)

(١) العرنين : ما ارتفع من قصبه الانف . والأنف الأجدة : المقطوع .

(٢) الشأو : المدى والغاية . والظلع : جمع ظالم ، وهو من به شبه العرج . ل : ضلعا ، والضلع : جمع ضالع ، وهو المائل .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ٣٤٢) . والرثية اختارها أبو تمام في الحماسة لمسلم (١ : ٣٩٢) ولم يذكر من هو المرثي . وكذا القالي في أماليه (١ : ٢٧٦) . وأما ياقوت في رسم (بردعة) وأبو الفرج في الأغاني (ترجمة مسلم بن الوليد) وابن خلكان (ترجمة يزيد بن يزيد) فذكروا أنها لمسلم في رثاء يزيد بن يزيد . وانفرد ابن خلكان بقوله : « وقد قيل إن مسلم بن الوليد إنما رثى بهذه الأبيات يزيد بن أحمد السلمي ، وقيل : بل رثى بها مالك بن علي الخزاعي ، وأن أول الأبيات :

* قبر بجلوان استسر ضريحه * .

قلت : ورواية أبي تمام : « قبر بجلوان استسر ضريحه » ، تؤيد أن المرثي غير يزيد ابن يزيد ، فإنهم قد أجمعوا أن يزيد بن يزيد مات ودفن في « بردعة » لا في « جلوان » .

(٤) بردعة : بلد في أقصى أذربيجان ، قال حمزة : « بردعة معرب برده دار ، ومعناه بالفارسية موضع السبي ، وذلك أن بعض ملوك الفرس سبي سبياً من وراء أرمينية وأنزلهم هناك » . ورواية أبي تمام : « قبر بجلوان » كما سبقت الإشارة . استسر ، المعروف فيها استسر الهلال والقمر ، أي خفي ، فهذا في اللازم . أما متعديه فقد قالوا : استسر الجارية ، أي اتخذها سرية . وقالوا أيضاً : استسرنى فلان ، بمعنى ألقى إلى سره . فجاز هذه الكلمة من المتعدي . على أن رواية القالي : « قبر بجلوان أسر ضريحه » ، وهذه لا غبار عليها . والخطر : الشرف .

أَبَقِيَ الزَّمَانُ عَلَى مَعْدٍ بَعْدَهُ حُزْنَا كَعُمُرِ الدَّهْرِ لَيْسَ يُعَارُ (١)
 نَفَضْتُ بِهِ الْأَمَالَ أَحْلَاسَ الْغَنَى وَاسْتَرْجَعْتُ نَزَّاعَهَا الْأَمْصَارُ (٢)
 فَازْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مَزْنَةٍ أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ

-
- (١) في الأغاني وابن خلكان: «على ربيعة». وربيعة: ابن نزار بن معد. كعمر الدهر، أي طويلاً مثله. وفي الأغاني والوفيات: «لعمر الله». وفي البلدان: «لعمر الدهر». ولم يرو في الحماسة والأمالى.
- (٢) الأحلاس: جمع جلس، وهو كساء يوضع على ظهر البعير تحت الرجل. يقول: قيدت آمال المعتفين عن الرحلة في طلب الغنى. والنزاع: جمع نازع، وهو الفريب الذي نزع عن أهله وعشيرته. الحماسة والأمالى: «نفضت بك الأحلاس نفض إقامة». الأغاني وابن خلكان: «نفضت بك الأحلاس آمال الغنى». وفي الأغاني: «روادها» وابن خلكان ١٠ «زوارها».

ذكر حروف من الأدب

من حديث بني مروان وغيرهم

قيل : إذا رَسَخَ الرَّجُلُ فِي الْعِلْمِ رُفِعَتْ عَنْهُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ .

مَسْلَمَةٌ^(١) ، قال : كان عند عُمر بن عبد العزيز رجلان ، فجعلا يلحنان ، فقال الحاجبُ : قُومًا فقد « أَوْذَيْتُمَا » أمير المؤمنين ! قال عمر : أنت آذَى لي منهما .

[المدائني قال : قصد قُدَّامَ زياد رجلٌ ضائعٌ — من قرية باليمن يقال لها « ضياعٌ »^(٢)] — وزيادٌ يبنى داره ، فقال له : أيُّها الأمير ، لو كنتَ عملتَ بابَ مشرقها قَبْلَ مغربها ، وبابَ مغربها من قَبْلِ مشرقها ! فقال : أنَّى لك هذه الفصاحة ؟ قال : إنها ليست من كتابٍ ولا حساب ، ولكنها من « ذكاوة » العقل . فقال : ويلك ، الثاني شرٌّ !] .

شُعْبَةُ^(٣) ، عن الحكم^(٤) ، قال : قال عبدُ الرحمن بن أبي ليلى^(٥) : لا أماري أخى^(٦) ، فإما أن أكذِبَهُ وإما أن أغضِبَهُ^(٧) .

(١) مسلمة بن محارب ، ترجم في (٢ : ٤٨) .

(٢) كذا وردت هذه الكلمة ، ولم أجد ضائعاً ولا ضياعاً في أسماء البلدان .

(٣) شعبة بن الحجاج ، ترجم في (١ : ٣٦٩) .

(٤) هو الحكم بن عتيبة الكندي ، روى عن بعض الصحابة ، وعن شريح وعطاء وطاوس وغيرهم من التابعين ، وروى عنه الأعمش وقتادة والأوزاعي وشعبة ، وكان ثقة فقيهاً عابداً . ولد سنة ٥٠ وتوفي سنة ١١٣ . تهذيب التهذيب والخلاصة .

(٥) عبد الرحمن بن أبي ليلى — وهو يسار ، أو بلال ، أو داود — بن بلال ابن بليل بن أحيحة بن الجلاح الأنصاري الأوسي . ولد است بقين من خلافة عمر ، وأدرك مائة وعشرين من الصحابة الأنصار ، وفقد في يوم الجماجم سنة ٨٢ . تهذيب التهذيب .

(٦) المرء والمارة : المجادلة .

(٧) من العجب ما ورد في تهذيب التهذيب : « وقال الأعمش : حدثنا إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى . وكان لا يعجبه ، يقول : هو صاحب مرء » .

ابن أبي الزناد^(١) قال : إذا اجتمعت حُرْمَتَانِ تَرَكْتَ الصَّغْرَى لِلْكُبْرَى .
وعن أبي بكر الهذلي^(٢) — واسمه سُلمى — قال : إذا جَمَعَ الطَّعَامُ أَرْبَعَةً^(٣)
فقد كَمُلَ : إذا كان حلالاً ، وكثُرَت عليه الأيدي ، وسمَّى الله على أوَّلِهِ ،
وُحِّدَ على آخِرِهِ .

وقال ابن قتيبة^(٤) :

وأهونُ كَفٍّ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ يَدٌ بَيْنَ أَيْدٍ فِي إِنْاءِ طَعَامِ
[يَدٌ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ غَرِيبٍ بِقَفْرَةٍ أَتَتْكَ بِهَا غِبْرَاءُ ذَاتُ قَتَامِ^(٥)]
وقال حمادُ مجرَّدٌ :

حُمَيْشٌ أَبُو الصَّلْتِ ذُو خَبْرَةٍ بَمَا يُصْلِحُ الْمِعْدَةَ الْفَاسِدَةَ^(٦)
تَخَوَّفَ تَخْمَةَ أَصْحَابِهِ فَمَوَدَّمٌ أَكَلَةً وَاحِدَةً
٢٢٣ * وقال سُويدُ المَرَّانْدُ^(٧) :

إِنِّي إِذَا مَا الْأَمْرُ بَيَّنَّ شَكَّهُ وَبَدَتْ بِصَائِرِهِ لِمَنْ يَتَأَمَّلُ^(٨)
وَتَبَرَّأَ الضَّعْفَاءُ مِنْ إِخْوَانِهِمْ وَأَلْحَ مِنْ حَرِّ الصَّيِّمِ الْكَلْكَلُ^(٩)
أَدْعُ الَّتِي هِيَ أَرْفَقُ الْخَلَائِ بِى عِنْدَ الْحَفِيفَةِ لَلَّتِي هِيَ أَجْلُ

- ١٥ (١) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد ، المترجم في (٢ : ٢٨٠ ، ٢٩٠) .
(٢) انظر ما سبق من ترجمته في (١ : ٣٥٧) .
(٣) ما عدال : « أربعا » .
(٤) عمرو بن قتيبة ترجم في (٢ : ١٨) .
(٥) القتام ، بالفتح : الغبار .
(٦) في الشعراء ٧٥٥ بتحقيق الأستاذ أحمد شاكر ، وعيون الأخبار (٣ : ٢٤٤) :
« حريث أبو الصلت » . وفي الأغاني (١٣ : ٧٨) : « كان حريث بن أبي الصلت الحنفي
صديقاً لحماد مجرَّد ، وكان يعايشه بالشعر ويعيبه بالبخل . وفيه يقول :
حريث أبو الفضل ذو خبرة بَمَا يُصْلِحُ الْمِعْدَةَ الْفَاسِدَةَ »
فجعل كنيته أبا الفضل ، واسم أبيه أبا الصلت .
(٧) سبقت ترجمته في (٢ : ١٨٦) .
(٨) بين ، بمعنى تبين . وفي أمثالهم : « قد بين الصبح لذي عينين » ، أى تبين .
(٩) ألح ، من قولهم ألحت الناقة والجل ، إذا لزما مكانهما فلم يبرحا . والصميم من الحر
شدته ، وكذلك من البرد . والكلكل ، عني به الإبل ذوات الكلكل ، وهو الصدر .
(١٦ — البيان — ثالث)

ومما يكتب في باب العصا

قوله (١) :

قالت أمانة يومَ بُرقةٍ واسطٍ يابنَ الغدير لقد جعلتَ تَغَيَّرُ (٢)
أصبحتَ ، بعد شبابك الماضي الذي ذهبتَ بشاشته وغصنك أخضر (٣)
شيخاً دِعامتك العصا ومشيئاً لا تبتغي خيراً ولا تُستخبرُ
ويُضمُّ البيت الأخير إلى قوله :

وهلك الفتى ألا يراح إلى الندى والآ يرى شيئاً عجيباً فيعجب (٤)
ومن يتنبَّع مني الظلم يلقي إذا مارأني أصلع الرأس أشيباً (٥)
وقال بعض الحكماء : « أعجب من العجب ترك التعجب من العجب » .
وقيل لشيخهم : أي شيء تشتهي ؟ قال : أسمع بالأعاجيب .
وأنشد :

عريضُ البطانِ جديبُ الخوانِ قريبُ المراثِ من المرتع (٦)
فنصفُ النهارِ لكرياسِهِ ونصفُ لأكلهِ أجمع (٧)

- (١) هو حسان بن الغدير ، كما سبق في حواشي (٢ : ١٠٠) .
(٢) ذكر ياقوت في معجم البلدان برقة واسط ، وقال : « لم يحضرني شاهدا » .
فهذا من شواهدهما .
(٣) ما عدال : « بعد زمانك الماضي الذي ذهب شببته » .
(٤) سيعيد إنشاد البيت في إص ٢٧٧ من أرقام الأصل .
(٥) الظلم : غمز شبهه بالعرج ، عني بذلك ضعف الرأي . يقول : قد ارتفع عن سن الشباب إلى سن الحنكة والرأي الصائب . ما عدال : « ومن يبتغي مني الظلامة » .
(٦) البطان ، بالكسر : الحزام ، كناية عن سعة بطنه لكثرة أكله . والخوان ، بضم الخاء وكسرهما : المائدة . والمراث : موضع الروث ، أي النجو . والمرتع : موضع الرتع بالفتح ، وهو الأكل بشره .
(٧) الكرياس ، بكسر الكاف وبالياء المثناة . قال أبو عبيد : هو الكنيف الذي يكون مشرفاً على سطح بقناة من الأرض . قال الأزهرى : سمي كرياساً لما يعلق به من الأقذار =

ومما يضم الى المعصا

قوله :

- ٢٢٤
- لَعَمْرِي لئن حُلْتُ عَنْ مَنَهِلِ الصَّبَا لَقَدْ كُنْتُ وَرَّادًا لِمَشْرِيبِهِ الْعَذْبِ ^(١)
- ليالى أَغْدُو بَيْنَ بُرْدَيْنِ لَاهِيَا كَفُضْنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرُّطْبِ
- سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ الْقِلَاصِ مَعَ الرَّكْبِ وَوَصِلِ الْغَوَانِي وَالْمُدَامَةِ وَالشَّرْبِ ^(٢)
- سَلَامٌ أَسْرَى لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ سِوَى نَظَرِ الْعَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ ^(٣)
- وقال حَاجِبُ بْنُ ذُبْيَانَ ^(٤) لِأَخِيهِ زُرَّارَةَ :
- عَجَلْتَ نَجْمِي الْمَوْتِ حَتَّى هَجَرْتَنِي وَفِي الْقَبْرِ هَجَرْتُ يَا زُرَّارُ طَوِيلُ
- وقال الآخر ^(٥) :
- أَلَمْ تَعْلَمْ عَمَرْتُكَ اللَّهُ أَنِّي كَرِيمٌ عَلَى حِينِ الْكَرَامِ قَلِيلُ ^(٦)
- وَأَنْتَ لَا أَخْزَى إِذَا قِيلَ مُمْلِقٌ جَوَادٌ ، وَأَخْزَى أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ ^(٧)

== فيركب بعضه بعضا ويشكرس مثل كرس الدمن . وهو فعال من الكرس مثل جريال . وهو من الألفاظ المشتركة بين العربية والفارسية . وتفسيره في الفارسية مثله في العربية . وفي معجم استينجاس ١٠٢٦ :

- ١٥ (A privy on the roof of house having communication with a subterranean passage)

ما عدال : « لكرسانه » تحريف .

- (١) حلّ : منع الورد . ل : « خلّيت » ما عدال : « جلّيت » صوابهما ما أثبت .
- (٢) ماس يمس : تبخر في مشيه واختال .
- ٢٠ (٣) القلاص : جمع قلوّس ، وهي الناقة الشابة الفتية . والشرب : بالفتح : جماعة الشاربين للخمر ، وهو اسم جمع للشارب ، كما أن الركب اسم جمع للراكب .
- (٤) هذا في جميع النسخ . وانظر ما سبق في (٢ : ١٨٣) .
- (٥) هو أحد الفزاريين ، كما في الحماسة (٢ : ٣٩) .
- (٦) عمرتك الله ، أي ذكرتك الله ، أو سألته أن يطيل عمرك .
- ٢٥ (٧) أخزى : أستحي . الملق : الذي أنفق ماله وبذره حتى أورثه الحاجة .

وإلا يكن عظمى طويلاً فإنني له بالخصال الصالحات وصول^(١)
 إذا كنت في القوم الطوال فضلتهم بعارقة حتى يقال طويل^(٢)
 [ولا خير في حسن الجسوم وطولها إذا لم يزن حسن الجسوم عقول^(٣)
 وكائن رأينا من فروع طويلة تموت إذا لم تهيئ أصول^(٤)
 ولم أر كالمعروف أمّا مذاقه فلو ، وأمّا وجهه فجميل]
 وقال زيادة بن زيد^(٥) :

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده أطال فأملئ أم تناهي فأقصرا^(٦)
 ويخبرني عن غائب المرء فعله كفي الفعل عما غيب المرء مخبراً^(٧)
 وقال آخر :

أبرّ فما يزداد إلا حماقة ونوكاً وإن كانت كثيراً مخارج^(٨)
 وقال ابن الرقاع^(٩) :

وقصيدة قد بت أجمع بينها حتى أقوم ميلها وسنادها^(١٠)
 * نظر المشتف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منادها^(١١)

٢٢٥

(١) أنشد هذا البيت ابن قتيبة في عيون الأخبار (٤ : ٥٤) مسبقاً بقوله : « وقال آخر ، وكان قصيرا » .

(٢) العارفة : اليد تسدي ، وجمعها عوارف ، وليس لها فعل ، وهي فاعلة بمعنى مفعولة ، أو عارفة ذات عرف طيب ، لأنها تذكر فيثنى على صاحبها . كذا قال التبريزي في تفسير الحماسة .

(٣) زيادة بن زيد هذا ، هو ابن أخت هدية بن الحشرم راوية الخطيئة ، كما في اللسان (رتب) . وفي الأغاني (٢١ : ١٧٢) أنه كانت بينهما مناقضات ومهاداة بالأشعار انتهت بقتل هدية لزيادة . ما عدال : « زياد » تحريف .

(٤) تناهى : كف . الإملاء : الإمهال والتطويل . والبيت في اللسان (نهى) ، وسيبويه (١ : ٤٩٠) والموشح ١٩٠ .

(٥) في حماسة البحتري ٣٣٦ : « هديه * كفي الهدى » .

(٦) أبر : زاد . والنوك ، بالضم والفتح : الحق .

(٧) عدى بن الرقاع ، ترجم في (٢ : ٢٦٤) .

(٨) الأبيات في الحيوان (٣ : ٦٤) والموشح ١٣ .

(٩) الثقاف ، بالكسر : ما تسوى به الرماح . والمناد : المعوج .

وعلمتُ حتى لستُ أسألُ واحِداً عن حَرْفٍ واحدةٍ لَكِي اَزْدَادَهَا^(١)
وقال بعضُ الأعراب :

لولا مَسَرَّةُ أقوامٍ تَصَعَّدُنِي أو الشَّماتَةُ من قومٍ ذوى إْحْنٍ^(٢)
ما سَرَّنِي أَنْ إِبْلَى في مَبَارِكِهَا وَأَنْ أَمراً قَضَاهُ اللهُ لَمْ يَكُنْ
وقال الآخر :

وَإِنِّي لَأَهْوَى نَمَّ لَا أَتَّبِعُ الهَوَى وَأَكْرِمُ خِلَائِي وَفِي صُدُودُ
وفى النَّفْسِ عن بعضِ التَّعَرُّضِ غِلْظَةً وفى العَيْنِ عن بعضِ البُكَاءِ جُحُودُ
وقال كُثَيِّر :

تَرى القَوْمَ يُخْفُونَ التَّبَشُّمَ عِنْدَهُ وَيَنْذِرُهُمُ عَوَرَ الكَلَامِ نَذِيرُهَا^(٣)
فَلا هَاجِرَاتُ القَوْلِ يُؤَثَّرْنَ عِنْدَهُ وَلَا كَلِمَاتُ النُّصْحِ مُقَصِّى مُشِيرُهَا^(٤)
وقال المُقَشَّعِرُ^(٥) :

يُقِرُّ بَعِيْنِي أَنْ أَرَى قِصْدَ القَنَا وَصَرَعَى رِجَالِي فِي وَغَى أَنَا حَاضِرُهُ^(٦)

(١) الحرف : الطرف والجانب ، وبه سمى الحرف من حروف الهجاء . واحدة ، أى مسألة واحدة من العلم .

(٢) تتصعدنى : تشق على . والإحن : جمع إحنة ؛ وهى الحقد والعداوة .

(٣) البوراء : الكلمة القبيحة . نذيرها ، أى نذير العور ، ينذرهم أن ينطقوا بها .

(٤) الهاجرات : ذوات الهجر ، بالضم ، وهو الفحش .

(٥) المقشعر لقب له ، وهو شاعر جاهلى ، قال المرزبانى : « وكان إذا حضر حرباً

ا قشعر » . واسمه يزيد بن سنان بن أبى حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف

ابن ساعد بن ذبيان ، وكان قد حالف بنى سهم وخصيلة بن مرة ، على بنى يربوع بن مرة

ابن غطفان ، فسموا الحماش ، فله يقول النابغة الذبياني :

جمع محاشك يا يزيد فإني أعددت يربوعاً لكم وتيما

معجم المرزبانى ٤٩٦ .

(٦) أقر عينه وأقر بعينه : سره وأفرحه حتى قرت عينه وبردت . والقنا : الرماح .

والقصد : جمع قصدة بالكسر ، وهى القطعة .

وقال الكميّ :

أَحْسَنُ مِنْهَا ذِيادُ خَامِسَةٍ فِي الْوَرْدِ ، أَوْ فَيْلَقُ تَجَالِدُهَا ^(١)
وقال صالح بن مخراق في كلام له : لولا أن الله قال : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ ، لَأَنبَأْتُكُمْ أَنِّي لَا أُكْرَهُهُ .

وقال الآخر :

• تَرَكْتُ الرَّكْبَ لِأَرْبَابِهَا وَأَكْرَهْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ الصَّيْقِ ^(٢) ٢٢٦
جَعَلْتُ يَدَيَّ وَشَاحَا لَهُ وَبَعْضُ الْفَوَارِسِ لَا يَعْتَنِقُ

* * *

قال : وقال عمر بن عبد العزيز يوماً في مجلسه : مَنْ أُمُّ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ؟
فقال روح بن الوليد بن عبد الملك : سَلَمَى بِنْتُ عُقَابٍ ^(٣) . قال : إِنَّهُ لَيُقَالُ
ذَلِكَ ، يَاحَاجِبُ أَحْسَنِ إِذْنِهِ .

قالوا : عَشْرُ خِصَالٍ فِي عَشْرَةِ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ أَقْبَحُ مِنْهَا فِي غَيْرِهِمْ :
الضَّيْقُ فِي الْمُلُوكِ ، وَالْفَدْرُ فِي الْأَشْرَافِ ، وَالْكَذِبُ فِي الْقُضَاةِ ، وَالْخُدَيْعَةُ فِي
الْعُلَمَاءِ ، وَالغَضَبُ فِي الْأَبْرَارِ ، وَالْحِرْصُ فِي الْأَغْنِيَاءِ ، وَالسَّهْمَةُ فِي الشُّيُوخِ ،
وَالْمَرَضُ فِي الْأَطْبَاءِ ، وَالزَّهْوُ فِي الْفُقَرَاءِ ، وَالْفَخْرُ فِي الْقُرَّاءِ . ١٥

وأنشد :

وَلَا تَقْبَلُوا عَقْلًا وَأُمُومًا بِغَارَةٍ بَنَى عَبْدُ شَمْسٍ بَيْنَ دُومَةٍ وَالْمُهْضَبِ ^(٤)

(١) الزياد : مصدر كالذود ، وهو سوق الإبل وطردها ودفنها . والخامسة : التي
ترد الخمس ، وهو أن ترد يوماً وترعى ثلاثة بعده ثم ترد في الخامس . والفيلق : الكتيبة
الشديدة . ما عدال : « يجالدها » . ٢٥

(٢) أنشدتها في الحيوان (٦ : ٤٢٥) .

(٣) قال الجاحظ في الحيوان (٤ : ٣٧٧) : « وأم النعمان سلمى بنت الصائغ : يهودى
من أنباط الشام » . وفي الأغاني (٩ : ١٥٨) أن اسم ذلك الصائغ « عطية » .

(٤) العقل : الدية . والأم : القصد .

وَهَزُّوا صُدُورَ الْمَشْرِفِ كَأَنَّمَا يَقَعْنَ بِهِامِ الْقَوْمِ فِي حَنْظَلٍ رَطْبٍ ^(١)
وَيُضَمُّ إِلَى بَيْتِ الْكُمَيْتِ وَبَيْتِ الْمُقَشَّعِ قَوْلُ الْحَكَمِيِّ ^(٢) :
أَحْسَنُ عِنْدِي مِنْ إِنْكَابِكَ بِالْفَهْرِ مُلَحًّا بِهِ عَلَى وَتَدٍ ^(٣)
وُقُوفُ رِيحَانَةٍ عَلَى أُذُنٍ وَسَيْرُ كَأْسٍ إِلَى فَمٍ بِيَدٍ ^(٤)

• • •

وفي بابٍ غير هذا يقول حسانُ بن ثابت :

مَا أَبَالَى أَنْبً بِالْحَزَنِ تَيْسٌ أَمْ لِحَانِي بظَهْرِ غَيْبٍ لَيْثٌ ^(٥)

(١) المشرف ، عني به السلاح الممرفق ، وهو السيوف المنسوبة إلى المشارف ، وهي قرى من أرض اليمن ، أو من أرض العرب تدنو من الريف . ل : « كأنها تقعن » تعريف .

(٢) هو أبو نواس الحسن بن هاني ، مولى الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد . ابن زيد بن يشجب بن صريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، من اليمنية . انظر جهرة الأنساب لابن حزم ٣٨٣ — ٣٨٤ .

(٣) الفهر ، بالكسر : حجر يملأ الكف . والبيتان من مقطوعة له في ديوانه ٢٦٥ .
ينعى فيها على من يبكي الأطلال ويسقيها . وقيل البيتین :

٢٥ يسقى لغير العلياء فالسند وغير أطلال في بالجرد
ويا صبيب السحاب إن كنت قد جدت القوى مرة فلا تعد
لا تسقين بلدة إذا عدت الـ بلدان كانت زيادة السكد
إن أتحرز من الغراب بها يكن مفرى منه إلى الصرد
بحيث لا تجلب الرياح إلى أذنيك إلا تصايح النقد
وبعدهما :

يسقيها من بني العباد رشاً منتسب عيده إلى الأحد
إذا بنى الماء فوقها حبياً صلب فوق الجبين بالزبد
أشرب من كفه الشمول ومن فيه رضاباً يجري على برد
فذاك خير من البكاء على الـ ربع وأتمى في الروح والجسد

(٤) هي ريحانة الساق يجعلها فوق أذنه تظرفاً .

(٥) البيت في ديوان حسان ٣٧٩ والحيوان (١ : ١٣) . من قصيدة في يوم أحد قال ابن هشام : « هذه أحسن ما قيل » . السيرة ٦٢٥ — ٦٢٦ جوتجن . نب التيس نبا ونيبا ونبابا : صاح عند الهياج . والحزن : ما غلظ من الأرض . الحاء يلحوه ويلحاه : شتمه .

وأنشد:

خَبَّرْتُ أَنَّ طَوِيلَنَا يَغْتَابُنَا بِمُضِيهِ يَنْتَحِلُ الْأَقْوَالَ (١)

مَا ضَرَّ سَادَةَ نَهْشَلٍ أَهْجَاهُمْ أَمْ قَامَ فِي غُرُضِ الْخَوَى فَبَلَا (٢)

وقال الفرزدق في هذا المعنى:

مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلٍ أَهْجَوْتَهَا أَمْ بَلَّتْ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ (٣)

وقال الآخر في هذا المعنى:

مَا يَضِيرُ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غَلَامٌ بِحَجَرٍ (٤)

ومما يزداد في ذكر باب العصا قول جرير بن الخطافي:

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيْبُ تَيْمٌ وَلَا يُسْتَأْمَرُونَ وَمِنْ شُهُودٍ (٥)

وَقَدْ سَلَبْتَ عَصَاكَ بَنُو تَيْمٍ فَمَا تَدْرِي بِأَيِّ عَصَا تَذُودُ

(١) المضية: الإفك، والبهتان، والنميمة. ينتحل الأقوال: يدعيها. ل: « ينتحل الأقوال »، صوابه في سائر النسخ.

(٢) عرض الشيء، بضم العين: وسطه وناحيته. والحوى: البطن السهل من الأرض.

(٣) البيت من قصيدة له في ديوانه ٨٨٢، يذكر فيها تفضيل الأخطل إياه مادحاً في ذلك بنى تغلب، ويهجو فيها جريراً. وقبل البيت، وهو مطلع القصيدة: يا ابن المراغة، والهجاء إذا التقت أعناقهم وتمسك الحصان

وبعده:

يا ابن المراغة إن تغلب وائل رفعوا عناني فوق كل عنان

وتغلب بن وائل، هم قوم الأخطل. تناطح البحران: تقابلا. وانظر الحيوان (١: ١٣) وخزانة الأدب (٢: ٥٠١).

(٤) زخر البحر: كثر ماؤه وارتفعت أمواجه. والبيت في الحيوان (١: ١٣) برواية: « هل يضر البحر ».

(٥) من قصيدة له في ديوانه ١٦٠ — ١٦٩ يهجو فيها التيم قبيل عمر بن لجا. وبين هذا البيت وتاليه أبيات الاستثمار: الاستشارة. شهود، أي حاضرون.

وقال الحسين بن عرفة بن نضلة^(١) :

ليهنيك بُغضٌ في الصديقِ وظنَّةٌ وتحديثك الشيء الذي أنت كاذبه^(٢)
وأنتك مهذاه الخنا نطفُ النشا شديد السباب رافع الصوت غالبه^(٣)
وأنتك مشنوء إلى كلِّ صاحبٍ بلاك، ومثل الشرِّ يُكرهُ جانبُه^(٤)
ولم أرَ مثلَ الجهلِ أدنى إلى الردى ولا مثل بُغضِ الناسِ عُصَّ صاحبُه^(٥)

وقال قتادة بن خرَجَة الثعلبيُّ ، من بني عَجَب^(٦) :

خليلىَّ يومَ السَّلسِلينِ لو أننى بهبُّ اللوى أنكرتُ ما قلتما ليا^(٧)

- (١) الحسين ، ويقال أيضاً « الحسيل » : مصغر الحسل ، بالكسر ، وهو ولد الضب .
وفي النسخ : « الحسن » تحريف . وهو حسيل بن عرفة بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن
فقس الأسدي ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ورأى الرسول الكريم وروى عنه . ١٠
وهو ممن غير الرسول أسماءهم فسماه حسينا . انظر الإصابة ١٧١٧ . وقد جعله أبو زيد في
نواده ٧٥ ، ٧٧ من شعراء الجاهلية ، والصواب ما قدمت . ومن عجب أن أبا حاتم قال إنه
« حسين » ثم يخطئه الأخفش في ذلك .
(٢) الأبيات في الحيوان (٣ : ١٠٢ ، ٤٩٤) . ليهنيك : ليهنيك ، سهلت همزتها .
والكلام تهكم . يقال : هنأ الشيء : كان له هنيئاً سائماً . ١٥
(٣) الحنا : الفحش . والنطف : الملطخ بالعيب . والنشا ، بتقديم النون : ما أخبرت
به عن الرجل من خير وشر .
(٤) المشنوء : المبعض . بلاك : اختبرك . مثل الشر ، أى أنت مثل الشر . أو تكون
« مثل » في الكلام نافلة ، كما تقول : مثلك لا يفعل كذا ، أى أنت لا تفعله .
(٥) الجهل : نقيض العلم ، وأن يفعل شيئاً بغير العلم . غمض ، من الغمض ، وهو
الاحتقار والازدراء . وفي الحيوان : « غمض » . ٢٠
(٦) خرَجَة ، بضم الخاء . وفي ل : « خرَجَة » وليس في أعلامهم . والثعلبي :
نسبة إلى ثعلبة بن سعد بن ذبيان . وفي جميع النسخ : « الثعلبي » تحريف . وكلمة « من
بني عجب » من ل فقط . وهم بنو عجب بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، كما في مختلف القبائل
ومؤلفها لابن حبيب ٤٤ جوتنجن ١٨٥٠ . ٢٥
(٧) البيتان في معجم البلدان (٥ : ١٠٦) بدون نسبة . السلسلان ، بكسر السينين ،
قال ياقوت : « كأنهم ذكروا السلسلة ثم ثنوها : اسم موضع » . وروايته عنده : « بين
السلسلين » . والهبر ، بالفتح : ما اطمان من الأرض . واللوى : موضع بعينه ، وهو واد من
أودية بني سليم . واللوى أيضاً : منقطع الرمل . قال ياقوت : « قد أكرت الشعراء من
ذكره ، وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعز الفصل بينهما » . ل : « بهبو اللوى » : ٣٠
« بهير » التيمورية « بهبرى » صوابه ما أثبت من ب .

ولكنني لم أنسَ ما قال صاحبي نصيبك من ذلِّ إذا كنت نائياً^(١)
وقال خالد بن نضلة^(٢) :

إذا كنت في قومٍ عدى لست منهم فكلُّ ما عُلِفَت من خبيثٍ وطيبٍ^(٣)

وقال أحمد بن يوسف^(٤) ، وكان يتعشق يحيى بن سعيد بن حماد :

إنَّ يحيى بن سعيدٍ يشتهي أن أشتهيه

فهو يلقيني بتوريسمٍ وأحياناً بنيه^(٥)

وقال أبو سعدٍ دعيُّ بني مخزوم^(٦) ، في مهاجاة دعبيل :

ولولا نزارٌ لَصَاقَ الفضاء ولم يَبْقَ حِرْزٌ ولا مَعْقِلُ

وأخرجت الأرضُ أثقالها وأدخلَ في استِ أمِّه دَعْبِلُ

(١) ياقوت : « خالياً » .

(٢) خالد بن نضلة الأسدي ، فارس مشهور من فرسانهم . وله ذكر في يوم النصار ، إذ كان رئيس أسد يومئذ . انظر كامل ابن الأثير وغيره ، في (يوم النصار) .

(٣) البيت من أبيات في الحماسة (١ : ١٣٤) والحيوان (٣ : ١٠٣) . والعدى : اسم جمع بمعنى الأعداء ، أو بمعنى الغرباء ، كما في المخصص (١٢ : ٥٢) رواية عن ابن السكيت في إصلاح المنطق ١١٢ حيث أنشد البيت . ونسبه التبريزي في تهذيبه إلى دودان بن سعد ، من بني أسد .

(٤) ترجم في (١ : ٦٥) .

(٥) يقال : ورم فلان بأنفه توريساً ، إذا شمخ بأنفه وتجبهر .

(٦) أبو سعد المخزومي ممن عرف بكنيته ، واسمه عيسى بن الوليد . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية ، وقد عاصر دعبلاً وعبد الله بن أبي الشيص . وكان دعبيل قد صنع قصيدة هجا فيها قبائل نزار ، غمى لذلك أبو سعد وهجاء ولج الهجاء بينهما . ما عدا ل : « أبو سعيد » تحريف . وفيه يقول دعبيل :

إن أبا سعد فتي شاعر يعرف بالكنية لا بالولد
ويقول ابن أبي الشيص :

أبا سعد بحق الخمس والفروض من صومك

أقلت الحق في النسبـة أم تحلم في نومك

انظر الأغاني (١٨ : ٥٠ — ٥٤) .

وقال :

[حَدَقُ الْأَجَالِ آجَالُ والهوى للمرء قتال^(١)
 والهوى صعبٌ مراكبه وركوب الصعب أهوالُ]
 ليس من شكلى فاشتتته دغبلٌ ، والناس أشكالُ
 همتى فى التاج ألبسه وله فى الشفرِ آمالُ

وقال :

هذا اللبانيُّ يحوى جوائز الخلفاء^(٢)
 فى حِرٍّ أمَّ مديحى وفى حِرٍّ أمَّ هجائى^(٣)
 وفى حِرٍّ أمى وإن كنتُ سيِّدَ الشعراء

وقال محمد بن يسير :

فى حِرٍّ أمَّ الناسِ كلِّهم وأنا فى ذا من أولِّهم^(٤)
 لستَ تدري حين تخبرهم أين أدناهم من أفضلهم

وقال :

إذا ما جاوزَ الندماءَ خمستا ربُّ البيت والساقى اللبيب
 فأيرُّ فى حِرٍّ أمَّ فتى دَعانا وأيرُّ فى حِرٍّ أمَّ فتى مجيب

وقال سلم الخاسر^(٥) :

بهارون قرَّ الملكُ فى مستقرِّه وأبتهجت الدنيا وأشرق نورُها

(١) الآجال الأولى : جمع أجل بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش والظباء ،
 والأخرى جمع أجل بالتحريك ، وهو مدى العمر .

(٢) ما عدال : « اللباني » .

(٣) مثله قول العرب : « باست بنى فلان » وهو شتم للعرب . وأنشد فى اللسان (سته)
 قول الخطيئة :

فباست بنى عبس وأستاه طيُّ وباست بنى دودان حاشا بنى نصر
 ما عدال : « أنا فى هذا » .

(٥) هو سلم بن عمرو ، مولى بنى تيم بن مرة . شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدي
 والمهدي وهارون والبرامكة . قالوا : سمى بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفاً فباعه واشترى =

وليس لأَيَّام المكارم غايةٌ تتم بها إلا وأنت أميرها ٢٢٩
وقال بشار بن برد :

من فتاةٍ صُبَّ الجِمالُ عليها في حديثِ كلِّ ذرةٍ النشوان
ثم فارقت ذلك غيرَ ذمٍّ كلُّ عيش الدنيا وإن طال فإن
وقال مزاحمُ العقيلي :

يزينُ سنا الماويَّ كلَّ عشيَّةٍ على غفلاتِ الزينِ والمتجملِ (١)
وجوهٌ لو أنَّ المدلجينَ اعتشوا بها
صدعن الدجى حتى ترى الليلَ ينجلي (٢)

[وقال المسعودي :

إن الكرام مُناهبو ك المجد كلهم فناهب (٣)
أخلف وأتلف ، كلُّ شيءٍ زعرعته الرِّيحُ ذاهبٌ]
وقال شيخ من الأطباء : الحمد لله ، فلان يزاحمنا في الطبِّ ولم يختلف إلى
البيمارستانات (٤) تمامَ خمسين سنةً .

= طنبوراً . وكان تلميذ بشار بن برد وراويته . وهو القائل :
من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور
وفيه يقول أبو العتاهية :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال
الأغاني (٧٣ : ٨٤) وتاريخ بغداد ٤٧٥٤ وابن خلكان ، وقد سماه « سالماً » خطأ .
(١) البيتان في الحيوان (٣ : ٩١) ، وهما مع أربعة أخرى في مجالس ثعلب ٢٢٧
بدون نسبة ، وثانيهما في الشعراء ٥٢٧ لبسك واللسان (١٩ : ٢٧٨) . والماوي : جمع
ماوية ، وهي المرأة . ورواية ثعلب : « ترى في سنا الماوي بالصر والضحي » . ما عدال :
« تزين سنا الماوي » .

(٢) ثعلب وما عدال : « وجوها » . وفي الشعراء : « لو ان المعتفين » . اعتشوا بها :
استضاءوا بها ليلا فقصدوا إليها .

(٣) سبق البيتان في ١٩٤ . ٢٥

(٤) البيمارستان : دار علاج المرضى ، لفظ فارسي ، مركب من « بيمار » بمعنى مريض
و « ستان » ، وهي من أدوات المكان في الفارسية .

وحدثني محمد بن عبد الملك — [صديق لي] — قال : سمعت رجلاً من
فرسان طبرستان يقول : فلان يدعى الفروسيّة ، ولو كُفّ أن يُخْلِ فُروجَ
فرسه منحدراً لما قدّر عليه ^(١).

وقال بعض العبيد :

أَيَعْنِي فِي الشَّاءِ وَابْنُ مَوِيلِكٍ عَلَى هَجْمَةٍ قَدْ لَوَحَتْهَا الطَّبَاخُ ^(٢)
مَتَى كَانَ حُرَّانُ الشَّبَابِ رَاعِيًا وَقَدْ رَاعَهُ بِالْدَوِّ أَسْوَدُ سَالِحٍ ^(٣)

وقال كثيرٌ في عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

تَكَلَّمْتَ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ وَإِنَّمَا تَبَيَّنُ آيَاتُ الْهُدَى بِالْتَّكَلُّمِ
أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي الْقَنَا بَعْدَ زَيْغِهِ : مِنَ الْأَوْدِ الْبَاقِي ثِقَافُ الْمُقَوِّمِ ^(٤)

الأصمعي قال : قال يونس بن عبد الأعلى ^(٥) : لا يزال الناس بخير ما داموا
إذا تَخَلَّجَ ^(٦) فِي صَدْرِ الرَّجُلِ شَيْءٌ وَجَدَ مَنْ يُفَرِّجُ عَنْهُ .

وقال البعيث ، في إبراهيم بن عربي ^(٧) :

(١) فروج الفرس : ما بين قوائمه . يقال سد فروج فرسه ، أى ملاء قوائمه عدوا
كأن العدو سد فروجه وملاءها . فغنى أخلى فروجه أمسكه وحفظه من سرعة الانحدار .

(٢) ما عدل : « وابن غيلد » . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل ، ما بين
الثلاثين إلى المائة . والطباخ : جمع طبيخة ، وهى سموم الهاجرة وشدة حرها .

(٣) الشباني : نسبة إلى بنى شبابة ، وهم بطن من فهم . ل : « الشباني » ما عدل :
« الشباني » وأراهما محرفتين عما أثبت . والدو : القلاة . ما عدل : « بالدود » ، تحريف .

(٤) القنا : الرماح ، جمع قناة . والزيف : الميل ، ومثله الأود . والثقاف : خشبة قوية
قدر الذراع فى طرفها خرق يتسع للرمح أو للقوس يدخل فيه ويغمر منه ما ينبغي أن يغمر ،
حتى يصير إلى ما يراد منه ، ولا يفعل به ذلك إلا مدهوناً مملولاً ، أو مذهباً على النار .

(٥) يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة الصدقي المصري ، روى عن ابن عيينة
والشافعي ، وعنه مسلم والنسائي وابن ماجه . وكان إماماً فى القراءات ، قرأ على ورش وغيره ،
وقرأ عليه ابن جرير الطبرى . ولد سنة ١٧٠ وتوفى سنة ٢٦٤ . تهذيب التهذيب ، والخلاصة .

(٦) تخلج : اضطرب وتحرك ، ومثله خلج واختلج . ما عدل : « اختلج » .

(٧) إبراهيم بن عربى هذا ، كان والى اليمامة لعبد الملك ، وكان يقال له : « الملك

الأسود » . وفيه يقول مالك المذموم :

* ترى منبر العبد اللّثيم كأنما ثلاثة غربابٍ عليه وقوعٌ
وقال الأعشى :

رُبَّ رِفْدٍ هَرَقَتْهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعَشَرٍ أَقْيَالٍ^(١)
وقالوا : « لَا وَكَسَ وَلَا شَطَطَ »^(٢) .

• وقال الشاعر^(٣) :

وَمُدَجَّجٍ كَرَّةِ الْكُمَاةِ نِزَالُهُ لَا تُمَعِّنِ هَرَبًا وَلَا مُسْتَلِمًا^(٤)
وقال زهير :

دُونِ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ قَدْرُهُمَا عِنْدَ الذَّنَابِيِّ فَلَا قُوَّةَ وَلَا دَرَكُ^(٥)
وقالوا : « خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا ، وَشَرُّهَا السَّيْرُ الْحَقِيقَةُ »^(٦) .

- ١٠ = فاق سيري قد جد حقا بنا السيـــــر وكوني جواله في الزمام
فتى تلقى يد الملك الأســـــود تستيقظ بأن لا نضام
الأغاني (١٦ : ١٥١) . وفي (٧ : ٦١) أن جريراً نازع بني حمان إليه في ركية لهم
فحكّم بها له . ماعدال : « إبراهيم بن عدي » ، وكذا ورد الاسم في الموضع الأخير من الأغاني .
(١) ديوان الأعشى ١٣ . والرّفْد ، بفتح الراء وكسر ها : القُدْح . عني به الجواد الذي
يسقى الناس في أقداحه ، ومثل هذه الكناية سميتهم الجواد « جفنة » . قال أبو قردودة :
١٥ يا جفنة كإزاء الحوض قد هدموا ومنطقاً مثل وشى اليمنة الجبره
هرقته : أرقته . أقيال : جمع قيل ، وهو الملك النافذ القول . والممهور في رواية البيت :
« أقتال » جمع قتل ، بالكسر ، وهو العدو . والبيت في المخصص (١١ : ٨٣) وأمالى
القالى (١ : ٩٠ / ٢ : ٧ ، ٣٠٣) وشروح سقط الزند ٨٢٢ .
٢٠ (٢) أى لا نقصان ولا زيادة . وفي اللسان (وكس) : « وفي حديث ابن مسعود :
لها مهر مثلهما ، لا وكس ولا شطط » .
(٣) هو عنقرة . والبيت التالى من معلقته المشهورة .
(٤) المدجج ، بكسر الجيم المشددة وفتحها : التام السلاح . والاستسلام :
الانقياد والاستكانة .
٢٥ (٥) ديوان زهير ١٧٤ . يصف القطاة والصقر . يقول : لم يخلّقها فيغيبا ، ولم يصيرها
على الأرض ، فهما بين هذين . عند الذنابى ، أى الصقر عند ذنبها قد قاربها ، فلا هو قد
أدركها ولا هي قد فاتته .

(٦) الحقيقة : شدة السير . وكان عبد الله بن مطرف بن الشخير ، قد تعبد فلم يقتصد .
فقال له أبوه : « يا عبد الله ، العلم أفضل من العمل ، والحسنة بين السيئتين ، وخير الأمور =

قال : والمثلُ السائر ، والصوابُ المستعمل : « لا تَكُنْ حُلُوءاً فَتَزْدَرِدَ ، ولا مُسْرّاً فَتَيْلَفَظَ » .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : « إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يُضْلِحُهُ إِلَّا لَيْنٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَشِدَّةٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ » .

وكان الحجاجُ يُجاوزُ العُنْفَ إلى الخُرْقِ ، وكان كما وصف نفسه ، فإنه قال : « أَنَا حَدِيدٌ حَقُودٌ ^(١) ، وَذَوْ قَسْوَةٍ حَسُودٌ » .

وذكره آخر فقال : كان شراً من صبي ^(٢) .

وقال أكرم بن صيفي ^(٣) : تناءوا في الديار ، وتواصلوا في المزَار ^(٤) .

وكان ناسيُ الشُّهُورِ ^(٥) يقول : اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنَ نَسَائِنَا ، وَقَارِبْ بَيْنَ رِعَائِنَا ،

١٠ = أوساطها ، وشر السير المحففة ، هو إشارة إلى الرفق في العبادة . أى عليك بالقصد فيها ولا تحمل على نفسك فتسأم ، وإذا حملت على نفسك من العبادة ما لا تطيق ، انقطعت به عن الدوام على العبادة . اللسان (٣٤٢ : ١١) . ومضت ترجمة مطرف في (١٠٣ : ٣٥٣) وترجم في تهذيب التهذيب لابنه « عبداً لله » .

(١) الحديد : ذوالحدة ، وهى الغضب والنشاط والسرعة في الأمور . وقد سبق الخبر في الحيوان (٣ : ٤٧٠ / ٥ : ٥٩٢) بلفظ : « حديد حقود حسود » .

(٢) ويقولون في أمثالهم : « أظلم من صبي » . انظر الحيوان (٣ : ٤٧٠) .

(٣) أكرم بن صيفي ، أحد حكام العرب ، وهو أكرم بن صيفي بن رياح بن الحارث ابن غناش بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي . وكان قد سمع بمبعث النبي ، فأراد أن يقد إليه فتمعه قومه ، ثم انتدب له رجلان من قومه فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم ، فعادا بما أئبلج صدر أكرم في دينه ، فقرب له بعيره فركب متوجهاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق ؛ فيقال نزلت فيه هذه الآية : (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) . وكان أكرم من المعمرين . أنشد له المرزباني :

ولت امرأة قد عاش تسعين حجة إلى مائة لم يسأم العيش جاهل
أنت مائتان غير عشر وفائها وذلك من صرا الليالي قلائل
٢٥ الإصابة ٤٨٢ والمعمرين للسجستاني ١٠ — ١٣ والأغاني (١٥ : ٧٠) .

(٤) لفظه عند السجستاني : « تناءوا في الديار ولا تباغضوا ؛ فإن من يجتمع يتفجع عمده » .

(٥) النسب : التأخير . وكان العرب إذا صدروا عن بني يقوم رجل منهم من =

واجمل الأموال في سُمحائنا^(١).

وقال آخر^(٢):

شَتَّى مَرَاكِهْمَ فَوْضَى نَسَاؤُهُمْ وَكُلُّهُمْ لِأَيِّهِ ضَيزَنٌ سَلَفٌ^(٣)

وقال الآخر: ترك الوطنَ أَحَدُ السَّبَاءِ^(٤).

وقالوا: من أَجْدَبَ انتجع^(٥).

وقال آخر: مَنْ أَمَلْ أَمْرًا هَابَهُ، وَمَنْ قَصَّرَ عَنْ شَيْءٍ عَابَهُ.

وقال الآخر:

رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا بَدَأْنَا وَمَا خَابَتْ غَنِيمَةُ سَالِمِينَا^(٦) ٢٣١

وقال امرؤ القيس بن حُجْر:

لَقَدْ نَقَبْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ^(٧) ١٠

= كناية فيقول: «أنا الذي لا أعاب ولا أجاب. ولا يرد لي قضاء. فيقولون: صدقت، أنسنا شهراً. أي آخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر، وأحل لنا المحرم؛ لأنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها؛ لأن معاشهم كان من الغارة، فيحل لهم المحرم، فذلك هو الإنساء.

(١) السمحاء: جمع سميح، وهو ذو السماحة والجود.

(٢) هو أوس بن حجر. ديوانه ١٧ واللسان والمفايس (ضرن) وأدب الكاتب ٢٨٢ والافتضاب ٣٨٤. قال البطليوسي: «ولم أجده في شعر أوس»! وصدده في جميعها:

* والفارسية فيهم غير منكورة *

(٣) المراحل: جمع مرحل، وهو القدر من الحجارة أو النحاس. فوضى: مختلطة. والضيزن: الذي يزاحم أباه على امرأته. والسلف: واحد السلفين، وأصله الرجلان يتزوجان بأختين، كل واحد منهما سلف صاحبه، أراد أن بينهما مناظرة في الزواج؛ يقول: هم مثل المجوس يتزوج الرجل منهم امرأة أبيه وامرأة ابنه.

(٤) هذا الخبر في ل فقط. والسبأ والسبي: الأسر.

(٥) هذا الخبر في ل فقط.

(٦) أي غنيمة قوم سالمين. والبيت في عيون الأخبار (١: ١٤٢)، ما عدال: ٢٥

«وما غابت». يقول: إن الغنيمة في السلامة. وأنشد بعده ابن قتيبة:

وما تدرين أي الأمر خير أمّا تهوين أم ماتكروهينا

(٧) ديوان امرئ القيس ١٣٤٠ برواية: «وقد طوفت».

وقيل لابن عباس : أيُّما أَحَبُّ إليك ، رجل يُكثِرُ من الحسنات ويكثرُ من السيِّئات ، أو رجلٌ يُقِلُّ من الحسنات والسيِّئات ؟ قال : ما أُعْدِلُ بالسلامة شيئاً !

وقالت أعرابية :

- فلا تَحْمَدُونِي فِي الزَّيَّارَةِ إِنِّي أَزُورُكُمْ إِلَّا أَجِذَ مُتَعَلِّلاً^(١) .
يعقوب بن داود^(٢) قال : ذَمَّ رَجُلٌ الْأَشْتَر^(٣) فقال له رجلٌ من النَّخَع^(٤) :
اسْكُتْ فَإِنَّ حَيَاتَهُ هَزَمَتْ أَهْلَ الشَّامِ ، وَمَوْتَهُ هَزَمَ أَهْلَ الْعِرَاقِ .
أبو الحسن قال : أُرْسِلَتْ الْخَيْلُ أَيَّامَ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ^(٥) ، فَسَبَقَ فَرَسُ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ بَشْرِ ، فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ^(٦) : وَاللَّهِ لَا تُرْسِلَنَّ غَدًا
مَعَ فَرَسِكَ فَرَسًا لَا يَعْرِفُ أَنَّ أَبَاكَ أَمِيرَ الْعِرَاقِ ! فُجِّأَ فَرَسُ إِسْمَاعِيلِ سَابِقًا ، فَقَالَ :
أَلَمْ أَعْلِمِكَ ؟ !

وقال أبو العتاهية^(٧) :

[أَيَا مَنْ لِي بِأَنْسِكَ يَا أَخِيَّاءَ وَمَنْ لِي أَنْ أَبُثِّكَ مَا لَدَيَّا]

- ١٠ (١) المتعلل : مصدر ميمي لقولهم تعللت بالشئ : تلهيت به وتشاغلته .
(٢) هو يعقوب بن داود الأنباري ، ذكره في تاريخ بغداد ٧٥٨١ . ذكر أنه روى
عن عاصم بن علي . وهذا عاصم توفي سنة ٢٢١ ، ترجم له في تهذيب التهذيب .
(٣) الأشتر النخعي : مالك بن الحارث ، ترجم في (٢ : ٨٧) .
(٤) هم بنو النخع — بالتحريك — بن جسر بن عمرو بن علة بن خالد بن مذحج ، ينتهي
نسبهم إلى كهلان بن سبأ في اليمن .
٢٠ (٥) بشر بن مروان بن الحكم ، أخو عبد الملك ترجم في (٢ : ٢١١) .
(٦) ما عدال : « إسماعيل بن الأشعث » .
(٧) الأبيات التالية لم ترو في ديوانه . وفي الأغاني (٣ : ١٤٢) ومعاهد التنصيص
(٢ : ١٨٥) أنها في رثاء صديقه « علي ثابت » ، وكان قد حضره وهو يجود بنفسه ، فلم
يزل ملتزمه حتى فاض . ولما دفن وقف على قبره يبكي طويلاً أحر بكاء ، وينشد هذه الأبيات .
وفي العقد (باب المراثي) أنه رثى بها ولداً له . وانظر الحيوان (٣ : ٦/٩١ : ٥٠٥) حيث
أنشد البيتين الثاني والسادس ، والكمال ٢٣٠ لبيسك ، وذيل أمالي القالي ص ٢ ، ومروج
الذهب (٢ : ٣٦٨) ، والمستطرف (٢ : ٢٩٤) .

كفى حَزَنًا بِدِفْنِكَ ثُمَّ إِنِّي نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَّ
طَوْتُكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرِ كَذَلِكَ خُطُوبُهُ نَشْرًا وَطَيًّا
[فَلَوْ نَشَرْتُ قَوَاكَ لِي الْمَنَآيَا شَكُوتُ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتُ إِلَيَّ
بِكَيْفَتِكَ يَا أَخِيَّ أَبَدَّرَ عَيْنِي فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ عَنْكَ شَيْئًا]
وَكُنْتَ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

وقال الآخر :

أَبْعَدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفٍ كَوَيْكِبٍ رَهِينَةً رَمَسٍ بَيْنَ ثَرْبٍ وَجَنْدَلٍ ^(١)
أَذْكَرُ بِالْبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي وَبُقْيَايَ أَنِّي جَاهِدْتُ غَيْرَ مُؤْتَلٍ ^(٢)
يقول : هذه بُقْيَايَ .

١٠ قال : قيل لشريك بن عبد الله ^(٣) : كان معاويةً حليماً . قال : لو كان حليماً
مَا سَفِهَ الْحَقَّ ^(٤) ، وَلَا قَاتَلَ عَلِيًّا . ولو كان حليماً مَا حَمَلَ أَبْنَاءَ الْعَبِيدِ عَلَى حُرِّمِهِ ،
وَلَمَّا أَنْكَحَ إِلَّا الْأَكْفَاءَ .

* وَأَصَوَّبُ مِنْ هَذَا قَوْلَ الْآخَرِ ، قَالَ : كَانَ مُعَاوِيَةُ يُتَعَرَّضُ وَيُخْلَمُ إِذَا ٢٣٢
أُسْمِعَ . وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلسَّفِيهِ ^(٥) فَهُوَ سَفِيهِ .

١٠ وقال الآخر : كَانَ يُحِبُّ أَنْ يُظْهِرَ حِلْمَهُ وَقَدْ كَانَ طَارَ اسْمُهُ بِذَلِكَ ، فَكَانَ
يُحِبُّ أَنْ يَزْدَادَ فِي ذَلِكَ .

(١) نَعْفٌ كَوَيْكِبٌ : مَوْضِعٌ لَمْ يَذْكُرْهُ يَاقُوتُ . وَالرَّمَسُ : الْقَبْرُ .

(٢) الْبُقْيَا ، بَضْمُ الْبَاءِ : الْإِبْقَاءُ . وَائْتَلَى : قَصَرَ وَأَبْطَأَ .

(٣) شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، تَرْجَمَ فِي (٢ : ٢٥٣ ، ٢٦٤) .

(٤) سَفِهَ الرَّجُلُ الْحَقَّ : جَهَلَهُ فَلَمْ يَرَهُ حَقًّا . وَفِي الْحَدِيثِ : « سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ٢٠

وَسَلَّمَ عَنِ الْكِبَرِ فَقَالَ : الْكِبَرُ أَنْ تَسْفِهَ الْحَقَّ وَتَنْفُطَ النَّاسَ » .

(٥) ل : « لِسِفِهِ » تَحْرِيفٌ .

وقال الفرزدق :

وكان يُجِير النَّاسَ مِنْ سَيْفِ مَالِكٍ فأصبح يبغي نفسه مَنْ يُجِيرُهَا^(١)
وكانَ كَعَنَزِ السَّوءِ قَامَتْ بِظِلْفِهَا إلى مُدِيَةٍ تَحْتَ التُّرَابِ تُثِيرُهَا^(٢)
وقال الثَّوْتُ اليمانيُّ^(٣) :

على أَىِّ بابٍ أَطْلُبُ الإِذْنَ بَعْدَمَا حُجِبْتُ عَلَى الْبَابِ الَّذِي أَنَا حَاجِبُهُ^(٤)
وهذا مثل قوله :

وَالسَّبَبُ الْمَانِعُ حَظَّ الْعَاقِلِ هو الَّذِي سَبَّبَ رِزْقَ الْجَاهِلِ
ومثله :

وَرُبَّتْ حَزْمٌ كَانَ لِلشُّقْمِ عِلَّةً وَعِلَّةُ بُرءِ الدَّاءِ حَظُّ الْمَغْفَلِ^(٥)

وقال آخر :

يُخَيِّبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ وَيُعْطَى الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُمْنَعُ صَاحِبُهُ^(٦)

وقال عثمان بن الحويرث ، لعمر بن العاصي :

لَهُ أَبْوَانٌ فَهُوَ يُدْعَى إِلَيْهِمَا وَشَرُّ الْعَبَادِ مَنْ لَهُ أَبْوَانٌ

(١) البيتان في ديوانه ٢٤٩ ، مع ثالث بعدها . وهو :

ستعلم عبد القيس إن زال ملكها على أَىِّ حال يستمر صيرها
وأُنشدهما في الحيوان (٥ : ٤٧٥) . وأولهما في (٥ : ٥٩٣) وثانيهما في
(٦ : ٤٧٠ ، ٧٤٥) .

(٢) قال البحرى في حماسه ٢٨٤ : « يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعجة فأراد
ذبحها ولم يكن معه شيء يذبحها به » فبينما هو يفكر في ذلك وأى ذلك يصنع إذ حفرت النعجة
بأظلافها الأرض فأبرزت عن سكين كانت مندقنة في التراب ، فذبحها بها . وضرب العرب بها
المثل . وروى ثمانية أشعار في هذا المعنى في الباب ١١٥ . وانظر جمهرة الأمثال للعسكري ٩٥
والميداني (٢ : ١٧٨) ومعجم المرزبانى ٣٧٤ س ١٦ .

(٣) ويقال أيضا « اللوب اليماني » . انظر ما سبق في (٢ : ٣٥٩ — ٣٦٠) .

(٤) سبق برواية : « حجت عن الباب » .

(٥) في عيون الأخبار (٣ : ٢٧٣) : « خبط المغفل » ، وهى خير الروايتين .

(٦) ما عدل : « يحرم صاحبه » .

وقد حُكِّمَ فيه لتَصْدُقَ أُمُّهُ وكان لها علمٌ به بَيِّانٌ ^(١)
 فقالت : صُراخٌ ، وهي تعلم غَيْرَهُ ولكنها تَهْدِي بغير لسانٍ ^(٢)
 وقال الآخر ^(٣) :

يَطْلُبُنَ بالقومِ حاجاتٍ تَضُمُّهَا بَدْرٌ بكلِّ لسانٍ يُلبَسُ المِدْحَا
 ٢٣٣ كأنَّ فيضَ يَدَيْهِ قَبْلَ مَسْأَلَةٍ بابُ السماءِ إذا ما بِالْحَيَا انْفَتَحَا ^(٤)
 وَكَلَّتْ بالدَّهْرِ عَيْنًا غيرَ غَافِلَةٍ من جُودِ كَفِّكَ تَأْسُو كُلَّ ما جَرَحَا
 ومثله :

إذا افتقرَ المِنْهالُ لم يُرَ فقرُهُ وَإِنْ أَيْسَرَ المِنْهالُ أَيْسَرَ صاحِبُهُ
 وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : من أَفْضَلَ العِبادةِ الصَّمْتُ ،
 ١٠ وانتظارُ الفَرَجِ ^(٥) .

وقال يزيد بن المَهْلبِ ، وكان في سِجْنِ الحِجَّاجِ : لَهْفِي على طَلِيَّةٍ بِمِائَةِ أَلْفِ ،
 وَفَرَجٍ في جَبْهَةِ أَسَدٍ ^(٦) . وأنشد :

رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ من الأُمِّ ر له فِرْجَةٌ كُلُّ العِقالِ ^(٧)
 وأنشد :

١٠ كَرِهْتُ وكانَ الخَيْرُ فيما كَرِهْتُهُ وأَحْبَبْتُ أَمْرًا كانَ فيه شَبَابُ القَتْلِ ^(٨)

(١) ما عدال : « لتصدق أمه » .

(٢) الصراح : الخالص القسب .

(٣) هو أبو نواس . العمدة (٢ : ١١١) وزهر الآداب (٣ : ٥) . وفي زهر
 الآداب : « غير نائمة من جود كفيك » . وقبل هذا البيت في العمدة :

٢٠ أنت القدي تأخذ الأيدي بحجزته إذا الزمان على أبنائه كلحا

(٤) الحيا : الطر .

(٥) سبق هذا الخبر في (٢ : ١٦٥ ، ٣٥٠) .

(٦) وهذا مضي في (٢ : ١٦٦) . وفي الأصل : « على طلية » .

(٧) البيت في الحيوان (٣ : ٣٩) مع نسبته إلى أمية بن أبي الصلت ، مع شيء من

٢٥ شك الجاحظ . وأنشده في اللسان (فرج) منسوباً إلى أمية . وأنشد قبله :

لا تضيقن في الأمور فقد تكا شف غماؤها بغير احتيال

(٨) الشبا : جمع شبابة ، وهو حد الشيء أو حد طرفه ، ومنه شبابة السيف .

مثل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ
وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ .

وكان يقال : خُذْ مَقْصِدَ الْعِرَاقِ ، وَاجْتَهِدِ الْحِجَازَ .

[وقال الآخر :

لِكُلِّ كَرِيمٍ مِنَ الْأَثَمِ قَوْمُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَاسِدُونَ وَكُشَّحُ^(١)] .

وقال جرير :

إِنِّي لَأَمَلُ مِنْكَ خَيْرًا عاجلاً وَالنَّفْسُ مُوَلَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ^(٢)
وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وقال ابن هرمة :

١٠

أَثَمٌ مِنَ الَّذِينَ بِهِمْ قُرَيْشٌ تَدَاوَى بَيْنَهَا غَبَنُ الْقَبِيلِ^(٣)
كَأَنَّ تَلَالُؤَ الْمَعْرُوفِ فِيهِ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي السَّيْفِ الصَّقِيلِ

وقال امرؤ القيس :

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْمَزَارَ قَرِيبٌ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ^(٤)
١٥ أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ

(١) الكشع : جمع كاشع ، وهو العدو الباطن العدو ، كأنه يطويها في كشعه .
والكشع بالفتح : الحضر .

(٢) من قصيدة له في ديوانه ٤١٥ يمدح بها عمر بن عبد العزيز ، مطلعها :

إِنَّ الْقَدَى بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِي الْإِمَامِ الْعَادِلِ

(٣) الأثم : السيد ذو الأنفة . والفن بالفتح وبالتحريك : ضعف الرأي . ل : عن
٢٠ القبيل « ما عدل : « عين القليل » ، والوجه فيهما ما أثبت .

(٤) البيتان لم يرويا في ديوانه . وعسيب : جبل بعلية نجد . ورواية ياقوت (في رسم

عسيب) واللسان (عسب) : « إن الخطوب تنوب » . وعجز هذا البيت في مجالس تعلق ٤٠ .

وقال بشار :

وإذا اغتربت فلا تكن جشعاً تسمو لفت الكسب تكسبه^(١)
وقال حسّان بن ثابت :

أهدى لهم مدحى قلب يوازره فيما أحبّ لسان حائك صنّع^(٢)
وقال الأصمعي : أنشدنا أبو مَهْدِيَّة^(٣) :

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنوانِ الشُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقُرْآنًا^(٤)
وقال الخَزَرَجِيُّ ، يردُّ على أبي قيس بن الأُسَلْتِ ، واسمه صَيْفِي^(٥) :

أَتَفْخِرُ صَيْفِيٌّ فِيمَا تَقُو لُ أَنْ نِلْتُمْ غِيْلَةً أَرْبَعَةً^(٦)

عَرَانِينَ كُلُّهُمْ مَا جِدُّ كَثِيرُ الدَّسَائِعِ وَالْمَنْفَعَةِ^(٧)

فَهَلَّا حَضَرْتَ غَدَاةَ الْبَقِيْعِ لَمَّا اسْتَمَاتَ أَبُو صَعْصَعَةٍ^(٨)

وَلَكِنْ كَرِهْتَ شُهُودُ الْوَعْيِ وَكُنْتُمْ كَذَلِكَ فِي الْمَعْمَةِ^(٩)

سِرَاعاً إِلَى الْقَتْلِ فِي خُفْيَةٍ بِطَاءٍ عَنِ الْقَتْلِ فِي جَمْعَةٍ^(١٠)

(١) التيمورية : « وإذا اغتربت » ب ، ح : « اعربت » صوابهما في ل .
(٢) المدح : جمع مدحة بالكسر . لسان حائك : يحوك الشعر والكلام حوكا : ينسجه ويلائم بين أجزائه ، كما يصنع الحائك وهو النساج . ما عدال : « خائط » تحريف . صنع : صانع حاذق . والبيت من قصيدة لحسان في ديوانه ٢٤٨ — ٢٥١ يعارض بها الزبرقان ابن بدر .

(٣) أبو مهديّة الأعرابي ترجم في (٢ : ٢٨١) .
(٤) البيت لحسان بن ثابت ، كما سبق في حواشي (١ : ٢٢٠) .
(٥) ترجم في ص ٢٣ من هذا الجزء .
(٦) القيلة ، بالكسر : الاغتيال ، وهو أن يخدعه ثم يقتله . ما عدال : « عيلة » تحريف .
(٧) العرانيين : جمع عرينين ، وهم السادة والأشراف . والدسائِع : جمع دسيعة ، وهي العطية .

(٨) البقيع : مقبرة أهل المدينة في داخلها . الستميت : الشجاع الطالب للموت . ب ، ح مع أثر تغيير في الأخيرة : « لما استمال » .
(٩) المعمة : استعار نار الحرب ، أو صوت المقاتلة فيها .
(١٠) ما عدال : « في المجمة » .

وأنشد الأصمعي :

آتِي النَّدَى فَلَ يُقَرَّبَ مَجْلِسِي وَأَقُودَ لِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ حِمَارِيَا^(١)
وقال حبيب بن أوس :

كَالْخُوطِ فِي الْقَدِّ وَالْفَزَالَةِ فِي الْبَهِّ جَعِ وَابْنِ الْغَزَالِ فِي غَيْدِهِ^(٢)
وَمَا حَكَاهُ ، وَلَا نَعِيمَ لَهُ ، فِي جَيْدِهِ بَلْ ذَكَاهُ فِي جَيْدِهِ^(٣)
إِلَى الْمَفْدَى أَبِي يَزِيدَ الَّذِي يَضِلُّ غَمْرُ الْمُلُوكِ فِي ثَمَدِهِ^(٤)
ظِلُّ عُقَاةٍ يُحِبُّ زَاثِرَهُ حُبَّ الْكَبِيرِ الصَّغِيرِ مِنْ وَلَدِهِ^(٥)
إِذَا أَنَاخُوا بِيَسَابِهِ أَخَذُوا حُكْمَهُمْ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ^(٦)

وقال أيضاً :

لِعَمْرُكَ مَا كَانُوا ثَلَاثَةً إِخْوَةً وَلَكِنْهُمْ كَانُوا ثَلَاثَ قِبَائِلٍ^(٧)

- (١) الندى : مجلس القوم . وأنشده في الحيوان (٦ : ٤٨٦) مسبوفاً بقوله : « وقال آخر ووصف ضعفه وكبر سنه » . وأنشده في اللسان (شرف) شاهداً للشرف بمعنى المكان العالي . وعقب عليه بقوله : « يقول لاني خرفت فلا ينتفع برأيي ، وكبرت فلا أستطيع أن أركب من الأرض حمارى إلا من مكان عال » . ورواية اللسان : « حمارى » موضع « حماريا » .
- (٢) الأبيات من قصيدة له في ديوانه ٩١ — ٩٥ يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني . مطلعها :
ما لك كئيب الحمى إلى عقده ما بال جرعاته إلى جرده
- الخطوط ، بالضم : الفصن الناعم . والفزالة : الشمس عند طلوعها ، أو عند ارتفاعها . وابن الغزال عني به الظي . والغيد : ميل العنق ولين الأعطاف .
- (٣) الجيد : طول العنق في حسن .
- (٤) أبو يزيد : كنية خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني . وفيه يقول أبو تمام أيضاً :
وإذا رأيت أبا يزيد في ندى ووغى ومبدى غارة ومعيدا
- والغمر : الماء الكثير . والتمد : القليل . يقول : إن قليله أعظم من كثير غيره من الملوك ، فكثيرهم مستصغر في جانب قليله .
- (٥) العقاة : جمع عاف ، وهو الطالب .
- (٦) أخذوا حكمهم ، أى كل ما يرغبون . ويعنى أيضاً أن فعله مطابق قوله ، وإنجازته مصاحب وعده .
- (٧) من أبيات لأبي تمام يرثى بها بني حيد الطوسي ، وهم أبو نصر ، وقصطبة ، وعبد .

ومن خطباء الخوارج

قطري بن الفجاءة^(١)، أحد بني كابية بن حرقوص^(٢)، وكنيته أبو نعامه في الحرب، وفي السلم أبو محمد. وهو أحد رؤساء الأزارقة. وكان خطيباً فارساً، خرج زمن مُصعب بن الزُّبير، وبقى عشرين سنة. وكان يدين بالاستعراض^(٣) والسَّباء، وقتل الأطفال. وكان آخر من بُعث إليه سفيان بن الأبرد الكلبي^(٤). وقتله سوره بن أبيجر الدارمي، من بني أبان بن دارم.

ومن خطباء الخوارج وشعرائهم وعلماهم:

حبيب بن خدره^(٥)، عداة في بني شيبان، وهو مولى لبني هلال بن عامر^(٦).

ومن علماهم وخطبائهم وأئمتهم:

الضحاك بن قيس^(٧)، أحد بني عمرو بن مُحَلَّم بن ذُهل بن شيبان، ويكنى

(١) ترجم في (١ : ٣٤١).

(٢) كابية، بالبلاء بعدها ياء تحتية، من قولهم كبا الزند يكبو، إذا لم يور ناراً. وم بنو كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم. الاشتقاق ١٢٤ — ١٢٥. ل : « كائنة » ما عدال : « كنانة »، صوابهما ما أثبت.

(٣) الاستعراض : أن يعترض الناس يقتلهم. انظر اللسان (عرض ٣٩). وفي أمالي القالي (١ : ١١٩) : « ويقال خرجوا يضربون الناس عن عرض، يريدون : عن شق وناحية، لا يبالون من ضربوا. ومنه استعراض الخوارج الناس، إذا لم يبالوا من قتلوا ». وفي الكامل ٦١٦ ليسك : « وقال أبو يهس : الدار دار كفر والاستعراض فيها جائز ؟ وإن أصيب من الأطفال فلا حرج ». فهو اصطلاح خاص بالخوارج في هذا المعنى.

(٤) ترجم في (١ : ٦١).

(٥) خدره بالخاء، كما سبق في ترجمته (١ : ٣٤٦). ل : « جدره » تحريف.

(٦) ما عدال : « لهلال بن عامر ».

(٧) ترجم الضحاك بن قيس بن خالد في (١ : ٣٨٠).

أبا سعيد . ملك العراق ، وصلى خلفه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وعبد الواحد ابن سليمان^(١) . وقال شاعرهم^(٢) .

ألم تر أن الله أظهر دينه . وصلت قريش خلف بكر بن وائل^(٣)
ومن علمائهم وخطبائهم نصر بن ملحان ، وكان الضحّاك ولأه الصلاة
بالناس ، والقضاء بينهم .

ومن علمائهم مليل^(٤) ، وأصغر بن عبد الرحمن^(٥) ، وأبو عبيدة كورين ، واسمه
مسلم ، وهو مولى لعروة بن أذينة^(٥) .

ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وقعدهم وأهل الفقه : عمران بن حطان^(٦)
٢٣٦ ويكنى أبا شهاب ، أحد بني عمرو بن شيان^(٦) بن ذهل بن ثعلبة .

ومن الخوارج من بني ضبة ثم أحد بني صَبّاح^(٧) : القاسم بن عبد الرحمن
١٠ ابن صديقة^(٨) . وكان ناسباً عالماً داهياً ، وكان يشوب ذلك بعض الظرف .
ومن علمائهم ونسبائهم وأهل اللسن منهم ، الجون بن كلاب ، وهو من
أصحاب الضحّاك .

ومن رجالهم وأهل النجدة والبيان منهم ، خراشة^(٩) ، وكان ركاضاً ، ولم
١٥ يكن اعتقده .

أخبرني أبو عبيدة قال : كان مساراً مستخفياً بالبصرة ، فتخلّصت إليه

(١) في (١ : ٣٤٣) أنه « سليمان بن هشام » . وهو المطابق لما ورد في الطبرى (٩ : ٦٤) .

(٢) هو شبيل بن عزرة الضبعي . الطبرى (٩ : ٦٤) .

(٣) سبق البيت في (١ : ٣٤٣) . وفي الطبرى : « فصلت » .

(٤) انظر ما سبق في (١ : ٣٤٧) .

(٥) كان إياضياً من الصفرية . انظر ما مضى في (١ : ٣٤٧) .

(٦) ترجم في (١ : ٤١) .

(٧) ما عدال : « صبيح » .

(٨) ترجم في (١ : ٣٤٣) . ما عدال : « صديق » تحريف .

(٩) ل : « جراشة » بالجيم .

فأخبرني أنه الذي طعن مالك بن علي في فيه ، وذلك أنه فتح فاه يقول : أنا أبو علي ! فاتحاً فاه^(١) ، فطعنته في جوف فمه^(٢) .

ومن شعرائهم عتبان بن وصيلة الشيباني^(٣) ، وهو الذي يقول :
ولا صلح ما دامت منابر أرضنا يقوم عليها من ثقيف خطيب

* * *

وعن عيسى بن طلحة قال :

قلت لابن عباس : أخبرني عن أبي بكر . قال : كان خيراً كله ، على الحدة
وشدة الغضب .

قال : قلت أخبرني عن عمر . قال : كان كالطائر الحذر ، قد علم أنه قد
نُصب له في كل وجه حباله ، وكان يعمل لكل يوم بما فيه ، على غنف السباق .
قال : قلت : أخبرني عن عثمان . قال : كان والله صَوَّاماً قَوَّاماً ، لم يخذعه
نومه عن يقظته .

قلت : فصاحبكم ؟ قال : كان والله مملوءاً حِلماً وعِلماً ، غرته سابقته
وقرابته^(٤) ، وكان يرى أنه لا يطلب شيئاً إلا قدر عليه . قلت : أكنتم ترونه
محدوداً^(٥) ؟ قال : أنتم تقولون ذاك .

(١) في هامش التيمورية ما يشير إلى أنها في نسخة : « فشحا بها فاه » . أي فتح .

(٢) ما عدال : « جوب فمه » .

(٣) وصيلة ، بفتح الواو ، واشتقاقه من وصيلة الغنم كما نص ابن دريد . وعتبان ذكره
ابن دريد في الاشتقاق ٢١٦ في رجال شيبان . وأنشد له يقول لعبد الملك .

فإنك إلا ترض بكر بن وائل أنه يكن لك يوم بالعراق عصب

(٤) سابقته ، أي سبقه إلى الإسلام . وكانت على رضى الله عنه أول من

آمن من الصبيان .

(٥) المحدود : المحروم من الخير ، والذي لا يوفق إلى صواب . وانظر مثل هذا

الكلام لابن عباس في مروج الذهب (٣ : ٦٠) حين سأله معاوية .

كلام في الأدب

قال معاوية : ما رأيتُ سرفاً قطُّ إلا وإلى جنبه حقٌّ مضيع .

وقال عثمانُ بن أبي العاص : الناكح مغترس ، فليُنظر امرؤُ أين يضع غرسه^(١) .

وقالت هندُ بنت عُتبة : المرأة غُلٌّ ، ولا بدَّ للعنق منه ، فانظر مَنْ تضعه في عنقك^(٢) .

وقال ابن المُقَفَّع : الدِّينُ رِقٌّ فانظر عند مَنْ تضعُ نفسك .

وقال عمرو بن مسعدة^(٣) ، أو ثابتُ أبو عبَّاد : لا تستصحبُ من يكون

٢٣٧ استمتاعه بمالك وجاهك * أ كثر من إمتاعه لك بِشُكر لسانه ، وفوائد علمه .

ومن كانت غايته الاحتيال على مالك ، وإطراءك في وجهك فإن هذا لا يكون إلا ردى الغيب ، سريعاً إلى الذم .

(١) سبقت وصية عثمان بن أبي العاص في (٢ : ٦٧) .

(٢) الغل ، بالضم : جامعة توضع في العنق أو اليد . وفي الحديث : « وإن من النساء

غلا فلا يقذفه الله في عنق من يشاء ثم لا يخرجها إلا هو » .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ١٠٦) .

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

قد قلنا في صدر هذا الجزء الثالث في ذكر العصا ووجوه تعرض فيها .
وذكرنا من مقطعات كلام النُّسَّاك ، ومن قصار مواضع الزُّهَّاد ، وغير ذلك
مما يجوز في نواذر المعاني وقصار الخطب .

ونحن ذاكرون ، على اسم الله وعونه ، صدرأ من دُعاء الصَّالحين والسَّلف
المتقدِّمين ، ومن دُعاء الأعراب ؛ فقد أجمعوا على استحسان ذلك واستجادته ؛
وبعض دُعاء الملهوفين ، والنُّسَّاك المتبتلين .

وقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ مَا يَعْبُوْهُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ .
وقال : ﴿ اذْعُوْنِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ . وقال : ﴿ يَدْعُوْنَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ . وقال :
﴿ وَالمُسْتَغْفِرِيْنَ بِالْاَسْحَارِ ﴾ . ١٠

قالوا : كان عمرو بن معاوية العُقَيْلِيُّ^(١) يقول : اللهم قنني عثرات الكرام
والكلام^(٢) .

وقال أعرابيٌّ لرجل سأله : جعلَ الله الخَيْرَ عليك دليلاً ، ولا جعلَ حظَّ
السَّائِلِ منك عِذْرَةً صادقة^(٣) .

وقال بعضُ كرام الأعراب ممن يقرض الشعر ويؤثر الشكر : ١٥

(١) كان عمرو بن معاوية العُقَيْلِيُّ من أصحاب الولايات . وفي عيون الأخبار (١ : ١١٦)
« قيل لعمرو بن معاوية العُقَيْلِيُّ — وكان صاحب صوائف — : بم ضبطت الصوائف ؟ أي
الثغور . قال : بسمانة الظهر وكثرة الكعك والقديد » .

(٢) في عيون الأخبار (٣ : ١٧٥) : « اللهم بلغني عثرات الكرام » . على أن
القول نسب إلى أعرابي في (١ : ٤٠٥) . ٢٠

(٣) العذرة ، بكسر العين : العذر ، قال النابغة :

ها إن قاة عذرة إن لم تكن نعت فإن صاحبها قد قاه في البلد
وقد مضى الخبر في (١ : ٤٠٤) .

لعلَّ مُفِيدَاتِ الزَّمانِ يُفِدَنِي ^(١) بنى صامتٍ في غير شيء يَضِيرُهَا ^(٢)
قال شيخُ أعرابيٍّ : اللهمَّ لا تُنْزِلْنِي ماءً سَوًّا ، فأكونَ اسراً سوءً ^(٣) .
قال : وسمعتُ عُمرَ بنَ هُبَيْرَةَ يقولُ في دعائه : اللهمَّ إني أعوذُ بك من صديقٍ
يُطْرِي ، وجَلِيسٍ يُغْرِي ، وَعَدُوٍّ يُسْرِي ^(٤) .

قال : وكتب ابنُ سَيَّابَةَ ^(٥) إلى صديقٍ له ، إمّا مُسْتَقْرِضاً وإمّا مُسْتَقْرِضاً ^(٦) ،
فذكرَ صديقَهُ خَلَّةً شَدِيدَةً ، وكثرةَ عِيَالٍ ، وتَعَذُّراً للأُمُورِ عليه ، فكتبَ إليه ابنُ سَيَّابَةَ :
« إن كنتَ كاذباً فجعلك اللهُ صادقاً ، وإن كنتَ مَلِيماً ^(٧) فجعلك اللهُ معذوراً » .
وقال الأصمعيُّ : سمعتُ أعرابياً يقولُ : أعوذُ بك من الفَوَاقِرِ والبَوَاقِرِ ^(٨)
٢٣٨ * ومن جَارِ السَّوءِ في دارِ المُقَامَةِ وَالظَّنِّ ^(٩) ، وما يَنْكُسُ برأسِ المرءِ ويُغْرِي به
لثامُ النَّاسِ .

قال الأصمعيُّ : قيل لخالِدِ بنِ نَضَلَةَ ^(١٠) : قال عبدُ يغوثَ بنِ وَقَّاصٍ ^(١١) ما أَدُمُّ ،
ما فيها إلّا عَطْنِي ^(١٢) ، ليس خالِدُ بنُ نَضَلَةَ ^(١٣) . يعني مُضَرَّ . قال خالِدُ : اللهمَّ

(١) سبق البيت في (١ : ٤٠٥) .

(٢) مضى الخبر في (١ : ٤٠٥ / ٢ : ٢٨٣) والحيوان (٣ : ٤٧٢) .

(٣) ما عدال : « مطر » و « مفر » و « مسر » .

(٤) هو إبراهيم بن سيابة ، كما في (١ : ٤٠٥) . والأغاني (١١ : ٦) .

(٥) الاستقراض : طلب القرض . وبالفاء طلب القرض ، وهو أن يفرض له عطاء .

(٦) المليم ، بفتح الميم : الملوم . ل والأغاني : « ملوما » . على أن الخبر قد نسب في

تاريخ بغداد (٧ : ٥٧) إلى بشر بن غياث المريسي . ولفظه : « إن كنت معتذراً بباطل

فجعلك الله معتذراً بحق » .

(٧) الفواقِر : جمع فاقرة ، وهي الداهية تنكسر فقار الدهر . والبواقِر : جمع باقرة ،

عنى بها الداهية أيضاً . وفي مجالس ثعلب ٥٤٠ : « اللهم إني أعوذ بك من العواقِر والنواقِر » .

(٨) الظعن ، بسكون العين وفتحها : الارتحال .

(٩) خالد بن نضلة الأسدي : فارس مشهور من فرسانهم . وله ذكر في يوم النصار ، إذ

كان رئيس أسد يومئذ . انظر كامل ابن الأثير .

(١٠) ترجم في (٢ : ٢٦٧) .

(١١) ما أَدُمُّ ، أي ما أقول إلا حقا . عطني : جمع عطين ، كجريح وجرحى . وفي

اللسان : « ورجل عطين : متين الإهاب . ويقال : إنما هو عطينة ، إذا ذم في أمر » .

(١٢) ليس ، هنا ، من أدوات الاستثناء ، مثلها في قوله :

إِنْ كَانَ كَاذِبًا فَاقْتُلْهُ عَلَى يَدِ الْأُمِّ حَتَّى فِي مُضَرٍّ ! فَقَتْلُهُ تَيْمَ الرَّبَابِ .
 قالوا : وقف سائلٌ من الأعراب على الحسن فقال : رحم الله عبداً أعطى
 من سعة ، وآسى من كفاف ، وآثر من إقلة .
 وقال : في الأثر المعروف : « حصّنوا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا أمواج
 البلاء بالدعاء » .

ومن دعائهم : أعوذُ بك من بَطَرِ الغنى ، وذِلَّةِ الفقر .
 قال : ومن دعاء السلف : اللهم احمِلْنَا مِنَ الرَّجُلَةِ ^(١) ، وأَغْنِنَا مِنَ الْعَيْلَةِ .
 وسأل أعرابيٌ فقيل له : بُورِكَ فَيْكَ ! فتوالى ذلك عليه من غير مكان ،
 فقال : وَكَلَّكُمْ اللَّهُ إِلَى دَعْوَةٍ لَا تَحْضُرُهَا نِيَّةٌ .
 وقال أعرابيٌ : أعوذُ بك من سُقْمٍ وَعَدَوَاهُ ، وذَى رَجِمٍ وَدَعَوَاهُ ، ومن
 فَاجِرٍ وَجَدَوَاهُ ، ومن عملٍ لَا تَرْضَاهُ .
 وسأل أعرابيٌ فقال له صبيٌّ من جوف الدار : بُورِكَ فَيْكَ ! فقال : قَبِّحَ
 اللَّهُ هَذَا الْفَمَ ، لَقَدْ تَعَوَّدَ الشَّرَّ صَغِيرًا ^(٢) !
 وهذا السائل هو الذى يقول :

رُبَّ عَجُوزٍ عَرِمَسٍ زَبُونٍ ^(٣) سَرِيعَةِ الرَّدِّ عَلَى الْمُسْكِينِ
 تَحَسَّبُ أَنَّ « بُورِكَ » تَكْفِينِي إِذَا غَدَوْتُ بِاسْطًا يَمِينِي
 وقال آخر : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَكُرْبَتِهِ ، وَعَلَى الْقَبْرِ وَغَمَّتِهِ ، وَعَلَى الْمِيزَانِ

ليت هذا الشهر شهر لا نرى فيه غريبا
 ليس لي إياى وإياك ولا نخفى رقبيا

(١) أى بدل الرجل ، والرجلة ، بالضم : السفر على الرجلين .

(٢) ما عدال : « لقد تعلم » .

(٣) أنشده ثعلب في المجالس ٤٠ هـ . وقال : « العرمس : الشديدة . وزبون : تدفع »
 وأنشده في اللسان (عرمس) وقال رواية عن ابن سيدة : « لا أدري ، أهو من صفات
 الشديدة أم هو مستعار فيها » .

وَحِفَّتَهُ ، وَعَلَى الصَّرَاطِ وَزَلَّتْهُ ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ .

وَقَالَتْ عَجُوزٌ وَبَلَغَهَا مَوْتُ الْحَبَّاجِ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَتُّهُ فَأَمِتْ سُنَّتَهُ .

قَالَ وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى الدُّنْيَا بِالْغَنَى ،

وَعَلَى الْآخِرَةِ بِالتَّقْوَى .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ^(١) اللَّهُمَّ أَغْنِنِي بِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ ، وَلَا تُفْقِرْنِي .

٢٣٩ بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنْكَ .

وَقَالَ عَمْرُو : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى الدُّنْيَا بِالقِنَاعَةِ ، وَعَلَى الدِّينِ بِالْعِصْمَةِ .

قَالَ : وَمَرَضَ عَوْفُ بْنُ أَبِي جَحِيلَةَ^(٢) ، فَعَادَهُ قَوْمٌ فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ :

دَعُونَا مِنَ الثَّنَاءِ ، وَأَمِدُّونَا بِالدُّعَاءِ .

١٠ قَالَ : وَسَمِعْتُ عَمْرَ بْنَ هَبِيرَةَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ طُولِ الْغَفْلَةِ

وِإِفْرَاطِ الْغِطْنَةِ . اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَوْلِي فَوْقَ عَمَلِي ، وَلَا تَجْعَلْ أَسْوَأَ عَمَلِي مَقَارِبَ أَجَلِي .

وَقَالَ أَبُو مَرْجَحٍ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا وَلِيَ أَجَلِي .

قَالَ : وَدَعَتْ أَعْرَابِيَّةٌ لِرَجُلٍ فَقَالَتْ : كَبَتَ^(٣) اللَّهُ كُلَّ عَدُوِّ لَكَ ،

إِلَّا نَفْسَكَ .

١٥ وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ جَبَلٍ : أَحْرُسْ أَخَاكَ إِلَّا مِنْ نَفْسِهِ .

قَالَ : وَدَعَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : اللَّهُمَّ هَبْ لِي حَقَّكَ ، وَأَرْضَ عَنِّي خَلْقَكَ .

قَالَ : وَكَانَ قَوْمٌ نُسَّاكَ^(٤) فِي سَفِينَةٍ فِي الْبَحْرِ ، فَهَاجَتِ الرِّيحُ بِأَمْرِ هَائِلٍ ،

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ قَدْ أَرَيْتُنَا قَدْرَتَكَ فَأَرِنَا عَفْوَكَ وَرَحْمَتَكَ .

(١) ترجم في (٢٣ : ١) .

(٢) ترجم في (٣٧ : ٢) .

٢٠

(٣) كبته : صرعه ، وأخزاه ، وكسره ، وردّه بغيظه ، وأذله . ما عدال : «كب»

كبه : قلبه وصرعه .

قال : وسمع مُطَرِّف بن عبد الله^(١) رجلاً يقول : أستغفر الله وأتوبُ إليه !
فأخذَ بذِراعِهِ وقال : لعلَّكَ لا تفعل ! مَنْ وعدَ فقد أوجبَ .

وقال رجلٌ لابن قُثم : كيف أصبحت ؟ قال : إنَّ كان من رأيك أن تسُدَّ
خَلَّتِي ، وتقضيَ ديني ، وتكسُوَ عورتِي خَبْرَتَكَ ، وإلا فليس السائل بأعجب
من الحبيب^(٢) .

وقال آخر : اللهم أمتِننا بخيارنا ، وأعِننا على شِرارنا ، واجعل الأموالَ
في سُمحائنا .

وقال أعرابيٌّ : اللهم إِنَّكَ قد أمرتَنَّا أن نَعفُوَ عَمَّن ظلمنا ، وقد ظلمنا أنفسنا
فاعفُ عَنَّا .

وقال أعرابيٌّ ورأى إبِلَ رجلٍ قد كَثُرَتْ بعدَ قِلَّةٍ ، فقليل له : إِنَّهُ قد زَوَّجَ
أُمَّهُ فجاءته بناجِخة^(٣) ، فقال : اللهم إِنَّا نعوذ بك مِن بعض الرِّزْقِ .
أبو مجيب الرُّبَعي^(٤) قال : قال أعرابيٌّ : جَنَّبَكَ اللهُ الأَمْرَيْنِ ، وكفَّاكَ
شَرَّ الأَجُوفَيْنِ .

الأجوفان : البَطْنُ والفَرْجُ . والأَمْرانِ : الجُوعُ والعُرْيُ .
وجاء في الحديث : « من وُقِيَ شَرَّ قَبَقَبِهِ وذَبَذَبِهِ وَلَقَلَقِهِ فقد وُقِيَ
الشَّرَّ »^(٥) .

(١) ترجم في (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) . وكلمة « بن عبد الله » من ل فقط .

(٢) ما عدال : « فليس الحبيب بأعجب من السائل » .

(٣) ما عدال : « بناجِخة مال » أي إبِل . والناجِخة : الإبل يحصل عليها الرجل فتكثر بها
إبله . وكانت العرب تقول في الجاهلية للرجل إذا ولدت له بنت : هنيئاً لك الناجِخة . أي المظنة
لمالك . وذلك أنه يزوجه فيأخذ مهرها من الإبل فيضممها إلى إبله فينفجها ، أي يرفعها ويكثرها .
(٤) ترجم في (١ : ٣٧٣) .

(٥) ما عدال : « فقد وقى الشر كله » . والحديث رواه البيهقي عن أنس . وذكر
السيوطي في الجامع الصغير ٩٠٧٣ أنه حديث ضعيف . وقد ورد تفسير الحديث فقط ، في
مجالس ثعلب ٥٤٠ بقوله : « القبقب : البطن . والذذبذب : الذكر . واللاقق : اللسان » .

وقال أعرابي : مَنَحَكُمُ اللهُ مَنَحَةً لَيْسَتْ بِجَدَاءٍ وَلَا نَكَدَاءٍ^(١) ،
ولا ذاتِ داء .

٢٤٠ قال : * قيل لإبراهيم الحَلَمِيُّ^(٢) : أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ لَوْلَا حِدَّةُ فَيْكَ ! قال :
أَسْتَغْفِرُ اللهَ يَمَّا أَمْلَكَ ، وَأَسْتَصْلِحُهُ مَا لَا أَمْلَكَ .

✓ وقال أعرابيٌّ ومات ابنُ له : اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَهُ مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ بَرٍّ ،
فَهَبْ لَهُ مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ طَاعَتِكَ .

الفضل بن تميم^(٣) قال : قال أبو حازم^(٤) : لَأَنَا مِنْ أَنْ أُمْنَعَ الدَّعَاءَ أَخَوْفُ
مَنْنِي مِنْ أَنْ أُمْنَعَ الإِجَابَةَ .

قال : ولما صَافَّ قَتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ التُّرْكَ وَهَالَهُ أَسْرُهُمْ سَأَلَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
وَاسِعٍ^(٥) ، وقال : انظروا ما يصنع ؟ فقالوا : ها هو ذاك في أقصى الميمنة جانحاً على
سِيَةِ قَوْسِهِ^(٦) ، يُنَضِّنُضُ بِإَصْبَعِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ^(٧) . قال قَتَيْبَةُ : تِلْكَ الإِصْبَعُ الْفَارِدَةُ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ ، وَسَنَانٍ طَرِيرٍ^(٨) .

(١) المنحة ، بالكسر : أن يمنح الرجل أخاه ناقة أو شاة ليحلبها زماناً أو أياماً ثم
يردها . والجداء : القليلة اللبن . والنكداء : القليلة اللبن أيضاً .

(٢) الحَلَمِيُّ : نسبة إلى بني محلم بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب . ومعلم ،
بكسر اللام المشددة . ما عدال : « البجلي » نسبة إلى بجيلة .

(٣) سبقت رواية له في ص ٢١٩ . ولم أعثر له على ترجمة .

(٤) أبو حازم الأعرج ، مضت ترجمته في (١ : ٣٦٤) . وهذا السند وخبره من ل
فقط . على أن هذا القول يروى لزياد بن أبي زياد الخزومي ، كما سبق في ص ١٢٦ من هذا الجزء .

ولكن نسبته إلى أبي حازم مثبتة في عيون الأخبار (٢ : ٢٨٦) كما سبقت الإشارة .

(٥) محمد بن واسع الأزدي ، ترجم في (١ : ٣٥٣) .

(٦) جانحاً : مائلاً . وسية القوس : رأسها .

(٧) النضنضة : التحريك . ما عدال : « يبضبض » ، تحريف .

(٨) الفاردة : المنفردة ، والمنتحية . والشهير : الذي شهره صاحبه ، أي سله وأبرزه .

والطيرير : المحدد .

وقال سعيد بن المسيب^(١) ، وصرَّ به صِلَّةُ بن أَشِيم^(٢) : يا أبا الصَّهْبَاء ، ادعُ الله لي بدَعوات . قال : زهدك الله في الفاني ، ورغبك في الباقي ، ووهب لك يقيناً تسكنُ إليه^(٣) .

أبو الدَّرْداء قال : إنَّ أبغضَ الناس إلىَّ أنْ أظلمه مَنْ لم يستعن عليَّ إلا بالله .

وقال خالد بن صفوان : احذروا مجانيق الضَّعفاء^(٤) ! يعني الدُّعاء .

وقال : لا يُستجاب إلا لمُخلصٍ أو مظلوم .

قال : وكان عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : اللهمَّ إنَّ ذُنُوبِي لا تضرُّك ، وإنَّ رحمتك إيَّاي لا تنقصُك ، فاغفر لي ما لا يضرك ، وأعطني ما لا ينقصُك . ١٠

وقال أعرابيٌّ : اللهمَّ إنك حبست عنا قطرةَ السماء ، فذاب الشَّحم ، وذهب اللحم ، ورقَّ العظم ، فارحم أنين الآنة ، وحنين الحانَّة . اللهمَّ ارحم تحيرها في مراتعها ، وأنينها في سمرابضها .

قال : وحجَّت أعرابيَّة فلما صارت بالموقف قالت : أسألك الصُّحبة ، يا كريم الصُّحبة ، وأسألك سترك الذي لا تُزيله الرِّياح ، ولا تُخرِّقه الرِّماح . ١٥
قيل لعليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه : كم بين الأرض والسماء^(٥) ؟ قال :

(١) المسيب ، هذا بكسر الياء ، وتفتح أيضا ، كما في القاموس . وترجمة سعيد في (١ : ٢٠٢) .

(٢) ترجم في (١ : ٣٦٣) .

(٣) هذا الخبر جميعه من ل فقط .

٢٠

(٤) مجانيق : جمع منجنيق ، وهي آلة كانت تستعمل للرمي بالحجارة ونحوها في القتال . وهو من الألفاظ اليونانية العربية ، ولفظه في اليونانية : Magganon . انظر تحقيق الأب أنستاس في مجلة الثقافة العدد ١٠٠ . وقد مضى هذا النص في (١ : ٣٥٢) .

(٥) ما عدل : « بين السماء إلى الأرض » . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ٢٠٨) .

دعوة مُستجابة . قالوا : كم بين المشرق إلى المغرب ؟ قال : مسيرة يومٍ للشمس ، ومن قال غيرَ هذا فقد كذب .

٢٤١ قال : وحجّ أعرابيٌّ فقال : اللهمَّ إن كان رزقي في السماء فأنزِلْهُ ، وإن كان في الأرض فأخْرِجْهُ ، وإن كان نائياً فقَرِّبْهُ ، وإن كان قريباً فيسرّه .

أبو عثمان البقّطري^(١) ، عن عبد الله بن مسلم الفهري^(٢) قال : لما وليَ مسروق^(٣) السَّلسِلة^(٤) انبرى له شابٌّ فقال له : وقاك الله خشيةَ الفقر وطولَ الأمل ، حتى لا تكونَ دريةً للشفهاء^(٥) ، ولا شيناً على الفقهاء^(٦) .

وقال أعرابيٌّ في دعائه : اللهم لا تُخَيِّبْنِي وأنا أرجوك ، ولا تَعَذِّبْنِي وأنا أدعوك . اللهم فقد دعوتُك كما أمرتني ، فأجِبْنِي كما وعدتني .

وقال عبدُ الله بنُ المبارك : قالت عائشة : يا بُنَيَّ لا تطلبوا ما عند الله من عند غير الله بما يسخط الله .

قال : وقال رجلٌ من النُّسَّاك : إن ابْتُليْتَ أن تدخل مع ناسٍ على الشَّيطان فإذا أخذوا في الثَّناء فعليك بالدُّعاء .

وكان الفضل بن الربيع يقول : مسألة الملوك عن حالهم من تحيية النّوَكِي وتقرُّبِ الحمقى ، عليكم بأوجزِ الدُّعاء^(٧) .

٩٥

(١) ما عدال : « البقّطري » . وبقطر ، بفتح الباء وضماً ، من قرى صعيد مصر .

(٢) ب ، ج : « سلم » بدل « مسلم » .

(٣) مسروق ، هذا ، هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني ، كان من عباد أهل الكوفة وكبار محدثهم ، وولاه زياد على السلسلة ، ومات بها سنة ٦٣ وله ثلاث وستون سنة . تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١١) .

٩٠

(٤) السلسلة : موضع ، لم يذكره ياقوت .

(٥) الدرية : مسهل الدريئة ، وهي الحلقة التي يتعلم الراي الطعن والرمي عليها .

(٦) الشين : العيب . ما عدال : « شينا للفقهاء » .

(٧) هذا الخبر في ل فقط . وقد سبق برواية أخرى في (٢ : ٢٥٦) . وانظر ما سيأتي

٢٥

وقال الكذاب الحرمازي^(١) :

لا همَّ إن كانت بنو عميرة رهطُ التلبِ دعوةً مستورة^(٢)
قد أجمعوا لحلفة مصبوره^(٣) واجتمعوا كأنهم قارورة^(٤)
في غنم وإبل كثيرة فابث عليهم سنة قاشورة^(٥)
تخلق المال احتلاق النورة^(٦)

وقال أعرابي :

لا همَّ أنتَ الربُّ تُستغاثُ لك الحياةُ ولك الميراثُ
وقد دعاكَ الناسُ فاستغاثوا غيائهم وعندك الغياثُ

(١) الكذاب ، لقب له ، وهو عبد الله بن الأعور ، أحد بني الحرماز بن مالك بن عمرو
ابن تميم . ولقب بالكذبة . وهو القائل :
لست بكذاب ولا أنام ولا بجذام ولا مصرام
ولا أحب خلة اللثام

وقال يهجو قومه :

إن بني الحرماز قوم فيهم عجز وإيكال على أخيه
فابث عليهم شاعراً ينجزهم يعلم منهم مثل علمي فيهم
الشعر والشعراء ٦٦٥ والمؤتلف ١٧٠ .

(٢) الرجز روى في اللسان (تلب) بدون نسبة ، وكذلك البيتان السادس والسابع منه
في (قشر) ، والأول والثاني والسادس والسابع في (حلق) . قال : « والتلب رجل من
بني العنبر » . الدعوة ، بالكسر : النسب المصطنع ؛ وبالفتح : المخالفة . وفي اللسان (تلب ،
قصر ٤١٥) : « هؤلاء مقصوره » . قال في (قصر) : « مقصورة أي خلصوا فلم يخالطهم
غيرهم من قومهم » .

(٣) عين الصبر ، هي التي تؤخذ من صاحبها يا كراه . وفي الحديث : « من حلف على
عين مصبورة » ، أي صبر عليها وحبس حتى حلف بها ، فأسند الصبر إلى العين مجازاً . اللسان
(صبر) . ما عدال : « الحنقة مقصوره » ، تحريف . وفي اللسان : « لغندرة مشهوره » .
(٤) القارورة : وعاء من الزجاج يوضع فيه الشراب . أراد كما يجتمع الشراب
في القارورة .

(٥) قاشورة : مجذبة تقشر كل شيء ، كما في اللسان (قشر) عند إنشاد هذا البيت
وتاليه . والبيت وتاليه في المخصص (١٠ : ١٧٠) أيضاً . وفي المخصص : « ثم أتت سنة »
وصواب الرواية ما هنا .

(٦) تخلق المال : تخلق به ، أي تذهب به . والمال : الإبل . والنورة بالضم : حجر يحرق
ويسوى منه الكلس ، ويخلق به .

ولم يكن سَيْبُكَ يُسْتَرَاثُ^(١) لم يبقَ إِلَّا عِكرشُ أَنْكَاثُ^(٢)
 وشيعةٌ أَصُولُهَا مِثَاثُ^(٣) وطاحت الألبان والأرماثُ^(٤) ٢٤٢

* * *

- وكان سعد بن أبي وقاص يسمّى : « المستجاب الدعوة » .
 وقال لعمر حين شاطره ماله : لقد هممتُ . فقال له عمر : لتدعو الله على ؟
 قال : نعم . قال : إذن لا تجدني بدعاء ربّي شقيّاً .
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كم من ذى طمرين لا يُؤْبَهُ له
 لو أقسم على الله لأَبْرَهُ^(٥) » . منهم البراء بن مالك^(٦) . واجتمع الناسُ إليه وقد
 دَهِمهم العدو ، فأقسم على الله ، ففزعهم الله أكتافهم^(٧) .
 الأصمعيّ وأبو الحسن قالا : أخبرنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد^(٨) ، عن
 أبيه ، أو عن غيره ، قال :

- (١) هذا البيت في ل فقط . السيب : العطاء . يسترث : يستبطأ . والريث : البطء .
 (٢) العكرش : نبات خشن ، وفي أطراف ورفة شوك . أنكاث : متفرقة ، كما
 ينكث الحبل ، وهو أن ينقض وينكث خيوطه بعد إبرامها .
 (٣) في الأصول : « وشيخ » ولا يستقيم بها الوزن ، والشبيعة : المشبكة . ب ، ج :
 « مِثَاث » التيمورية « مِثَاث » وأثبت ما في ل .
 (٤) الأرماث : جمع رمث ، وهو صرعى من صراعى الإبل ، من الحمض .
 (٥) الطمر ، بالكسر : الثوب الخلق . أبره : أجاب دعوته .
 (٦) هو الصحابي الجليل البراء بن مالك بن النضر ، أخو أنس بن مالك . شهد المشاهد
 كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما عدا بدر . وكان له القدح المعلى في النصر على
 مسيلمة يوم اليمامة ، إذ اقتحم الحديقة على المشركين وفتح بابها ، بعد أن لقي ما لقي من الطعن
 والضرب . الإصابة ٦١٧ .
 (٧) كان ذلك يوم تستر في حرب المسلمين الفرس أيام عمر سنة ٢٠ ، إذ انكشف
 المسلمون فقالوا : يابراء ، أقسم على ربك . فقال : أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم
 وألحقني بنبيك . فحمل وحمل الناس معه ، فقتل مرزبان الزارة ، من عطاء الفرس ، وأخذ
 سلبه فانهزم الفرس ، وقتل البراء ، ودفن بتستر . الإصابة ومعجم البلدان .
 (٨) هو أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب بن الشهيد الأزدي البصري ، من ثقات الحديثين .
 توفي سنة ٢٠٣ . تهذيب التهذيب . وفي الخلاصة أنه توفي سنة ٢٣٠ .

بلغ سعداً شئاً ففعله المهلب في العدو ، والمهلب يومئذٍ فتى ، فقال سعد :
« اللهم لا تره ذلاً ! » . فيرون أن الذي ناله المهلب بتلك الدعوة .

وقال آخر :

الموت خيرٌ من ركوب العارِ والعارُ خيرٌ من دخول النارِ .
* والله من هذا وهذا جارِ *

قالها الحسن بن علي رضي الله عنهما^(١) .

وقال الآخر^(٢) ، وكان قد وقع في الناس وباء جارفٌ ، وموتٌ ذريع ، فهرب
على حماره ، فلما كان في بعض الطريق ضربَ وجهَ حماره إلى حية وقال :
١٠ لن يسبقَ الله على حمارٍ ولا على ذى مئمةٍ مطارٍ^(٣)
أو يأتي الحنفُ على مقدارٍ^(٤) قد يصبحُ الله أمامَ السارى

قال : سمع مجاشعُ الرِّبَعِيُّ رجلاً يقول : الشَّحيحُ أعذرُ من الظالم ! فقال
إنَّ شَيْئَيْنِ خَيْرُهُمَا الشُّحُّ لِنَاهِيكَ بهما شرًّا^(٥) .

١٥ قال المغيرة بن عُيَيْنَةَ^(٦) : سمع عمرُ بن الخطاب رحمه الله رجلاً يقول
في دعائه : اللهم اجعلني من الأقلين ! قال له عمر : ما هذا الدعاء ؟ قال : سمعت

(١) ما عدال : « حسين » بدل : « الحسن » .

(٢) هذه القصة على وجوه شتى في الحيوان (٣ : ٤٦١) وتأويل مختلف الحديث

١٢٥ وزهر الآداب (٤ : ١٣١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٢٥) .

٢٠ (٣) المئمة : أنشط الجرى . والمطار والطيّار : الحديد الفؤاد الماضى . ويصح أن تقرأ

« مطار » بفتح الميم وشد الطاء ، وهو السريع العدو .

(٤) هذا البيت من ل فقط . وفي الحيوان : « الحين » موضع « الحنف » .

(٥) سبق الخبر بلفظ آخر في (١ : ٤٠٥) .

(٦) ما عدال : « المغيرة بن عنبسة » .

٢٤٣ الله يقول : ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ ، وسمعتُه يقول : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .
فقال عمر : عليك من الدعاء بما يُعرف .

وقال ناسٌ من الصحابة لعمر : ما بالُ الناس كانوا إذا ظلموا في الجاهلية فدعوا استجيب لهم ونحن لا نستجيب لنا وإن كنا مظلومين ؟ قال : كانوا ولا مزاجر لهم إلا ذاك^(١) ، فلما نزل الله عز وجل الوعد والوعيد ، والحدود ، والقود والقصاص ، وكلهم إلى ذلك .

وقال عمر بن الخطاب : إن في يوم كذا وكذا من شهر كذا لساعة لا يدعو الله فيها أحدٌ إلا استجيب له . فقال له قائل : رأيت إن دعا فيها منافق ؟ قال : فإن المنافق لن يوفق لتلك الساعة .

ولما صعد المنبر قابضاً على يد العباس يوم الاستسقاء ، ولم يزد على الدعاء والاستغفار^(٢) ف قيل له : إنك لم تستسق وإنما كنت تستغفر . قال : « قد استسقيت بمجاديع السماء^(٣) » . ذهب إلى قوله : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ﴾ .

وكان عمرُ يحمل الهَرْمُزَانَ مع جماعة في البحر فغرقوا . قال ابن سيرين : لو كان دعا عليهم بالهلاك لهلكوا .

قال : وقال محمد بن علي^(٤) لابنه : يا بُنَيَّ إذا أنعم الله عليك نعمةً فقل :

(١) مزاجر : جمع مزجر .

(٢) ما عدال : « بالاستغفار » ، محرف .

(٣) مجاديع : جمع مجدح ، بالكسر ، وزاد الياء فيه للإشباع ، وهو جازم مطرد في مثل هذا عند الكوفيين . والمجدح : نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنه يطر ، يعملونه من الأنواء . فأراد عمر لإبطال زعمهم في الأنواء والتكذيب بها . يقول : إن الاستغفار هو ما يستق به فهو النوء الذي يترقب به المطر ، لا تلك النجوم . انظر اللسان (جدح) حيث أورد الخبر وفسره .

(٤) محمد بن علي بن الحسين ، أبو جعفر الباقر ، المترجم في (١ : ٢٦٢) . وانظر

وصية أخرى له يوصي بها ابنه ، في صفة الصفوة (٢ : ٦١) .

الحمد لله . وإذا حَزَبَكَ ^(١) أمرته فقل : لا حول ولا قوة إلا بالله . وإذا أبطأ عنك رزق ^(٢) فقل : أستغفر الله .

قالوا : كان محمد بن علي لا يُسمع المبتلى الاستعاذة من البلاء ^(٣) .
قال : وقال قومٌ ليزيد بن أسد : أطال الله بقاءك ! قال : دَعُونِي أُمْتُ وَفِيَّ بَقِيَّةٌ تَبْكُونُ بِهَا عَلِيٌّ .

ورأى سالم بن عبد الله ^(٤) سائلاً يسأل يوم عرفة فقال : يا عاجزُ ، في هذا اليوم تسأل غير الله !؟

قال : وكان رجلٌ من الحكماء يقول في دعائه : اللهم احفظني من الصديق .
وكان آخر يقول : اللهم اكفني بوائق الثقات ^(٥) .

وحدثني صديق لي ^(٦) كان قد ولي ضياع الرمي قال : قرأتُ على باب شيخٍ منهم : « جزى الله من لا نعرف ولا يعرفنا أحسن الجزاء ، ولا جزى من نعرف ويعرفنا إلا ما هو أهله ، إنه عدلٌ لا يُجْر » .

* وكان على رُشوم عُمر بن مهران التي كان يرشُم بها على الطعام ^(٧) : ٢٤٤ :
« اللهم احفظه ممن يحفظه » .

وقال المغيرة بن شعبه ^(٨) في كلام له : أن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور ،
والجل الصَّوُول ^(٩) .

- (١) حزه الأمر : نابه واشتد عليه . ما عدل : « حزنك » .
(٢) ما عدل : « الرزق » . (٣) سبق الخبر وتخريجه في ص ١٥٨ من هذا الجزء .
(٤) سالم بن عبد الله بن عمر ، ترجم في (٢ : ٢٩١) .
(٥) البوائق : الفوائل والشرور والدواهي ، جمع بائقة .
(٦) هو إبراهيم بن عبد الوهاب ، كما في الحيوان (٥ : ٥٩٤) عند إيراد هذا الخبر بلفظ فيه بعض الخلاف .
(٧) الرشوم : جمع رشم ، وهو الخاتم الذي يختم به على البر وغيره من الحبوب . والخبر في عيون الأخبار (٢ : ٢٠٨) بلفظ : « ممن يحفظه » .
(٨) سبق ترجمته في (١ : ٣٢٧) .
(٩) في الحيوان (٢ : ١٧٣) : « وقال المغيرة لرجل خاصم إليه صديقاً له ، وكان =

أبو الحسن قال : قالت امرأة من الأعراب : « اللهم إني أعوذُ بك من شرِّ قريشٍ وثقيف ، وما جمعت من الأقيف ؛ وأعوذُ بك من عبدٍ مَلَكَ أمره ، ومن عبدٍ مَلَأَ بطنه » .

قال : مرَّ عمرُ بن عبد العزيز برجلٍ يُسَبِّحُ بِأَصَى فإذا بلغ المائة عَزَلَ حَصَاةً ، فقال له عمر : ألقِ الحصى وأخلص الدعاء .

وكان عبدُ الملك بن هلال الهنَّاع^(١) عنده زَنَبِيلٌ مَلَانِ حَصَى ، فكان يَسْبِّحُ بِوَاحِدَةٍ وَاحِدَةٍ ، فإذا مَلَ شَيْئاً طَرَحَ ثِنْتَيْنِ ثِنْتَيْنِ ، ثم ثلاثاً ثلاثاً ، فإذا مَلَ قَبْضَ قَبْضَةٍ وقال : سبحانَ اللهِ بعددِ هذا ، فإذا مَلَ شَيْئاً قَبْضَ قَبْضَتَيْنِ وقال : سبحانَ اللهِ بعددِ هذا ، فإذا ضَجَرَ أَخَذَ بِعُرْوَتَيِ الزَّنَبِيلِ وَقَلَبَهُ ، وقال : سُبْحَانَ اللهِ بعددِ هذا كله^(٢) ، وإذا بَكَرَ لِحَاجَةٍ لَحَظَ الزَّنَبِيلَ لِحَظَةً^(٣) وقال : سبحانَ اللهِ عددَ ما فيه .

قال غيلان^(٤) : إذا أردت أن تتعلَّم الدعاء ، فاسمَعْ دعاء الأعراب^(٥) .

قال سعيد بن المسيَّب : مرَّ بِي صِلَةُ بن أَشِيم^(٦) ، فما تمالكت أن نهضت إليه فقلت : يا أبا الصَّهْبَاء ، ادعُ اللهَ لِي . فقال : رَغَبَكَ اللهُ فيما يَبْقَى ، وزَهَّدَكَ فيما يَفْنَى^(٧) ، ووهب لك اليقينَ الذي لا تسكُنُ النفوسُ إلا إليه ، ولا تُعَوِّلُ في الدِّينِ إلا عليه .

== الصديق توعده بصداقة المفيرة . فأعلمه الرجل ذلك وقال : إن هذا يتوعدني بعرفتكَ إياه ، وزعم أنها تنفعه عندك . قال : أجل ، إنها والله لتنفع ، وإنها لتنفع عند الكلب العقور .

العقور : ما يعقر ، أى يعص ويخرج . والصَّوْلُ : الذى يعدو على صاحبه ويؤايبه .

(١) الهنَّاعى ، بضم الهاء : نسبة إلى هناة بن مالك بن فهم . والخبر فى عيون الأخبار .

(٢) (٥٩ : ٢) مع خلاف فى اللفظ .

(٣) هذه الكلمة من ل فقط .

(٤) هو غيلان أبو مروان الدمشقي ، المترجم فى (١ : ٢٩٥) .

(٥) مضى هذا القول فى (٢ : ١٦٤) .

(٦) ترجم فى (١ : ٣٦٣) .

(٧) ل : « بقى » ، تحريف .

أبو الحسن قال : سمع رجلٌ بمكة رجلاً يدعو لأُمِّه ، فقال له : ما بال أبيك ؟
قال : هو رجلٌ يَحْتالُ لنفسه^(١) .

أبو الحسن عن عُروة بن سليمان العبدى قال : كان عندنا رجلٌ من بنى تميم
يدعو لأُمِّه ويدعُ أُمِّه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنها كَلْبِيَّة !
ورفع أعرابى يده بمكة قبل الناس فقال : اللهم اغفر لى قبل أن يدهمك
الناس !

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحبُّ المُلْحِنَ فى * الدعاء » . ٢٤٥
وقال آخر : دعوتان أرجو إحداها وأخاف الأخرى^(٢) : دعوة مظلوم
أعنته ، ودعوة ضعيفٍ ظلمته .

قال : كان من دعاء أبى الدرداء : اللهم أمتعنا بخيارنا ، وأعنا على شِرارنا ،
واجعلنا خياراً كلنا ، وإذا ذهب الصالحون فلا تُبقنا .
وقال آخر لبعض السُّلطان^(٣) : أسألك بالذى أنت بين يديه أذلُّ منى بين
يديك ، وهو على عِقابك أقدرُ منك على عقابى ، إلّا نظرت فى أمرى نظراً من
برئى أحبُّ إليه من سقمى^(٤) .

قالوا : كان مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير^(٥) يقول : اللهم إنك أمرتنا
بما أمرتنا به^(٦) ولا تقوى عليه إلّا بعونك ، ونهيتنا عما نهيتنا ولا ننتهى عنه
إلّا بمعصمتك ، واقعةً علينا حُجَّتُك ، غيرُ معذورين فيما بيننا وبينك ، ولا مَبْخُوسِينَ
فيما عملنا لوجهك .

(١) الخبر فى عيون الأخبار (٢ : ٥٨ س ١٢ — ١٣) .

(٢) ما عدل . « كما أخاف الأخرى » .

(٣) كذا وردت الكلمة ، أراد بعض أهل السلطان .

(٤) ل : « من براءتى إليه أحب من سقمى » .

(٥) ترجم فى (١ : ١٠٣ ، ٣٥٣) .

(٦) هذه الكلمة من ل فقط .

عبد العزيز بن أبان^(١) ، عن سفيان^(٢) ، في قوله : ﴿ دَعَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ ﴾ : كان أحدهم إذا أراد أن يدعو قال : سبحانك اللهم .

سفيان^(٣) عن ابن جريج^(٤) ، عن عكرمة^(٥) ، قال في قوله تعالى : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ قال : كان موسى عليه السلام يدعو وهارون يؤمن ، فجعلهما الله داعيين .

قال : لما وقع يونس في البحر وقد وُكِّل به حوتٌ ، فلما وقع ابتلقه فأهوى به إلى قرار الأرض^(٦) ، فسمع تسبيح الحصى ، فنادى يونس في الظلمات ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ قال : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ

١٠ (١) هو عبد العزيز بن أبان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ابن أمية ، ذكروا أنه كان يضع الحديث على سفيان الثوري . وكان قد ولي قضاء واسط ثم عزل فقصد بغداد فنزلها . وتوفي سنة ٢٠٧ . تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد ٥٦٠٤ .

(٢) سفيان هذا ، هو سفيان الثوري ، وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري السكوني . ونسبته إلى ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة ، وكان يسمى « أمير المؤمنين في الحديث » . وقالوا : كتب عن ألف ومائة شيخ . وكان حافظا فقيها محدثا زاهدا . ولد سنة ٩٨ . وتوفي سنة ١٦١ . تهذيب التهذيب ، والخلاصة ، وتذكرة الحفاظ (١ : ١٩٠) وصفة الصفوة (٣ : ٨٢) ، وتاريخ بغداد ٤٧٦٣ .

(٣) سفيان هذا ، هو سفيان بن عيينة المترجم في (١ : ١٠٤ / ٢ : ٤٧) .

(٤) ابن جريج ، هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي المسكي ، أصله رومي ، روى عن عطاء والزهرى وعكرمة وغيرهم ، وروى عنه وكيع وابن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهم . ٢٠ كان من فقهاء أهل الحجاز وقراءهم ومتقنينهم وعبادهم . توفي سنة ١٥٠ وهو ابن سبعين سنة تهذيب التهذيب وصفة الصفوة (٢ : ١٢٢) .

(٥) هو عكرمة البربري أبو عبد الله المدني . مولى ابن عباس ، وأصله من البربر ، كان الحصين بن أبي الحر العنبري ، فوهبه لابن عباس لما ولي البصرة . روى عن مولاة . وعلى بن أبي طالب ، وأبي هريرة وخلق ، وروى عنه النخعي والشعبي وغيرهم ، وكان من أعلم الناس بالتفسير . قدم مصر يريد المغرب ، وأحدث في أهل المغرب رأى الصفرية من الخوارج . ٢٥ ثم عاد إلى المدينة وتوفي سنة ١٠٤ في اليوم الذي توفي فيه كثير عزة ، فشهد الناس جنازة كثير وتركوا عكرمة . تهذيب التهذيب .

(٦) كلمة « قرار » مما عدال . وقد وضع لها في ل إشارة إلحاق .

كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ .

وفي الحديث المرفوع ، أَنَّ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَبَطْنٍ لَا يَشْبَعُ ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ » .

عَلِيُّ بْنُ سَلِيمٍ ، أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ^(١) قَالَ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حَمْدًا وَمَجْدًا ، فَإِنَّهُ لَا حَمْدَ إِلَّا بِفَعَالٍ ، وَلَا مَجْدَ إِلَّا بِمَالٍ^(٢) .

عَوْفٌ قَالَ^(٣) : قَالَ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِ الْحَسَنِ : لِيَهْنِثُكَ الْفَارِسُ ! قَالَ لَهُ ٢٤٦
الْحَسَنُ : فَلَعَلَّهُ خَامِرٌ^(٤) . إِذَا وَهَبَ اللَّهُ لِرَجُلٍ وَلَدًا فَقُلْ : شَكَرْتَ الْوَاهِبَ ،
وَبُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ ، وَرُزِقْتَ بِرَّه .

أَبُو سَلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ : مَا أَحْسَنَ تَعْزِيَةَ
أَهْلِ الْيَمِينِ ! وَتَعْزِيَتُهُمْ : لَا يَحْزُنُكُمْ اللَّهُ وَلَا يَفْتِنُكُمْ ، وَأَنَا بَكُمْ مَا أَثَابَ الْمُتَّقِينَ
الشَّاكِرِينَ^(٥) ، وَأَوْجِبَ لَكُمْ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ .

قَالَ : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ — رَحِمَهُ اللَّهُ — إِذَا عَزَّى رَجُلًا قَالَ : لَيْسَ مَعَ الْعَزَاءِ
مُصِيبَةٌ ، وَلَا مَعَ الْجَزَعِ فَائِدَةٌ . الْمَوْتُ أَشَدُّ مَا قَبْلَهُ ، وَأَهْوَنُ مَا بَعْدَهُ . اذْكُرُوا
فَقَدْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَهْنَأُ عِنْدَكُمْ مُصِيبَتَكُمْ^(٦) . صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ،
وَعَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكُمْ .

(١) قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ دَلِيمٍ ، تَرْجَمَ فِي (١ : ٢٥١) .

(٢) مَضَى الْخَبَرُ فِي (٢ : ١٤٧) .

(٣) بَدَلَهُ فِيمَا عَدَالٍ : « وَقَالَ » فَقَطْ . وَعَوْفُ بْنُ أَبِي جَمِيلَةَ تَرْجَمَ فِي (٢ : ٣٧) .

(٤) الْخَامِرُ : ذُو الْخَمَارِ ، كَمَا يَقَالُ فَارِسٌ لَذِي الْفَرَسِ . اللَّسَانُ (حَمْر) . مَا عَدَالٍ :

« خَامِرٌ » تَصْغِيفٌ .

(٥) كَلِمَةُ « الشَّاكِرِينَ » مِنْ لَفْظٍ فَقَطْ .

(٦) لَ : « تَذَلُّ » بَدَلُ : « تَهْنَأُ » .

وكان علي بن أبي طالب — رحمه الله — إذا عَزَى قوماً قال : إن تجزعوا فأهل ذلك الرَّحِم ، وإن تصبروا ففي ثواب الله عِوَضٌ من كلِّ فائت . وإنَّ أعظمَ مصيبةٍ أُصيبَ بها المسلمون محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وعَظَمَ أجرُكم . وعَزَى عبد الله بن عباس ، عمر بن الخطاب رحمهما الله ، على بني له مات ^(١) فقال : عَوَّضَكَ اللهُ مِنْهُ ما عَوَّضَهُ مِنْكَ .

وهذا الصبي الذي مات هو الذي كان عمر بن الخطاب قال فيه : ريحانةُ أشمها ، وعن قريب ولدٌ بارٌّ ، أو عدوٌّ حاضر .

* * *

سفيان قال : كان أبو ذرٍّ يقول : اللهمَّ أمتِنَّا بخيارنا ، وأَعِنَّا على شرارنا . قال : ودعا أعرابيٌّ فقال : اللهمَّ إني أعوذ بك من الفقر المذقع ، ^(٢) والذلِّ المضرِّع ^(٣) .

عَزَّتْ امرأة المنصور على أبي العباس ^(٤) ، مَقْدَمَهُ من مكة فقالت : عَظَّمَ اللهُ أجرَكَ ، فلا مصيبةَ أعظمُ من مصيبتِكَ ، ولا عِوَضَ أعظمُ من خِلافتِكَ . قالوا : وقال عمر بن عبد العزيز ، وقد سمعوا وقع الصَّواعق ^(٥) ، ودَوَى الرِّيح ، وصوت المطر ، فقال وقد فزع الناس : هذه رحمته فكيف نَقَمَتُهُ ! ^(٦) وقال أبو إسحاق ^(٧) : اللهمَّ إن كان عذاباً فاصرفه ، وإن كان صلاحاً فزِدْ فيه ، وهَبْ لَنَا الصَّبْرَ عند البلاء ، والشُّكْرَ عند الرِّخاء . اللهمَّ إن كانت

(١) ل : « عن بني له مات » . وانظر استعمال الجاحظ لكلمة « على » بعد التعزية في (٢ : ٧٤ ، ٨٢) وما سيأتي في س ١٢ من هذه الصفحة . ولم تتعرض المعاجم لتعيين الحرف الذي يستعمل بعد التعزية .

(٢) المذقع : الشديد ، وأدقعه : ألصقه بالدقماء ، وهي التراب . والمضرِّع : المذل .

(٣) أبو العباس السفاح وهو أخو المنصور .

(٤) ل : « وقوع الصواعق » .

(٥) المرجح أنه يعني به إبراهيم بن سيار النظام .

محنة فَمَنْ عَلَيْنَا بِالْعَصْمَةِ ، وَإِنْ كَانَ عِقَابًا فَمَنْ عَلَيْنَا بِالْمَغْفِرَةِ .

قال أبو ذرٍّ : الحمد لله الذي جعلنا من أمة تُغْفَرُ لَهُمُ السَّيِّئَاتُ ، ولا تُقْبَلُ مِنْ غَيْرِهِمُ الْحَسَنَاتُ .

وكان الفضلُ بن الربيع يقول : المسألة للملوك من تحية النوكى . فإذا أردت أن تقول كيف أصبحت ؟ فقل : صَبَّحَكَ اللهُ بِالْخَيْرِ . وإذا أردت أن تقول : كيف تحبُّدك ؟ فقل : أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الشِّفَاءَ وَالرَّحْمَةَ ^(١) .

قال أحمد الهُجَيْمِيُّ أبو عُمر ، أحد أصحاب عبد الواحد بن زيد ^(٢) :
اللَّهُمَّ يَا أَجْوَدَ الْأَجْوَدِينَ ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ ، وَيَا أَعْفَى الْعَافِينَ ،
وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَيَا أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ، وَيَا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ، فَارْجُ عَنِي فَرْجًا
عَاجِلًا تَامًّا ، هَنِيئًا مَبَارَكًا لِي فِيهِ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . ١٠

وكان عبد الله الشَّقْرِيُّ ، وهو الكعبيّ ، أحد أصحاب المِضْمَارِ ^(٣) ، من غلمان عبد الواحد بن زيد — وكنية عبد الواحد أبو عبيدة — يقول :

اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ . اللَّهُمَّ هَبْ لِي
يَقِينًا ، وَأَدِمْ لِي الْعَافِيَةَ ، وَافْتَحْ عَلَيَّ بَابَ رِزْقِي فِي عَافِيَةٍ ^(٤) . وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ
النَّارِ وَالْعَارِ ، وَالْكَذِبِ وَالسُّخْفِ ^(٥) ، وَالْخُسْفِ وَالْقَذْفِ ^(٦) وَالْحِقْدِ وَالْغَصَبِ . ١٥
وَحَبِّبْنِي إِلَى خَلْقِكَ ، وَحَبِّبْهُمْ إِلَيَّ . وَأَسْأَلُكَ فَرْجًا عَاجِلًا فِي عَافِيَةٍ ، إِنَّكَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

(١) انظر ما سبق في ص ٢٧٥ .

(٢) ترجم في (١ : ٢٦٤) .

(٣) المِضْمَار : الموضع الذي يضم فيه الخيل . وتضمير الخيل : أن تغلف حتى تسمن ثم
ترد إلى القوت الضروري فيذهب رهلها ويشتد لحمها ، وذلك في أربعين يومًا . ٢٠

(٤) ل : « رزق في عافية » .

(٥) السخف ، بالضم والفتح : رقة العقل وضعفه .

(٦) الخسف : الذل والنقصان والهوان . والقذف : السب ، والرمى بالزنا .

دعاء الغنوى فى حبسه

أعوذُ بك من السَّجْنِ والدَّيْنِ ، والسَّبِّ والضَّرْبِ ، ومن الغُلِّ والقَيْدِ ،
ومن التعذيب والتحجيس . وأعوذُ بك من الخَوْرِ بعد الكَوْرِ ^(١) ، ومن شرِّ
القدوى فى النفس والأهل والمال . وأعوذُ بك من الخُوف والحَزَن ، وأعوذُ
بك من الهمِّ والأرقِّ ، ومن الهَرَبِ والطلبِ ^(٢) ، ومن الاستخذاء والاستخفاء ^(٣) ،
٢٤٨ • ومن الإطراد والإغراب ^(٤) ، ومن الكذب والعصية ^(٥) ، ومن السَّعاية
والنميمة ، ومن لُوم القدرة ، ومَقام الخِزْيِ فى الدُّنيا والآخرة ، إنَّك على كلِّ
شئٍ قدير .

ومن دعائه فى الحبس

١٠ أسألك اللهم طولَ العمرِ فى الأمن والعافية ، والحِلْم والعِلْم والحزم ، والأخلاق
الحسنة والأفعال المرضيَّة ، واليسرَ واليسير ، والنَّاء والتمثير ، وطيبَ الذِّكر
وحُسْنَ الأحَدُوثِ ، والمحَبَّة فى الخاصَّة والعامة . وهَبْ لى ثباتَ الحُجَّة ،
والتَّأييدَ ^(١) عند المنازعة والمخاصمة ، وبارِكْ لى فى الموت إنَّك على كلِّ شئٍ قدير .

١٥ (١) الخور بالفتح : النقصان . والكور بالفتح أيضا : الزيادة . وكان هذا من دعاء
النبي صلى الله عليه وسلم . اللسان (حور ، كور) .
(٢) أى من أن أهرب فأطلب .
(٣) الاستخذاء : الخضوع .
(٤) يقال : طرده السلطان وأطرده : أمر بإخراجه عن بلده . والإغراب والتفريب :
أن ينفي عن بلده .

(٥) العصية : الإفك والبهتان والنميمة .

(٦) ل : « والتأنى » .

وكان صالحُ المَرِيّ^(١) كثيراً ما يردّد في مجلسه :

أعوذُ بك من الخسفِ والمسح ، والرّجفة والزّلزلة ، والصّاعقة والرّيح
المهلكة ، وأعوذُ بك من جهدِ البلاء ، ومن شَماتَةِ الأعداء .

وكان يقول : أعوذُ بك من التّعَب والتّعبُ ، والخيبةِ وسوءِ المنقلب .
اللهم من أرادني بخيرٍ فيسرّ لي خيره ، ومن أرادني بشرٍ فاكفني شرّه . اللهم
إني أسألك خِصبَ الرّحْل^(٢) ، وصلاحَ الأهل .

وكان عيسى بن أبي المُدَوَّر^(٣) يقول :

أعوذُ بك من القلّة والذلّة ، ومن الإهانة والمِهْنَة^(٤) ، والإخفاق والوُحْدَة .
وأعوذُ بك من الحيرة وقِلّة الحيلة ، وأعوذُ بك من جهدِ البلاء ، وشماتَةِ الأعداء .

محمد بن عبد الله^(٥) قال : قال عمر بن الخطاب رحمه الله : مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ
لم يُحْرَمِ الإجابة . قال الله : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ . ومن أُعْطِيَ الشُّكْرَ

عقيد الله

(١) ترجم في (١ : ١١٣) .

(٢) الرّحل : منزل الرجل ، ومسكنه ، وبيته .

(٣) ذكره الجاحظ في اللّحانين البلغاء . انظر (٢ : ٢٢٠) . وهو هناك بلفظ « عيسى
ابن المدور » .

(٤) المهنة ، بفتح الميم وكسرهما : الخدمة والابتذال .

(٥) هو محمد بن عبد الله العتيبي الأخباري ، من بني عتبة بن أبي سفيان ، كان هو وأبوه
سيدين أدبيين فصيحين ، وكان العتيبي شاعراً صاحب أخبار وآداب ، وقف يوماً بباب إسماعيل
ابن جعفر بن سليمان فطلب الإذن ، فقال له غلمانة : هو في الحمام . فقال :

وأُمير إذا أراد طعاماً قال غلمانة مضى الحماما
فيكون الجواب مني إلى الحا جب ما إن أردت إلا السلاما
لست آتيكم من الدهر إلا كل يوم ترون فيه صياما

توفي العتيبي سنة ٢٢٨ . وله كتاب الخيل ، كتاب الأعراب ، أشعار النساء اللاتي
أحببن ثم أبغضن . ابن النديم ١٧٦ والسمعاني ٣٨٣ .

لم يُحَرِّم الزَّيَادَةَ ، لقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ . ومن أُعْطِيَ الاستغفارَ لم يُحَرِّم القَبُولَ ، لقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : كونوا أوعية الكتاب ، وينابيع العلم ، وسألوا الله رزق يومٍ بيوم .

٢٤٩ وروى محمد بن علي^(١) عن آبائه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم * أنه قال : « إذا سألت الله فسأله ببطن الكفَّين ، وإذا استعذمتوه فاستعذموه بظاهرهما » .

وقال آخر : اللهم إني أعوذُ بك من بَطَرِ الْغِنَى ، وذِلَّةِ الْفَقْرِ .

١٠ أبو سعيد المؤدَّب^(٢) ، عن هشام بن عُمرَةَ^(٣) عن أبيه ، عن عائشة قالت : « سَلُوا رَبَّكُمْ حَتَّى الشُّنْعِ^(٤) ، فإنه إن لم يُيسِّرْهُ لم يَتيسَّرْ » .

سُحَيْم^(٥) ، عن طاوس^(٦) قال : يكفي من الدنيا^(٧) ما يكفي العجينة من الملح . قال : سأل رجلُ رجلاً حاجَةً ، فقال المسئول : اذهب بسلام . فقال السائل : قد أنصَفْنَا مَنْ رَدَّنَا إِلَى اللَّهِ فِي حَوَائِجِنَا .

١١ مُجَالِدٌ^(٨) عن الشَّعْبِيِّ قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ أَذْهِبْ مُلْكَ غَسَّانَ ، وَضَعْ مُهْوَورَ كِنْدَةَ^(٩) » .

قال عمر بن الخطاب : « لكل شيء رأسٌ ، ورأسُ المعروف تعجيله » .

(١) محمد بن علي أبو جعفر الباقر ، المترجم في (٢ : ٢٦٢) .

(٢) ترجم في (١ : ٢٥٢) . (٣) ترجم مع شيخه .

(٤) الشُّنْعُ : أحدُ سيور النعل ، وهو الذي يدخل بين الإصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام .

(٥) هو سُحَيْم بن حفص الأخباري ، المترجم في (١ : ٤٠) .

(٦) طاوس بن كيسان ، ترجم في (١ : ١٧٥) .

(٧) ل : « من الدعاء » تحريف .

(٨) مجالد بن سعيد ، ترجم في (١ : ٢٤٢) .

(٩) سبقت رواية الحديث في (٢ : ٢٨) .

القول في إنطاق الله عز وجل

إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، بالعربية المبيّنة على غير التلقين والتّمرين ، وعلى غير التّدريب والتّدرّيج ، وكيف صار عربياً أعجمياً الأبوين^(١) .

— وأول من عليه أن يُقرّ بهذا القحطانيّ ، فإنه لا بدّ من أن يكون له^(٢)

• أبٌ كان أوّل عربيّ من جميع بني آدم صلى الله عليه وسلم . ولو لم يكن ذلك كذلك وكان لا يكون عربياً حتى يكون أبوه عربياً وكذلك أبوه وكذلك جدّه ، كان ذلك موجّباً لأن يكون نوحٌ صلى الله عليه وسلم عربياً ، وكذلك آدمٌ صلى الله عليه وسلم .

قال أبو عبيدة : حدثنا مسمّع بن عبد الملك عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن آبائه قال : أول من فُتق لسانه بالعربية المبيّنة إسماعيل ، وهو ابن أربع عشرة سنة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « شهدت الفجّار^(٣) وأنا ابن أربع عشرة سنة ، وكنت أنبلُ على عمومتى » . [يريد : أجمع لهم النّبل] .

قال أبو عبيدة : فقال له يونس : صدقت يا أبا يسار^(٤) هكذا حدّثني ٢٥٠ نصر بن طريف^(٥) .

(١) المعجم : خلاف العرب . ما عدال : « أعجمي الأبوين » . والأعجمي والأعجم : الذي في لسانه عجمة لا يفصح بالعربية . (٢) له ، أي للقحطاني .

(٣) هو يوم الفجّار الآخر ، وقبله أيام ثلاثة : الفجّار الأول ، والثاني ، والثالث . وهذا اليوم الذي شهدته الرسول الكريم كان بين قريش وكنانة كلها وبين هوازن ، هاجه البراض بقتله عروة الرّحال . وسمى هذا اليوم ونظائره فجّاراً لأنها كانت في الأشهر الحرم التي كان يحرم فيها القتال . انظر خبره مفصلاً في العقد الفريد وكامل ابن الأثير والأغانى (١٩ : ٧٣ — ٨١) والعمدة (٢ : ١٦٩ — ١٧٠) والحزاة (٢ : ٥٠٤) .

(٤) لم أجد له ترجمة . (٥) في الكلام سقط ظاهر .

وروى قيس بن الربيع^(١)، عن بعض أشياخه عن ابن عباس : أن الله ألهم إسماعيل العربية إلهاماً .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ . قال : قد يرسل الله الرسول إلى قومه ، ولو أرسل في ذلك الوقت إلى قوم آخرين لما كان الثاني ناقضاً للأول . فإذا كان الأمر كذلك كان قومه أول من يفهم عنه ، ثم يصيرون حجة على غيرهم .

وإذا كان الله عز وجل قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى العجم فضلاً عن العرب ، فقحطان وإن لم يكونوا من قومه أحق بلزوم الفرض^(٢) من سائر العجم .

وهذا الجواب جواب عوام النزارية . فأما الخواص الخلص فإنهم قالوا :
العرب كلهم شيء واحد ؛ لأن الدار والجزيرة واحدة ، والأخلاق والشيم واحدة ، واللغة واحدة^(٣) ، وبينهم من التصاهر والتشابك ، والاتفاق في الأخلاق وفي الأعراق ، ومن جهة الخؤولة المرددة والعمومة المشتبكة ، ثم المناسبة التي بُنيت على غريزة التربة وطباع الهواء والماء ، فهم في ذلك بذلك^(٤) شيء واحد في الطبيعة واللغة ، والهمة والشاغل ، والمرعى والرأية ، والصناعة والشهوة .
فإذا بعث الله عز وجل نبياً من العرب فقد بعثه إلى جميع العرب ، وكلهم قومه ؛ لأنهم جميعاً يدُّ على العجم ، وعلى كل من حاربهم من الأمم ؛ لأن تناكحهم لا يعدوهم ، وتصاهرهم مقصور عليهم .

(١) هو قيس بن الربيع الأسدي الكوفي ، اختلف في توثيقه . روى عن السبيعي والأعمش والسدي ، وعنه الثوري ووكيع وعلي بن ثابت . توفي سنة ١٦٨ . تهذيب التهذيب .

(٢) ما عدل : « الفرض » .

(٣) « واللغة واحدة » من ل فقط .

(٤) هذه الكلمة من ل فقط .

قالوا : والمشكلة من جهة الاتفاق في الطبيعة والعادة ، ربّما كانت أبلغ وأوغل من المشكلة من جهة الرّحم . نعم حتى تراه أغلب عليه من أخيه لأُمّه وأبيه . وربّما كان أشبه به خلقاً وخلقاً ، وأدباً ومذهباً . فيجوز أن يكون الله تبارك وتعالى حين حوّل إسماعيل عربياً أن يكون كما حوّل طبع لسانه إلى لسانهم ، وباعدّه عن لسان العجم ، أن يكون أيضاً حوّل سائر غرائزه ، وسلخ سائر طبائعه ، فنقلها كيف أحب ، وربّها كيف شاء . ثم فضله بعد ذلك بما أعطاه من الأخلاق الحمودة ، واللسان البين ، بما لم يخصّهم به . فكذلك يخصّه ٢٥١ من تلك الأخلاق ومن تلك الأشكال ^(١) بما يفوقهم ويرُوقهم ^(٢) .

فصار بإطلاق اللسان على غير التلقين والترتيب ، وبما نُقل من طباعه ونقل إليه من طبائعه ، وبالزيادة التي أكرمه الله بها ، أشرف شرفاً وأكرم كرمًا .

وقد علمنا أن الخرس والأطفال إذا دخلوا الجنة وحوّلوا في مقادير البالغين ، وإلى الكمال والتمام ، لا يدخلونها إلّا مع الفصاحة بلسان أهل الجنة . ولا يكون ذلك إلّا على خلاف التّرتيب والتّدرّج والتّعليم والتّقويم .

وعلى ذلك المثال كان كلام عيسى بن مريم ، صلى الله عليه وسلم ، في المهد ، وإنطاق يحيى عليه السلام بالحكمة صبياً .

وكذلك القول في آدم وحواء عليهما السلام . وقد قلنا في ذنب أهبان

(١) ما عدال : « الدلائل » .

(٢) يقال راق فلان على فلان ، إذا زاد عليه فضلاً ، فهو رائق عليه . أنشد

ابن أوس^(١) ، وغراب نوح^(٢) ، وهدهد سليمان^(٣) ، وكلام النملة^(٤) ، وجمار غزير^(٥) ، وكذلك كل شيء أنطقه الله بقدرته ، وسخره لمعرفته .

وإنما يمتنع البالغ من المعارف من قبيل أمور تعرض من الحوادث ، وأمور في أصل تركيب الغريزة . فإذا كفاهم الله تلك الآفات ، وحصنهم من تلك الموانع ، ووفر عليهم الذكاء ، وجلب إليهم جياذ الخواطر ، وصرف أوهامهم إلى التعرف ، وحبب إليهم التبيين ، وقعت المعرفة وتمت النعمة .

والموانع قد تكون من قبيل الأخلاط الأربعة^(٦) على قدر القلة والكثرة ، والكثافة والرقّة . ومن ذلك ما يكون من جهة سوء العادة ، وإهمال النفس ، فعندها يستوحش من الفكرة ، ويستثقل النظر . ومن ذلك ما يكون من

- ١٠ (١) أهبان هذا ، هو أحد الصعابة . يروون أن الذئب كله ثم بصره بالرسول . قالوا : كان في غنم له ، فعدا الذئب على شاة منها فصاح فيه أهبان ، فألقى الذئب وقال له : أنتزع مني رزقاً رزقنيه الله . قال أهبان : فصفت بيدي تعجباً وقلت : والله ما رأيت ولا سمعت أعجب من هذا ! فقال : أعجب من هذا ورسول الله بين هذه النخلات — وأوماً إلى آيات المدينة — يحدث بما كان ويكون ، ويدعو إلى الله عباده . قال : فجيئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته بالقصة وأسألت . فكان يقال لأهبان : « مكلم الذئب » . انظر ثمار القلوب ٣٠٩ والحيوان (١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠ : ٧ / ٥٠ : ٢١٣ ، ٢١٧) .

(٢) انظر للكلام عليه ما ورد في الحيوان (١ : ٢٩٨ / ٢ : ٣١٨ ، ٣٢١ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠) .

(٣) خبره مذكور في القرآن في سورة النمل . وانظر الحيوان (١ : ٩٧ ، ٢٩١ /

٢٠ ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٧٧ / ٦ : ٣١٠ ، ٣٩ / ٧ : ٤٧) .

(٤) خبره كذلك في سورة النمل . وانظر الحيوان (٤ : ٨) .

(٥) هو الذي ورد ذكره في سورة البقرة ، أحياء الله بعد مائة عام من موته . وفيه قول الله تعالى : « أو كالذي صر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت ، قال لبثت يوماً أو بعض يوم ، قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه ، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً » . الآية ٢٥٩ من سورة البقرة ، وكتب التفسير ، وثمار القلوب ٤٦ والحيوان (١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠) .

(٦) الأخلاط : جمع خلط ، بالكسر ، وهو جسم رطب سيال يستحيل إليه غذاء البدن ، كما عرفه بذلك داود في تذكرته (١ : ٦٣) . والأخلاط الأربعة ، هي الدم ، والبلغم ،

والصفراء ، والسوداء .

الشواغل العارضة ، والقوى للتقسمة . ومن ذلك ما يكون من خرق المعلم ، وقلة رفق المؤدب ، وسوء صبر المثقف . فإذا صفي الله ذهنه ونقحه ، وهذبته وثقته ، ٢٥٢ وفرغ باله ، وكفاه انتظار الخواطر ، وكان هو المفيد له والقائم عليه ، والمريد لهدايته ، لم يلبث أن يعلم .

وهذا صحيح في الأوهام ، غير مدفوع في العقول .

وقد جعل الله الخلال أبا . وقالوا : « الناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم » . وقد رأينا اختلاف صور الحيوان ، على قدر اختلاف طبائع الأماكن (١) .

وعلى قدر ذلك شاهدنا اللغات والأخلاق والشهوات . ولذلك قالوا : « فلان ابن بجدتها » (٢) ، و « فلان بيضة البلد » (٣) ، يقع ذمًا ويقع حمداً .

وقال زياد : « والله للسكرفة أشبه بالبصرة من بكر بن وائل بتميم » . ١٠ ويقولون : « ما أشبه الليلة بالبارحة » ، كأنهم قالوا : ما أشبه زمان يوسف بن عمر بزمان الحجاج .

وقال سهيل بن عمرو (٤) : « أشبه امرأ بعض بزه » (٥) .

وقال الأضبط بن قريع : « بكل واد بنو سعد » (٦) .

(١) انظر الحيوان (٤ : ٧١ : ٥ / ٣٧٠ : ٦ / ٢٥ : ٧ / ١٠٠) .

(٢) يقولونه للدليل الحاذق . قال ابن فارس في مقاييس اللغة : « كأنه نشأ بتلك الأرض » . ويقال بجد بالمكان بجوداً وبجداً ، بالتحريك ، أى أقام به . ويقال هذا المثل أيضاً للعالم بالشىء المتقن له المميز .

(٣) البلد : أدعى النعام ، أو كل موضع مستحيز من الأرض . فمن أراد المدح أراد أنه واحد لا نظير له . ومن عني الذم أراد أنه كبيضة النعامة التي يحضنها غير صاحبها . وذلك أن النعامة تترك بيضتها وتتركها منفردة بدار مضیعة فيقع عليها غيرها من النعام فيحتضنها . انظر الحيوان (٢ : ٣٣٦ / ٤ : ٣٣٦) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة (٢ : ١٥٣) . ورووا في المدح قول على بن أبى طالب : « أنا بيضة البلد » . وفي الذم قول الراعى :

تأبى قضاة أن تدرى لكم نسباً وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

(٤) سبقت ترجمة سهيل في (١ : ٥٨) . ل : « مهيل » ما عدال : « سهل » صوابهما ما أثبت . وقد مضت نسبة المثل التالى إلى سهيل بن عمرو في (٢ : ٢٦٤) .

(٥) البر : الثياب . وقد مضى بلفظ : « أشبه امرؤ » .

(٦) هو مثل قولهم : « بكل واد أثر من ثعلبة » . الميداني (١ : ٩٤ ، ٨٤) . وكان الأضبط قد تأذى من قومه بنو سعد فتحول عنهم إلى آخرين ، فلما رأى ظلمهم وعسفهم قال : =

ولولا أن الله عزَّ وجلَّ أفرَدَ إسماعيلَ من المعجم ، وأخرجَه بجميع معانيه إلى العرب ، لكان بنو إسحاق أولى به . وإنما ذلك كرجلٍ قد أحاط علمُه بأنَّ هذا الطَّفل من نجلِ هذا الرَّجل ، ولمَّا كان من سيفاحٍ لم يُحزَّ أن يضيفه إليه ويدعوَه أباه . وقد جعلَ اللهُ نَسَبَ ابنِ الملائنة نَسَبَ أمِّه ^(١) ، وإن كان وُلِدَ على فراش أبيه .

وقد أرسل الله موسى وهارون ، إلى فرعون وقومه وإلى جميع القِبْط ، وما أُمَّتَان : كنعانيٌّ وقِبْطيٌّ .

وقد جعلَ اللهُ قومَ كلِّ نبيٍّ هم المبلَّغين والحجَّة . ألا تَرَى أَنَّا نَزَعُمُ أَنَّ عَجَزَ العرب عن مِثْلِ نَظْمِ القرآن حجَّةٌ على المعجم من جهة إعلام العرب المعجم أَنَّهُم كانوا عن ذلك عَجَزَة .

وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « خُصِّصْتُ بِأُمُور : منها أَنِّي بُعِثْتُ إلى الأحمر والأسود ^(٢) ، وأُحِلَّت لِي الغنائم ، وجُعِلَتْ لِي الأرضُ طَهُورًا » . ٢٥٣ فدلَّ بذلك على أَنَّ غيرَه من الرُّسُل إنما كان يُرْسَل إلى الخاصِّ . وليس يجوز

== « بكل واد بنو سعد » . الحيوان (١ : ٣٥٨ / ٣ : ١٠٤ / ٤ : ٣٩٤) .

١٥ (١) الملائنة ، هي التي لاعت الوالى بينها وبين زوجها إذا رماها برجل أنه زنى بها . فيبدأ بالرجل ويقفه حتى يقول : أشهد بالله إنها زنت بفلان ، وإنه لصادق فيما رماها به . فإذا قال ذلك أربعاً قال في الخامسة : وعليه لعنة الله إن كان من الكاذبين . ثم يقيم المرأة فتقول أيضاً أربع مرَّات : أشهد بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا . ثم تقول في الخامسة : وعلى غضب الله إن كان من الصادقين . فإذا فرغت من ذلك بانت منه ولم تحل له أبداً . وإن كانت حاملاً فجاءت بولد فهو ولدها ولا يلحق بالزوج .

٢٠ (٢) الأحمر والحمراء : المعجم الذين يكون البياض غالباً على ألوانهم ، مثل الروم والفرس ومن صاقبهم . والعرب إذا قالوا فلان أبيض وفلانة يبيضاء فعناه الكرم في الأخلاق لا لون الخلقة ، وإذا قالوا فلان أحمر وفلانة حمراء عنت بياض اللون . ومنه في الحديث : « خذوا شطر دينكم من الحمراء » يعني عائشة رضي الله عنها . وذلك لبياضها . والأسود : العرب ؛ لأن الغالب على ألوانهم السمرة والأدمة . وقيل الأحمر : الإنس للدم الذي فيهم ، والأسود : الجن . انظر اللسان (حر) .

لمن عَرَفَ صِدْقَ ذَلِكَ الرَّسُولِ مِنَ الْأَمَمِ أَنْ يَكْذِبَهُ وَيُنْكِرَ دَعْوَاهُ . وَالَّذِي عَلَيْهِ تَرَكَ الْإِنْكَارَ وَالْعَمَلَ بِشَرِيعَةِ النَّبِيِّ الْأَوَّلِ .

هَذَا فَرْقٌ مَا بَيْنَ مَنْ بُعِثَ إِلَى الْبَعْضِ ، وَمَنْ بُعِثَ إِلَى الْجَمِيعِ .

قال : وقال حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ ^(١) يَوْمَ السَّقِيفَةِ ^(٢) :

« أَنَا جُذَيْلُهَا الْحَكَّكُ ^(٣) ، وَعُذَيْقُهَا الْمُرْجَبُ ^(٤) ، إِنْ شَتَمَ كَرَرْنَاها

(١) الحباب بن المنذر بن الجحوح بن زيد الأنصاري ، كان من أصحاب الرأي يوم بدر ، لما نزل رسول الله بأصحابه في أدنى ماء من بدر ، فقال الحباب : يا رسول الله ، هذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأق أدنى ماء من القوم ، فننزله ثم نفور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأي ! مات الحباب في خلافة عمر ، وقد أربى على الحسين . الإصابة ١٥٤٧ والسيرة ٤٣٩ جوتجن .

(٢) هي سقيفة بني ساعدة ، من بني كعب بن الحزرج ، رهط سعد بن عباد . المعارف ٥٠ . والسقيفة : الصفة ، وكل بناء مسقوف . وكان الأنصار والمهاجرون قد اجتمعوا في تلك السقيفة بعد وفاة الرسول . وكان عمر قد زور شيئاً في نفسه يقوله ، فلما نهض ليشكلم قال له أبو بكر : على رسالك ، وخطب فيهم الخطبة التي رواها الجاحظ فيما يلي . فلما قضى أبو بكر كلامه نهض رجل وقال الكلمة التي رواها الجاحظ منسوبة إلى الحباب . فلما فرغ منها كثر اللفظ وارتفعت الأصوات ، فلما أشفق عمر من الاختلاف قال لأبي بكر : ابسط يدك أبايعك . فبسط يده فبايعه عمر والمهاجرون والأنصار . وكان ذلك في السنة الحادية عشرة من الهجرة . تاريخ الطبري (٣ : ٢٠٠ — ٢٠١) . ولم يعين الطبري في (٣ : ٢٠١) صاحب الكلمة التالية . والجاحظ في الحيوان (١ : ٣٣٦) نسبها إلى الحباب . وفي اللسان (جذل) نسبتها إلى سعيد بن عطار ، أو الحباب بن المنذر . ونس الطبري في (٣ : ٢٠٩) أنه الحباب ، وذكر أنه قال في أول خطبته : « يا معشر الأنصار ، املكوا على أيديكم ، ولا تسموا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، فإن أبوا عليكم ما سألتهم فأجلوم عن هذه البلاد » وتولوا عليهم هذه الأمور ، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم ، فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين . أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، أما والله لئن شتّم لنعيدها جذعة .

(٣) الجذيل : مصغر الجذل ، بالكسر ، وهو العود ينصب للإبل الجربي تتحكك به .

يقول : إنه يشتقي برأيه كما تشتقي الإبل بهذا الجذل الذي تحتك إليه .

(٤) العذيق : تصغير العذق ، بفتح العين ، وهو النخلة يحملها . والمرجب ، من =

جَذَعَةٌ^(١) . مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، فَإِنْ عَمِلَ الْمُهَاجِرِيُّ شَيْئًا فِي الْأَنْصَارِيِّ رَدَّ عَلَيْهِ الْأَنْصَارِيُّ ، وَإِنْ عَمِلَ الْأَنْصَارِيُّ شَيْئًا فِي الْمُهَاجِرِيِّ رَدَّ عَلَيْهِ الْمُهَاجِرِيُّ » .
فَأَرَادَ عَمْرُ الْكَلَامِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ^(٢) :

« عَلَى رِسْلِكَ . نَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ ، أَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا ، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا ،
وَأَكْرَمُ النَّاسِ أَحْسَابًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهًا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وَلَادَةً فِي الْعَرَبِ ،
وَأَمَثَّهُمْ رَحِمًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَسَلَّمْنَا قَبْلَكُمْ وَقَدَّمْنَا فِي الْقُرْآنِ
عَلَيْكُمْ ، فَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ وَشُرَكَائُنَا فِي الْفِتْنَةِ ، وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، أَوْيَتُمْ
وَنَصَرْتُمْ وَأَسَيْتُمْ ، فَجَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا . نَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ . لَا تَدِينُ الْعَرَبُ
إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَنْتُمْ مُحَقَّقُونَ إِلَّا تَنْفَسُوا عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
مَا سَاقَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ » .

١٠

قالوا : فَإِنَّا قَدْ رَضِينَا وَسَلَّمْنَا .

عيسى بن يزيد^(٣) قال : قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ :

== الترجييب ، وهو التعظيم ، وهو أيضاً أن تضم أعذاق النخلة إلى سمقاتها ثم تشد بالخصوص اثلاً
ينفضها الريح . وهو كذلك أن يوضع الشوك حوالى الأعذاق اثلاً يصل إليها سارق ، وذلك
إذا كانت غريبة طريفة . وقيل أن ترفد النخلة من جانب لتمنع من السقوط ، أى إن له عشيرة
تمضده وتمنعه وترفده . بكل ذلك فسرت هذه الكلمة هنا .

١٥

(١) الجذع : الصغير السن من الأنعام ، وهو أول ما يستطيع ركوبه والانتفاع به .
وكانت العرب إذا طفت الحرب بينهم يقول بعضهم متحدياً : إِنْ شِئْتُمْ أَعْدَانَاهَا جَذَعَةٌ ، أى
أول ما يبتدأ فيها . اللسان (جذع) .

(٢) وكذا في العقد (٤ : ٢٥٨ لجنة التأليف) . لكن في نص الطبري أن كلام
أبي بكر سابق لما قيل من قبل . والخطبة برواية أخرى عند الطبري في (٣ : ٢٥١)
وبرواية غير هذه في (٣ : ٢٥٨) . وانظر العقد (٤ : ٢٥٨) وعيون الأخبار (٢ : ٢٣٣) .

(٣) عيسى بن يزيد الأزرق ، أبو معاذ المروزي النحوي . روى عن أبي إسحاق ومطار
الوراق ، وعنه ابن المبارك ، وكان على قضاء سرخس . تهذيب التهذيب . ما عدال :
« ابن نذير » .

٢٥

« نحن أهل الله^(١) ، وأقربُ الناسِ بيتًا من بيت الله ، وأمّسهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم . إنَّ هذا الأمرَ إن تطاولتْ له الأوسُ لم تقصُر عنه الخزرج . وقد كان بين الحَيَّين قتلٌ لا تُنسى ، وجَرَحِي^(٢) لا تُداوى . فإن نَعَقَ منكم ناعقٌ فقد جلس بينَ لَحْيَيْ أُسْدٍ^(٣) ، يَضغَمُه المهاجرُ ويجرُّه الأنصاري » .

قال ابن دأب^(٤) : فرماهم والله بالمُسكِنة .

من حديث ابن أبي سُفيان بن حويطب ، عن أبيه عن جده قال :
قَدِمْتُ من عُمرَتِي فقال لي أهلي : أَعْلِمْتَ أَنَّ أبا بكرٍ بالموت ؟ فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ، فَقُلْتُ : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ * أَلَيْسَ كُنْتُ^(٥) أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ٢٥٤
وَتَانِي اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ ، فَصَدَقْتُ هِجْرَتُكَ وَحَسُنَتْ نُصْرَتُكَ ، وَوَلَّيْتَ فَأَحْسَنْتَ صُحْبَتَهُمْ ، وَاسْتَعْمَلْتَ خَيْرَهُمْ [عَلَيْهِمْ] ؟ ! قَالَ : وَحَسَنًا مَا صَنَعْتُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ وَاللَّهِ . قَالَ : آلهِ^(٦) ؟ ! وَاللَّهُ أَشْكُرُّ لَهُ وَأَعْلَمُ بِهِ^(٧) ، وَلَا يَمْنَعُنِي ذَلِكَ مِنْ أَنْ أَسْتَغْفَرَ اللَّهَ .
فَمَا خَرَجْتُ حَتَّى مَاتَ . ١٥

(١) ذكرت علة تسمية قريش بهذا في ثمار القلوب للثعالبي ٨ — ١٠ . فنها مجاورتهم البيت « وما تفردوا به من الإيلاف ، والوفادة ، والرفادة ، والسقاية ، والرياسة ، واللواء ، والندوة ، وكونهم على إرث إبراهيم ، وكونهم قبلة العرب وموضع حجهم .
(٢) ما عدال : « وجراح » . ٢٠
(٣) اللحيان بفتح اللام : حائطا الفم ، وهما المظان اللذان فيهما الأسنان .
(٤) ابن دأب : أحد رواة الأخبار . وهو عيسى بن دأب ، المترجم في (١ : ٣٢٤) .
(٥) ما عدال : « أما كنت » .
(٦) ما عدال : « والله » . وهمزة الاستفهام هنا عوض من واو القسم . انظر مثيلها ٢٥
في قراءة : (ولا نكنتم شهادة « آله ») . الآية ١٠٦ من سورة المائدة .
(٧) أي أشكر لما صنعت وأعلم به .

أبو الخطاب الزراري ، عن حجناء بن جرير قال : قلت يا أبة ، إنك لم تهج أحداً إلا وضعته ، إلا التيم ؟ قال : لأنني لم أجذ حسباً فأضعه ، ولا بناءً فأهدمه ! قال : وقيل للفرزدق : أحسن الكميت في مدائحهم ، في تلك الهاشميات ! قال : وجد آجراً وجصاً فبنى ^(١) .

- عامر بن الأسود قال : دخل رجل من ولد عامر بن الظرب ^(٢) على عمر ابن الخطاب رحمه الله ، فقال له : خبرني عن حالك في جاهليتك ، وعن حالك في إسلامك . قال : أما في جاهليتي فما نادمت فيها غير لمة ^(٣) ، ولا هممت فيها بأمة ^(٤) ، ولا خمت فيها عن بهمة ^(٥) ، ولا رأني راء إلا في نادٍ أو عشيرة ، أو حمل جريرة ^(٦) ، أو خيل مغيرة .

عوانة ^(٧) قال : قال عمر : الرجال ثلاثة : رجل ينظر في الأمور قبل أن تقع فيصدرها ، مصدرها ، ورجل متوكل لا ينظر فإذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأي وقيل قولهم ، ورجل حائر بائر ^(٨) ، لا ياتمر رشداً ، ولا يطيع مرشداً . قال : كالم علباء بن الهيثم السدوسي ^(٩) عمر بن الخطاب في حاجة ، وكان

- ١٠ (١) الجص ، بكسر الجيم وفتحها : ذلك الذي يطل به البناء .
 (٢) سبقت ترجمته في (١ : ٢٦٤) .
 (٣) المنادمة : المرافقة والمشاركة . واللمة ، بضم اللام : المثل والقرن والترب . ل : « أمة » تحريف .
 (٤) الأمة : الإمام ، والرجل المنفرد الذي لا نظير له .
 (٥) خام يخيم : نكس وجبن . والبهمة ، بالضم : الشجاع لا يدرى من أين يؤتى .
 (٦) الجريرة : الجناية يجنيها الرجل . وحملها أن ينهض بتبعها .
 (٧) عوانة بن الحكم الكلبي ، المترجم في (١ : ٣١٦) .
 (٨) البائر : التائه لا يهتدي لشيء . والعبارة في اللسان (بور) .
 (٩) هو علباء بن الهيثم بن جرير السدوسي . كان أبوه ممن حارب كسرى في وقعة ذي قار . وعلباء أدرك الجاهلية والإسلام ، وشهد الفتوح في عهد عمر ، ثم شهد الجمل فاستشهد بها . وكان أهل الكوفة قد أوفدوه إلى عمر فكان منه ما سرده الجاحظ .
 الإصابة ٦٤٤٣ .

أعورَ دميماً ، جيّدَ اللسانَ حسنَ البيان ، فلما تكلم في حاجته فأحسنَ ، صعدَ عمر بصره فيه وحدّره ، فلما أن قامَ قال : « لكلِّ أناسٍ في جُمُيعِهِمْ خُبْرٌ ^(١) » .

* * *

أخبرنا عن عيسى بن يزيد ^(٢) عن أشياخه قال :

• قَدِمَ معاويةُ المدينةَ فدخلَ دارَ عثمان ، فقالت عائشةُ بنتُ عثمان : وا أبتاه ! وبكت ، فقال معاوية : أبنيتَ أخى ^(٣) إنَّ الناسَ أعطوْنا طاعةً وأعطيناهم أماناً ، وأظهروْنا لهم حِلماً تحته غضبٌ ، وأظهروا لنا طاعةً تحتها حقدٌ ، ومع كلِّ إنسانٍ سيفُهُ ، وهو يرى مكانَ أنصارِهِ ، وإنْ نكثنا بهمْ نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلينا ٢٥٥ تكون أم لنا ، ولأنَّ تكوني بنتَ عمر أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني امرأةً من عُرض المسلمين ^(٤) . ١٠

[وقالت عائشةُ ابنةُ عثمان في أبان بن سعيد بن العاصي ^(٥) حين خطبها ، وكان نزل بأيلة ^(٦) وترك المدينة :

(١) الجليل : مصفر الجمل ، وروى : « في جملهم » وروى : « في بهيمهم » . والخبر بضم الخاء : المعرفة والعلم . قال ابن الأثير : هو مثل يضرب في معرفة كل قوم بصاحبهم . ١٥
يعنى أن المسود يسود لمعنى ، وأن قومه لم يسودوه إلا لمعرفة بشأنه . انظر اللسان (جمل) والميداني (٢ : ١١٤ — ١١٥) وما سبق في (١ : ٢٣٨) .

(٢) ما عدال : « أخبرنا عيسى بن يزيد » . وقد ترجم عيسى في ٢٩٧ .

(٣) ما عدال : « يا ابنة أخى » .

(٤) من عرضهم ، بضم العين ، أى من عامتهم .

(٥) الخبر رواه الجاحظ في الحيوان (٦ : ١٠٤ — ١٠٥) . وأبان هذا هو ٢٠

ابن سعيد بن العاص بن أمية عبد شمس ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج عام الحديبية في آخر سنة ست ، يريد زيارة البيت ، فأرسل عثمان بن عفان إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، فلقية أبان بن سعيد حين دخل مكة أو قاربها ليجيره من قريش — وكان أبان لا يزال على دين قومه — فأجاره حتى بلغ قريشاً الرسالة . ثم أسلم أبان في غزوة خيبر سنة ٢٥

سبع ، وتوفى في خلافة عثمان سنة ٢٧ . السيرة ٧٤٥ والإصابة (١ : ١٠) .

(٦) أيلة ، بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام .

نزلت بيئت الضَّبِّ لا أنت ضائرٌ عدوًّا ولا مستنفعاً أنت نافعٌ^(١)

أبو الحسن قال : قال سلامة بن رَوح الجُدَّامي ، لعمر بن العاص : إنه كان بينكم وبين العرب باب^(٢) فكسرتموه ، فما حملكم على ذلك ؟ قال : أردنا أن نخرج الحقَّ من جَفِيرِ الباطل^(٣) .

قدم ببيعةِ عليٍّ إلى الكوفة يزيدُ بن عاصم المحاربي ، فبايعَ أبو موسى ، فقال عمارٌ لعليٍّ : والله لينقضنَّ عهدَه ، وليحلنَّ عقدَه ، وليفرنَّ جهده ، وليسلمنَّ جُنده .

وقال عليٌّ في رواية الشَّعبي : حملتُ إليكم دِرَّةَ عمر^(٤) لأضربكم بها لئن تنهوا فأبَيْتم ، حتى اتخذتُ الخيزُرانة فلم تنهوا . وقد أرى الذي تُريدون : السَّيف^(٥) .
وإني لا أصلحُكم بفسادی^(٦) .

(١) هذه التكملة من النسخة التيمورية فقط . وبيت الضب مثل في الضيق والقلة ، كما هو مثل في الاغتصاب . والمستنفع : طالب النفع ، عن ابن الأعرابي . وأنشد في اللسان (١٠ : ٢٣٧) :
ومستنفع لم يحزه بيسلانه نفعا ، ومولى قد أجبنا لينصرا

(٢) ما عدال : « ناب » . وهو يعني بذلك علي بن أبي طالب .
(٣) الجفير ، بفتح الجيم : السكنانة والجمعة التي تجعل فيها السهام . ل : « حفير » محرفة :
(٤) الدرة ، بكسر الدال : درة السلطان التي يضرب بها .
(٥) ب والتيمورية : « الذي يريدون » ح : « الذين يريدون » مع أثر تصحيح في كلمة « الذي » ، وأرى هذا الأخير من تصرف قارى . وأثبت ما في ل . وسائر القراءات متجهة أيضاً .

(٦) ما عدال : « ولأني لا أصلحكم بفسادی » محرفة .

كانت العادة في كتب الحيوان

أن أجعل في كلِّ مُصحفٍ من مصاحفها^(١) عَشْرَ ورقاتٍ من مقطّعات الأعراب ، ونوادر الأشعار ، إمّا ذَكَرْتَ عَجَبَكَ بذلك ، فأحببت أن يكون حظ هذا الكتاب في ذلك أوفر إن شاء الله^(٢) .

قال همام الرقاشي^(٣) :

أبلغ أبا مسمعٍ عنِّي مغفلةً وفي العتابِ حياةٌ بين أقوام^(٤)
قدّمتَ قبلي رجلاً لم يكن لهم في الحقّ أن يلجؤوا الأبوابَ قدّامِي
لو عدّ قبرٌ وقبرٌ كنتَ أكرمهم قبراً وأبعدهم من منزل الذّام^(٥)
حتّى جعلتُ إذا ما حاجتي عرضتُ بباب دارِك أدلوها بأقوام^(٦)

وقال أبو العرف الطُّهويّ :

وَإِنِّي الْوَفُودُ فَوَائِي مِنْ بَنِي حَمَلٍ بِكَرُّ الْوَفَادَةِ فَاتِي السَّنَّ عُرُزُومُ^(٧)

(١) هكذا يستعمل الجاحظ المصحف بمعناه اللغوي ، وإن كان قد خصص منذ جمع القرآن بكتاب الله . وإنما سمي المصحف مصحفاً لأنه أصح ، أي جعل جامعاً للمصحف المكتوبة بين الدفتين . وانظر ما أشرت إليه في مقدمتي لكتاب الحيوان من ختام كل جزء من أجزائه في النسخة الشقيطية بهذه العبارة : « تم المصحف ... من كتاب الحيوان ، ويليه المصحف ... » .

(٢) هذه العبارة جميعها وثيقة تدل على سبق كتاب الحيوان لكتاب البيان .

(٣) عبارة الإنشاد هذه ومقطوعتها ، هي من ل فقط . وقد سبقا في (٢ : ٣١٦) .

(٤) المغفلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . والبيت في اللسان (غل) بدون نسبة .

(٥) الذام : العيب . أراد أنه كريم الآباء والأجداد .

(٦) يقال دلوت بفلان إليك ، أي استشفعت به إليك . وفيما سبق : « فقد جعلت إذا ما حاجة » .

(٧) البكر ، بالفتح : الفتى من الإبل ، جعله بمنزلة في شبابه وقوته . والفاقي : وصف

من فتو يفتو فتاء ، والفتاء : الشباب . ل : « فاني » ما عدل : « فاني » كلاهما محرف .

والعرزوم ، لم يرد في المعاجم المتداولة ، وفيها : « العرزم » كجعفر ، و « العرزام » كقرباس ،

وهو القوى الشديد المجتمع . ل : « عرزم » بالعين ، وليست له مادة في المعاجم .

٢٥٦ • كَزَّ الْمِلَاطَيْنِ فِي السَّرْبَالِ حَيْثُ مَشَى

وَفِي الْمَجَالِسِ لَحَاطٌ زَرَامِيمُ^(١)

لَمَّا رَأَى الْبَابَ وَالْبَوَابَ أَحْرَجَهُ لُؤْمٌ مُخَالِطُهُ جُبْنٌ وَتَجْزِيمُ^(٢)

قَدْ كَانَ لِي بِكُمْ عِلْمٌ وَكَانَ لَكُمْ تَمْشَى وَرَاءَ ظُهُورِ الْقَوْمِ مَعْلُومُ^(٣)

وقال الحارث بن حِزَّة — قال أبو عبيدة : [أنشدنيها أبو عمرو ، وليست إلا هذم

الآبيات . و^(٤)] الباقي مصنوع :

يَأْيُهَا الْمَزْمَعُ ثُمَّ انْتَنَى لَا يَثْنِيكَ الْحَازِي وَلَا الشَّاحِجُ^(٥)

وَلَا قَعِيدٌ أَغْضَبُ قَرْنُهُ هَاجَ لَهُ مِنْ مَرْتَعٍ هَامِجُ^(٦)

بَيْنَا الْفَتَى يَسْعَى وَيُسْعَى لَهُ تَاحَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ خَالِجُ^(٧)

يَتْرُكُ مَا رَقَّحَ مِنْ عَيْشِهِ يَعِثُ فِيهِ هَمَجٌ هَامِجُ^(٨)

(١) الكز : الصلب الشديد . والملاطان : العضدان . واللاحاظ : الشديد اللاحظ .
والزراميم ، هي فيما عدا ل : « زراميم » وكلاهما محرف . ولعل أولاهما « زراهم » وليس
من مادة هذه الأخيرة في المعاجم إلا قول صاحب القاموس : « الزراهمة ، كعلاطة : الغليظة
والعتيقة » .

(٢) التجزيم : الجبن والعجز ، يقال جزم عنه وجزم ، بتخفيف الزاى وتشديدها .
ل : « وتجزيم » صوابه بالجيم كما في سائر النسخ .

(٣) ل : « شمساً وراء » تحريف .

(٤) موضع هذه التكملة بياض في ل فقط ، والكلام متصل في غيرها من النسخ .
وقد سددت هذه الحلة من رواية هذا النص في الحيوان (٣ : ٤٩٩) حيث رويت الآبيات
شاهداً من الجاحظ لإنكار بعض العرب الطيرة . وكذا أنشدها في البخلاء ١٣٨ .

(٥) الحازي : زاجر الطير ، أو السكاكن . والشاحج : الغراب يشجع بصوته .

(٦) القعيد : ما جاء من ورائك من ظبي أو طائر . والأغضب : المكسور المقرون .
وفي بعض روايات الحيوان : « من صريع » .

(٧) تاح : قدر أو تهيأ . والخالج : ما يخلج المرء وينتزع من موت ونحوه .

(٨) رقع : أصلح . ل : « يمش فيه » ، وأثبت ما في الحيوان والبخلاء وما عدا ل .
كما أنشده في اللسان (هجج ، رقع) . والهمج : الأخطا والذين لا نظام لهم . والهامج : الذي
يعوج بعضه في بعض ، أو هذا على المبالغة والتوكيد ، كقولهم ليل لائل .

[قلت لعمرو حين أرسلته وقد حبا من دوننا عالج^(١)]
 لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج^(٢)
 [واصبب لأضيافك ألبانها فإن شر اللبن الواج^(٣)]
 وقال زبّان بن سيار بن عمرو بن جابر^(٤) :

تخبّر طيرة فيها زياد^(٥) لتخبّره وما فيها خبير^(٥)
 أقام كأن لقمان بن عاد^(٥) أشار له بحكمته مشير^(٥)

(١) حباله القى : اعترض . وفي أمثال الميداني (١ : ٣٣٦) : « من دونها » ، قال : « والماء للابل » . وعالج : رملة بالبادية بين فيد والقريات ، ينزلها بنو بخت ، من طي . وعمرو هذا ، هو ابن الحارث بن حلزة ، كما نص الميداني في الأمثال .

(٢) الكسع : ضرب الماء على الضرع ليرفع اللبن فتسمن الناقة ، أو يسمن أولادها في بطنها . والشول ، بالفتح : جمع شائلة ، وهي التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر غف لبنها . والأغبار : جمع غبر بالضم ، وهو بقية اللبن في الضرع . انظر الكامل ٢١٣ ليسك .

(٣) الواج : الداخل ، أراد ما يرد إلى الضرع بأن يرش عليه الماء ، وذلك هو الكسع . وقيل : أراد إن شر اللبن ما يلج البيت ، أي يدخله ، يحته بذلك على بذل اللبن للضيف ، وإيثاره على نفسه وولده . نص على المعنيين في جمع الأمثال .

(٤) زبّان هذا فزاري ، ذكره ابن قتيبة في المعارف ٥١ ، وهو صهر للناقة ؛ وفيه يقول (ديوانه ٤٥) :

ألا من مبلغ عني خزيم^(٥) وزبان الذي لم يربح صهرى

وكانت أم زبّان إحدى نساء بني مرة رهط الناقة ، وكان من خبر ذلك الشعر ما رواه الجاحظ في الحيوان (٣ : ٤٤٧) ، أن الناقة خرج مع زبّان بن سيار يريدان الغزو ، فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر الناقة وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان ، فتطير وقال : غيرى الذى خرج في هذا الوجه . فلما رجع زبّان من تلك الغزوة سالماً غائماً قال ... « وأنشد الشعر . ومثله في الحيوان (٥ : ٥٥٥) . وانظر عيون الأخبار (١ : ١٤٦) والعمدة (٢ : ٢٠٢) والمسقطر للأبشي (١ : ٥٤) .

(٥) تخبرها : سألتها أن تخبره . ل : « تخير » تحريف . والطيرة ، بالكسر هنا ، وتقال أيضاً بكسر ففتح : اسم من تطير بمعنى تشام . وفي بعض نسخ الحيوان : « طيره » ، وهو الأوفق . وزباد : اسم الناقة الذياني ، وهو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . الشعراء ١١٥ والأغاني (٩ : ١٥٤) والخزاة (١ : ٢٨٠) والمؤتلف والمختلف ١٩١ ؛ والخير : العالم ، والخير بالأمر أيضاً .

تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا طَـيْرَ إِلَّا عَلَى مِطْطِيرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ^(١)
بَلَى شَيْءٌ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ أَحَابِينَا وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ
وَمَنْ يُنْزَحْ بِهِ لَا بَدَّ يَوْمًا يَجِيءُ بِهِ نَعْيٌ أَوْ بَشِيرٌ^(٢)
وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ^(٣) :

نَجِيْبَةٌ بَطَّالٍ لَدُنْ شَبَّ هُمُ لِعَابُ الْغَوَانِي وَالْمُدَامُ الْمُشْعَشَعُ^(٤) ٢٥٧
جَلَا الْمَسْكُ وَالْحَمَامُ وَالْبَيْضُ كَالْدُمَى وَفَرَقَ الْمَدَارِي رَأْسَهُ فَهُوَ أَنْزَعُ^(٥)
أَسْلِمٌ ذَاكُمْ لَا خَفَا بِمَكَانِهِ لَعِينٍ تَدْحَى أَوْ لَاذُنٌ تَسْمَعُ^(٦)

- (١) الطير ، بالفتح : اسم من التطير أيضاً . والثبور : الهلاك .
(٢) البيت لم يرو في الحيوان ، وأنشده في اللسان (نزح) بدون نسبة ، قال : « وقد
نزح بفلان ، إذا بعد عن دياره غيبة بعيدة » .
(٣) هو أبو الرئيس الثعلبي ، أحد لصوص العرب ، من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان .
الحزاة (٢ : ٥٣٢) . على أن الجاحظ قد خلط هنا بين شعرين ، أحدهما لأبي الرئيس الثعلبي
يمدح به عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، وكانت أبو الرئيس قد سرق ناقته بعد ما صنعها
وعلفها . والشعر الآخر لأحد الأغفال ، يمدح فيه أسيلم بن الأحنف الأسدي ، أحد سادات
العرب زمان عبد الملك بن مروان . انظر الحزاة . وقد سبق بعض أبيات هذه المقطوعة
في (١ : ٣٩٦) .
(٤) البطال : الشجاع يبطل جراحته فلا يكثر لها ، أو تبطل عنده دماء الأقران .
واللعاب : الملاعبة . والمدام : الخمر . والمشعشع : المزوج بالماء . ويروون أن أبا الرئيس لما
قال هذا الشعر ومدح به صاحب الناقة ادعت فتيان قريش كلهم هذه الناقة ، وإنما كانت
لعبدالله . قال السكري : فعمد رجل من الموالي إلى نجبية فصنعها وعلفها وجعلها في موضع
٢٠ تلك الناقة ، رجاء أن يسرقها أبو الرئيس فيمدحه . فربها أبو الرئيس فطردها وقال —
قال أبو عبيدة : بل قال هذه الجون المحرزي — :
نجبية عبد دانها الفت والنوى يسترب حتى نهبها متظاهر

- وستأتى هذه المقطوعة بعد التالية .
(٥) المداري ، بكسر الراء وفتحها : جمع المدرى ، وهي حديدة كالمسلة يصلح بها
الشعر . ما عدال : « وطيب الدهان رأسه » . وفي الحيوان (٣ : ٤٨٦) ورسائل الجاحظ
٧٩ ساسي : « جلا الأذفر الأخوى من المسك فرقه * وطيب الدهان » .
(٦) أسيلم هذا ، هو أسيلم بن الأحنف الأسدي ، كما في رسائل الجاحظ والحزاة .
وفي حواشي نسخة (E) من أصول الكامل ١٠٣ لبسك عند قوله : « قال عبد الملك بن مروان
لأسيلم بن الأحنف الأسدي : ما أحسن ما مدحت به ؟ » هذه العبارة : « كذا وقع » .
٣٠ (٢٠ — البيان — ثالث)

مِنَ النَّفَرِ الشَّمِّ الَّذِينَ إِذَا انْتَمَوْا وَهَابَ الرَّجَالُ حَلَقَةَ الْبَابِ قَعَقَعُوا^(١)
إِذَا النَّفَرُ الشُّودُ الْيَمَانُونَ حَاوَلُوا لَهُ حَوْكَ بُرْدِيهِ أَرْقَوْا وَأَوْسَعُوا^(٢)
وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ :

أَلْبَانُ إِبْلِ تَعَلَّةَ بْنِ مَسَافِرٍ مَا دَامَ يَمْلِكُهَا عَلَى حَرَامٍ^(٣)
وَطَعَامُ عَمْرَانَ بْنِ أَوْفَى مَثَلُهُ مَا دَامَ يُسَلِّكُ فِي الْبَطُونِ طَعَامُ
إِنَّ الَّذِينَ يَسُوعُ فِي أَعْنَاقِهِمْ زَادَ يُمَنِّ عَلَيْهِمْ لِلثَّامِ^(٤)
وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ^(٥) :

نَجِيبَةُ قَرَمٍ شَادَهَا الْقَتُّ وَالنَّوَى يَبْثَرُ حَتَّى نَيْثُهَا مَتَظَاهِرُ^(٦)
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي فَمَا بِكَ عِلَّةٌ سَنَامُكَ مَلُومٌ وَنَابُكَ قَاطِرُ^(٧)

١٠ و يروى : لأسيلم بن الأخيف . والصحيح لأسلم بن الأجنف ، بالجيم والنون . كذا ذكره
الدارقطني في المؤلفات والمختلف . تدحى : تندحى ، أى تتبسط ، كما في القاموس . ما عدال :
» تدجى » وهذه محرفة .

١٥ (١) النفر : اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ، ما بين الثلاثة إلى العشرة ،
ولا واحد له من لفظه . أطلقه على الكرام إشارة إلى أنهم ذوو عدد قليل . والشم : جمع أشم ،
وهو من به شم ، أى كبر ونخوة ، وأصل الشم ارتفاع الأنف . وفي نوادر القالي ١٦٤ :
» من النفر البيض » . انتموا : انتسبوا . ل فقط : » انتجوا » ولا وجه له هنا . ويروى :
» اعتزوا » بمعنى انتسبوا أيضاً ، كما في الخزائن . ويروى : » وهاب اللثام » . حلقة الباب ،
أى باب الملك ، يقول : هم ذوو مكانة عند الملوك .
(٢) الحوك : النسيج .

٢٠ (٣) الأبيات رواها الجاحظ أيضاً في البخلاء ١٦٥ . وفي البخلاء : » تعلة بن مساور » .
(٤) فى أعناقهم ، أى فى حلوقهم . وهذه الرواية هى أيضاً رواية البخلاء . وفيما
عدال : » فى أحلاقهم » ، وهى صحيحة كذلك . وأنشدها فى اللسان (حلق) شاهداً لجمع
الحلق على » أحلاق » جمع قلة ، والكثير » حلق » و » حُلُق » ، الأخيرة عزيزة .
(٥) هو أبو الرئيس الثعلبي ، أو الجون المحرزي ، كما سبق فى الحاشية ٤ ص ٣٠٥ .
وأنشد الجاحظ الأبيات فى الحيوان (٣ : ٤١٥) بدون نسبة .

٢٥ (٦) القرم ، بالفتح : السيد العظيم . وفى جميع النسخ : » قوم » ، صوابه من الحيوان .
شادها الفت والنوى ، أى نماها تناول هذا العلف . والقت : والى ، بكسر النون وفتحها :
الشحم . المتظاهى : الذى ركب بعضه بعضاً .

٣٠ (٧) ماموم : مجتمع مستدير . وروى : » مدموم » ، وهو المتناهى السمن . فاطر ، من
قولهم فطر ناب البعير ، إذا شق وطلم . ل : » فإنك علة » تحريف .

فمثلك أو خيراً تركت رذيةً تقلب عينيها إذا مر طائر^(١)

وقال بعض الأعراب — مجهول الاسم — وهو من جيد مُحدث أشعارهم :

حفرنا على رغم الهمازم حفرةً بيطن فليج والأسنة جَنَحُ^(٢)

وقد غَضِبُوا حتى إذا ملئوا الرَبَّ رأوا أن إقراراً على الضيم أرواح^(٣)

وقال رجلٌ من مُحارب :

وقائلة تطوّف في جدادٍ وأنت ، إخالُ ، معطى لو تقوم^(٤)

فقلت الضارباتُ الطلحَ وهنا على يمين إذا وضح النجوم^(٥)

قصرنَ علىَّ بعد الله قفري فلا أسلُ الصديقَ ولا ألومُ^(٦)

وقال بعض الطائيين ، وهو حاتم :

وإني لأستحي حياء يسرني

إذا اللومُ من بعض الرجال تطلعا^(٧)

(١) الرذية : المهزولة من السير . وإنما تقلب عينيها مخافة الطائر أن يقع على ما بها من دبر فيأكلها .

(٢) الهمازم ، هم بنو تيم الله بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بكر بن وائل . المعارف ٤٤ ، ٤٣ . فليج : واد يصب في فليج ، بين البصرة وضرية . جنح : مائلات للطنن ، جمع جانحة .

(٣) أي قبول الضيم — وهو الظلم ونقص الحق — أرواح لهم وأجلب للسرور .

(٤) الجداد بفتح الجيم وكسرهما : أوان صرام النخل ، وهو قطع ثمره .

(٥) الطلح : شجر هو أعظم العضاء وأكثره ورقاً . وفي حاشية التيمورية :

« الضاربات الطلح يعني بها الفؤوس . وقيل يعني المغازل . يريد بذلك أن بناته يعيشن بغزلهن ، أو يحتطب فيضرب بالفؤوس الطلح ويستقي عن الناس » . انظر نحو هذا المعنى في مجالس ثعلب ١٧٤ — ١٧٥ . وهنا ، أي بعد ساعة من الليل .

(٦) قصرنه : حبسنه ومنعنه . أسل : أسأل . يقال سأل يسأل ، وسال يسال ، وسال يسال . يقول : لا أضطر إلى سؤال الصديق ، ولا ألومه إذا منع .

(٧) الأبيات في ديوان حاتم ١١٤ من مجموع خمسة دواوين ، وحاسة أبي تمام ٢٥

(٢ : ٢٣٢) ، وأمالى القالى (٢ : ٣١٨) وعيون الأخبار (١ : ٣٤٣) . وهذا البيت

وتاليه لم يرويا في مرجع من هذه المراجع .

إذا كان أصحابُ الإِناءِ ثلاثةً حَيِّياً ومُسْتَحِيّاً وكلِّباً مُجَشَّماً^(١)
 فإني لأَسْتَحِي أَيْ كَيْلِي أَنْ يَرَى مَكَانُ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعاً^(٢)
 أَكْفُ يَدِي مِنْ أَنْ تَمَسَّ أَكْفَهُمْ إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَتُنَا مَعاً^(٣)
 وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بِطَنِكَ سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالَا مِنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعاً^(٤)
 • وَقَالَ ، وَأَظْنُّهَا لِبَعْضِ الْيَهُودِ :

وإني لأَسْتَبِقِي ، إِذَا الْعُسْرُ مَسَّنِي ، بِشَاشَةٍ وَجْهِي حِينَ تَبْلَى الْمَنَافِعُ
 وَأَعْنِي ثَرّاً قَوْمِي ، وَلَوْ شِئْتُ نَوَّلُوا إِذَا مَا تَشَكَّى الْمُلْحِفُ الْمُتَضَارِعُ^(٥)
 مَخَافَةً أَنْ أَقْلَى إِذَا جِئْتُ زَائِراً وَتَرْجِعَنِي نَحْوَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ^(٦)
 فَاسْمَعْ مِنَّا أَوْ أَشْرَفْ مُنْعِمًا وَكُلُّ مُصَادِي نِعْمَةٍ مُتَوَاضِعُ^(٧)

- ١٠ (١) المَجْمَعُ : وَصَفَ لَمْ يَرِدْ فِي الْمَعَاجِمِ الْمُنْدَاوَلَةُ . عَنِ بَعْضِ الْحَرِيسِ عَلَى الطَّعَامِ .
 (٢) فِي الدِّيْوَانِ : « وَإِنِّي لَأَسْتَحِي صَحَابِي أَنْ يَرَوْا » . وَفِي الْأُمَالِي وَالْحَمَاسَةِ وَعَيُونِ
 الْأَخْبَارِ : « وَإِنِّي لَأَسْتَحِي رَفِيقِي أَنْ يَرَى » .
 (٣) فِي الْحَمَاسَةِ وَالْأُمَالِي :
 ١٥ أَكْفُ يَدِي عَنْ أَنْ يَنَالَ التَّمَاثُلَ أَكْفُ صَحَابِي حِينَ حَاجَاتُنَا مَعاً
 وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ :
 أَكْفُ يَدِي مِنْ أَنْ تَنَالَ أَكْفَهُمْ إِذَا مَا مَدَدْنَاهَا وَحَاجَتُنَا مَعاً
 وَفِي الدِّيْوَانِ :
 أَقْصِرْ كَفِّي أَنْ تَنَالَ أَكْفَهُمْ إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَاتُنَا مَعاً
 (٤) بَعْدَهُ فِي الدِّيْوَانِ :
 ٢٠ أَيْبَتُ خَيْصِ الْبَطْنِ مُضْطَمَّرُ الْحِشَا حَيَاءُ أَخَافُ الذَّمَّ أَنْتَ أَنْتَضِلْعَا
 وَهُوَ فِي الْحَمَاسَةِ وَالْأُمَالِي بَعْدَ الْبَيْتِ الثَّالِثِ ، بِهَذِهِ الرِّوَايَةِ :
 أَيْبَتُ هَضِيمِ السَّكْشَجِ مُضْطَمَّرُ الْحِشَا مِنْ الْجُوعِ أَخْشَى الذَّمَّ أَنْ أَنْتَضِلْعَا
 (٥) نَوَّلُوا ، أَيْ نَوَّلُونِي . وَالنَّوَالُ : الْعَطَاءُ . الْمَالِحُ : الْمُبَالِغُ فِي السُّؤَالِ . الْمُتَضَارِعُ ،
 عَنِ بَعْضِهِ مَنْ يَتَكَلَّفُ الضَّرَاعَةَ ، أَيْ الذِّلَّ وَالْخُضُوعَ . وَهَذَا الْوَصْفُ وَفَعْلُهُ مِمَّا لَمْ يَرِدْ فِي الْمَعَاجِمِ .
 ٢٥ (٦) أَقْلَى : أَبْقَضَ . وَرَجَعَهُ إِلَى الشَّيْءِ : رَدَّهُ .
 (٧) الْمُنْ : أَنْ يَفْخَرَ عَلَى مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالْإِحْسَانِ ، وَيَبْدُو فِي ذَلِكَ وَبَعِيدُ . وَالْمُصَادَاةُ :
 الْمَقَابَلَةُ ، وَالْعَنَاءُ بِالشَّيْءِ ، وَالْمَدَارَاةُ وَالْمَدَاجَاةُ .

وقال بعضُ بني أسد :

أَلَا جَمَلَ اللَّهِ الْيَمَانِينَ كُلَّهُم فِدَى لَفَتَى الْفَتِيَانِ يَحْيَى بْنِ حَيَّانِ
وَلَوْلَا غُرَيْقٌ فِيَّ مِنْ عَصَابِيَّةٍ لَقُلْتُ وَأَلْفَا مِنْ مَعْدٍّ بْنِ عَدْنَانَ^(١)
وَلَكِنْ نَفْسِي لَمْ تَطِبْ بِعَشِيرَتِي وَطِبْتُ لَهُ نَفْسًا بِأَبْنَاءِ قَحْطَانِ

٢٥٩ • وقال ثروان — أو ابن ثروان — مولى لبني عُذرة^(٢) :

لَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عِيلَانَ لَمْ تَجِدْ عَلَى لِبْنَانٍ مِنَ النَّاسِ دَرَاهِمًا
وَلَكِنِّي مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا فَلَسْتُ أَبَالِي أَنْ أُدِينَ وَتَفَرَّمَا^(٣)
أُولَئِكَ قَوْمِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا
جُفَاءَ الْحَزِّ لَا يُصَيِّمُونَ مَفْصِلًا وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذُمَا^(٤)

وقال [آخر^(٥)] :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ

وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ^(٦)

(١) ل : « لقلت أناس » .

(٢) الشعر روى لشقران مولى بني سلامان بنى هذيم ، كما في حماسة أبي تمام (٢ : ٢٧٤)

١٥ وشروح سقط الزند ٥٩١ . وقد سبق بعض هذه الأبيات في (١ : ١٠٧) .

(٣) يقول : لو كان ولأني في قيس عيلان لم أقترض من أحد درهما ، ليأسي من أن يؤدوه

عني ، ولكن ولأني في قضاعة فلست أبالي أن أستدين فإنهم لا جرم يؤدون عني ما اقتضت .

(٤) الحز : مصدر ميمي من الحز ، وهو القطع . التخذم : قطع اللحم بالسكين . يقول :

هم سادة نشئوا على السيادة وعودوا أن يكون مخدومين لا خادمين ، فليس لهم بهر يجزر

٢٠ الإبل وتفصيل أعضائها ، وهم إذا أكلوا اللحم على موائدهم لم يتناولوه إلا قطعاً بالسكاكين

لأنهشاً بالأسنان . والعرب تمد الجهل بجزر الإبل مدحاً ، والمعرفة به ذماً . انظر شروح

سقط الزند .

(٥) هو حاتم الطائي ، كما في شرح التبريزي للحماسة (٤ : ٢٠٥) . وانظر الحماسة

(٢ : ٣٠٩) حيث أورد أبو تمام الأبيات بدون نسبة . ولم ترو الأبيات في ديوان حاتم .

٢٥ وفق الأغاني (١٢ : ١٤٤) أنها لقيس بن عاصم ، يقولها لزوجته منقوسة بنت زيد الفوارس

الضبي ، وكانت قد أتنه في الليلة الثانية من بنائه بها بطعام . فقال لها : فأين أكيلى ؟ فلم تعلم

ما يريد ، فقال الشعر في ذلك .

(٦) ابنة عبدالله ، هي ماوية بنت عبدالله ، زوج حاتم . وذو البردين : عاصم بن أحيمر =

إذا ما عَمِلْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسْ لَهُ أَكِيلاً فَإِنِّي غَيْرُ آكِلِهِ وَخَدِي^(١)
كَرِيماً قَصِيّاً أَوْ قَرِيباً فَإِنِّي أَخَافُ مَذَمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَكَيْفَ يُسَيِّغُ الْمَرْءُ زَاداً وَجَارُهُ خَفِيفُ الْمَعْنَى بَادِي الْخَصَاصَةِ وَالْجَهْدِ^(٢)
وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ يلاحظ أطرافَ الأكيلِ على عَمَدٍ
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّعِيفِ مَا دَامَ ثَاوِيَا وَمَا فِي إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيْمَةِ الْعَبْدِ^(٣)
وقال ابن عبدل^(٤) :

ولو شاءَ بَشَرٌ كَانَ مِنْ دُونِ بَابِهِ طَاطِمٌ سُودٌ أَوْ صَقَالِبَةٌ حُمْرٌ^(٥)
ولكنَّ بَشِراً سَهْلَ الْبَابِ لَتَّى تَكُونُ لِبَشَرٍ غَيْبُهَا الْحَمْدُ وَالْأَجْرُ^(٦)
بَعِيدُ سَرَادِ الْعَيْنِ مَا رَدَّ طَرَفَهُ حِذَارَ الْغَوَاشِيِ بَابُ دَارٍ وَلَا سِتْرُ^(٧)

١٠ ابن بهدلة ، كان المنذر بن ماء السماء قد أخرج يوماً بردين يبلو بهما الوفود وقال : ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذها . فقام عامر فأخذها واتزر بأحدهما وارتدى بالآخر . في حديث طويل رواه التبريزي .

(١) في الحماسة : « إذا ما صنعت الزاد » . والأكيل : من يؤاكلك . وفي الحماسة : « فإنني لست آكله » .

١٥ (٢) هذا البيت وتاليه لم يروهما أبو تمام ولا أبو الفرج . والمعنى بفتح الميم وكسر ما : واحد الأمعاء . الخصاصة : الفقر وسوء الحال .

(٣) ما عدال : « من مهنة العبد » .

(٤) الحكم بن عبدل الأسدي ، ترجم في ص ٧٤ من هذا الجزء .

(٥) بشر هذا ، هو بشر بن مروان ، وكان له به خاصة « وولد لحكم بن عبدل ولد فسهام بشراً ودخل عليه فقال : ٢٠

سميت بشراً ببشر الندي فلا تفضحن بتصدقها

الأغاني (٢ : ١٥٣) . وقد ترجم بشر في (٢ : ٢١١) . الطاطم : جمع ططم بكسر الطاءين ، وهو الأعجم الذي لا يفصح بالعربية . والصقالبة : جمع صقلي ، نسبة إلى صقلب ، وهي بلاد بين بلغار وقسطنطينية . والتاء في مثل الصقالبة ، هي التي يقال فيها لأنها عوض عن ياء النسب في المفرد ، كقولهم المهالبة والأشاعنة . مع الهوامع (٢ : ١٧٠) . ٢٥

(٦) غيبها : عاقبتها .

(٧) سراد العين : موضع ارتيادها وتجوهاها . والغواشي : الدواهي تعشى المرء .

وقال بعضُ الحجازيين^(١) :

٢٦٠ * لو كنت أحمل خمراً يوم زرتكم لم يفكر الكلبُ أني صاحب الدار
لكن أتيتُ وريحُ المسك يفعمني والعنبرُ الوردُ أذكيه على النارِ^(٢)
فأنكر الكلبُ ريحي حين أبصرني وكان يعرف ريح الزَّقِّ والقارِ

وقال ابن عبدل :

نعمَ جَارُ الخنزيرة المُرضع الغرُ ثي إذا ما غَدَا ، أبو كلثوم^(٣)
طاوياً قد أصابَ عندَ صديقٍ من غِذاء مَلَبَّقٍ مأدوم^(٤)
ثمَّ أنحى بجعره حاجِبَ الشَّمْسِ فالتقى كالمعلفِ المهْدوم^(٥)

وقال حبيب بن أوس :

١٠ وحيأة القريض إحيائك الجؤ دَفَانُ مات الجؤدُ مات القريض^(٦)
يا مُحبَّ الإحسان في زمنٍ أصبَحَ فيه الإحسان وهو بغيض

(١) ورد الشعر في الحيوان (١ : ٣٨٠) ، والبغلاء ٢٠٢ بدون نسبة معينة . وقد نسب في الحماسة (٢ : ٢٣٢) إلى مالك بن أسماء الفزاري المترجم في (١ : ١٤٧) .

(٢) فعمه الطيب وفعمه : ملأ خياشيمه . والورد : ما لونه الوردية ، وهي لون بين الكتنة والشقرة . ويقال مسك ذاك : ساطع الرائحة . وأما أذكي المسك فهو مما لم يرد في المعاجم ، أراد أظهر طيبه بإلقائه على النار ، كما تذكي النار ، أي يتم إشعالها .

(٣) الأبيات في الحيوان (١ : ٢٣٦ / ٤ : ٦٤) . والفَرث من الفرث ، وهو شدة الجوع .

(٤) الطاوى : الجائع . الملبق : الملبس بالدسم . وفي الحيوان : « من تريد ملبق » . والمأدوم : المخلوط بالأدم ، وهو ما يخلط به الخبز .

(٥) الجعر ، بالفتح : ما ييس من النجو . أنحى به : قصد به واعتمد . والمعلف . بكسر الميم وفتحها : موضع العلف .

(٦) من قصيدة له في ديوانه ١٨١ — ١٨٣ يمدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي ، مطلعها :

٢٥ وثناياك إنها لغريض ولآل تؤم وبرق وميض
القريض : الشعر . ما عدال : « فإن مات الجواد » ، ولا يستقيم به الوزن .

وقال :

نم اطرَحتم قَرَاباتي وآصِرقي حَتَّى توهمتُ أني من بني أسد^(١)
وقال^(٢) :

وطلمة الشَّمر أقلِّي في عيونهم وفي صدورهم من طلعة الأسد^(٣)
وقال :

إياك يعني القائلون بقولهم إنَّ الشَّقِيَّ بكلِّ حبلٍ يُخنَق^(٤)
سِرٌّ حيثُ شئتُ من البلاد فلي بها سُورٌ عليك من الرِّجالِ وخندق^(٥)
وقال^(٦) :

من شاعرٍ وقفَ الكلامَ بيبابه واكتنَّ في كنفِي ذِراهُ المنطق^(٧)
قد تَقَفَّتْ منه الشَّامُ ، وسَهَلَتْ منه الحِجازُ ، ورقَّتْهُ المَشْرِقُ^(٨)
وقال :

بغو عبد الكريم نجومٌ ليلٍ تُرَى في طَيِّبٍ أبداً تلوح^(٩)

(١) من قصيدة لأبي تمام في ديوانه ٤٩٢ — ٤٩٣ ، يقولها في عياش .

(٢) هذه الكلمة من ل فقط . وبين هذا البيت وسابقه :

ثم انصرفت إلى نفسي لأظارها إلى سواكم فلم تهشش إلى أحد
ومدح من ليس أهل المدح أحسبه نفسي تفصل من قلبي ومن كبدي
قوم إذا أعين الآمال جلنهم رجمن مكتحللات عائر الرمد

(٣) أقلِّي : أبغض . ما عدال : « وطلعة الحمد » .

(٤) من قصيدة له في ديوانه ٤٩٩ — ٥٠٠ يهجو فيها عتبة بن أبي عاصم . ل :

« بشعرهم » وأشير في هامشها إلى رواية : « بقولهم » في إحدى النسخ .

(٥) هذا البيت فيما عدال متأخر عن تاليه . والوجه ما في ل .

(٦) هذه الكلمة من ل فقط . وبين البيت التالي وسابقه :

وقبيلة يدع المتوج خوفهم وكأنا الدنيا عليه مطبق
وقصائد تسرى إليك كأنها جن تهافت أو هموم طرق
من منهضاتك مقعداتك خائفاً مستوهلا حتى كأنك تطلق

(٧) اكتن : استتر . الذرا ، بالفتح : الكنف والظل .

(٨) أي بلاد المشرق .

(٩) من قصيدة له في ديوانه ٤٩١ — ٤٩٢ يهجو بها عتبة .

٢٦١ إذا كان المـجاء لهم ثواباً فـخـبـرنـي لمن خـلـق المـديح^(١)

وقال :

أى شيء يكون أحسن من صـبـ أديب مـتـمـ بأديب^(٢)

وقال :

نـقـل فـؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للـحـبـب الأول^(٣)
كم منزل في الأرض يألوه الفتي وحنينـه أبدأ لأوّل منزل

وقال :

اشرب فإنك سوف تعلم أنه قدح يصيب العرض منه خمار^(٤)
غاداك أسوار الكلام بشردي عون القريض حثوفها أبكار^(٥)
غرر منى ما شئت كن شواهدى إن لم يكن لى والد عطار ١٠
وقال سلمة بن الخرشب الأثمارى^(٦) :
أبلغ سبيعا وأنت سيّدنا قـدـمـا وأوفى رجالنا ذمّا^(٧)

(١) بين هذا البيت وسابقه فى الديوان :

فلا حسب صحيح أنت فيه فتكثرهم ولا عقل صحيح

١٥

(٢) من قصيدة له فى ديوانه ٤٣٤ .

(٣) من أبيات أربعة فى ديوانه ٤٥٧ ، وقبلهما :

البن جرعى نقيع الحنظل والبن أثكلنى وإن لم أثكل

ما حسرتى أن كدت أقضى إنما حسرات قلبى أننى لم أفل

(٤) من قصيدة له فى ديوانه ٤٩٥ يهجو بها محمد بن وهب الحميرى الشاعر . وقبله :

٢٠

أشرعت فى بحر الجهالة سادرا والجهل فى بعض الهفات عقار

وفى الديوان : « فاشرب » . والخمار ، بالضم : « أثر السكر » .

(٥) غاداه : باكره وغدا عليه . ما عدال : « عاداك » تحريف . الأسوار ، بكسر

المهمزة وفتحها : الجيد الرمى بالسهم . وفى الديوان : « مختار الكلام » . والشرد : جمع شاردة

وهى القصيدة تذهب كل مذهب . العون : جمع عون ، وهى الثيب . عنى أنها ليست بكرا فى

النشيد فهى ما تزال يقناشدها الرواة ويتداولونها ، وأما ما تجلبه من الخنف للمهجو فهو بكر ٢٥

فى أثره وشدة وقعته .

(٦) ترجم فى (١ : ٢٣٨) . التيمورية : « سملة » . التيمورية ، ب ، ح :

« بن الحارث » كلاهما تحريف .

(٧) سبقت هذه الأبيات فى (١ : ٢٣٩) .

أَنْ بَغِيضًا وَأَنْ إِخْوَتَهَا ذُبْيَانٌ قَدْ ضَرَمُوا الَّذِي اضْطَرَمَا
نُبِّئْتُ أَنْ حَكْمُوكَ بَيْنَهُمْ فَلَا يَقُولُنَّ بئْسَ مَا حَكَمَا
إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَةٍ بِشَأْنِهِمْ تَعْرِفُ ذَا حَقِّهِمْ وَمَنْ ظَلَمَا^(١)
وَتُنْزِلُ الْأَمْرَ فِي مَنْزِلِهِ حَزْمًا وَعِزْمًا وَتُحْضِرُ الْفُهْمَا^(٢)
وَلَا تُبَالِي مِنَ الْحَقِّ وَلَا الْمُبِّ يَطْلُ لَا إِلَهَ وَلَا ذِمَّةَ
فَاحْكُمْ وَأَنْتَ الْحَكِيمُ بَيْنَهُمْ لَنْ يَعْدَمُوا الْحُكْمَ ثَابِتًا صَمًّا^(٣)
وَاصْدَعْ أَدِيمَ السَّوَاءِ بَيْنَهُمْ عَلَى رِضَا مِنْ رَضَى وَمِنْ رَغِمَا
إِنْ كَانَ مَالٌ فَقَضِ عِدَّتُهُ مَالًا بِمَالٍ وَإِنْ دَمًا فَدَمًا^(٤)
هَذَا وَإِنْ لَمْ تُطِيقْ حُكُومَتَهُمْ فَانْزِدْ إِلَيْهِمْ أُمُورَهُمْ سَلَامًا^(٥)

٢٦٢

وقال آخر:

أَبْلَغُ ضِرَارًا أَبَا عَمْرٍو مَغْلَقَةً أَنْ كَانَ قَوْلُكَ ظَهَرَ الْغَيْبِ يَأْتِينَا^(١)
إِرْهَنَ قَبِيصَةً إِنْ صَلَحَ هَمَّتْ بِهِ إِنْ ضَرَارًا لَكُمْ رَهْنٌ بِمَا فِينَا
إِنْ ضَحِيكًا قَتِيلٌ مِنْ سَرَائِكُمْ وَإِنْ حِطَّانٍ مِنَّا ، فَاعْدِلُوا الدِّينَا^(٢)
وَأَنَّهُ عُيِيدًا فَلَا يُؤْذِي عَشِيرَتَهُ نَهْيُكَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَهْيِ نَاهِينَا

(١) يقال عرفه يعرفه عرفة ، وعرفانا ، وعرفانا ، وعرفانا ، وعرفانا . وفيما مضى : « إن كنت ذا خبرة » .

(٢) فيما سبق : « وتحصر الفهما » .

(٣) الصم ، بالتحريك : الصحيح القوى .

(٤) ما عدل : « إن كان مالا » ، وهي الرواية السابقة أيضا .

(٥) السلم ، بالتحريك : الاستسلام وإلقاء المقادة .

(٦) المغلفة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . ما عدل : « أن كل » .

(٧) ل : « قبيل من سرائكم » تحريف . والسراة : اسم جمع بمعنى الأشراف ، أو هو

جمع سرى على غير قياس ، والسرى : الشريف . والدين : الجزاء والمكافأة .

١٥

٢٠

وقال آخر:

بني عديّ ألا يا انهوا سفهكم إن السفية إذا لم ينفه مأمور^(٨)
وقال حضرمي بن عامر الأسدي ، ومات أخوه فقال جزء : قد فرح بأكل
الميراث^(٩) :

قد قال جزء ولم يقل أمّا إنّي تروّختُ ناعماً جذلاً^(١٠)
إن كنت أزنّفني بها كذباً جزء فلاقيت مثلها عجلاً^(١١)
أفرح أن أُرزا الكرام وأن أورث ذوداً شصائصاً نبلاً^(١٢)

(١) يا انهوا ، أي يا هؤلاء ، أو يا قوم انهوا . ومثله ما جاء في الكتاب : (ألا
يا اسجدوا) ، وفي قول ذي الرمة :

ألا يا اسلمي يا دارمي على البلي ولا زال منهلاً بجرعائك القطر
(٢) ذكر القالي في أماليه (١ : ٦٧) سبب الشعر ، قال : « كان حضرمي بن عامر
عاشر عشرة من إخوته ، فأتوا فورثهم ، فقال ابن عم له يقال « جزء » : من مثلك ، مات
إخوتك فورثهم فأصبحت ناعماً جذلاً ! فقال حضرمي » . وأنشد الأبيات التالية ،
وأنشد بعدها :

١٥ كم كان في إخوتي إذا احتضن الأقوام تحت العجاجة الأسلا
من واجد ماجد أخى ثقة يعطى جزلاً ويضرب البطلا
إن جئته خائفاً أمنت وإن قال سأحبوك نائلاً فملا
قال : « جلس جزء على شفير بئر وكان له تسعة إخوة فأنخسفت بإخوته ونجا هو ، فبلغ ذلك
حضرمياً فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كلمة وافقت قدراً ، وأبقت حقداً . وانظر القصة
بإيجاز في اللسان (جزأ ، شصص ، نبيل) .

٢٠ (٣) القول الأمم ، هو القول القصد . الأمالي : « سدا » . والسدد والسداد :
القصد ، والإصابة في القول . تروح بمعنى راح . والناعم : المقيم في النعيم . والجندل : الفرخان .
(٤) أزنه بالأمس إزنانا : اتهمه به . عجلاً ، أي لقاء عجلاً .

(٥) رزاه الشيء : نقصه إياه . والدود : جماعة قليلة من الإبل . والشصائص : جمع
شصوص ، وهي الناقة القليلة اللبن . والنبل ، بالتحريك : الصغار الأجسام . ويقرأ أيضاً :
« نبلا » بضم ففتح ، جمع نبلة بالضم ، وهي الجزاء والشواب . يقال : ما كانت نبلك من
فلان ؟ أي ما كان ثوابك . والبيت يستشهد به على حذف ألف الاستفهام في « أفرح » . ذكر
البطليني في شروح سقط الزند ٨٦٠٢ أنه حسن الحذف في هذا البيت لما في الكلام من
دليل عليه . أما ابن خالويه في (ليس في كلام العرب) ص ٦٨ فزعم أنه مما حذف ولا
دلالة عليه .

وقال حُرَيْثُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ مَرارة :

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِىِّ لَمَّا رَأَتْهَا :
فَإِنْ تَعَجَّبِي مَنِّي عُمَيْرٌ فَقَدْ أَنْتَ
وَأَنَا لَعْنُ قَوْمٍ تَشِيبُ سَرَاتِهِمْ
وَلَوْلَقِيتُ مَا كُنْتُ أَلْقَى مِنَ الْعِدَى
وَلَسَكُنْهَا فِي كَلَّةٍ كُلِّ شَتْوَةٍ
تُصَانُ وَتُعَلَى الْمَسْكُ حَتَّى كَانَهَا
تَفَكَّرْتُ حَتَّى كِدْتُ مِنْكَ أَهَالُ^(١)
لِيَسَالِ وَأَيَّامٌ عَلَى طَوَالِ
كَذَاكَ وَفِيهِمْ نَائِلٌ وَفَعَالُ^(٢)
إِذَا شَابَ مِنْهَا مَفْرِقٌ وَقَذَالُ^(٣)
وَفِي الصَّيْفِ كِنٌّ بَارِدٌ وَحِجَالُ^(٤)
إِذَا وَضَعْتَ عَنْهَا النَّصِيفَ غَزَالُ^(٥)

٢٦٣

وقال بعضُ الخوارج لامرأته وأرادت أن تنفِرَ معه :

إِنَّ الْحُرُورِيَّةَ الْحَرَّى إِذَا رَكَبُوا لَا يَسْتَطِيعُ لَهُمْ أَمْثَالُكَ الطَّلَبَا
إِنْ يَرْكَبُوا فَرَسًا لَا تَرْكَبِي فَرَسًا وَلَا تُطِيقِي مَعَ الرَّجَالَةِ الْخَبِيَا^(٦)
وقال خَزَزُ بْنُ لَوْذَانَ^(٧) لامرأته^(٨) ، في شبيهِ بهذا :

١٠

(١) هاله يهوله : أفزعه وأخافه .

(٢) عني أنهم يشيبون مما يلقون من الأهوال ويقتهمون من المخاطر . والنائل : ما ينال من معروف . والفعال : بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٣) ب ، ح : « إذا سال » ، النيمورية : « إذا شال » صوابهما في ل . والقذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان .

١٥

(٤) الكَلَّةُ ، بالكسر ، هو من الستور ما خيط فصار كالبيت . يتوقى فيه من البق ونحوه . والحجال : جمع حجلة ، بالتحريك ، وهو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار .

٢٠

(٥) النصيف : خمار المرأة .

(٦) الرجالة : الذين يسرون على أرجلهم . والحب : ضرب من العدو .
(٧) خَزَز ، بزامين وبوزن عمر ، ابن لَوْذَانَ ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهلي ، كما في الخزانة (٣ : ١١) . وانظر القاموس (خَزَز ، لَوْذ) والمؤتلف ١٠٢ . ونسبة الشعر التالي إلى خَزَز هو الثابت أيضاً في الحيوان (٤ : ٣٦٣) والخزانة ، وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى عنزة في المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحامسة ابن الشجرى ٨ وأماله (١ : ٢٦١) . والأبيات في ديوان عنزة ٢٣ — ٢٥ .

٢٥

(٨) في الديوان أنها كانت من بحيلة ، وكانت لا تزال تذكر أخيله وتلومه في فرس كان يؤثره ويطعمه ألبان لبله . انظر من أمثلة لما يثار العرب خيلهم باللبن ما ورد في الحماسة (١ : ١٣٠) .

لا تذكرى مهزرى وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجر (١)
 إن الغبوق له وأنت مسوء فتأوى ما شئت ثم تحو (٢)
 كذب العتيق وماء شئ بارد إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهي (٣)
 إني لأخشى أن تقول خليلتي : هذا غبار ساطع فتلب (٤)
 إن العدو لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلي وتخضي (٥)
 ويكون مركبك القعود وحده وابن النعامة يوم ذلك مركبي (٦)
 وأنا امرؤ إن يأخذوني عنوة أقرن إلى شر الركب وأجنب

- (١) أى تكونى عندي بمنزلة الأجر لا أقرب . وفي كتاب الخيل لابن الأعرابي ٩٢ : « وما أطعمته * فيكون لونك مثل لون الأجر » وقال : « ويروى مثل جلد الأجر » .
- (٢) الغبوق ، بالفتح : ما يشرب بالعمى ، التحوب : التوجع والشكوى والتعزن .
- (٣) العرب يقولون : كذب كذا ، وكذب عليك كذا ، وما مثلاً غريباً من أمثلة الإغراء ، وقد جاء هذا مسموعاً في كلامهم بكثرة . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجري والمخصص (٣ : ٨٤ — ٨٦) ، والمزهر (١ : ٣٨٢ — ٣٨٤) في باب معرفة المشترك . وقد نس ابن سيدة على أن مضر تنصب بهذا الفعل ما بعده وأن الين ترفع به . انظر توجيهه لذلك . يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر . ويشرب الماء البارد الذى فى القرية الحلقى ، ولا تعرضى لغبوق اللين ، لأن اللين خصصت به مهزى الذى أنتفع به ويسلنى وإياك من الأعداء . انظر اللسان (كذب) والمخصص (٣ : ٨٦) .
- (٤) عني بالخليلة الزوجة . وفي حماسة ابن الشجري : « ظعيتى » . والظعينة : المرأة الساطع : المرتفع . وعنى بالغبار الساطع ما يتطاير من جرى خيل العدو المغير . والتلب : التحزم بالسلاح وغيره .
- (٥) العدو ، من الكلمات التى تقال للواحد والاثنين والجميع ، مثنى ومذكراً ، بلفظ واحد . وروى ابن الشجري فى الأمالى : « أن يأخذوك » ، وقال : « موضعه نصب بتقدير الحافض ، أى فى أن يأخذوك » ثم قال : « قدفها بإرادتها أن تؤخذ مسبية ، فلذلك قال : تكحلي وتخضي » .
- (٦) أى يملك الأعداء حين تسبين على القعود ، وهو الفصيل من فصلات الإبل . والحدج ، بكسر الحاء : مركب من مهاكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للقاء العدو فرسي ، المسمى بابن النعامة . وقيل أراد ابن النعامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق ، وأول الثلاثة أحدها . والنعامة أم فرسه ، وهى فرس الحارث بن عباد . انظر اللسان والمقاييس (نعم) والمخصص (٢ : ٥٧ / ١٢ : ٤٢ / ١٣ : ٢٠٦) . وذكر ابن الأعرابي فى كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها ٩٢ أن ابن النعامة هذا فرس خرز ، كان يدعى « الغراف » . قال : « وهو ابن النعامة » .

وأراد أعرابي أن يسافر فطلبت إليه امرأته أن تكون معه ، فقال :
 إِنَّكَ لو سافرتِ قد مَذَحْتَ^(١) وَحَكَكَ الحِنَوَانِ فأنفشتِ^(٢)
 وقلتِ هذا صوتُ ديكٍ تحتي
 المَذَحُ : سَحَجَ^(٣) الفَخْذَيْنِ بالأُخْرَى .

وفي شبيهه بالمعنى الأول يقول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة :
 ٢٦٤ وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غَرْفَةٍ وَرِيَانُ مَلْتَفِ الحِدَانِ أَخْضَرُ^(٤)
 ووال كفاها كلَّ شَيْءٍ يَهْمُهَا فليست لشيءٍ آخرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ

* * *

وقال سلامة بن جندل^(٥) هذه الأبيات وبعث بها إلى صعصعة بن محمود
 ابن مرثد^(٦) ، وكان أخوه أحر بن جندل أسيراً في يده فأطلقه له :
 سَأَجْزِيكَ بالوَدِّ الذي كان بيننا أَصْصَعُ إِنِّي سوفَ أَجْزِيكَ صَعْصَعَا
 سَأَهْدِي وَإِنْ كُنَّا بَتَثْلِيثٍ مِدْحَةً^(٧) إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِيوتُكَ لَعْلَمَا^(٨)

(١) مَذَحَ ، بالذال المعجمة والحاء المهملة . ل : « مَذَحْتَ » ما عدال : « مَذَحْتَ »
 صوابهما ما أثبت . ومَذَحَ : اصطككت ثغذاه والتوتا حتى تتسحجا . والبيت وتاليه في اللسان
 (مَذَحَ ، فَشَحَ) « برواية » إِنَّكَ لو صاحبتنا . ١٥

(٢) الحِنَوَانُ : مثني الحِنُو بالسكسر ، وهو من الرحل والقتب والسرَج كل عود مموج
 من عيدانه . وفي الأصول : « انفتحت » صوابه من رواية اللسان في الموضعين ، يقال تَفَشَحَتْ
 وانفشت : تَفَاجَتْ وبعد ما بين رجلَيْها .

(٣) السَحَجُ : القشر والحَدَشُ . ل : « سَحَجَ » تحريف .

(٤) من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أَمِنْ آلِ نَعَمٍ أَنْتَ غَادٍ فَبِكْرٍ غَدَاةٌ غَدًا أَمْ رَائِحٌ فَهَجْرٌ
 والبيتان في الحيوان (٣ : ٤٩١) .

(٥) هو سلامة بن جندل بن عمرو بن عبيد بن الحارث — وهو مقاعس — بن عمرو
 ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعر جاهلي قديم ، كان من فرسان العرب المذكورين
 وأشدائهم ، وكان وصافاً للغيل ، وكان أخوه أحر بن جندل من الشعراء الفرسان أيضاً . ٢٥
 الشعراء لابن قتيبة ٢٢٩ — ٢٣٠ ، والخزانة (٢ : ٨٦) .

(٦) في الحيوان (٣ : ٧٠) : « صعصعة بن محمود بن بشر بن عمرو بن مرثد » .

(٧) تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة . وألع : موضع بين البصرة والسكوفة .

فإن يكُ محموداً أباك فإننا وجدناك محمود الخلائق أزوعاً^(١)
فإن شئت أهدينا ثناءً ومدحةً وإن شئت أهدينا لكم مائةً معاً^(٢)
قال : الثناء والمدحة أحب إليفا .

وقال أوسُ بن حَجَر : حين حُبس وأقام عند فضالة بن كَلْدَة ، وتولّت خدمته حليلة بنت فضالة ، شاكرًا لذلك^(٣) :

لعمرك ما ملّت نواء ثويها حليلة إذ ألقى مرّاسي مقعدي^(٤)
ولكن تلقّت باليدين ضمانتي وحلّ بفلجٍ فالفنّاذ عودى^(٥)
وقد غبرت شهرى ربيع كليهما بحمل البلايا والخباء الممدد^(٦)
ولم تلهمها تلك التكليف إنها كما شئت من أكرومة وتخرد^(٧)
هى ابنة أعراق كرام نمينها إلى خلق عَفٍّ برازته قد^(٨)

(١) أباك ، كذا وردت في الأصول ، ولعلها جاءت على لغة من يلزم الأسماء الستة الألف .
وفي الحيوان : « محموداً أبوك » . والأروع : الحمى النفس الذكى .

(٢) عني بالمائة مائة من الإبل تكون فدية لأخيه الأسير : أحر بن جندل .

(٣) كان أوس قد جالت به ناقته في سفر فصرعته فاندقت بفذاه ، فآواه فضالة ابن كَلْدَة ، وكانت حليلة بنت فضالة تعني به في أثناء مرضه . الأغاني (١٠ : ٧) . والأبيات
في ديوان أوس ص ٦ والحيوان (٣ : ٧١) .

(٤) الثوى : الضيف . والثواء : الإقامة . ويقال ألقى مراسيه ، أى استقر . ومثله :
ألقى عصاه .

(٥) الضمانة : الداء والعاهة والزمانة . وفلج : واد بين البصرة وحى ضرية . والفنّاذ :
موضع لم يعين . والعود : جمع عائد ، الذى يعود المريض .

(٦) غبرت : مكثت . والبلايا : جمع بلية ، وهى الناقة التى قد أعيت وصارت
نضواً هالكا .

(٧) الأكرومة ، بالضم : فعل السكرم . والتخرد : أن تصير المرأة خريدة ، وهى
الحية الطويلة السكوت ، الحافضة الصوت ، الحفرة . والبيت في اللسان (خرد) .

(٨) الأعراق : جمع عرق ، بالسكسر ، وهو الأصل . نمينها : رفعها في النسب
وعزونها . عف : عفيف . ماعدال : « عفو » تحريف . والبرازة ، بفتح الباء : الوثوق
بالفضل والرأى . وفي اللسان : « ورجل برز وبرزى » : موثوق بفضله ورأيه . وقد برّز
برازة . ماعدال : « برازته » محرف . قد ، كلمة بمعنى حسب . أى تكفيك منه البرازة .
وهذا البيت مما لم يرو في ديوان أوس .

سَجَزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنَّا مَثُوبٌ^(١) وَحَسْبُكَ أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْكَ وَتُحْمَدَى^(٢)
وَقَالَ الْخَرِمِيُّ :

فَلَمْ أَجْزِهِ إِلَّا الْمُدَّةَ جَاهِدًا وَحَسْبُكَ مَنِّي أَنْ أَوْدَ فَأَجْهَدًا^(٣)
وَقَالَ الْأَسَدِيُّ :

فَإِنِّي أَحَبُّ الْخُلْدِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَكَالْخُلْدِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أَلَمْ^(٤)
وَقَالَ الْحَادِرَةُ :

فَأَنْتُمْ عَلَيْنَا لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ^(٥) بِأَحْسَابِنَا ، إِنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الْخُلْدُ^(٦)
وَأَشْدَنِي الْأَصْمَعِيُّ لِلْمُهْلَلِ :

فَقَتْلًا بِتَقْتِيلٍ وَعَقْرًا بِعَقْرِكُمْ جِزَاءَ الْعُطَاسِ لَا يَمُوتُ مَنْ اتَّأَرَ^(٧)
١٠ وَضَافَ أَبُو شَلِيلٍ الْعَنْزِيُّ^(٨) بَنِي حَكَمٍ — فَخَذًا مِنْ عَنَزَةٍ — فَقَالَ :

(١) المَثُوبُ : المجَازَى . يُقَالُ أَثَابَهُ وَأَثَوَهُ وَثَوَّبَهُ . وَفِي السِّكَاكِ : (هَلْ ثَوَّبَ السَّكْفَارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) . ل : « عَنِ مَثُوبٍ » . وَفِي الدِّيَوَانِ وَالْأَغَانِي : « سَأَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي » .
(٢) أَنَشَدَهُ أَيْضًا فِي الْحَيَوَانَ (٧٢ : ٣) . وَأَجْهَدُ ، أَيْ أَجْهَدُ فِي الْمُدَّةِ .
(٣) رَوَاهُ الْجَاهِظُ فِي الْحَيَوَانَ (٤٧٥ : ٣) .

(٤) أَوْرَدَهُ أَيْضًا فِي الْحَيَوَانَ (٤٧٥ : ٣) بِرَوَايَةٍ : « بِأَحْسَابِنَا » . وَنَسَّ عَلَى الرَّوَايَتَيْنِ الْيَزِيدِيُّ فِي رَوَايَتِهِ دِيَوَانَ الْحَادِرَةِ م : « نَسَخَةُ الشَّنْقِيطِيِّ » .

(٥) هُوَ فِي الْحَيَوَانَ (٤٧٦ : ٣) بِدُونِ نَسْبَةٍ . الْعَقْرُ : الْقَتْلُ وَالْإِهْلَاكُ . جِزَاءُ الْعَاطِسِ ، هُوَ تَشْمِيَتُهُ ، الدَّعَاءُ لَهُ بِالْخَيْرِ . وَقَوْلُهُ : « جِزَاءُ الْعَاطِسِ » ، أَيْ نَعْمَلُ بِذَلِكَ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ التَّشْمِيَتِ وَالْعَاطَسِ . انْظُرِ اللِّسَانَ (عَقَبَ ١١٠ جِزَى ١٥٩) . لَا يَمُوتُ مَنْ اتَّأَرَ ، أَيْ لَا يَمُوتُ ذَكَرُهُ . وَاتَّأَرَ : أَدْرَكَ ثَأَرَهُ . مَا عَدَا ل : « اتَّأَرَ » بِالْمَثَلَةِ ، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ ، وَيُقَالُ أَيْضًا فِي غَيْرِ هَذَا الشَّعْرِ : « اتَّأَرَ » عَلَى الْأَصْلِ ، هُنَّ أَوَّجُهُ ثَلَاثَةٌ فِي كُلِّ مَا وَرَدَتْ ثَاءُ افْتِعَالُهُ بَعْدَ الثَّاءِ . انْظُرْ شَرْحَ الْمِفْصَلِ لِابْنِ يَعْشَرَ (١٠ : ١٨٤ س ٢٦ — ٣٠) ، وَقَدْ فُسِّرَ ابْنُ مَنْظُورٍ : « لَا يَمُوتُ مَنْ اتَّأَرَ » فِي مَادَّةِ (جِزَى ١٥٩ س ١٦) بِدُونِ أَنْ يَسْبِقَهَا لِإِنْشَادٍ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى سَقْطِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْهُ . وَنَحْوُ هَذَا الْبَيْتِ مَا أَنَشَدَهُ فِي اللِّسَانِ :

وَنَحْنُ قَتَلْنَا بِالْخُحَارِقِ فَارِسًا جِزَاءَ الْعَاطِسِ لَا يَمُوتُ الْعَاقِبُ ٢٥

(٦) مَا عَدَا ل : « أَبُو الشَّلِيلِ الْغُبَرِيُّ » ، وَضَافَ الْقَوْمُ يَضِيفُهُمْ : نَزَلَ بِهِمْ ضَيْفًا وَمَالَ إِلَيْهِمْ .

أُرَانِي فِي بَنِي حَكَمٍ غَرِيباً عَلَى قَتَرٍ أَزُورُ وَلَا أَزَارُ^(١)
أُنَاسٌ يَا كُلُّونَ اللَّحْمِ دُونِي وَتَأْتِينِي الْمَعَاذِرَ وَالْقَتَارُ^(٢)

وقال آخر :

إِذَا مَدَّ أَرْبَابُ الْبُيُوتِ بِيُوتِهِمْ عَلَى رُجَّحِ الْأَكْفَالِ أَلَوْنُهَا زُهْرُ^(٣)
فَإِنَّ لَنَا مِنْهَا خَبَاءً يَحْفُنَّا إِذَا نَحْنُ أَمْسِينَا : الْجَمَاعَةُ وَالْفَقْرُ •
وقال الآخر ، وهو أَبُو الْمُهَوِّشِ الْأَسَدِيُّ^(٤) :

تَرَاهُ يَطُوفُ الْآفَاقَ حِرْصاً لِيَأْكُلَ رَأْسَ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ^(٥)
وقال أيضاً^(٦) :

وَبَنُو الْفَقِيمِ قَلِيلَةٌ أَحْلَامُهُمْ تُطُّ اللَّحَى مُتَشَابَهُو الْأَلْوَانِ^(٧)

- (١) ماعدال : « قصيا » أى بعيداً ، بدل « غريباً » . والفتر ، بالفتح : ضيق العيش .
(٢) المعاذر : جمع معذرة . والقنار ، بالضم : ريح القدر والشواء ونحوهما .
(٣) ل : « إذا سد » . والرجح : جمع راجحة ، وهى الثقيلة ، ويقال امرأة راجح ورجاح ، أى ثقيلة العبيرة . والزهر : الحسان البيض ، جمع زهراء .
(٤) أَبُو الْمُهَوِّشِ ، بالشين ؛ وفيها عدا ل : « أَبُو الْمُهَوِّشِ » تحريف . وَأَبُو الْمُهَوِّشِ الْأَسَدِيُّ ، هو حوط بن رثاب ، أو ربيعة بن وثاب ، من الشعراء المخضرمين الذين أدرکوا النبي ولم يروه . انظر الحزاة (٣ : ٨٦) ، والإصابة ٢٠١٥ ، وما سبق في (١ : ٢٠٧) .
ونسبة الشعر إلى أبي مهوش تطابق ما ورد في حواشي الكامل ٩٨ ليسك . لكن نسب في معجم المرزبانى ٤٩٤ وكنيات الجرجاني ٧٣ والاقتضاب ٢٨٨ إلى يزيد بن الصعق الكلابي . وانظر خبراً لهذا الشعر في المراجع المتقدمة والعقد (٢ : ١٠) ، وأمثال الميداني (١ : ١٧١)
وأدب السكاتب ١٢ والحزاة (٣ : ١٤٢) وأخبار الطراف ٢٤ .
(٥) قبل البيت كما سبق في (١ : ١٩٩) :
إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ وَسَرَكْتُ أَنْتَ يَعِيشُ فِجْئُ بَرَادٍ
يَحْبِزُ أَوْ يُلْحَمُ أَوْ يَسْمَنُ أَوْ الشَّيْءُ الْمَلْفُ فِي الْبَجَادِ

- وقال الثعالبي في ثمار القلوب ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر ، كذلك تصف رأسه بالعظم وتضرب به المثل » . وأنشد البيت . ومثل هذا الكلام لابن السيد في الاقتضاب ٤٩ ، وزاد : « كما يقال لمن يزهى بما فعل ويفخر بما عنده : كأنه قد جاء برأس خاقان » .

- (٦) الأبيات التالية لجرير في ديوانه ٥٨١ ، والحيوان (١ : ٢٥٨) ، وعيون الأخبار (٣ : ٢٢٥) ، يهجو بها بني الهجيم بن عمرو بن تميم .
(٧) بنو الفقيم ، كذا ورد في جميع النسخ . وصوابه « بنو الهجيم » كما في المراجع =
(٢١ — البيان — ثالث)

لو يَسْمَعُونَ بِأَكْلَةٍ أَوْ شَرْبَةٍ بُعْثَانِ أَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُعْثَانٌ^(١)
 *مُتَابِطِينَ بَيْنَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ صُغَرَ الْأَنْفِ لَرِيحٍ كُلِّ دُخَانٍ^(٢)
 وقال الآخر :

وجيرة لن ترى في الناس مثلهم إذا يكون لهم عيدٌ وإفطارٌ
 إن يُوقِدُوا يُوسِعُونَا مِنْ دُخَانِهِمْ وليس يبدو لنا ما تنضج النارُ
 وقال أبو الطُّرُوق الضُّبِّي^(٣) ، في خاقان بن عبد الله بن الأهم^(٤) :

شكَّ النَّاسُ فِي خَاقَانَ لَمَّا أَتَى لَوْلَادِهِ سَنَةً وَشَهْرًا^(٥)
 وَقَالَتْ أُخْتُهِ إِيَّيَّ بَرَاءً إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْكَ وَذَاكَ نُكْرُ
 وَلَمْ تَسْمَعْ بِحَمَلٍ قَبْلَ هَذَا أَتَى مِنْ دُونِهِ دَهْرٌ وَدَهْرٌ
 فَنَافَرَهَا فَأَلْحَقَهُ شَيْبٌ وَأَثْبَتَهُ قَنَابٌ عَلَيْهِ وَفَرٌ^(٦)
 وقال مَكِّيُّ بْنُ سَوَادَةَ الْبُرْجُمِيُّ^(٧) :

تَحَيَّرَ اللَّؤْمُ يَبْغَى مِنْ يُحَالِفِهِ حَتَّى تَنَاهَى إِلَى أَبْنَاءِ خَاقَانَ
 أَزْرَى بِكُمْ يَا بَنِي خَاقَانَ أَنْكُمْ مِنْ نَسْلِ حَبْجَامَةٍ مِنْ قَنْ هِرْزَانَ^(٨)

== المقدمة . الديوان : « قبيلة مخسوسة » ، والحيوان وعيون الأخبار : « سخيقة أحلامهم » .
 والأحلام : العقول . نط : جمع أنط ، وهو القليل شعر اللحية .

(١) الحيوان : « أضخى جمعهم » .
 (٢) صغر : جمع أصغر ، وهو المائل . وفي الديوان : « متوركين بينهم » . توركت
 المرأة الصبي ، إذا حملته على وركها .

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ١٥) .
 (٤) انظر ما سبق في (١ : ٣٥٥ س ١٣ — ١٤) .
 (٥) ما عدال : « وشك » بدون خرم . الولاد : الولادة .
 (٦) ثاب عليه : رجع . والوفر : المال الكثير الواسع .
 (٧) انظر ما سبق في (١ : ٣) .

(٨) الحجامة : التي تقوم بالحجامة ، وهي امتصاص الدم بالحجامة بعد أن يظهره بالشرط .
 وهذه الصناعة مثل في الحسة . والفن : المملوك هو وأبواه ، يقال عبد قن ، وعبدان قن ،
 وعبيد قن . فإذا لم يكن أبواه مملوكين فهو عبد مملوك . وهزان ، بكسر الهاء وتشديد =

سفاكة لدماء القوم آكلة
لو تسألون بها أيوب جاءكم
أيام تعطيه خراجاً من حجامتها
فإن رددتم عليه ما يقول أتى
نم اشتراها أبو خاقان حين عست
فاستدخلتها ولا تدري بما فعلت
قدماً لأموالهم من غير سلطان^(١)
على الذي قلت أيوب ببرهان^(٢)
يوماً فيوما توفيه بأربان^(٣)
على مقاتله فيها بتبيان^(٤)
فالتقطت نقطة منه بأقطان^(٥)
حتى إذا ارتكضت جاءت بخاقان^(٦)

٢٦٧

وقال اللعين المنقري^(٥) في آل الأهم :

وكيف تسامون السكرام وأنتم
دوارج حيريون فدع القواثم^(٦)

== الزاى : هم بنو هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة الفرس
ابن نزار بن معد بن عدنان . الاشتقاق ١٩٤ .

١٠

(١) يشير إلى أن كسبها من الحجامة كسب خبيث .

(٢) الخرج : الإناوة . والأربان بالضم : لغة في العربان ، كما أن الأربون لغة في العربون .
وأصل العربان : أن يشتري السلعة ويدفع إلى صاحبها شيئاً من الثمن على أنه إذا أمضى البيع
حسب من الثمن ، وإن لم يعضه كان لصاحب السلعة ولم يرتجعه المشتري . وهو بيع باطل عند
جمهور الفقهاء لما فيه من الشرط والغرر ، وأجازه أحمد ، وروى عن ابن عمر لإجازته . وقد
عبر بالأربان هنا عما تدفعه مقدماً إليه من الإناوة . انظر اللسان (أرب ، أرن ، ربن ،
عرب ، عربن) ، والمعرب للجواليقي ٢٣٢ — ٢٣٣ .

١٥

(٣) عست : كبرت وأسنت ، يقال عسا عسو ، وعسى يعسى ، كرضى يرضى .
ومثله في المعنى عتا يمتو . نقطة ، كذا وردت في النسخ .

٢٠

(٤) ارتكضت : اضطربت . أراد تحرك جنبها في بطنها . والمعروف في مثل هذا
أركضت المرأة والدابة ، أى تحرك ولدها في بطنها وعظم .

(٥) اللعين : لقب له ، واسمه منازل بن ربيعة ، من بني منقر ، ونقل صاحب الخزانة
عن زهر الآداب أن سبب تلقيبه بذلك أن عمر سمعه ينشد شعراً والناس يصلون ، فقال : من
هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم . وهو القائل في الحكومة بين جرير والفرزدق :

٣٥

سأقضى بين كلب بنى كليب وبين القين قين بنى عقال

فإن السكب مطعمه خبيث وإن القين يعمل في سفال

الشعراء ٤٧٤ والاشتقاق ١٥٣ — ١٥٤ والخزانة (١ : ٥٣٠ — ٥٣١) واللعين
(٢ : ٤٠٤ — ٤٠٥) .

(٦) المسامة : المباراة والمفاخرة . دوارج ، يقال قبيلة دارجة ، إذا انقرضت ولم يبق

٣٠

لها عقب وأنشد في اللسان للأخطل :

بنو ملصق من ولد حذلم لم يكن ظلوماً ولا مستنكراً للعظام^(١)
وقال الآخر^(٢) :

قالت عهدتك مجنوناً فقلت لها إن الشباب جنون برؤه الكبير^(٣)
وقال أعرابي^(٤) :

رمتني وستر الله بيني وبينها عشيّة آرام الكناس رميم^(٥)
ألا ربّ يوم لو رمتني رميّتها ولكنّ عهدي بالنضال قديم^(٦)
[رميم التي قالت لجارات بيتها ضمنت لكم ألا يزال يهيم^(٧)]

١٠ = قبيلة كشراك النمل دارجة . إن يهبطوا العقول لا يوجد لهم أثر
أو هو من الدرجان ، وهو مشية الصبي والشيخ . حيريون : منسوبون إلى الحيرة ، وهي بلد
بجانب الكوفة . والفدع : جمع أفدع وفدعاء . والفدع بالتحريك : عوج وميل في المفاصل .
ل : « بدع » تحريف .

(١) الملصق : الدعي ليس من القوم بنسب .
(٢) هو المتي ، كما في حماسة ابن الشجري ١٨٤ ، ٢٤٥ .
(٣) قبله ، كما في حماسة ابن الشجري :
١٥ لما رأيته عند قاصراً بصري عنها وفي الطرف عن أمثالها زور
وفي عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) ما يوم أن البيت « قالت عهدتك » هو من شعر
ابن أبي فنن ؛ لأنه أنشده بعد بيت لابن أبي فنن ، وهو :

من عاش أخلقت الأيام جده وخانه الثقتان السمع والبصر
والحق أن بيت المتي مقحم في هذا الموضع من عيون الأخبار ، وموضعه هو السطر الثامن
٢٠ عشر من صفحة ٣٢٠ فقط . وانظر الحيوان (٦ : ٢٤٤ ، ٤٢٢) .
(٤) هو أبوحية النميري ، كما في الكامل ١٩ ليسك والحماسة (٢ : ١١٠) . والأبيات
بدون نسبة في الحيوان (٣ : ٤٩) ، وسبقت في (١ : ٦٨) .

(٥) أي رمتني بطرفها . وعني بستر الله الإسلام ، أو الشيب . وآرام الكناس : موضع .
وروى : « بأحجار الكناس » . الكامل واللسان (كنس) . ورواية الحماسة : « ونحن
٢٥ بأكناف الحجاز » . وريميم هي خليلته .

(٦) قال المبرد في تفسيره : « لو كنت شاباً لرميت كما رميت ، وفتنت كما فتنت ، ولكن
قد تناول عهدي بالشباب » .
(٧) توجه « لا يزال » رفعاً بجمل « أن » مخففة من الثقيلة ، ونصباً بجعلها ناصبة .

وقال أبو يعقوب الأعور :

بقلبي سقامٌ لستُ أحسنُ وصفه على أنه ما كان فهو شديد
تمرُّ به الأيامُ تسحب ذيلها فتبلى به الأيامُ وهو جديد
وقال الثَّقَفِيُّ (١) :

مَنْ كَانَ ذا عَضْدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ إِنَّ الدَّلِيلَ الذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضْدُ (٢)
تَنْبُو يَدَاهُ إِذَا مَا قُلَّ نَاصِرُهُ وَيَأْنِفُ الضِّيمَ إِنْ أَثَرَى لَهُ عَدَدُ (٣)

وقال أشجعُ السَّهْمِيُّ (٤) ، في هارون أمير المؤمنين :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ : ضَوْءُ الصَّبْحِ وَالْإِظْلَامُ (٥)
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتُهُ وَإِذَا هَدَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامُ

وقال :

أَنْتَجِعَ الْفَضْلَ أَوْ تَخَلَّ مِنْ الدَّنْ يَا فَهَاتَانِ غَايَتَا الْهِمَمِ (٦)

وقال :

أَبْتَ طَبْرِسْتَانُ إِلَّا الَّتِي يَعُمُّ الْبَرِّيَّةَ مِنْ دَائِهَا (٧)

- (١) وكذا لم يعين الثَّقَفِيُّ في البيان (١ : ٦٧) ، والحيوان (٣ : ٤٥) وعيون الأخبار (٣ : ٢) . وقد حسبته هناك يزيد بن الحكم الثَّقَفِيُّ . والحق أنه « الأجرد الثَّقَفِيُّ » كما نص ابن قتيبة في الشعراء ٧١٢ .
- (٢) العَضْدُ : النصير والعون . والظلامه : ما يطلب عند الظالم ، وهو اسم ما أخذه .
- (٣) أَثَرَى عَدَدُهُ : كثر عدد قبيله وأنصاره .
- (٤) هو أشجع بن عمرو السهْمِيُّ ، من بني سليم ، ولد باليمامة ونشأ بالبصرة ، ثم خرج إلى الرقة والرشيد بها ، فنزل على بني سليم فقبلوه وأكرموه ، ومدح البرامكة فوصلوه بالرشيد ومدحه فأعجب به أيضاً ، فأثرى وحسنت حاله . الشعراء ٨٥٧ والأغاني (١٧ : ٣٠ — ٥١) وتاريخ بغداد (٧ : ٤٥) ومعاهد التنخيص (٢ : ١٣٣) والموشح ٢٩٥ .
- (٥) من أبيات في الأغاني والكامل ٢٨٧ ليسك . وقد أنشد أشجع هارون القصيدة فأجازه بعشرين ألف درهم .
- (٦) الفضل بن يحيى البرمكي .
- (٧) طبرستان : بلاد بين الرى وقومس وبلاد الديلم وتسمى أيضاً « مازندران » . =

ضَمَّتْ مَنَاكِبَهَا ضَمَّةً رَمَتْكَ بِمَا بَيْنَ أَحْشَائِهَا

قالوا : لم يدع الأول للآخر معنى شريفاً ولا لفظاً بهياً إلا أخذه ،
إلا بيت عنتره :

فَتَرَى الذُّبَابَ بِهَا يَغْنَى وَحْدَهُ هَزِجًا كَفَعَلَ الشَّارِبِ الْمَتَرْنَمِ^(١)
غَرِدًا يَسُنُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فِعْلَ الْمَكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ^(٢)

وقال الفقيمي ، قاتل غالب أبي الفرزدق :

وما كنت نَوَامًا ولكنَّ ثَائِرًا أَنَاخَ قَلِيلًا فَوْقَ ظَهْرِ سَبِيلِ
وقد كنتُ مجرورَ اللسانِ ومُفْجَمًا فَأَصْبَحْتُ أَدْرِى الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ^(٣)
وقال أبو المثلّم الهذلي^(٤) :

[أَصْخَرَبَنَ عَبْدُ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ شَاعِرًا فَإِنَّكَ لَا تُهْدَى الْقَرِيضَ الْمَفْحَمَ]

== واشتقاق اسمها من تبر ، الفأس بلغة الفرس ، و « ستان » بمعنى الموضع أو الناحية . وكل
طبري فهو منسوب إليها ، وأما « طبرية » التي في بلاد الشام فالنسبة إليها « طبراني » . وفي
الأغاني (١٧ : ٤٩) : « غير الذي صدعت به بين أعضائها » . وتقام الأبيات :

سموت إليها بمثل السماء	تدلى الصواعق في مائها
فلما نظرت إلى جرحها	وضعت الدواء على دائها
فرشت الجهاد ظهور الجياد	بأبنائها وبأبنائها
بنفسك ترميهم والخيول	كرمي العقاب بأفلاها
نظرت برأيتك لما هم	ت دون الرجال وآرائها

- (١) البيتان من معلقته . وانظر قول الجاحظ فيهما في الحيوان (٣ : ١٢٧ ، ٣١٢) .
(٢) روايته في الحيوان : « يحك ذراعه » . الأجذم : المقطوع اليدين . شبه الذباب في
تلك الحالة برجل مقطوع اليدين يقدح بعودين .
(٣) سبق البيتان وتفسيرهما في ص ٢١٤ .
(٤) ترجم في (٢ : ٢٧٥) ، حيث أنشد البيت التالي .

وقال الهذلي^(١) :

على عبد بن زهرة طو ل هذا الليل أنتحب^(٢)
 أئخ لي دون من لي من بني عم وإب قرؤوا^(٣)
 طوى من كان ذا نسب إلى وزاده النسب
 أبو الأضياف والأيتام ساعة لا يعذ أب^(٤)
 ألا لله درك من فتى قوم إذا ركبوا^(٥)
 وقالوا من فتى للثغر يرقبنا ويرتقب^(٦)
 • فكنت أخاهم حقاً إذا تدعى لها تثب
 وقد ظهر السوابع فيهم والبيض واليلب^(٧)
 أقام لدى مدينة آ ل قسطنطين وانقلبوا^(٨)
 نجيباً حين يدعى، إ ن آباء الفتى نجب^(٩)

٢٦٩

وقال أدم بن محرز الباهلي :

لما رأيت الشيب قد شان أهله تفتيت وابتعت الشباب بدرهم

- (١) الهذلي هذا هو أبو العيال ، يرثى ابن أمه ، أو ابن عم له يقال له « عبد بن زهرة »
 وكان قد قتل في زمن معاوية بن أبي سفيان ، انظر ديوان الهذليين (٢ : ٢٤١ طبع دار
 الكتب) وشرح السكري للهذليين ١٣٧ والأغاني (٢٠ : ١٦٦ ، ١٦٧) والشعراء ٦٥١ .
 (٢) في ديوان الهذليين والأغاني : « أكتتب » . والكآبة : الحزن .
 (٣) يقول : هم في المودة عندي دونه ، وهم أقرب إلى منه .
 (٤) يقال : هو أبوم ، أى يكفلهم ويرعى أمورهم .
 (٥) في الأغاني : « إذا رهبوا » . وفي الديوان : « من فتى حى إذا رهبوا » .
 (٦) الثغر : موضع الخفاة . وفي الديوان والأغاني : « للحرب » .
 (٧) بين هذا البيت وسابقه عشرة أبيات في الديوان . السوابع : الدروع الواسعة
 الطويلة . والبيض : السيوف . واليلب : نسوع ترصف فيلبسها الرجل مثل البيضة بدلا منها
 أو يلبسها تحتها .
 (٨) انقلبوا : رجعوا ، يعنى أصحابه .
 (٩) يروى : « والفتى آباؤه نجب » . والنجيب من الرجال : الكريم الحبيب .

وقال آكل المرار الملك^(١):

إِنَّ مَنْ غَرَّهَ النساءُ بشيءٍ بَعْدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مَغْرورٌ
حُلُوَّةُ العينِ واللِّسانِ ، ومُرَّةُ كُلِّ شَيْءٍ يُجْنُ مِنْهَا الضَّمِيرُ
كُلُّ أَتْنَى وَإِنْ بَدَّتْ لَكَ مِنْهَا آيَةُ الْحَبِّ ، حُبُّهَا خَيْتَمُورٌ^(٢)

وقال طُفَيْلُ الغَنَوِيِّ :

إِنَّ النساءَ كأشجارٍ نَبْتَنَ مَعَا مِنْهَا الْمُرَارُ وَبَعْضُ الْمُرِّ مَا كَوَلُ^(٣)
إِنَّ النساءَ مَتَى يُنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا بُدَّ مَفْعُولٌ^(٤)
لَا يَنْتَنِينَ لِرُشْدٍ إِنْ صُرِفْنَ لَهُ وَهُنَّ بَعْدَ مَلَاوِيمٍ مَخَاذِيلُ^(٥)

- (١) آكل المرار: لقب حجر بن معاوية، من اجداد امرئ القيس الشاعر، وهو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور. وثور هذا هو كندة الذي ينسب إليه الكنديون. وإنما لقب حجر آكل المرار لما ذكر أبو عبيد قال: «أخبرني ابن الكلبي أن حجرا إنما سمى آكل المرار أن ابنة كانت له، سبهاها ملك من ملوك سليج، يقال له: ابن هبولة. فقالت له ابنة حجر: كأنك بأبي قد جاء كأنه جل آكل المرار — يعني كاشراً عن أنيابه. فسمى بذلك. وقيل إنه كان في نفر من أصحابه في سفر فأصابهم الجوع، فأما هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا، وأما أصحابه فلم يطبقوا ذلك حتى هلك أكثرهم». الشعراء ٦٢، واللسان (مرر)، وشرح شواهد الشافعية للبغدادى ٣٩٣ — ٣٩٧. والمرار: شجر مر إذا أكلته الإبل قلصت عن مشاferها.
- (٢) الخيتمور: المتلون الذي لا يدوم على حال. وأنشده في اللسان (ختمر) برواية: «وإن بدا لك منها». وكذا في شرح شواهد الشافعية.
- (٣) الأبيات في ديوان طفيل ٣٤ طبع لندن ١٩٢٧ برواية أبي حاتم عن الأصمعي. والأول والثاني في عيون الأخبار (٤: ١١٣) والشعراء ٤٢٣.
- (٤) الواجب: اللازم الثابت، وهو أيضاً الساقط والواقع. وفي عيون الأخبار: «فإنه واقع». وهذا البيت وسابقه ذكر أبو حاتم في شرح الديوان أنهما لملك بن كعب، والد كعب بن مالك الأنصاري.
- (٥) هذا البيت من ل فقط. وفي الديوان: «لا ينتنن لرشد إن منين به». وفي الشعراء: «لا ينصرفن لرشد إن دعين له». ملاويم، من اللوم، جمع ملوam، وهي الكثيرة اللوم. ومخاذيل من الخذل، وهو ترك النصرة. وفي الشعراء: «ملائيم» تحريف.

وقال علقمة بن عبدة^(١) :

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصيرٌ بأدواء النساء طيبٌ^(٢)
إذا قلَّ مالُ المرءِ أو شابَ رأسُه فليسَ له من وُدِّهن نصيبٌ^(٣)
يُرَدَّنَ ثراءُ المالِ حيثُ علمنه وشرحُ الشبابِ عندهنَّ عجيبٌ^(٤) ٢٧٠

وقال أبو الشَّغْبِ السَّعْدِيُّ^(٥) :

أبعدَ بنى الزَّهراءِ أرجو بشاشةً من العيشِ أو أرجو رخاءَ من الدهرِ
غطارِفةٌ زهرٌ مَضَوًا لسبيلهم ألهي أعلى تلكَ الغطارِفةِ الزَّهْرُ^(٦)
يذكُرُنيهم كلُّ خيرٍ رأيته وشرٌّ فما أنفكُ منهم على ذِكْرِ

وقال أبو حُرْزَابَةَ^(٧) ، في عبد الله بن ناشرة :

ألا لا فتى بعدَ ابنِ ناشرةِ الفتى ولا خيرٌ إلَّا قد تولى وأدبراً ١٠
وكان حَصَاداً للهنايا ازدرَعته فهلاً تركنَ النَّبتَ ما كان أخضرأ^(٨)

(١) هو علقمة بن عبدة ، بالتحريك ، بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة الجوع ابن مالك بن زيد مناة بن تميم . وهو المعروف بعلقمة الفحل ، شاعر جاهلي مجيد . وقصيدته التي منها هذه الأبيات اختارها المفضل في المفضليات (٢ : ١٩٠ — ١٩٦) ، وهي في ديوانه من مجموع خمسة دواين .

(٢) بالنساء ، أي عن النساء . وفي الكتاب : (فاسأل به خبيراً) ، أي عنه .

(٣) في المفضليات وما عدال : « إذا شاب رأس المرء أو قلَّ ماله » .

(٤) ثراء المال : كثرته . شرح الشباب : أوله .

(٥) ويقال أيضاً « العبسي » ، شروح سقط الزند ٨٧٠ . وعبس ، هو ابن بفيض

ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان .

(٦) الغطارِفة : جمع غطريف ، وهو السيد الشريف السخي . والزهر : جم أزهر ،

وهو الحسن الأبيض من الرجال .

(٧) أبو حُرْزَابَةَ ، بضم الحاء ، هو الوليد بن حنيفة ، من شعراء الدولة الأموية ، بدوى

حضر وسكن البصرة ، ثم اكتتب في الديوان وضرب عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها

مدة وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك . وكان شاعراً راجزاً ٣٥

فصيحاً خبيث اللسان هجاء . الأغاني (١٩ : ١٥٢ — ١٥٦) .

(٨) ازدرَعنه : زرعه .

لَحَا اللهُ قَوْمًا أَسْلَمُوا وَرَفَعُوا عَنَّا جِيجَ أَعْطَتْهَا يَمِينُكَ ضُمْرًا^(١)
أَمَّا كَانَ فِيهِمْ فَارِسٌ ذُو حَفِيفَةٍ يَرَى الْمَوْتَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ أَعْذَرًا^(٢)
يَكْرَهُ كَمَا كَرَّ الْكَلْبِيُّ بَعْدَ مَا رَأَى الْمَوْتَ تَحْدُوهُ الْأَسَنَّةُ أَحْمَرًا
فَكَرَّ عَلَيْهِ الْوَرْدَ يَدْمَى لَبَانُهُ وَمَا كَرَّ إِلَّا رَهْبَةً أَنْ يُعَيَّرَا^(٣)
وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ^(٤) :

رَعَاكَ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلِلَّهِ أَنْ يُشْقِيكَ أَعْنَى وَأَوْسَعُ^(٥)
يَذْكُرُ نِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ
وَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ^(٦) :

وَقَالُوا إِلَّا تَبْكِي أَخَاكَ وَقَدْ أَرَى مَكَانَ الْأَسَى لَكِنْ بُنِيتُ عَلَى الصَّبْرِ^(٧)

- ١٠ (١) رفع فرسه : سار به دون الحضر وفوق الموضوع . والعناجيج : جمع عنجوج ، بالضم ، وهو الرائع من الخيل ، أو الجواد . الضمر : جمع ضامر . أعطتها يمينك ، يقول : أنت منحتم تلك الخيل ، ولكنهم لم يفوا لك ، وأسلموك .
(٢) الحفيظة : المحافظة على العهد ، والحمامة على الحرم . أعذر ، أى أجلب للعذر .
(٣) يقال كرهه ، فكرهه . الورد : اسم فرس . واللبان ، بالفتح : الصدر .
١٥ (٤) أعرابي من هذيل ، كما في الحيوان (٧ : ١٤٨) . والبيتان بدون نسبة في الحماسة (٢ : ١١١) .

(٥) الضمان : مصدر ضمن الشيء وبه : كفله . وقال المرزوقي — فيما رواه عنه التبريزي في شرح الحماسة : « أشار بقوله ضمان الله إلى ما في القرآن من قوله تعالى : ادعوني استجب لكم . وقد ضمن الإجابة للداعي فرعاك الله » . يشقيك ، كذا جاءت الرواية هنا . وفي الحماسة كذلك : « عن يشقيك » . وعن هذه لفة في « أن » ، وهى اللفظة المعروفة بعبثة تميم ، كما في قول ذى الرمة :

أَعْنُ تَوَسَّمتْ مِنْ أَسْمَاءَ مَنْزِلَةً مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٍ
ويحتمل أن يكون بعدها « أن » مقدرة . وروى في الحيوان — وهو رواية المرزوقي كما استظهر له التبريزي : « أن يسقيك » ، وهو بتقدير حذف الجار ، أى ولله بأن يسقيك ، أى أظهر غنى وأوسع قدرة .

٢٥ (٦) ترجم في (١ : ١٠٧) . وكان أخوه عبد الله بن الصمة قد غزا غطفان ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية ، فظفر بغطفان وساق أموالهم ، وذلك في يوم يقال له يوم اللوى ، ثم أدركتهم غطفان : عبس وفزارة وأشجع ، فحمل عليه رجل من عبس فقتله .
الأغاني (٩ : ٣) .

٣٠ (٧) الأبيات في الأغاني (٩ : ٣) والحماسة (١ : ٣٤٠) . وفيهما : « مكان البكا » .

- ٢٧١ " فقلتُ أعبدَ اللهَ أبكى أم الذى على الجَدَثِ النَّائى قَتِيلَ أبى بكرٍ ^(١)
وَعَبَدَ يَفُوثَ أو نَدِيمى خَالِدًا وَعَزَّ الْمَصَابُ وَضَعَ قَبْرٍ حِذَا قَبْرِ ^(٢)
أبى الْقَتْلُ إِلَّا آلَ صَمَّةَ لَهُمْ أَبَوَا غَيْرَهُ وَالْقَدْرُ يَجْرى إِلَى الْقَدْرِ ^(٣)
فَإِنَّمَا تَرَيْنَا لَا تَزَالُ دِمَاؤُنَا لَدَى وَاتِرٍ يَسْعَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ ^(٤)
فَإِنَّا لِلْحِمِّ السَّيْفِ ، غَيْرَ نَكِيرَةٍ وَنُلْحِمُهُ حِينًا وَلَيْسَ بَذَى نُكْرٍ ^(٥)
يُفَاكِرُ عَلَيْنَا وَاتِرِينَ فَيُشْتَفَى بِنَا إِنْ أَصَبْنَا أَوْ نُفَيْرُ عَلَى وَتِرٍ ^(٦)
قَسَمْنَا بِذَلِكَ الدَّهْرِ شَطْرَيْنَ بَيْنَنَا فَلَا يَنْقُضَى إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ ^(٧)

- (١) الحدث : القبر . ما عدال : « على الحدث الباقي » . وأبو بكر هؤلاء ، هم بنو
أبى بكر بن كلاب ، قتلوا أخاه قيس بن الصمة . الأغاني (٩ : ٢) .
- (٢) وعبد ينفوث هذا أخوه ، قتلته بنو مرة . وأما خالد أخوه فقتله بنو الحارث
ابن كعب . الأغاني (٩ : ٢) . ما عدال : « أو يميني خالدا » ، جعله كيدته البني . وفي الأغاني :
« أو خليلي » . وبدلها في الحماسة : « تحجل الطير حوله » . الحذاء : الإزاء والمقابل .
ما عدال : « إلى قبر » . وعجزه في الأغاني : « وعز مصابا حثو قبر على قبر » . وفي الحماسة :
« وعز المصاب حثو قبر على قبر » .
- (٣) القدر ، بسكون الدال ، هو القدر بفتحها ، وهو ما قدره الله . وأنشد للفردق :
وما صب رجلى في حديد مجاشع مع القدر إلا حاجة لى أريدها
- (٤) الواتر : الذى يدرك الوتر ، أى الثأر . ب ، ح : « دأثر » التيمورية « دأثر »
محرفتان . وفي الأغاني : « يشقى بها » تحريف . يقول : إن ترينا أبدا دماؤنا عند من قتلنا له
قتيلا يطلبنا بدمه ، ويسعى بما يطلب من دمائنا .
- (٥) هم لحم السيف ، أى هم طعامه يعرضون أنفسهم للقتل . غير نكيرية ، منصوب على
المصدر . قال التبريزي في شرح الحماسة : « وأكثر ما يستعمل نكير بغير هاء . والنكير
والنكير كالعذر والعذر . ومثل هذا المصدر يؤكده الكلام الذى قبله ، ويجرى مجرى حقا
وما أشبهه . ويجوز أن تكون الهاء من النكيرية للمبالغة » . ولم يذكر « النكيرية » أحد
من أئمة اللغة سوى صاحب القاموس . ألحقه : أطعمه اللحم . والحين : اسم للزمان المتصل ، فكأنه
قال : ونلحمه فيما يتصل من الأوقات ، وليس يريد حيناً من الأحيان . انظر شرح التبريزي .
- (٦) الوتر ، بفتح الواو وكسرهما : الثأر .
- (٧) الشطر ، بالفتح : نصف الشيء . بيننا ، أى بيننا وبين أعدائنا .

وقال الآخر^(١) :

إذا ما تراءاه الرجالُ تحفظوا فلم تنطقِ العوراءُ وهو قريب^(٢)
 حبيبٌ إلى الزَّوار غُشيانُ بيته جميلُ الحَيَّا شَبٌّ وهو أديب
 فتى لا يُبالي أن يكون بحسبه إذا نالَ خَلَّاتِ الكِرامِ شُحوبُ^(٣)
 حليمٌ إذا ما الحليمُ زينَ أهله مع الحليم في عين العدوِّ مهيبٌ^(٤)
 [حليف الندى يدعو الندى فيجيبه قريباً ويدعوه الندى فيجيب
 يبيت الندى يا أمَّ عمرو ضجيعه إذا لم يكن في المنقيات حلوبٌ
 يقول : إذا كان الجذب ولم يكن للمال لبنٌ فهو وهوبٌ مطعامٌ في هذا
 الزمن . والمنقيات : المهازيل التي ذهب نقيهن . والنقى : مخ العظام وشحم العين ،
 وجمعه أنقاء . وناقاة مُنقية ، أى ذات نقي] .

وقال الآخر :

ألا ترينَ وقد قطعَتني عَذَلاً : ماذا من الفوتِ بين البُخلِ والجودِ^(٥)
 إلا يكنَ ورقٌ يوماً أجودُ به للمعتفينِ فإنِّي لئن العودِ^(٦)

(١) الأبيات التالية من قصيدتين متشابهتين متداخلتين يخلط الرواة بين أبياتهما ، إحداها
 لكعب بن سعد الغنوي ، والأخرى لعريقة بن مسافع العبسي ، انظر الأصمعيات ٩٤ — ٩٦
 طبع المعارف و ١٣ — ١٦ ليسك ، والأمالى (٢ : ١٤٧ — ١٤٨) والخزاة
 (٤ : ٣٧٣ — ٣٧٤) ومختارات ابن السجري ٢٧ .

(٢) تراءوه : قابلوه فرأوه . وفي شعر أبي ذؤيب :

أبي الله إلا أن يقيدك بعدما تراء يتموني من قريب ومودق

والعوراء : الكلمة القبيحة .

(٣) الحلة ، بفتح الحاء : الخصلة . يقول : لا يبالي شحوب جسمه في سبيل المكارم .

(٤) في الأصل : « في غير العدو » صوابه من الأصمعيات . يقول : هو مهيب في عين

أعدائه ، مع ما يتحلى به من حلم ومسالمة .

(٥) الفوت : البعد . وفي اللسان : « وبينهما فوت فائت » ، كما يقال بون بائن .

(٦) الورق ، مثلثة الواو ، وككثف وجبل : الدراهم المضروبة . ما عدال : « أجود

بها » ، وكلاماً صحيح . المعتفون : الطلاب والسائلون .

وإلى هذا ذهب ابن يسير حيث يقول :

لا يَعْدَمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ إِمَّا نَوَالِي وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِي ^(١)
وقال الهذلي ^(٢) :

وَهَابُ مَا لَا تَكَادُ النَّفْسُ تُرْسِلُهُ مِنَ التَّلَادِ وَصُولٌ غَيْرُ مَنَانٍ ^(٣)
قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : ومن الشوارد التي لا أرباب لها قوله :

إِنْ يَفْخَرُوا أَوْ يَغْدِرُوا أَوْ يَبْخُلُوا لَا يَحْفَلُوا ^(٤)
وَعَدُوا عَلَيْكَ مَرَجَلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا ^(٥)
كَلْبِي بَرَأَقِشَ كُلَّ يَوْمٍ لَوْنُهُ يَتَبَدَّلُ ^(٦)

ومثله في بعض معانيه :

أَكُولُ لَأَرْزَاقَ الْعِيَالِ إِذَا شَتَا صَبُورٌ عَلَى سُوءِ الثَّنَاءِ وَقَاحٌ ^(٧)

(١) انظر ما سبق في ص ١٧٤ . وأنشد هذا البيت في اللسان بدون نسبة ، وهو لمحمد ابن يسير كما نص الجاحظ هنا ، وكذا في الأغاني (١٢ : ١٢٩) والشعراء ٨٥٥ . والمردود : الرد ، وهو مصدر مثل المحلوف والمفعول بمعنى الحلف والعقل . وفي اللسان والأغاني والشعراء « إِمَّا نَوَالٍ وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودٍ » .

(٢) هو أبو التمام الهذلي يرثي صخر الغي الهذلي ، وكان بينهما في حياتهما عداوة ومناقضات . ديوان الهذليين (٢ : ٢٣٨ — ٢٤٠) طبع دار الكتب ، وشرح السكري للهذليين ٣٤ ونسخة الشنقيطي ٩٤ والأغاني (٢٠ : ٢١ — ٢٢) .

(٣) ترسله ، أى تطلقه وتهبه ، وذلك لنفاسته . والتلاد : المال القديم . غير منان : لا يكدر عطيته بالمن ، وهو الاعتداد بالإحسان والفخر به . ورواية الديوان :

يُعْطِيكَ مَا لَا تَكَادُ النَّفْسُ تُرْسِلُهُ مِنَ التَّلَادِ وَهَوْبٌ غَيْرُ مَنَانٍ ^(٤)
انظر الأبيات وروايتها وما قيل فيها في عيون الأخبار (٢ : ٢٩) وديوان المعاني (١ : ١٨٢) وأمالى القالى (٣ : ٨٣) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠) والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٠) . ما عدال : « لم يحفلوا » .

(٥) المرجلون من الترجيل ، وهو تسريح الشعر وتنظيفه . ما عدال : « يفدوا » .

(٦) أبو برقش ، بفتح الباء : طائر كالصفرور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار ، يتلون في كل ساعة ، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . ولعل السبب في ذلك ما قال الأزهرى ، أنه شبيه بالقمفد أعلى ريشه أغبر ، وأوسطه أحمر ، وأسفله أسود ، فإذا انتفش تغير ألواناً شتى . يتبدل ، هى فيما عدال وفي معظم المراجع أيضاً : « يتخيل » .

(٧) الثناء : ما أخبر به عن الرجل من قبيح أو حسن . والوقاح : الصلب الوجه ، القليل الحياء ؛ والأثى وقاح أيضاً ، بغير هاء .

وقال :

وما نَفَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ كَمَثَلِ وَفِكَ جَهْلًا بِجَهَالِ^(١)
فَاقْعَسَ إِذَا حَدَبُوا وَاحْدَبَ إِذَا قَعَسُوا وَوَازِنِ الشَّرَّ مَثَقَلًا بِمَثَقَالِ^(٢)
وقال الراجز^(٣) :

وقد تَعَلَّتْ ذَمِيلَ الْعَنْسِ^(٤) بِالسَّوْطِ فِي دَيْمُومَةٍ كَالْتَرَسِ^(٥)
إِذْ عَرَّجَ اللَّيْلَ بِرُوحِ الشَّمْسِ^(٦)

وقال الراجز :

قد كَفَتْ إِذْ حَبَلَ صِبَاكَ مُدْمَشُ^(٧) وَإِذَا أَهَاضِيبُ الشَّبَابِ تَبْغَشُ^(٨)

(١) البيتان في الحيوان (١ : ١٤) ومجالس ثعلب ٤٩١ والروض الأنف (١ : ١٧٠) والمجتبى لابن دريد ص ٨٨ . والوقم : القهر والإذلال والسكبج ، والرد بنجزي . ثعلب : « فما نَفَى عَنْكَ » . الروض الأنف : « ولن ينهنه » .

(٢) قعس يقعس ، من باب فرح : تقيض حدب يحدب . والقعس : دخول الظهر وخروج الصدر . قال ثعلب : « أى إذا عملوا شيئاً فزد عليه » . ومثله ما أنشده ابن سيدة في المخصص (٢ : ١٨) :

فَإِنْ حَدَبُوا فَاقْعَسُوا وَإِنْ هُمْ تَقَاعَسُوا لِيَنْتَرَعُوا مَا خَلْفَ ظَهْرِكَ فَاحْدَبِ
(٣) هو دكين الراجز ، أو أبو محمد الفقمسي . انظر الحيوان (٣ : ٧٤ ، ٣٦٣) . ونسب في المؤلف ١٠٤ إلى منظور بن حبة الأسدي . وانظر زهر الآداب (٢ : ١٠٥) واللسان (علل) .

(٤) وكذا إنشاده في الحيوان . وصواب الرواية : « وقد تعالت » كما في المراجع السابقة . يقال تعالت الناقة ، إذا استخرجت ما عندها من السير . والذميل : ضرب من سير الإبل . والعنس : الناقة الصلبة .

(٥) الديمومة : الفلاة الواسعة . والترس : ما يمسك به المحارب يتقى الضرب . جعلها كالترس في صلابتها . وإذا صلبت الفلاة لم تنضج معالمها .

(٦) عرج الليل : حبسه . بروج الشمس : ظهورها وخروجها ، وكذا جاءت الرواية في المؤلف . وفي سائر المراجع : « بروج » بالجم ، وهي بمعنى الأولى .

(٧) مدمش : مدمج ، أبدل الشين من الجيم لمكان الروى . والمدمج : المحكم القتل والبيت من شواهد اللسان (دمج) .

(٨) أهاضيب : جمع أهضوبة ، وهي جلبات القطر بعد القطر . تبغش : تدفع قطرها دفعة .

وقال الراجز :

طال عليهن تكاليفُ الشرى والنص في حينِ الهجير والضحي^(١)
حتى عجاهن فما تحت العجى^(٢) رواعفٌ يخضبن مبيض الحصى^(٣)

٢٧٣ * سمع ذلك ابن وهيب فرام مثله فقال :

تخضب مَرَوًا دمًا نَجِيعًا من فرط ما تُنكَب الحوامي^(٤)
وقال عامرٌ ملاعبُ الأسنّة^(٥) :

دفعْتُكم عني وما دَفَعُ راحية بشيء إذا لم تَسْتَعِنِ بالأناملِ
يُضَعِضُنِي حلمي وكثرةُ جهلِكُم عَلَيَّ ، وإني لأصولُ بجاهل
وقال آخر^(٦) :

لا بدَّ للشوددِ من أرماحٍ ومن سفيةٍ دائمِ النَّباحِ
ومن عديدٍ يُتَقَى بالراحِ

(١) النص : السير الشديد .

(٢) العجى : جمع عجاية وعجاوة بضم العين فهما ، وهى عصب مراكب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم تكون عند رسغ الدابة .

(٣) رواعف : يسيل منها الدم .

(٤) ما عدال : « يخضب » . والمرو : حجارة بيض براق ، واحدها مروة .
نكبتة الحجارة نكباً : لثمة . الحوامى : حروف الحوافر من عن يمين وشمال ، واحدها حامية .
(٥) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب « فارس قيس ، وسمى ملاعب الأسنّة لقول
أوس بن حجر فيه :

٢٠ وللاعب أطراف الأسنّة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

وهو عم لبيد الشاعر ، وهو كذلك عم عامر بن الطفيل . وفي العاصم قالوا : « أفرس
من ملاعب الأسنّة » و « أفرس من عامر » . انظر الأغاني (١٤ : ٩٠) وأمثال الميداني
(٢٩ : ٢) . وقالوا : أخذ ملاعب الأسنّة أرمين مرباعاً في الجاهلية . والمرباع : ربع الغنيمة
يأخذه رئيس القوم لنفسه . انظر بلوغ الأرب (١ : ١٢٧) . توفي ملاعب الأسنّة في نحو
سنة ١٠ من الهجرة . الإصابة ٤٤١٥ .

٢٥ (٦) هو أبو سلمى ، أو أبو سليمان . الحيوان (١ : ٣٥١ / ٣ : ٧٩) .

وقال أبو نخيلة لبعض سادات بني سعد :

وإنَّ بقومٍ سَوْدُوكَ لَفَاقَةٌ إلى سيِّدٍ لو يظفرون بـسيِّدٍ^(١)
وتمثِّلُ سُفَيانُ بنَ عُيَيْنَةَ وقد جلس على مَرَقَبٍ عالٍ ، وأصحابُ الحديثِ
مدَى البصرِ يكتُبُونَ ، بقول الآخر^(٢) :

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ ومن الشَّقاءِ تفرَّدِي بالشُّوَدِ
[وقال الأوَّلُ^(٣) في الأحنف :

وإنَّ من السادات مَنْ لو أطعته دعاكَ إلى نارٍ يَفُورُ سَعِيرُهَا]
وقال الآخر :

فأصبحتَ بعد الحِلْمِ في الحَيِّ ظالماً تَخَمَّطَ فيهمِ والمُسَوِّدُ يَظْلُمُ^(٤)

١٠ وقال رجل من بني الحارث بن كعب ، يقال له سُوَيْدٌ^(٥) :

إني إذا ما الأمرُ بَيْنَ شَكِّهِ وبدت بصائرُهُ لمن يتأملُ

وتبرَّأ الضُّعْفاءُ من إخوانهم وألحَّ من حَرِّ الصَّمِيمِ الكَلْكلُ

أَدْعُ التي هي أرقُّ الخَلَّاتِ بي عند الحفيظة التي هي أجملُ ٢٧٤

وقال الآخر^(٦) :

١٠ ذهب الذين أُحِبُّهُمْ فَرَطاً وبقيتُ كالقَمُورِ في خَلْفٍ^(٧)

من كلِّ مَطْوِيٍّ على حَنْقٍ متَضَجِّعٍ يُكْنِي ولا يَكْنِي

(١) سبق البيت في ص ٢١٩ . وهو من أبيات لرجل من خثعم في الحماسة (١ : ٣٣٣ —

(٣٣٤) . وقد نسبت في معجم البلدان (البقيع) إلى عمرو بن النعمان البياضي .

(٢) هو حارثة بن بدر ، كما سبق ص ٢١٩ .

(٣) هو إلياس بن قتادة ، كما مضى في ص ٢١٨ .

(٤) التخمط : السكر والغضب . والبيت في الحيوان (٣ : ٨١) :

(٥) هو سويد المرادي ، وقد سبقت الأبيات وتفسيرها في ص ٢٤١ .

(٦) هو الأحوص ، كما سبق في (٢ : ١٨٤) . (٧) فيما مضى : « كالقَمُور » .

وقال أبو الطمَّحان القينى^(١) :

فكم فيهم من سيّد وابن سيّد وفي بَعْد الجارحين يُفارقُه^(٢)
يكادُ الغمامُ الغرُّ يزَعَب إن رأى وجوهَ بني لأمٍ وينهلُ بارِقُه^(٣)
وقال طفيلُ الغنوى :

وكان هُرَيمٌ من سنانٍ خليفة وعمرو ومن أسماءٍ لَمَّا تَغَيَّبُوا^(٤)
نجومُ سماءٍ كلَّما غاب كوكبٌ بدا وانجَلَّتْ عنه الدُّجَنَةُ كوكبٌ^(٥)
وقال رجلٌ من بني نهشلٍ^(٦) :

إنّا لمن مَعَشَرٍ أَفْنَى أوائِلَهُم قولُ الكُماةِ لهم أين المُحامُونَا
لو كان في الألفِ مِنّا واحدٌ فدَعَا مَنْ عَاطِفٌ خالَهُم إِيَّاه يَغْنُونَا^(٧)

(١) ترجم في (١ : ١٨٧) .

(٢) البيتان في الحيوان (٣ : ٩٣) . والأخير منهما في الشعراء ٣٤٩ وعيون الأخبار (٤ : ٢٥) .

(٣) الغر : البيض . يزعب ، من قولهم زعب السيل الوادى يزعبه زعباً : ملاءه .
ل : « يرغب » تحريف . وفي الحيوان والشعراء وعيون الأخبار : « يردد » ، وهى أجود .
وبنو لأم هم بنو لأم بن عمرو بن طريف ، من طي .

(٤) البيت في ديوان طفيل ١٨ برواية السجستاني عن الأصمى ، والحيوان (٣ : ٩٤) .
من قصيدة له يرثى بها فرسان قومه . وسنان هذا ، هو سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف
ابن خرشبة . وكان فارساً حسيباً ، قاد ورأس . وحصن : فارس من غنى . وأسماء هو أسماء
ابن واقد بن وقيد بن وقيد بن رياح بن يربوع . وأما هريم الذى بقى بعد قتلهم وساد ورأس
أيضاً فهو عم سنان ، واسم هريم بن سنان بن يربوع .

(٥) في الديوان :

كواكب دجن كلما غاب كوكب بدا وانجَلَّتْ عنه الدُّجَنَةُ كوكب
وفي بعض نسخ الحيوان : « بدا ساطعاً في حندس الليل كوكب » .

(٦) هو بشامة بن حزن النهشلى ، كما في عيون الأخبار (١ : ١٩٠) وشرح التبريزى
للعماسة (١ : ٥٠ بولاق) ، والخزانة (٣ : ٥١٠ — ٥١١) والعيون (٣ : ٣٧٠) —
٣٧١ . ونسب في الشعر والشعراء ٦١٩ إلى نهشل بن حرى النهشلى ، مخالفاً ما في عيون
الأخبار . وعزى في السكامل ٦٤ — ٦٥ ليسك إلى رجل يكنى أبا مخزوم ، من بني نهشل
ابن دارم ، فزاد الأخفش أنه هو بشامة بن حزن النهشلى . والأبيات ينسبها إلى رجل من
بني نهشل في الحيوان (٣ : ٩٥) ، وإلى رجل من بني قيس بن ثعلبة في الحماسة (١ : ٢٥) .

(٧) عطف على العدو : مال عليه .

وليس يذهب منا سيِّداً أبداً إلا افتَلَيْنَا غلاماً سيِّداً فينا^(١)
وقال بعض الحجازيين^(٢) :

إذا طَمِعَ يوماً عَرَانِي قَرِيْتُهُ كِتَابَ بَأْسٍ كَرَّهَا وَطَرَادَهَا^(٣)
أَكْثُ ثَمَادِي وَالْمِيَاهُ كَثِيرَةٌ أَعَالِجُ مِنْهَا حَفَرَهَا وَكِتَادَهَا^(٤)
وَأَرْضِي بِهَا مِنْ بَحْرِ آخِرٍ إِنَّهُ هُوَ الرَّئِيُّ أَنْ تَرْضَى النُّفُوسُ ثَمَادَهَا^(٥)
وقال أَبُو مَحْجَنٍ الثَّقَفِيُّ^(٦) :

أَلَمْ تَسَلِ الْفَوَارِسَ مِنْ سُلَيْمٍ بِنَضْلَةٍ وَهُوَ مُوتَرٌ مُشِيخٌ^(٧)
رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهُوَ خِرَقٌ وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ الْقَبِيحُ^(٨)
فَلَمْ يَخْشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ وَتَحْتَ الرِّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ^(٩)

- ١٠ (١) الافتلاء : الانتظام والأخذ عن الأم .
(٢) البيتان الثاني والثالث في مجالس ثعلب ٦٦٤ بدون نسبة ، والثاني كذلك في اللسان (كدد) .
(٣) عمراء الضيف : غشيه طالبا معروفه . القرى : طعام الضيف .
(٤) الكد والاكْتِدَاد : النزح باليد ، يكون ذلك في الجامد والسائل . والثماد : الحفر يكون فيها الماء القليل ، جمع ثمد . يقول : إنه يرضى بالقليل ويقنع به .
١٥ (٥) من بحر آخر ، أى بدل بحر غيرى . والبحر : الماء الكثير ملحا كان أو عذبا .
(٦) أبو محجن الثقفى ، هو عبسد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى . وهو من الخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، معدود فى أولى البأس والنجدة ، وكان يدمن شرب الخمر ، وأقام عليه عمر الحد مرارا . وهو القائل :
إذا مت فادفنى إلى أصل كرمه تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفنى بالفلاة فإننى أخاف إذا ماتت ألا أذوقها
٢٠ ابن سلام ١٠٥ والشعراء ٣٨٧ والأغاني (٢١ : ١٣٧ — ١٤٣) .
(٧) الأبيات لم تروى في ديوان أبي محجن . ورواها ثعلب في المجالس ٨ — ٩ منسوبة إلى رجل من بنى سليم . قال : « مرقوم من بنى سليم رجل من مزينة يقال له نضلة ، فى إبل له ، فاستسقوه لبنا فسقام ، فلما رأوا أنه ليس فى الإبل غيره ازدروه فأرادوا أن يستاقوها فجلدهم حتى قتل منهم رجلا ، وأجلى الباقيين عن الإبل ، فقال فى ذلك رجل من بنى سليم ... » .
٢٥ وأنشد الأبيات . فى مجالس ثعلب وما عدال : « ألم تسأل فوارس » . الشيخ : الحذر الجاد .
(٨) الحرق ، بكسر الخاء : الفتى الكريم الخليفة ، والظريف فى سماحة ونجدة .
(٩) المصالة : مصدر ميجى من صال يصول . والرغوة ، مثلثة الراء .

فَكَرَّ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ صَافًا كَمَا عَضَّ الشَّيْبَا الْفَرَسُ الْجَوْحُ^(١)
فَأُطْلِقَ غُلٌّ صَاحِبِهِ وَأَرْذَى جَرِيحًا مِنْهُمْ وَنَجَا جَرِيحُ^(٢)
وقال بعض اليهود :

سَمِيتُ وَأَمْسَيْتُ رَهْنًا الْفِرَا شِ مِنْ حَمَلِ قَوْمٍ وَمِنْ مَفْرَمِ^(٣)
وَمِنْ سَفَهٍ الرَّأْيِ بَعْدَ النَّهْيِ وَرُمْتُ الرَّشَادَ فَلَمْ يُفْهَمِ^(٤)
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا الْحَلِيمَ وَلَمْ يُتَعَدَّ وَلَمْ يُظْلَمِ^(٥)
وَلَكِنْ قَوْمِي أَطَاعُوا السَّفِيهَ مَا حَتَّى تَعَكِّظَ أَهْلُ الدَّمِ^(٦)
فَأَوْدَى السَّفِيهَ بِرَأْيِ الْحَلِيمِ مَا فَاَنْتَشَرَ الْأَمْرُ لَمْ يُبْرَمِ

وقال بعض الشعراء :

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شُورٍ وَلَا يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَلِيسُ^(٧)
ضَحُوكُ السَّنِّ إِنْ نَاطَقُوا بِخَيْرٍ وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقُ عَبُوسِ^(٨)
وقال آخر :

وَلَسْتُ بِدُمُيْجَةٍ فِي الْفِرَا شِ وَجَابَةٍ يَحْتَمِي أَنْ يُجِيبَا^(٩)
وَلَا ذِي قَلَّازِمٍ عِنْدَ الْحِيَاضِ إِذَا مَا الشَّرِيبُ أَرَابَ الشَّرِيبَا

٢٧٦

- (١) الصلت : المنجرد الماضي في الضريبة . شبة كل شيء : حده .
(٢) في المجالس : « قتيلاً منهم » .
(٣) الحمل : أن يحمل عن القوم ديانتهم وغرمهم ، وما يحمله هو الحالة ، كسجاية .
(٤) ل : « فلم أنهم » .
(٥) ما عدل : « ولم تتعد ولم تظلم » .
(٦) تعكظ القوم تعكظا : تحبسوا لينظروا في أمورهم .
(٧) القعقاع بن شور : ترجم في (١ : ٤٧) .
(٨) ما عدل : « إن أصروا بخير » . والمطراق : الكثير الإطراق ، وهو السكوت .
(٩) سبق البيتان في (١ : ٥٧ ، ٦٨) . وفي الأصول : « بزمية » . وانظر ما مضى من التحقيق والشرح .

وقال حَجَلُ بْنُ نُضْلَةَ^(١) :

جاء شقيقٌ عارضاً رُمَحَهُ إنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحُ^(٢)
هَلْ أَحْدَثَ الدَّهْرُ لَنَا نَكْبَةً أمْ هَلْ رَقَتْ أُمُّ شَقِيقِ سِلَاحُ^(٣)

وقال^(٤) :

وَيْلُ أُمِّ لَذَاتِ السَّبَابِ مَعِيشَةً معَ الْكُثْرِ يُعْطَاهُ الْفَقِي الْمُتَلَفِ النَّدِ^(٥)
وَقَدْ يَقْصُرُ الْقَلُّ الْفَتَى دُونَ هَمِّهِ وَقَدْ كَانَ لَوْلَا الْقَلُّ طَلَّاعَ أَنْجِدِ^(٦)

(١) في معاهد التنصيص (١ : ٢٧) : « وأما حجل بن نضلة فهو أحد بني عمرو ابن عبد قيس بن معن بن أعصر » .

(٢) شقيق : اسم رجل . عارضاً رُمَحَهُ : واضعاً رُمَحَهُ عرضاً مفتخراً بتصريف الرماح ، مدلاً بشجاعته . والبيت من شواهد البلاغة ، يستشهد به البلاغيون لتزليل غير المنكر للشيء منزلة المنكر له إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار .

(٣) رقت ، من الرقية ، وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة . فكأنها رقت سلاحه وأحدثت به ضرباً من السحر لتصديق إصابته وبعضم أثره . ما عدال : « رقت » . وفي معاهد التنصيص : « رمت » .

(٤) القائل علقمة بن عبدة الفحل . ديوانه ١٣٥ . والبيتان في الحماسة (٢ : ٥٢) بدون نسبة ، ونسبهما التبريزي في شرحها إلى خالد بن علقمة الدارمي ، وكذا جاءت نسبتها في اللسان (قلل) . أما في (نجد) فقد نسباً أيضاً إلى حميد بن أبي شحاذ الضبي ، وهذه هي نسبة الأعلام الشنتمري في حماسته . وفي الخزانة (١ : ٥٦٣) نسبتها إلى خالد بن علقمة ابن عبدة ، أو عبد الرحمن بن علي بن علقمة بن عبدة حفيد علقمة ، وثاني البيتين في إصلاح المنطق ٣٩ ، ٥٦ ، ١٨٨ ، ٤٠٢ والمختص (١٣ : ٦٧) بدون نسبة .

(٥) ويل أم ، من صيغ التعجب السماعية ، المنقولة من الدعاء عليه ، مثل « قاتله الله » . فيرى بعضهم أنها « ويل لأم » ، ثم خففت بحذف اللام الأولى والهمزة بعد نقل حركتها إلى اللام الثانية ، وبعضهم يذهب أنها « وى لأم » ، ثم حذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى اللام . انظر اللسان (ويل) والخزانة (١ : ٥٦٣) . و « وى » في هذا التقدير بمعنى أعجب . الكثر ، بالضم : المال الكثير . وروى : « يعطاها » يعود الضمير على المعيشة . الفتى : السخي الكريم . والمتاف : المفرق للماله . والندی : السخي . ويا الندى خفيفة ، وحكى كراع ثقيلها ، فوزنها فعل أو فاعل . اللسان (ندى) .

(٦) يقصر : يحبس . وروى : « يعقل » أي يحبس . والقل ، بالضم : المال القليل . الأنجد : جمع النجد ، وهو ما أشرف من الأرض وارتفع . طلاع أنجد : أي قادراً على السمو والارتفاع إلى معالي الأمور . وبعد هذا البيت في ديوان علقمة :

وقد أقطع الحرق الخوف به الردى بعنس كجفن الفارسي المسرد
كأن ذراعها على الخل بعد ما ونين ذراعاً ماتع متجرد

وقال الآخر^(١):

قَامَتْ تُخَاصِرُنِي بِقُنَّتِهَا خَوْدٌ تَأْطُرُ غَادَةً بِكُرُ
كُلُّ يَرَى أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ فِي كُلِّ مُبْلَغٍ لَذَّةٌ عَذْرُ

وقال سعد بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة ، وهو من قديم

الشعر وصحيحه :

أَلَا إِنَّمَا هَذَا السَّلَالُ الَّذِي تَرَى وَإِذَا بَارُ جَسَمِي مِنْ رَدَى الْعَثَرَاتِ^(٢)
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَدْ تَجَلَّدَتْ بَعْدَهُ تَقَطَّعُ نَفْسِي بَعْدَهُ حَسَرَاتِ^(٣)
وقال الطرِّمَّاحُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

وَشَيَّبَنِي أَنْ لَا أَزَالُ مُنَاهِضًا بَغِيرٍ ثَرًّا أَمْرُو بِهِ وَأَبُوعُ^(٤)
أُخْتَرِمِي رَيْبُ الْمُنُونِ وَلَمْ أَنْلِ مِنْ الْمَالِ مَا أَعْصَى بِهِ وَأُطِيعُ^(٥)
وقال الأَضْبَطُ بْنُ قُرَيْعٍ :

لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الْهَمُومِ سَعَةٌ وَالْمُسْنَى وَالصُّبْحُ لَا فَلَاحَ مَعَهُ
فَصِلْ حِيَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ إِلَى حَبْلٍ وَأَقْصِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهُ
وَاخْذُ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ مَنْ قَرَّرَ عَيْنًا بِعَيْشِهِ نَفْعَهُ^(٦)
لَا تَحْقِرَنَّ الْفَقِيرَ عِلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْمًا وَالِدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ^(٧)

٢٧٧

(١) هو الأحوص ، كما سبق في (١ : ١٩٨)

(٢) سبق البيتان في ص ٢٠٠ من هذا الجزء . السلال ، بالضم : السل . وفيما

سبق : « الملل » .

(٣) ما عدال : « دونه حشرات » .

(٤) وهذان البيتان سبقا أيضا في ص ٢٠٠ . وفيما سبق : « بغير قوى أنزو بها »

وهو دليل على أن الجاحظ يختار المقطوعة الواحدة أحيانا من كتابين مختلفين .

(٥) هو الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ذكره

السجستاني في العمرين ٨ . وانظر بعض أخباره في الأغاني (١٦ : ١٥٤ — ١٥٥) .

وأياته التالية في العمرين ، ومجالس ثعلب ٤٨٠ والأمال (١٠٧ : ١) والأغاني (١٥٤ : ١٦)

ومحاسن ابن الشجري ١٣٧ والخزانة (٥٨٩ : ٤) والمثل السائر (٢٦٠ : ١) .

(٦) هذا البيت في ل فقط . (٧) ويروى : « لا تهين الفقير » .

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكلِهِ ويأكلُ المالَ غيرُ مَنْ جمعه

وقال أعرابيٌّ، ونحر ناقةً في حُطمةٍ أصابتهم^(١):

أكلنا الشوى حتى إذا لم نجد شوىً أشرنا إلى خيراتها بالأصابع^(٢)

ولسيفٍ أخرى أن تباشِرَ حَدَّهُ من الجوع لا تُثني عليه المضاجع^(٣)

لعمرك ما سلَّيتَ نفساً شحيحةً عن المال في الدنيا بمثل المجاع^(٤)

وقدَّم ناقةً له أخرى إلى شجرة ليكون المحتطب قريباً من المنحر، فقال:

أدنتها من رأسِ عشاءٍ عَشَّةٍ مُفصَّلةٍ الأفنان صُهب فروعها^(٥)

وقلتُ لها لما شددتُ عقالها وبالكفِّ ممهاةً شديدٌ وقوعها^(٦)

لقد غنيتُ نفسي عليكِ شحيحةً ولكن يسخى شحَّةَ النفسِ جوعها^(٧)

وقال أسقفُ نجران^(٨):

(١) الحطمة، بفتح الحاء وضمها: السنة الشديدة تحطم كل شيء.

(٢) الشوى: رذال المال وصغاره. وأنشد هذا البيت في مقاييس اللغة والجمهرة (شوى)

والمخصص (١٤: ١٥/٢٩: ١٦٦). وهو وتاليه في اللسان (شوى).

(٣) في البيت إقواء. يقول: نحر الناقة خير من الجوع الذي يذهب الرقاد. ل: «يباشر

حده»، وتقرأ بالبناء للمفعول.

(٤) ما عدال: «بمثل مجاوع».

(٥) كذا جاء البيت بالحرم في أوله. العشاء، وصف لم يرد في المعاجم المتداولة،

وأما العشة، بفتح العين، فهي الشجرة الدقيقة القضبان. ومادة الكلمتين واحدة. مفصلة

الأفنان: مفرقة الفروع. والصهب: جمع أصهب وصهباء؛ والصهبة: حمرة أو شقرة.

(٦) ممهاة: قد أحدث شقرتها ورفقت.

(٧) غنى، هنا بمعنى أقام. قال الله عز وجل: (كأن لم يغنوا فيها)، أو بمعنى كان،

كما في قول مهلهل:

غنيت دارنا تهامة في الدهر وفيها بنو معد حلولا

ما عدال: «غنيت» تحريف.

(٨) الأسقف: رئيس من رؤساء النصارى. وكذا نسب الشعر في الحيوان (٣: ٨٨).

ونسب في العقد (٢: ١٢٢) إلى عابد من نجران. وفي معجم الرزباني ٣٣٩ إلى القمقام

ابن العياهل، وهو تبع الثاني أو الثالث، ملك حضرموت واليمن. وفي معاهد التنصيص

(٢: ١٢١) والصناعتين ١٩٢ إلى بعض ملوك اليمن. وانظر خبراً متعلقاً بالشعر في زهر

الآداب (٣: ١٨٣) وأمالى القالي (٣: ٢٩).

مَنَعَ الْبَقَاءَ تَصَرُّفُ الشَّمْسِ وَطُلُوعُهَا مِنْ حَيْثُ لَا تُمْنَى
وَطُلُوعُهَا بَيَاضًا صَافِيَةً وَغُرُوبُهَا صَفَرًا كَالْوَرَسِ
الْيَوْمَ نَعْلَمُ مَا يَجِيءُ بِهِ وَمَضَى بِفَضْلِ قَضَائِهِ أَمْسٍ
وقال آخر^(١):

وَهَلْكَ الْفَتَى أَنْ لَا يَرَّاحَ إِلَى النَّدَى وَأَنْ لَا يَرَى شَيْئًا عَجِيبًا فَيَعْجَبُ^(٢)
وَمَنْ يَتَنَبَّعُ مِنِّي الظَّلَمَ يَلْقَنِي إِذَا مَارَأَنِي أَصْلَعَ الرَّأْسِ أَشْيَبَا^(٣)
٢٧٨ * وقال سَحِيمُ بْنُ وَثِيلٍ الرِّيَّاحِيُّ^(٤):

تَقُولُ حَذْرَاءُ لَيْسَ فَيْكَ سِوَى الْخَمْرِ مَعِيبٌ يَمِيبُهُ أَحَدُ^(٥)
فَقُلْتُ أَخْطَأْتُ بَلْ مُعَاقَرَتِي الْخَمْرَ وَبَذَلِي فِيهَا الَّذِي أَجِدُ^(٦)

(١) سبق البيتان كذلك بدون نسبة في ص ٢٤٢ ، وما لعل بن الفدير الفنوي ، كما في الأمل (٢ : ١٨١) .

(٢) راح يراح : أخذته أريحية وخفة وفرحة . والندى : الكرم . وانظر خبراً يتعلق بهذا البيت في الأغاني (١٨ : ٤٥) .

(٣) ما عدال : « يبتغي مني الطلاعة » ، تعريف .

(٤) هو سحيم بن واثيل بن أعير بن أبي عمرو بن إهاب بن حمير بن رباح بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن تميم . شاعر مخضرم ، أدرك في الجاهلية أربعين سنة ، وفي الإسلام ستين . وهو صاحب القصة المشهورة في المعاقرة . وذلك أن أهل الكوفة أصابهم مجاعة فخرج أكثر الناس إلى البوادي ، فعقر غالب بن صعصعة والد الفرزدق لأهله ناقة صنع منها طعاماً وأهدى منه إلى ناس من تميم ، فأهدى إلى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذي أتى بها ونحر لأهله ناقة ، ثم تفاخرا في النحر حتى نحر غالب مائة ناقة ، ولم تكن لابل سحيم حاضرة ، فلما جاءت نحر ثلاثمائة ناقة . وكان ذلك في خلافة علي بن أبي طالب ، فنع الناس من أكلها وقال : « مما أهل به لغير الله » ، فجمعت لحومها على كناسة الكوفة ، فأكلها الكلاب والعقبان والرخم . انظر النقائض ٤١٤ — ٤١٨ والأمل (٣ : ٥٢ — ٥٤) ومعجم البلدان (٥ : ٣٩٥) والحزانة (١ : ٤٦١ — ٤٦٣) . ووثيل بفتح الواو من الوثالة ، وهي الرجاجة . وضبط في الإصابة ٣٦٦٠ وشرح شواهد الغني ١٥٧ بالتصغير خطأ . انظر الاشتقاق ١٣٨ والحزانة (١ : ١٢٨) .

(٥) حدرء : اسم امرأة . والمعيب : العيب ، ومثله المعاب ، كما في اللسان . ما عدال « معاب » ، وهذه أيضاً هي رواية عيون الأخبار (١ : ٢٥٩) .

(٦) معاقرة الخمر : إدمان شربها .

هُوَ الثَّنَاءُ الَّذِي سَمِعْتَ بِهِ لَا سَبْدٌ مُخْلَدِي وَلَا لَبْدٌ ^(١)
وَيُحَاكٍ لَوْلَا التَّخْوَرُ لَمْ أَخْفِلِ الْعَيْشَ وَلَا أَنْ يَضُمَّنِي لَحْدٌ ^(٢)
هِيَ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ وَاللَّهُمُّ لَا أَنْتِ وَلَا تَزْوَةٌ وَلَا وَلَدٌ
وَقَالَ عَبْدُ رَاعٍ ^(٣) :

غَضِبْتَ عَلَيَّ لِأَنْ شَرِبْتُ بِحِزَّةٍ فَلَنْ أَبَيْتَ لِأَشْرَبَنَّ بِحَرْوَفٍ ^(٤)
وَلَنْ نَطَقْتَ لِأَشْرَبَنَّ بِنَعْجَةٍ حَمْرَاءَ مِنْ آلِ الْمَذَالِ سَحُوفٍ ^(٥)
وَقَالَ :

نَاحَتْ رُقِيَّةٌ مِنْ شَاةٍ شَرِبْتُ بِهَا وَلَا تَنْوَحُ عَلَى مَا يَأْكُلُ الذَّيْبُ

- (١) لا سبد ولا لبد ، أى لا قليل ولا كثير ، قيل أصل السبد ذو الشعر ، واللبد ذو الصوف الذى يتلبد ، يكفى بهما عن المز والضأن .
(٢) المعروف « اللحد » بفتح اللام وضمها ، وهو شق فى جانب القبر يوضع فيه الميت .
وتحريك حائه لضرورة الشعر .
(٣) اشترى ذلك الأعرابي خمرأ بحيزة من صوف ، فغضبت عليه ، فقال الشعر متحديا لها . انظر أمالى القالى (١ : ١٥٠) وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٠٧ . ورواية الأبيات فيهما :
١٥

غضبت على لأن شربت بصوف	ولئن غضبت لأشربن بحزوف
ولئن غضبت لأشربن بنعجة	دهناء مائة الإناء سحوف
ولئن غضبت لأشربن بناقة	كوماء ناوية العظام صفوف
ولئن غضبت لأشربن بساج	نهد أشم المنكين منيف
ولئن غضبت لأشربن بواحدى	ولأجعلن الصبر منه حليف
ولقد شهدت الخيل تمثر بالقنا	وأجبت صوت الصارخ الملهوف
ولقد شهدت إذا الخصوم تواكلوا	بخصام لا ترق ولا علفوف

وروى السيوطى عن ابن الأنبارى أن امرأته أجابته فقالت :

ما إن عتبت لأن شربت بصوفة	أو أن تلذ بلقعة وخروف
فاشرب بكل نفيسة أوتيتها	وملكتها من تالد وطريف
وارفع بطرقك عن بنى فانه	من دونه شغب وجدع أنوف

وروى السيوطى أيضاً أن قاتل الشعر الأول هو ذو الرمة .

- (٤) الجزة ، بالكسر : ما يجز من صوف الشاة فى كل سنة . وأورد ابن هشام فى المغنى (فصل اللام) رواية ابن جنى : « فلاذ » شاهدا على غرابة ذلك فى اللام الموطئة .
(٥) من آل المذال ، أى من نسل ذلك الكباش المسمى بالمذال . سحوف : كثيرة السحائف ، وهى طبقات الشحم .
٣٠

وقال أبو حنيفة القريني :

قد تفرّبت للشقاوة حيناً حيناً بدلت بالسعادة نوقاً^(١)
يوم فارقت بلدتي وقراري وتبدلت سوء رأي وموقاً^(٢)
ليت عندي بخير معزاي عشر طيلساناً من الطراز عتيقاً^(٣)
وبخمسٍ منهن أيضاً قميصاً سابرياً أميس فيه رقيقاً^(٤)
قد هجرت النبيذ مذهُن عندي وتمزّزت رسلهنّ مديقاً^(٥)
فوجدت المديق يوجع بطني ووجدت النبيذ كان صديقاً
يعيد النفس بالعشيّ منهاها ويسلّ الهموم سلاً رفيقاً

٢٧٩

* * *

وكان فتى طيب^(٦) من ولد يقطين لا يصحو، وكان في أهله روافض يخاصمون
في أبي بكر وعمر، وعثمان وعليّ، وطلحة والزبير، رضوان الله تعالى عليهم
أجمعين، فقال :

رُبَّ عَقَّارٍ باذرنجيفةً اضطدتها من بيت دِهْقانٍ^(٧)

(١) ما عدال : « للسعادة » ، تحريف .

(٢) الموق ، بالضم : الحق .

(٣) عشر ، أى بعشر منها . ما عدال : « عشراً » . الطيلسان : كساء مدور أخضر ،
لحمته أو سداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ ، وهو من لباس العجم ،
معرب من « تالسان » الفارسية . والطراز : الجيد من كل شيء ، وما ينسج من الثياب
للسلطان . والعتيق : البالغ النهاية في الجودة .

(٤) السابري : الرقيق الذي يستشف ما وراه .

(٥) التمزّز : شرب الشراب قليلاً قليلاً . والرسل ، بالكسر : اللبن . والمديق :
المندوق ، وهو المخلوط بالماء .

(٦) الطيب : الفسحة المزّاح . انظر ما سبق في ص ١١٥ .

(٧) العقار ، بالضم : الحمر . باذرنجية : نسبة إلى نبت يسمى « باذرنجويه » ، له زهر

أحمر عطر ، ذكره داود في تذكرته . والدهقان ، بكسر الدال وضمها : التاجر ، فارسي معرب .

جَفَدَرْتُ أرواحاً وطَيِّتُهَا بَعْدَ اتِّسَاحٍ طَالَ فِي الحَانِ (١)
 سَكَمًا وَسَلْتًا لَمْ يُخَضِّ فِي أَدَى مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ (٢)
 وَلَا أَبِي بَكْرٍ وَلَا طَلْحَةَ وَلَا زُبَيْرٍ يَوْمَ عُثْمَانَ
 اللَّهُ يَجْزِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ لَيْسَ عَلَيْنَا عِلْمُ ذَا الشَّانِ
 وقال المنخلُ اليشكري (٣):

ولقد شربتُ مِنَ المَدَا مَةَ بِالْقَلِيلِ وَبِالكَثِيرِ (٤)
 ولقد شربتُ مِنَ المَدَا مَةَ بِالصَّغِيرِ وَبِالكَبِيرِ
 ولقد شربتُ الخمرَ بِالْخَيْلِ الْإِنَاثِ وَبِالذَّكُورِ
 فَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنِّي رَبُّ الخُورَنَقِ وَالسَّادِرِ (٥)

١٠ (١) الجندرة : أصلها جندرة الكتاب ، وهي أن يمر القلم على ما درس منه ، أو أن
 يبعد وشى الثوب بعد ذهابه . والحان : حانوت الخمر . ولم تذكر المعاجم هذه الكلمة على
 كثرة ورودها في شعر أبي نواس ، وإنما ذكرت « الحانة » . وقال أبو نواس :
 في حلبة الحان جان خلقه شهب مبادر راعه شخص بأنقار
 ديوانه ٢٧٨ . وقال :

١٥ نحن في حان تاجر عندنا الله وبحلم لم نغترجه بطيش
 ديوانه ٣٠١ . وقال في الحان ، بمعنى الحاني ، وهو الخمار المنسوب إلى الحانة :
 إلى بيت حان لا تهر كلابه على ولا ينكرن طول ثوائى
 ديوانه ٦٢ .

(٢) السكت : السكوت . والسلت : قبضك على شيء أصابه قدر ولطخ فقلته عنه سلتا .
 (٣) المنخل بن مسعود (أو ابن عبيد) بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكري . شاعر
 جاهلي قديم ، كان يشبب بهند أخت عمرو بن هند ، وكان يتهم أيضاً بامراة عمرو بن هند ،
 وكان نديماً للنعمان بن المنذر . وكان النعمان دميماً أبرش قبيحاً والمنخل من أجل العرب ، فكان
 المنخل يرمى بالمتجردة زوج النعمان . ويتحدث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل .
 فقتله النعمان . الشعراء (٣٦٤ — ٣٦٦) والمؤتلف ١٧٨ والأغاني (٩ : ١٥٨ —
 ١٥٩ / ١٨ : ١٥٢ — ١٦٢) وتاج العروس (٨ : ١٣١) .

(٤) هذا البيت من ل فقط . والقصيدة بتمامها في الأسمعيات ٥٢ — ٥٥ بتحقيقنا مع
 الأستاذ الشيخ أحمد شاكر ، والحماسة (٢٠٢ : ١) ، والأغاني (١٨ : ١٥٥ — ١٥٦) .
 (٥) الخورنق : معرب من « خُورَنَسْكَاه » ، تفسيره موضع الأكل أو الشراب .
 و « خُورَن » مأخوذ من « خُورَنَدَن » مصدر بمعنى الأكل أو الشراب . و « گاه » =

وَإِذَا صَحَّـوْتُ فَإِنِّى رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ

يَا رَبُّ يَوْمَ لَلْمُنْخَلِّ قَدْ لَهَا فِيهِ قَصِير

وقال بعضهم لزاير له وراه يؤمى إلى امرأته ، وهو أبو عطاء السندى ^(١) :

٢٨٠ • كُلُّ هَنِيئًا وَمَا شَرِبْتَ مَرِيئًا ثُمَّ قُمْ صَاغِرًا فَغَيْرُ كَرِيمٍ ^(٢)

• لَا أَحِبُّ النَّدِيمَ يَوْمِضُ بِالْعَيْنِ ^(٣) إِذَا مَا خَلَا ^(٤) بَعْرُسِ النَّدِيمِ

وقال الآخر ^(٥) ، وتعرضت له امرأة صاحبه :

رُبَّ بَيْضَاءَ كَالْقَضِيبِ تَتَنَّى قَدْ دَعَتْنِي لَوْضَلِهَا فَأَيَّتُ

لَيْسَ شَأْنِي تَحْرُجًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ نَدَمَانُ زَوْجِهَا فَاسْتَحَيْتُ ^(٦)

وقال آخر :

١٠ • فَلَا وَاللَّهِ لَا أُلْفَى وَشَرِبَا أَنْأَزِعَهُم شَرَابًا مَا حَيَّتُ ^(٧)

- == بمعنى الموضع والمكان ، كان بظاهر الحيرة ، بناء النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى ، بناء له رجل رومى يدعى « سمار » ، ولما أتم بناءه فى ستين سنة راق النعمان فقال : ما رأيت مثل هذا البناء قط ! فقال سمار : لاني أعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله . فقال النعمان : أيعرفها أحد غيرك ؟ قال : لا . قال : لاجرم لأدعنها وما يعرفها أحد . ثم أمر فقفذ به من أعلى القصر ، فقتل . فقال العرب فى ذلك المثل : « جزاء جزاء سمار » . ١٥
- والسدير : قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر قد اتخذ له بعض ملوك العجم ، وهو بهرام جور ، كما معجم استينجاس ٦٦٤ . وهو بالفارسية « سه دلى » أى له ثلاثة غرف « سه » بمعنى ثلاثة . و « دلى » بمعنى غرفة . وفى معجم نفيسى (فرهنك نفيسى) ص ١٨٦٤ : « سيدلى » : خانه اى كه داراى سه اطاق باشد ، أى بناء مكون من ثلاث غرف . والمعجم العربيّة تفسر « دلى » بأنه الباب ، أو القبة . ٢٠
- (١) ترجم فى (١ : ٣٨٢) . والبيتان التاليان فى الأغاني (١٦ : ٨٤) والكامل ١٣ لبيسك .

(٢) فى الأغاني : « وأنت ذميم » . ورواية الجاحظ تطابق رواية المبرد .

(٣) فى الأغاني : « يومض بالطرف إذا خلا لعرسى النديم » .

٢٥ (٤) فى الكامل : « إذا ما انتشى » بدل : « إذا ما خلا » .

(٥) هذه الكلمة من ل فقط .

(٦) الندمان ، بالفتح : النديم ، وأصل النديم صاحب على الشراب .

(٧) الشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين ، اسم جمع الشارب . ومنازعة الكأس :

معاطاتها قال الله تعالى : (يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم) ، أى يتعاطون .

ولا والله ما ألقى بليلاً أراقبُ عِزَّ مَنْ جَارَى ما بَقِيَتْ
سَأَزُكُ ما أَخَافُ عَلَى مَنْهُ مَقَالَتُهُ وَأَجْمَلُهُ الشُّكُوتُ
أَبَى لِي ذَاكَ آبَاءُ كَرَامٍ وَأَجْدَادُ بِمَجْدِهِمْ رَبِيتُ
وقال الشَّحِيمِيُّ :

ما لِي وَجْهٌ فِي اللَّثَامِ وَلَا يَدٌ وَلَكِنْ وَجْهِي فِي الْكَرَامِ عَرِيضُ^(١)
أَهْشُ إِذَا لَا قَيْنُهُمْ وَكَأَنِّي إِذَا أَنَا لَا قَيْتُ اللَّثَامِ مَرِيضُ^(٢)
وقال ابن كَنَاسَةَ^(٣) :

فِي انْقِبَاضٍ وَحِشْمَةٍ فَإِذَا لَا قَيْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ^(٤)
خَلَيْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَقُلْتُ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ^(٥)

* * *

وقال عبد الرحمن بن الحكم^(٦) :

وَكَأْسٍ تَرَى بَيْنَ الْإِنَاءِ وَبَيْنَهَا قَذَى الْعَيْنِ قَدْ نَارَعْتُ أُمَّ أَبَانَ^(٧) ٢٨١

- (١) بالحرم ، وفما عدال : « ومالي » . والبيتان في عيون الأخبار (٣ : ٢٧) .
(٢) في عيون الأخبار : « أصح » موضع « أهش » .
(٣) محمد بن كناسة ، ترجم في ص ٥٧ من هذا الجزء .
(٤) البيتان من أصوات الأغاني (١٢ : ١٠٥) .
(٥) الأغاني : « أرسلت نفسي » . وروى أبو الفرج أن إسحاق الموصلي قال لابن كناسة
حين أنشده هذين البيتين : « وددت أنه نقص من عمري سفتان وأنا كنت سبقتك إلى
هذين البيتين فقلتهما » .
(٦) هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ، شاعر إسلامي
كان يهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت . وهو القائل لمعاوية حين استلحق زياداً :
ألا أبلغ معاوية بن حرب مقلقة من الرجل الهيجان
أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زان
الأغاني (١٢ : ٦٩ — ١٣/٧٣ : ١٤٤ : ١٤٨) .
(٧) الأبيات في الكامل ٧٢ لبسك . وفي الأصل : « بين الأنام وبينها » ، صوابه
من الكامل . وقد أراد بالكأس الخمر . وقذى العين : مثل في الصغر والقلة والحفاء . يصف
شدة صفائها .

تَرَى شَارِبِيهَا حِينَ يَمْتَقِبَانِهَا يَمِيلَانِ أَحْيَانًا وَيَعْتَدِلَانِ^(١)
فَمَا ظَنُّ ذَا الْوَأَشَى بِأَبْيَضَ مَا جِدَّ وَبَدَاءَ خَوْدٍ حِينَ يَلْتَقِيَانِ^(٢)
وقال رمّاح بن مَيَّادَة^(٣) — وكان الأصمعي يقول : ختم الشعر بالرمّاح .
وأظنُّ النابغةَ أحدَ عمومته — :

أَلَا رَبَّ خَمَارٍ طَرَقَتْ بِسُدْفَةٍ مِنَ اللَّيْلِ مُرْتَادًا لِنَدْمَانِي الْخَمْرَا^(٤) .
فَأَنهَلَتْهُ خَمْرًا وَأَحْلَفَ أَنَّهَا طِلَالٌ حَلَالٌ كِي يُحْمَلَنِي الْوِزْرَا^(٥)
وقال آخر^(٦) :

ولقد شَرِبْتُ الْخَمْرَ حَتَّى خِلْتَنِي لَمَّا خَرَجْتُ أُجْرُ فَضْلَ الْمِثْرَ
قَابُوسَ أَوْ عَمْرَوَ بْنَ هَنْدٍ قَاعِدًا يُجْبِي لَهُ مَا بَيْنَ دَارَةِ قَيْصَرَ^(٧)
فِي فِتْيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ خَضَارِمٍ عِنْدَ النَّدَامِ عَشِيرُهُمْ لَمْ يَخْسَرْ^(٨)

- (١) في الكامل : « حين يعتورانها » .
(٢) البداء : السكينة لحم الفخذين . والحدود ، بالفتح : الفتاة الحسنة الخلق الشابة .
(٣) ميّادة أمه ، وهو الرماح بن أبرد . ترجم في (٢ : ٢٢٤) .
(٤) الندمان ، بالفتح : النديم على الشراب ، يكون واحداً وجمعاً .
(٥) الطلاء ، بالكسر : ما يطبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه .
(٦) نسب الشعر في الكامل ٧٢ إلى أعرابي . وفي حماسة ابن الشجري ٢٣ إلى أفعى ابن جناب .

(٧) قابوس ، هو قابوس بن المنذر بن عمرو بن المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر ابن النعمان بن امرئ القيس . وأمه هند بنت الحارث ، وعمرو بن هند أخوه . مروج الذهب (٢ : ٩٩) ، والعمدة (٢ : ١٧٩) . دارة قيصر ، كذا وردت في الأصل ، وفي الكامل أيضاً : « مادون دارة قيصر » ، ولم أجد لها ذكراً في المعاجم وكتب البلدان . وفي حماسة ابن الشجري : « مادون دارة صرصر » وليس لها ذكر كذلك . وقد اقتصر المبرد على إنشاد هذين البيتين .

(٨) الخضارم : جمع خضرم ، بكسر الخاء والراء ، وهو الجواد الكثير العطية ، شبه بالخضرم ، وهو البحر الكثير الماء . والندام : مصدر كالتندمة . وبديل هذا البيت في الحماسة :
ولقد رميت الخيل لما أقبلت بأغر من ولد الشموس مشهر

وقال ابن مَيَّادَة :

وَمُعْتَقِ حُرِّمِ الْوَقُودِ كَرَامَةً كَدَمِ الذَّبِيحِ تَمَجُّهُ أَوْدَاجُهُ ^(١)
ضَمِنَ الْكُرُومُ لَهُ أَوَائِلَ خَمْلِهِ وَعَلَى الدَّنَانِ تَمَامُهُ وَنَتَاجُهُ ^(٢)
وَأَنشُدُ اللَّامِحُ لِبَعْضِ الرِّوَاغِضِ :
إِذَا الْمُرْجِيُّ سَرَّكَ أَنْ تَرَاهُ يَمُوتُ بِدَانِهِ مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ ^(٣)
فَجَدَّدَ عِنْدَهُ ذِكْرِي عَلِيٍّ وَصَلَّ عَلَى النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

* * *

وقال بعضهم في البرامكة ^(٤) :

٢٨٢ إِذَا ذُكِرَ الشَّرُّكَ فِي مَجْلِسٍ أَنَارَتْ وَجُوهُ بَنِي بَرْمَكٍ
وَإِنْ تُبْلِغَتْ عِنْدَهُمْ آيَةٌ أَتَوْا بِالْأَحَادِيثِ عَنْ مَرْوَكٍ ^(٥)

وقال آخر :

لَعَنَ اللَّهُ آلَ بَرْمَكٍ إِنِّي صَرْتُ مِنْ أَجْلِهِمْ أَخَا أَسْفَارٍ

- (١) المعتق : الشراب القديم . حرم الوقود : لم يطبخ بالنار .
(٢) يقال ولد لتمام وتام ، بكسر التاء وفتحها ، أى لتمام مدة الحمل . والنجاج بالفتح : مصدرت نتج الناقة ، إذا ولي نتاجها .
(٣) المرجى بتشديد الباء : نسبة إلى المرجية ، وهم فرقة يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية ، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة . سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي ، أى أخره عنهم . وفي اللسان : « والمرجئة يهمز ولا يهمز ، وكلاهما بمعنى التأخير . وتقول من الهمز رجل مرجى وهم المرجئة ، وفي النسبة مرجى ... وإذا لم تهمز قلت رجل مرج وصرجية وصرجى » .
(٤) في عيون الأخبار (١ : ٥١) : « وقال الأصمعي في البرامكة » . والبرمك : اسم لكل من ولي سدانة « النويهار » ، وهو بيت مقدس ببلخ ، وكان من يلى سدائته تعظمه الملوك وترجع إلى حكمه وتحمل إليه الأموال . وكان خالد بن برمك جد البرامكة ، من ولد من كان على هذا البيت . مروج الذهب (٢ : ٢٣٨) .
(٥) ما عدال : « سورة » بدل « آية » . ومروك : كذا ورد في جميع النسخ وعيون الأخبار ، وصوابه « مزدك » . ومزدك : صاحب المزدكية « خرج في أيام قباذ بن فيروز ، فبدل شريعة زرادشت ، واستعمل المحارم ، وسوى بين الناس في الأموال والنساء والعبيد ، فكثير أتباعه وعظم شأنه ، وتبعه قباذ نفسه ، ولم يزل كذلك حتى ولي كسرى أنوشروان فقتله ونكل بأتباعه » . مروج الذهب (١ : ٢٦٣ — ٢٦٤) ، والطبرى وابن الأثير .

إِنْ يَكُ ذُو الْقَرْنَيْنِ قَدْ مَسَحَ الْأَرْضَ ضَ فَإِنِّي مُوَكَّلٌ بِالْعِيَارِ^(١)
وقال آخر :

إِنَّ الْفِرَاقَ دَعَانِي إِلَى ابْتِنَاءِ الْمَسَاجِدِ^(٢)
وإنَّ رَأْيِي فِيهَا كَرَأْيِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ

وقال أبو الهول^(٣) في جعفر بن يحيى بن خالد :

أَصْبَحْتُ مُحْتَاجًا إِلَى الضَّرْبِ فِي طَلَبِ الْعُرْفِ إِلَى الْكَلْبِ^(٤)
إِذَا شَكَا صَبْتُ إِلَيْهِ الْهُوَى قَالَ لَهُ مَالِي وَلِلصَّبِّ^(٥)
أَعْنَى فَتَى يُطْعَنُ فِي دِينِهِ يَشِبُّ مَعَهُ خَشْبُ الصَّلْبِ^(٦)
قَدْ وَقَّحَ السَّبَّ لَهُ وَجْهَهُ فَصَارَ لَا يَنْعَاشُ لِلْسَبِّ^(٧)

وقال رجل شَامٍ^(٨) :

أَبْعَدَ مَرْوَانَ وَبَعْدَ مَسْئَلِهِ^(٩) وَبَعْدَ إِسْحَاقَ الَّذِي كَانَ لِمَهْ^(١٠)

(١) مسح الأرض مسحاً ومساحة : ذرعها وقاسها . والعيار : مراجعة الميزان والمكيال ، ويلحق بهما مراجعة المساحة .

(٢) البيتان في عيون الأخبار (١ : ٥١) .

(٣) أبو الهول كنيته شهر بها . واسمه عامر بن عبد الرحمن الحميري ، كان شاعراً مقلداً . قال ابن النديم : له شعر يبلغ خمسين ورقة . وله مدائح في المهدي والهادي والرشيدي والأمين . ابن النديم ٢٣٢ وتاريخ بغداد ٦٦٨٢ .

(٤) الأبيات في الحيوان (١ : ٢٦٠ — ٢٦١) والعمدة (١ : ٤٠) .

(٥) ما عدال : « إذا اشتكى » .

(٦) في العمدة : « يطعن في ديننا » . وكان هذا البيت تطيراً منه على جعفر .

(٧) هذا البيت من ل فقط ، وموضعه في الحيوان بعد البيت الأول .

(٨) ما عدال : « من أهل الشام » .

(٩) حم مروان بن الحكم ، ومسلمة بن عبد الملك .

(١٠) وإسحاق هذا هو إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس . كان من

أولى الأقدار العالية ، ولى لهارون المدينة والبصرة ومصر والسند ، وولى لمحمد الأمين حمص وأرمينية ، ومات ببغداد . تاريخ بغداد ٣٣٧٢ ولسان الميزان (١ : ٣٦٤) . اللمة ، بضم اللام وفتح الميم : المثل والند والشبيه ؛ ويقال أيضاً بتشديد الميم .

صارَ على الشَّغْرِ فُرَيْخٌ الرَّخْمَةُ (١) إِنَّ لَنَا بِفِعْلِ يَحْيَى نَقْمَهُ (٢)
مُهْلِكَةٌ مُبِيرَةٌ مُنْقِمَتُهُ (٣) أ كَلَّا بَنَى بَرْمَكٌ أَكَلَ الحُطْمَةَ (٤)
إِنَّ لِهَذَا الْأَكْلِ يَوْمًا تَخَمُهُ أَيْسَرُ شَيْءٍ فِيهِ حَزُّ الفَلَصَمَةِ (٥)
وقال الشاعر (٦):

٢٨٣ * مَارَعَى الدَّهْرُ آلَ بَرْمَكٍ لَمَّا أَنْ رَمَى مُلْكَهُمْ بِأَمْرِ فُظْيَعٍ (٧)
إِنَّ دَهْرًا لَمْ يَزَعْ حَقًّا لِيَحْيَى غَيْرُ رَاعٍ ذِمَامَ آلِ الرِّبِيعِ (٨)
وقال سهل بن هارون في يحيى بن خالد:

عَدُوٌّ تِلَادِ الْمَالِ فِيمَا يَنْوِبُهُ مَنْوَعٌ إِذَا مَا مَنَعُهُ كَانَ أَخْزَمًا (٩)
مُذَلِّلٌ نَفْسٍ قَدْ أَبَتْ غَيْرَ أَنْ تَرَى مَسْكَرَةً مَا تَأْتِي مِنَ الْحَقِّ مَغْنَمًا
وقال إسحاق بن حسان (١٠):

مَنْ مُبْلَغٌ يَحْيَى وَدُونَ لِقَائِهِ زَبَرَاتٌ كُلُّ خُنَابِسٍ هَمَّهُامٍ (١١)

(١) فريخ: مصغر فريخ. والرخمة: طائر يعده العرب مثلاً في اللؤم والحق. ماعدال: «فريخ» تحريف.

(٢) النقمة، بفتح فكسر: لغة في النقمة بالكسر، وهما المكافأة بالعقوبة.

(٣) مبيرة: مهلكة. ماعدال: «منيرة» تحريف.

(٤) الحطمة: النار الشديدة تحطم ما تلقى.

(٥) الفلصمة: رأس الحلقوم.

(٦) هو أبو حذرة الأعرابي، أو أبو نواس. انظر مروج الذهب (٣: ٢٩١).

(٧) وكذا في مروج الذهب. وفي: «فضيع» بالفاء والضاد، وصحة هذه «فطيح».

(٨) مروج الذهب: «حقاً لآل الربيع».

(٩) التلاد: المال القديم والموروث. ينوبه: يعتريه من الحقوق. والبيت في الحيوان

(٣: ٤٦٦). وهو وتاليه في الحيوان (٥: ٦٠٤). وبينهما:

فسيان حالاه، له فضل منعه كما يستحق الفضل إن هو أنما

(١٠) سبقت ترجمته في (١: ١١٥، ١١٦). ماعدال: «حسان بن حسان» تحريف.

والأبيات مع هذه النسبة في تاريخ الطبري (١٠: ٦٠).

(١١) زبرات: جمع زبرة بالفتح، وهي المرة من زبره زبراً: زجره وانتهره.

الطبري: «زأرات». أسد خنابس: جرى شديد. والههمام من الهمة، وهو تردد الزئير في الصدر.

ياراعى السلطان غير مفريط في اين مختبط وطيب شمام^(١)
تعذى مسارحه ويصفي شره^(٢) ويبيت بالربوات والأعلام^(٣)
حتى تنخنخضاربا بجرانه ورست مراسيه بدار سلام^(٤)
في كل ثغر حارس من قبله وشعاع طرف لا يفتّر سام^(٥)
وهذا شبيهه بقول العتّابي في هارون :

إمام له كف يضم بنائها عصا الدين ممنوعاً من البري عودها^(٥)
وعين محيطة بالبرية طرفها سواها عليها قربها وبعيدها
وأصمع يقظان يبيت مناجياً له في الحشا مستودعات يكيدها^(٦)
سميع إذا ناداه في قعر كربة مناد كفته دغوة لا يعيدها
وقال أيضاً كلثوم بن عمرو العتّابي^(٧) :

٢٨٤ * تلوم على ترك الغنى باهليّة زوى الدهر عنها كل طرف وتالد^(٨)

(١) المختبط : مصدر من اختبطه ، سأل به وسيلة ولا قرابة ولا معرفة . الطبرى
(١٠ : ٦٠) : « مفتبط » . والشمام : مصدر شامت الرجل ، إذا قاربته ودنوت منه .
الطبرى : « مشام » .

(٢) ل : « يعدى مسارحه » ما عدل : « يغدى » صوابهما من الطبرى . تعذى :
تصير عذية ، أى طيبة بعيدة من الوخم . يقال صفا الرجل الشيء : أخذ صفوه ، كما فى اللسان .
(٣) ل : « تنخنخض » ما عدل : « ينخنخ » . والصواب « تنخنخ » كما فى الطبرى .
يقال تنخنخ البعير : برك ثم مكن لثغنه من الأرض . والضمير للسلطان ، وهو الحكم .
وضرب بجرانه : استقر واستقام . وذلك أن البعير إذا برك واستراح مد جراحه على الأرض
أى عنقه .

(٤) فى الطبرى : « فكل ثغر حارس من قبله » .
(٥) سبق البيتان الأول والثانى فى ص ٤٠ من هذا الجزء .
(٦) الأصمع : القلب المتيقظ الذكى . يكيدها : يعالجها .
(٧) الأبيات التالية فى الحيوان (٤ : ٢٦٥) وعيون الأخبار (١ : ٢٣١) والعقد
(٢ : ١٣٦) وزهر الآداب (٣ : ٣٩) وحجاسة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب
(١ : ٩٢ ، ٢١٣) والأغانى (١٢ : ٨ — ٩٨) واللسان (برد) وثمر الخصائص الواضحة
للوطواط ٤٠٨ وديوان المعانى (١ : ١٣) .

(٨) فى الأغاني : وكانت تحته امرأة من باهلة فلامته وقالت : هذا منصور النمرى قد =

رَأَتْ حَوْلَهَا النَّسْوَانَ يَرْفُلْنَ فِي الْكُسَا مُقْ—لَدَةً أَجْيَادُهَا بِالْقَلَانِدِ^(١)
يَسْرُكُ أُنَى نِلْتُ مَا نَالَ جَعْفَرُ مِنْ الْمُلْكِ أَوْ مَا نَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ
وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَغْصَى—نِي مُنْقَضَهُمَا بِالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَارِدِ^(٢)
ذَرِينِي تَجِشُّنِي مَيْتَتِي مَطْمَئِنَّةً وَلَمْ أَتَجَشَّمْ هَوَلَ تِلْكَ الْمَوَارِدِ^(٣)
فَإِنَّ كَرِيمَاتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ^(٤)
وقال الحسن بن هانئ :

عَجِبْتُ لَهَارُونَ الْإِمَامِ وَمَا الَّذِي يُرَوِّى وَيَرْجُو فَيْكَ يَا خِلْقَةَ السَّلَقِ^(٥)
قَفًّا خَلْفَ وَجْهِهِ قَدْ أُطِيلَ كَأَنَّهُ قَمَا مَلِكٍ يَقْضِي الِهِمُومَ عَلَى بَثْقِ^(٦)

== أخذ الأموال غلى نساءه ، وبني داره ، واشترى ضياعا وأنت هنا كما ترى ! فأنشأ يقول .
وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة ، ويذكر عاقبة حجة السلطان ، وأنه ما المتعلق بها من
غدر الزمان أمان » . غرر الخصائص . ما عدال : « طوى الدهر » . الطرف : الطارف
المستحدث من المال . والتالد : القديم .

(١) السكسا : جمع كسوة . يرفلن : يتبخترن .
(٢) الحيوان : « أعصى مضمهما » . المرهفات : السيوف المرققات . والبوارد :
التي تثبت في الضريبة لا تنثنى . وهم يعدحون السيف بذلك . قال طرفة :
أخي ثقة لا ينثنى عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قد
(٣) ما عدال : « ولم أتجشم » .

(٤) في الزهر : « فإن رفيفات المعالي » . الحامسة : « رفيفات الأمور » . العقد :
« وجدت لذاذات الحياة » . الأغاني : « رأيت رفيفات الأمور » . ديوان المعاني : « وإن
جسيات الأمور » . وهو مثل من أمثلة تصرف الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون
اللفظ . وفي محاضرات الراغب (١ : ٢١٣) أن العتاني أخذ قوله هذا من ابن المقفع ، وذلك
أنه سئل : لم لا تطلب الأمور العظام ؟ فقال : رأيت المعالي مشوبة بالمسكاره فاقترصت على التحول
ضنا بالعافية .

(٥) الأبيات في الحيوان (١ : ٢٣٨ ، ٢٦٣) والديوان ١٧٣ والشعراء ٧٩٠ وعميون
الأخبار (١ : ٢٧٣) . يهجو بها جعفر بن يحيى البرمكي . السلق ، بالكسر : الذئب .
الديوان : « يود ويرجو » . الشعراء : « يرجى ويبغى » . والتروية : التفكير والنظر .
(٦) ملك ، كذا وردت في الأصل والشعراء . وفي الديوان والحيوان : « مالك » .
ما عدال : « يقضى الهموم » . البثق : منبعث الماء ، وهو بفتح الباء وكسر ها . في الديوان
وبعض نسخ الحيوان : « ثبق » . والبثق : لإسراع دمع العين وجريان الماء .

وَأَعْظَمُ زَهْواً مِنْ ذَبَابٍ عَلَى خِيراً وَأَبْخَلُ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ عَلَى عَرَقٍ^(١)
أَرَى جَعْفَراً يَزْدَادُ بَخْلاً وَدِقَّةً إِذَا زَادَهُ الرَّحْمَنُ فِي سَعَةِ الرِّزْقِ^(٢)
وَلَوْ جَاءَ غَيْرُ الْبُخْلِ مِنْ عِنْدِ جَعْفَرٍ لَمَا وَضَعُوهُ النَّاسُ إِلَّا عَلَى الْجُمُحِ^(٣)

ولما أنشد ابن [أبي] حَفْصَةَ^(٤) الفضل بن يحيى بن خالد :

ضَرَبْتَ فَلَا شُلَّتْ يَدُ خَالِدِيَّةٍ رَتَقْتَ بِهَا الْفَقْرَ الَّذِي بَيْنَ هَاشِمٍ
قال له الفضل : قل فلا شُلَّتْ يد برمكية ؛ فخالد كثير ، وليس برمك إلا واحداً .
وقال سلم^(٥) في يحيى ، ويحيى يومئذ شاب :

وَقَتَّى خَلاً مِنْ مَالِهِ وَمِنْ الْمَرْوَةِ غَيْرُ خَالٍ

وَإِذَا رَأَى لَكَ مَوْعِداً كَانَ الْفَعَالُ مَعَ الْمَقَالِ^(٦)

لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ فَتَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الْخِلَالِ

أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ فَكَفَاكَ مَكْرُوءَ السُّؤَالِ

ومن جيّد ما قيل فيهم^(٧) :

لِلْفَضْلِ يَوْمُ الطَّائِقَانِ ، وَقَبْلَهُ يَوْمٌ أَنَاخَ بِهِ عَلَى خَاقَانِ^(٨)

(١) ل : « خر » . العرق ، بالفتح : العظم الذي قد أخذ عنه أ كثر لحمه .

(٢) الدقة : الحفارة والصغر .

(٣) وضعوه ، جاءت على لغة أكلوني البراغيث .

(٤) مروان بن أبي حفصة ، ترجم في (١ : ٦٣) .

(٥) سلم بن عمرو الحاسر ، المترجم في ص ٢٥١ من هذا الجزء . ومن عجب ما ذكره

ابن قتيبة في عيون الأخبار (٣ : ١٨٨) حيث زعم أن مماوية كان يتمثل بالبيت الأول والرابع من هذه الأبيات .

(٦) الفعّال ، بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .

(٧) القائل هو أبو نعام الخطيب ، كما في الطبري (١٠ : ٥٥) . وقد أعطاه الفضل

بمد لإنشادها مائة ألف درهم ، وخلع عليه ، وتغنى بها إبراهيم الموصلي .

(٨) الطائقان ، بفتح اللام : هي طائقان الري بين قزوین وأبهر ، من بلاد طبرستان .

وكان الفضل بن يحيى قد ولاه الرشيد كور الجبال وطبرستان وديناوند وقومس وأرمينية =

ما مِثْلُ يَوْمَيْهِ الَّذِينَ تَوَالِيَا فِي غَزَوَتَيْنِ حَوَاهُمَا يَوْمَانِ
عَصَمَتْ حُكُومَتُهُ جَمَاعَةَ هَاشِمٍ مِنْ أَنْ يُجَرَّدَ بَيْنَهَا سَيْفَانِ
تِلْكَ الْحُكُومَةُ لَا آتَى عَنْ لَبْسِهَا عَظُمَ النَّأْيُ وَتَفَرَّقَ الْحُكْمَانِ^(١)

وقال الحسن بن هانئ ، في جعفر بن يحيى :

ذَاكَ الْوَزِيرُ الَّذِي طَالَتْ عِلَاوَتُهُ كَأَنَّهُ نَاطِرٌ فِي السَّيْفِ بِالطُّولِ^(٢)
ذَكَرُوا أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى كَانَ أَوَّلَ مَنْ عَرَّضَ الْجُرْبَانَاتِ^(٣) لَطُولَ عُنُقِهِ .

وقال مَعْدَانُ الْأَعْمَى ، وَهُوَ أَبُو السَّرِيِّ الشُّمَيْطِيُّ^(٤) :

يَوْمَ تَشْفَى النُّفُوسُ مِنْ بَعْصَرِ اللَّؤْمِ مَ وَئِنِّي بِسَامَةِ الرَّحَالِ
وَعِدِي وَتَيْمِمِهَا وَثَقِيْفِ وَأَحْمِي وَتَغْلِبِ وَهِيَالَالِ
لَا حَرُورًا وَلَا نَوَابِتُ تَنْجُو لَا وَلَا صَحْبُ وَاصِلِ الْغَزَالِ^(٥)
غَيْرَ كَفْتِي وَمَنْ يُلَوِّذُ بِكَفْتِي فَهُمْ رَهْطُ الْأَغْوَرِ الدَّجَالِ^(٦)

١٥ = وأذريجان ، وذلك في سنة ١٧٦ . والفضل هذا هو ابن يحيى بن خالد ، أخو جعفر بن يحيى ورضيع هارون الرشيد . ولما غضب الرشيد على البرامكة وقتل جعفرًا خلد الفضل في الحبس مع أبيه يحيى ، فلم يزلوا محبوسين حتى مات في حبسهما ، مات الفضل قبل موت الرشيد بشهور سنة ١٩٢ . ومما يؤثر عنه أن الزوار كان يسمون في عصره « السَّوَال » فقال الفضل ، لكرمه : سموهم الزوار ، فلزمهم هذا الاسم . تاريخ بغداد ٦٧٨٢ . وخاقان ، جاء في القاموس : « اسم لكل ملك خفَّته الترك على أنفسهم ، أي ملكوه ورأسوه » .

(١) النَّأْيُ : الفساد والأمر العظيم يقع بين القوم .

(٢) الْعِلَاوَةُ : أعلى الرأس ، أو أعلى العنق . ٢٠

(٣) الْجُرْبَانُ ، بضم الجيم والراء ، وبكسرهما : جيب القميص ، أو لبنته ، وهي رقعة تعمل موضع الجيب . معرب من الفارسية : « گريبان » . اللسان والقاموس والمعرب ٩٩ ومعجم استينجاس ١٠٨٦ .

(٤) مَعْدَانُ : « السَّمِيطِيُّ » تحريف . وقد مضت ترجمة معدان في (٢٣ : ١) ٢٥
حيث سبقت الأبيات الثلاثة الأولى من هذه المقطوعة ؛ والبيت الخامس والسادس في مقاتل الطالبين ٤١٩ .

(٥) النَوَابِتُ : جمع نَابِتَةٍ ، وهم أصحاب المذاهب الناشئة . ماعدان : « ولا النَوَابِتُ »

(٦) هُوَ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ ؛ سَمِيَ مَسِيحًا لِأَنَّهُ مَسُوحٌ الْعَيْنِ ، وَسَمِيَ الدَّجَالُ لِتَمْوِيهِهِ عَلَى النَّاسِ =

وَبَنُو الشَّيْخِ وَالْقَتِيلُ بَفَخَ ^(١) بَعْدَ يَحْيَى وَمُوتِمِ الْأَشْبَالِ ^(٢)
 سَنَ ظَلَمَ الْإِمَامَ فِي الْقَوْمِ بِشَرِّ ^(٣) إِنْ ظَلَمَ الْإِمَامَ ذُو عُقَّالِ ^(٤)
 وقال الكميت :

آمَتْ نِسَاءُ بَنِي أُمَيَّةٍ مِنْهُمْ وَبَنُوهُمْ بِمَضِيَّةٍ أَيْتَامُ ^(٥)

= وتلبسه وتزيينه الباطل . وأنشدوا :

* إذا المسيح يقتل المسيحا *

هو عيسى بن مريم يقتل الدجال بنيزكه ، وهو رمح قصير . اللسان (مسح ، دجل) .
 (١) فخ : واد بمكة ، قتل به الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن
 أبي طالب ، خرج يدعو إلى نفسه في ذي القعدة ١٦٩ ، وبايعه جماعة من العلويين بالخلافة
 بالمدينة ، وخرج إلى مكة ، فلما كان بفخ لقيته جيوش بني العباس ، وعليهم العباس بن محمد بن
 علي بن عبد الله بن عباس ، فالتقوا يوم التروية من سنة ١٦٩ ، فقتل هو وجماعة من عسكره
 وأهل بيته . وذلك في أيام موسى الهادي . معجم البلدان (فخ) والطبري (١٠ : ٢٤ — ٣٢)
 والبداية والنهاية (١٠ : ٤٠) والمعارف ١٦٦ والفخرى ١٧١ ومقاتل الطالبيين ٤٣١ .
 ويحيى هذا هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، وكان قد خرج في أيام
 هشام بن عبد الملك ثم الوليد بن يزيد . وقتله عيسى مولى عيسى بن سليمان الفزري سنة ١٢٥ .
 الطبري (٨ : ٢٩٩ — ٣٠١) والمعارف ٩٥ وابن الأثير (١٠٧ : ١٠٨) ومقاتل
 الطالبيين ١٥٢ — ١٥٨ . وموتم الأشبال ، هو عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن
 أبي طالب ، وكان قد خرج عليها ليوثة معها أشبالها ، منصرفه من باخرى ، وجمعت تحمل
 على الناس ، فنزل عيسى وأخذ سيفه وترسه ثم نزل إليها فقتلها . مقاتل الطالبيين ٤١٩ .
 مات عيسى في أيام المهدي .

(٢) في مقاتل الطالبيين : « زيد » بدل « بشر » ، وهو الصواب ، فإن القصيدة كما
 قال أبو الفرج يعيب فيها معدان الشميطي — وهو من شعراء الإمامية — من خرج من
 الزيدية . كما أن الصواب أن يكون هذا البيت سابقا للبيت الذي قبله ، كما في مقاتل الطالبيين .
 والإمام الذي يعنيه هو الإمام الذي يقول به الشميطية ، أتباع يحيى بن شميطة ، وهم لأحسدى فرق
 الإمامية . قالوا إن الإمام جعفر بن محمد الصادق قال : « إن صاحبكم اسمه اسم نبيكم » . وقد
 قال له والده : « إن ولدك ولد فسميته باسمي فهو الإمام » . فالإمام الذي يؤمنون به ، هو
 محمد بن جعفر الصادق . الملل والنحل (٢ : ٣) ومفاتيح العلوم ٢٢ . وأما « زيد » الذي
 هو الصواب في « بشر » فهو لإمام الزيدية ، وهو زيد بن علي بن الحسين ، وأتباعه يسوقون
 الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام ، ولم يجوزوا ثبوت إمامة في غيرهم . وجعفر الصادق هو
 جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الأصغر بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أمه فروة بنت القاسم
 ابن محمد بن أبي بكر . الملل (١ : ٢٠٧) والمواقف ٦٢٨ والفرق بين الفرق ١٦ والاعتقادات
 للرازي ٥٢ وابن النديم ٢٥٣ ومفاتيح العلوم ٢١ .

(٣) الأبيات في الأغاني (١٥ : ٥٨) ومسروج الذهب (٣ : ٢٩٥) منسوبة إلى
 أبي العباس الأعمى . آمت : صارت أياى ، مات عنها أزواجها .

نَامَتْ جُدُودُهُمْ وَأُسْقِطَ نَجْمُهُمْ وَالنَّجْمُ بَسَقُطٌ وَالْجُدُودُ تَنَامُ^(١)
خَلَّتِ الْمَنَابِرُ وَالْأَسِرَّةُ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِمْ حَتَّى الْمَمَاتِ سَلَامٌ^(٢)
وقال خليفة ، أبو خلف بن خليفة^(٣) :

أَغْقِبِي آلَ هَاشِمٍ يَا أُمِّيَا جَمَلَ اللَّهُ بَيْتَ مَالِكٍ فَيَا^(٤)
إِنْ عَصَى اللَّهُ آلُ مَرْوَانَ وَالْعَا صِي لَقَدْ كَانَ لِلرَّسُولِ عَصِيَا
وقال الراعي في بني أمية :

بَنِي أُمَيَّةَ إِنْ اللَّهَ مُلْحِقُكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ بَعَثَانَ بْنِ عَفَّانٍ
وقال خلف بن خليفة :

لَوْ تَصَفَّحْتَ أَوْلِيَاءَ عَلِيٍّ لَمْ تَجِدْ فِي جَمِيعِهِمْ بَاهِلِيَا

وقال كعب الأشقرى^(٥) لعمر بن عبد العزيز :

إِنْ كُنْتَ تَحْفَظُ مَا يَلِيكَ فَإِنَّمَا عُمَالُ أَرْضِكَ بِالْبِلَادِ ذُنَابُ
لَنْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّذِي تَدْعُو لَهُ حَتَّى تُجَلِّدَ بِالسُّيُوفِ رِقَابُ^(٦)
بِأَكْفٍ مُنْصَلِتِينَ أَهْلَ بَصَائِرٍ فِي وَقْعِهِنَّ مَزَاجِرُ وَعِقَابُ^(٧)

١٥ (١) الجُد ، بالفتح : الحظ . في الأغاني : ومروج الذهب « نيام » وما هنا صوابه .

(٢) الأسيرة : جمع سرير ، يعنى سرير الملك وعمره .

(٣) سبقت ترجمة خلف بن خليفة في (١ : ٥٠) . ونسب الشعر في اللسان (٢ : ١٠٩)

إلى سديف شاعر بني العباس .

(٤) يقول : انزلى عن الخلافة حتى يركبها بنو هاشم فتكون العقبة لهم ، أى النوبة .

٢٠ انظر اللسان (عقب ١٠٩) . فيا : مسهل فيثا . والى : الغنيمة .

(٥) كعب بن معدان الأشقرى ، ترجم في (١ : ٣٢١) .

(٦) ما عدال : « حتى يجلد » . وتجلد : تضرب « وأصل الجلد والتجليد ضرب الجلد .

(٧) المنصلات : الماضى في الأمر . البصائر : جمع بصيرة ، وهى العلم ، واليقين ،

والنار ، وكل ما يلبس من السلاح كالنرس والدرع . والمعنى يحتمل كلا منها . الضمير في

٢٥ « وقعهن » للسيفوف .

هَلَّا قُرَيْشٌ ذَكَرْتُ بِشُغُورِهَا حَزْمٌ وَأَحْلَامٌ هُنَاكَ رِغَابٌ^(١)

لَوْلَا قُرَيْشٌ نَصَرُهَا وَدِفَاعُهَا أَلْفَيْتُ مُنْقَطِعًا بِي الْأَسْبَابُ ٢٨٧

فلما سمع هذا الشعر قال : لمن هذا ؟ قالوا : لرجل من أزد عُمَان ، يقال له كعب الأشقرى ! قال : ما كنت أظنُّ أهل عُمَان يقولون مثل هذا الشعر .

قال أبو اليقظان^(٢) : وقام إلى عمر بن عبد العزيز رجل وهو على المنبر فقال :

إِنَّ الَّذِينَ بَعَثَتْ فِي أَقْطَارِهَا نَبَذُوا كِتَابَكَ وَاسْتَحْلَلُوا الْحَرَمَ

طَلَسُوا الشِّيَابَ عَلَى مَنَابِرِ أَرْضِنَا كُلُّ يَجُورٍ وَكَلَّهْمُ يَتَظَلَّمُ^(٣)

وَأَرَدْتَ أَنْ يَلِيَ الْأَمَانَةَ مِنْهُمْ عَدَلٌ وَهِيَاهُ الْأَمِينُ الْمُسْلِمُ

١٠ وكان زيد بن عليٍّ كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر^(٤) :

شَرَّدَهُ الْخَوْفُ وَأَزْرَى بِهِ كَذَاكَ مِنْ يَكْرُهُ حَرَّ الْجِلَادِ

مُنْخَرِقُ الْخَفَيْنِ يَشْكُو الْوَجَى تَنْكِبُهُ أَطْرَافُ مَرْوٍ حِدَادِ

قَدْ كَانَتْ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ وَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ

وقال عبد الله بن كثير السهمي^(٥) ، وكان يتشيع ، لولادة كانت نالته ،

١٠ (١) ما عدال : « ذكروا » ل : « شعورها » بدل : « بشغورها » والوجه ما أثبت . الأحلام : العقول . رغاب : جمع رغب ، وهو الواسع .

(٢) أبو اليقظان ، هو سحيم بن حفص ، المترجم في (١ : ٤١) .

(٣) طلس : جمع أطلس . والطلسة : غبرة إلى سواد ، يعني قذارة الشياب ، وهو كناية عن عدم العفة ، كما أن طهارة الثوب ونقاءه كناية عن العفة . تظلمه حقه : ظلمه إياه .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، كما في حواشي الجزء الأول ص ٣١١ ، حيث سبقت الأبيات وتفسيرها . يقولها حين لقي ما لقي من الطلب والحرب ، وما كان من مصرع طفل له هوى من يد مرضعته على الجبل فتقطع . الطبرى (٩ : ١٩١) .

(٥) هو عبد الله بن كثير بن المطالب بن أبي وداعة السهمي ، من بني سهم بن عمرو ابن حصيص . وهو من ثقات المحدثين ، توفي سنة ١٢٠ . تهذيب التهذيب . والذي في الحيوان

(٣ : ١٩٤) : « وقال كثير أو غيره من بني سهم » . وفي معجم المرزبانى ٣٤٨ أن الشعر التالى لكثير بن كثير السهمي ، قاله حين كتب هشام بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسبب على .

وسمع عمّال خالد بن عبد الله القسريّ يلعنون عليّاً والحسن والحسين على المنابر :

لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يَسُوبُ عَلِيّاً وحسيناً من سُـوْقَةٍ وإمام
أَيَسَّبُ الْمُطِيبُونَ جُـدُوداً والكرامُ الأخوال والأعمام^(١)
يَأْمَنُ الظُّبْيُ وَالْحَامُ وَلَا يَأْ مَنْ آلُ الرَّسُولِ عِنْدَ الْمَقَامِ^(٢)
طَبَتْ بَيْتاً وَطَابَ أَهْلُكَ أَهْلاً أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ وَالْإِسْلَامِ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ كَلَّمَا قَامَ قَائِمٌ بِسَلَامِ

٢٨٨

وقال حين عابوه بذلك الرأى :

إِنَّ امْرَأً أُمِسَتْ مَعَايِبُهُ حُبَّ النَّبِيِّ لَفَيْرُ ذِي ذَنْبٍ
وَبَنِي أَبِي حَسَنِ وَوَالِدِهِمْ مَنْ طَابَ فِي الْأَرْحَامِ وَالصُّلْبِ
أَيَعَدُّ ذَنْباً أَنْ أُحِبَّهُمْ بَلْ حُبُّهُمْ كَفَّارَةُ الذَّنْبِ

١٠

وقال يزيد بن أبي بكر بن دَابِ اللّيثي :

اللَّهُ يَعْلَمُ فِي عَلِيٍّ عِلْمَهُ وَكَذَلِكَ عِلْمُ اللَّهِ فِي عُمَانَ

وقال السيّد الحميري^(٣) :

إِنِّي أَمْرٌ وَحَمِيرِيٌّ غَيْرُ مُؤْتَشَبٍ جَدِّي رُعَيْنٌ وَأَخْوَالِي ذُووِ يَزَنٍ^(٤)
ثُمَّ الْوَلَاءُ الَّذِي أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْهَادِي أَبِي الْحَسَنِ^(٥)

١٥

(١) المطيبون : المطهرون . في معجم المرزباني : « أتسب المطيبين » ، بالخطاب .

(٢) المقام : الحرم جميعه ، أو هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام عند بناء البيت ، وفيه أثر قدمه كما يروون ، وهو أسود وأكبر من الحجر الأسود .

(٣) مضت ترجمته في (٢ : ١٦٨) .

(٤) في القاموس : « هو مؤتشب ، بالفتح ، أي غير صريح في نسبه » . رعين ، هو ذو رعين ، ملك من ملوك اليمن . ورعين : حصن له . وذو يزن أراد أبناء ذِي يَزَن . وذو يزن : والد سيف بن ذِي يَزَن ، وكان سيف أحد ملوك اليمن ، وهو الذي استنقذ اليمن من حكم الحبشة وطفيلانهم ، بمعاونة كسرى أنوشروان ، واستخدم سيف بعض الحبشة فخلوا به يوماً وهو في متصيد له فقتلوه .

(٥) يعني علي بن أبي طالب ، أبا الحسن والحسين .

٢٠

٢٥

وقال ابن أذينة^(١) :

سَمِينُ قُرَيْشٍ مَانِعٌ مِنْكَ لَحْمُهُ وَغَثُ قُرَيْشٍ حَيْثُ كَانَ سَمِينُ
وقال ابن الرُّقَيَّاتِ^(٢) :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْمَلُونَ إِنْ غَضِبُوا^(٣)
وَأَنَّهُمْ مَعْدِنُ الْمُلُوكِ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ^(٤)

وقال عُرْوَةُ بْنُ أَذِينَةَ :

إِذَا قُرَيْشٌ تَوَلَّى خَيْرُ صَالِحِهَا فَاسْتَفِيقَنَّ بَأْنَ لَا خَيْرَ فِي أَحَدٍ
رَهْطُ النَّبِيِّ وَأَوْلَى النَّاسِ مَنَزَلَةً بِكُلِّ خَيْرٍ وَأَثَرِي النَّاسِ فِي الْعَدَدِ
وقال حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، يَرْتِي أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ^(٥) :

(١) هو عروة بن يحيى ، وأذينة لقب لأبيسه . شاعر مقدم من أهل المدينة ، ويعد في الفقهاء والمحدثين أيضا ، لكن غلب عليه الشعر . وترجمته مستفيضة في الأغاني (٢١ : ١٠٥ — ١١١) والشعراء ٥٦٠ والمؤتلف ٥٤ والآل ٢٣٦ وترجمة ابن خلكان عرضا في أثناء ترجمة سكينه بنت الحسين .

(٢) سبق تحقيق اسمه وترجمته في (٢ : ٢٧٨) .

(٣) ديوان ابن قيس الرقيات ٧٠ . والبيتان من أصوات الأغاني (٤ : ١٥٩) . ويروى أبو الفرج أن هذا البيت كان سببا في إلقاءه من موت محقق قضى به عليه عبد الملك بن مروان ؛ إذ قيل له : إن قتلته لغضبك عليه أكذبه فيما مدحك به . قال : فهو آمن . وأن هذا البيت أيضا كاد يودي بقينة مغنية في حضرة الرشيد ، لولا أن تداركت أمرها فأعادته ففنت :

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يجهلون أن غضبوا

وأنهم معدن النفاق فما تفسد إلا عليهم العرب

(٤) معدن الملوك : أى أصولهم . ومعدن كل شيء : المكان الذى يكون فيه أصله ومبدؤه ، نحو معدن الذهب والفضة والجوهر .

(٥) كذا يقول الجاحظ ، وهو ظاهر ما ينطق به الشعر ، إذ أنه فى أسلوب الرثاء والحديث فى أمر مضى . لكن صاحب جمهرة أشعار العرب ١٣ يذكر أن الشعر مديح لأبي بكر فى حياته ، ويرفع الحديث إلى عبد الله بن مسعود ، قال : « بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أن قوما نالوا أبا بكر بألسنتهم ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، ليس أحد منكم آمن على ذات يده ونفسه من أبى بكر ، كلسم قال لى كذبت وقال لى أبو بكر صدقت ، فلو كنت متخذنا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . ثم التفت إلى حسان فقال : هات ما قلت فى وفى أبى بكر ، فقال حسان . . . » وأنشد الأبيات ، وأنشد بعد البيت الأخير :

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَواً مِنْ أَخِي ثِقَةً فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَ^(١)
 التَّالِيَّ الثَّانِيَّ الْحَمُودَ مَشْهُدُهُ وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا
 وَثَانِيَّ اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْمُنِيفِ وَقَدْ طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ صَعَدَ الْجَبَلَا
 وَكَانَ حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلًا^(٢)
 وقال بعض بني أسد :

لَمَّا تَخَيَّرَ رَبِّي فَارْتَضَى رَجُلًا مِنْ خَلْقِهِ كَانَ مِنَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ^(٣)
 لَنَا الْمَسَاجِدَ نَبِيهَا وَنَعْمُهَا وَفِي الْمَنَابِرِ قَعْدَانُ لَنَا ذُلُّ
 وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص ، في شأن السقيفة^(٤) :
 قَدْ اخْتَصِمَ الْأَقْوَامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَسَأَلْتُ قُرَيْشًا حِينَ جَدَّ اخْتَصَامُهَا

- ١٠ = خير البرية أتقاه وأرأفها بعد النبي وأوفاه بما أحلها
 فقال رسول الله : صدقت يا حسان ، دعوا لي صاحبي . قالها ثلاثاً . وانظر ديوان حسان ٢٩٩ .
 (١) في الجهرة : « من أخ ثقة » . وفي الديوان : « من أخى ثقة » . يقول : إذا
 تذكرت ما يحزنك من تحني من تثق به وتركن إليه ، فاذكر أخاك أبا بكر ، فإنه ينسيك
 بكرم فعاله ما لقيته من عقوق غيره .
 (٢) الحب ، بالكسر : الحبيب ، وعبر بكلمة « كان » هنا ، مريداً بها على الدوام ،
 بمعنى لم يزل كما في قول الله تعالى : « وكان الله سمياً بصيراً » . لم يعدل به : لم يجعله عدلاً
 له ومساوياً .
 (٣) منا ، أي من مضر . والأسديون هم بنو أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياسر بن
 مضر ، يجتمعون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزيمه بن مدركة .
 (٤) انظر ما مضى في الكلام على السقيفة في ص ٢٩٦ . ويزيد هذا هو يزيد بن الحكم
 ابن عثمان بن أبي العاص الثقفي . وقيل إن « عثمان » عمه لا جده . وهو أحد شعراء الدولة
 الأموية . مر به الفرزدق وهو ينشد في أحد المجالس شعراً فقال : من هذا الذي ينشد شعراً
 كأنه من أشعارنا ؟ وكان الحجاج قد ولاه كورة فارس ودفع إليه العهد ، فلما دخل ليودعه
 قال : أنشدني بعض شعرك — وإنما أراد أن ينشده مديحاً له — فأنشده قصيدته التي يفخر
 فيها بآبائه :

٢٥ وأبي الذي سلب ابن كسرى راية بيضاء تخفق كالقصاب الطائر
 ففضب الحجاج وارتجع منه العهد ، وخرج يزيد عنه مغضباً إلى سليمان بن عبد الملك
 فأنصفه ، وأجرى له عشرين ألفاً ما دام حياً . الأغاني (١١ : ٩٦ — ١٠٠) ، والشعراء
 وخزاة الأدب (١ : ٥٤ — ٥٦) .

أَلَمْ تَكُنْ مِنْ دُونِ الْخَلِيقَةِ أُمَّةً بِكَفِّ امْرِئٍ مِنْ آلِ تَيْمٍ زِمَامُهَا^(١)
 هَدَى اللَّهُ بِالصَّدِيقِ ضُلَّالَ أُمَّةٍ إِلَى الْحَقِّ لَمَّا ارْفَضَ عَنْهَا نِظَامُهَا
 وَقَالَتْ صَفِيَّةُ^(٢) فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ :

قَدْ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَةٌ

لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهَا لَمْ تَكُنْ الْخُطْبُ^(٣) .
 إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدْ الْأَرْضِ وَإِلَيْهَا

وَاخْتَلَّ قَوْمُكَ فَاشْهَدَهُمْ فَقَدْ سَفِهُوا^(٤)

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

صَلَّى صُهِيبٌ ثَلَاثًا ثُمَّ أَسْلَمَهَا إِلَى ابْنِ عَفَّانٍ مُلْكًا غَيْرَ مَقْصُورٍ^(٥)

١ . (١) يعنى أبا بكر الصديق ، وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد ابن مرة بن كعب بن لؤي .

(٢) هى صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووالدة الزبير بن العوام . وذكر ابن حجر فى الإصابة أن صفية قالت هذه المراثية حين قبض الرسول . وروى أن لها مراثية أخرى فى سيرة ابن إسحاق ، منها :

١٥ لفقد رسول الله إذ حان يومه فيا عين جودى بالدموع السواجم ومراثية أخرى فيها :

إن يوماً أتى عليك ليوم كورت شمسك وكان مضياً
 وكانت صفية وأخواتها : برة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى ، كلهن شواجر ، روى لهن ابن هشام فى السيرة ١٠٨ — ١١١ . على أن هذه المراثية الياثية رويت فى اللسان (هنبث) منسوبة إلى فاطمة رضى الله عنها أيضاً .

٢٠ (٣) الهنبثة : واحدة الهنابث ، وهى الأمور الشدائد المختلفة . ب : « وهنبسة » ح : « وهنبسة » ، صوابهما فى ل والتيمورية . الشاهد : الحاضر .

(٤) اختل القوم : احتاجوا وافتقروا . والسغب : شدة الجوع . ورواية اللسان : « فاشهدهم ولا تقب » ، وفيه الإقواء وضعف المعنى .

٢٥ (٥) صهيب هذا ، هو صهيب بن سنان ، أحد الصعابة ، والذين كانوا يلزمون رسول الله فى مشاهدته وغزواته وسراياه ، وهو المعروف بصهيب الروى . وكان عمر قد أوصى قبل موته أن يصلى عليه صهيب ، وأن يصلى بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام . وتوفى سنة ٣٨ وهو ابن سبعين . الإصابة ٤٠٩٩ .

* وَلَايَةً مِنْ أَبِي حَقْصٍ لِثَالِثِهِمْ كَانُوا أَخِيَاءَ مَهْدِيٍّ وَنَجْوَرٍ ^(١) ٣٩٠

وقال مزرد بن ضرار ^(٢) يرثي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه :

عَلَيْكَ السَّلَامُ مِنْ إِمَامٍ وَبَارَكْتَ يَدُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْأَدِيمِ الْمُمَزَّقِ ^(٣)

قَضَيْتَ أُمُوراً نَمَّ غَادَرَتْ بَعْدَهَا بَوَائِقُ فِي أَكَامِيهَا لَمْ تُفَتَّقِ ^(٤)

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ بِكَفَى سَبَنْتِي أَزْرَقِ الْعَيْنِ مُطْرِقِ ^(٥)

قال : وسمعوا في تلك الليلة هاتفاً يقول :

لِيَبْلُغْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ كَانَ بَاكِياً فَقَدْ أَوْشَكُوا هُلْكَاً وَمَا قَدَّمَ الْعَهْدُ

وَأَذْبَرَتِ الدُّنْيَا وَأَذْبَرَ خَيْرُهَا وَقَدْ مَلَّهَا مَنْ كَانَ يُوقِنُ بِالْوَعْدِ

وعن أبي الجحاف ، عن مسلم البطين :

إِنَّا نُمَاقِبُ لَا أَبَالَكَ عُصْبَةً عَلَقُوا الْفَرَى وَبَرَوْا مِنَ الصَّدِيقِ ^(٦)

وَبَرَوْا سَفَاهاً مِنْ وَزِيرِ نَبِيِّهِمْ تَبّاً لِمَنْ يَبْرَأَ مِنَ الْفَارُوقِ ^(٧)

(١) البيتان مما لم يرو في ديوان الفرزدق . المحبور : المسكرم إكراماً مبالغاً فيه . وفي

الكتاب : (أنتم وأزواجكم تحبسون) . ل : « ونجور » .

(٢) ترجم في (١ : ٣٧٤) .

(٣) الأبيات تروى للشماخ ، كما في الحماسة (١ : ٤٥٢ — ٤٥٤) وزهر الآداب

(٤ : ١٠٧) ، وتروى أيضاً لجزء بن ضرار . قال التبريزي : « وقال أبو ريارش : الذي

عندي أنه لمزرد أخيه . وقال أبو محمد الأعرابي : هو لجزء بن ضرار أخيه » . وفي الأغاني

(٨ : ٩٨) أن هذا الشعر للجن ، قالته قبل أن يقتل عمر بثلاث ، فكان ذلك نعيّاً له قبل

أن يقتل . الحماسة : « جرى الله خيراً من أمير » . الأغاني : « عليك سلام من أمير » .

(٤) البوائق : جمع بائقة ، وهي الداهية والبلية . وفي الحماسة : « بوائج » ، وهي رواية

اللسان (بوج) . والبوائج : البوائق .

(٥) السبنتي : النمر ، عن أبي لؤلؤة المجوسي قاتل عمر . أزرق العين ، أي من أعداء

العرب ، والعرب تكني عن أعدائهم بزرق العيون ؛ لأنه صفة لون عيون الروم والمعجم .

المطرق : المسترخي العين خلقة ، والإطراق صفة من صفات الأفاعي .

(٦) الفري : جمع فرية ، وهي الكذبة . وبروا ، يقال برأ يبرأ من المرض ، وبرى

يرأ أيضاً . وقد سهل الهمزة وعامل الفعل معاملة المعتل .

(٧) السفاه ، كسحاب : السفه وخفة الحلم .

إِنِّي عَلَى رَغْمِ الْعُدَاةِ لِقَائِهِ دِنًا بِدِينِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ
وقال الكميت :

فَقُلْ لِبَنِي أُمَيَّةَ حَيْثُ حَلُّوا وَإِنْ خِفْتَ الْمَهَنْدَ وَالْقَطِيعَا ^(١)
أَجَاعَ اللَّهُ مَنْ أَشْبَعْتُمُوهُ وَأَشْبَعَ مَنْ بَجَّوْرِكُمْ أَجِيعَا
بِمَرْضَى السِّيَاسَةِ هَاشِمِيٍّ يَكُونُ حَيًّا لِأُمَّتِهِ رَبِيعَا ^(٢)

وقال حرب بن المنذر بن الجارود ، وكان يتفقي ويتشيع ، في كلمة له :

فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا كَفَافٌ يُقِيمُنِي وَأَثَابُ كَتَّانٍ أَزُورُهَا قَبْرِي ^(٣) ٢٩١
وَحُبِّي ذَوِي قُرْبَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَمَا سَأَلْنَا إِلَّا الْمَوَدَّةَ مِنْ أَجْرٍ ^(٤)

(١) المهند . السيف المطبوع من حديد الهند . والقطيع : السوط يقطع من جلد السير
ويعمل منه ، يقطعون أربعة سيور ثم يقتلون بها ويتركونها حتى تيبس .
(٢) حيا ، أى بمنزلة الحيا ، وهو المطر تحيا به الأرض .
(٣) الكفاف ، كسحاب : القوت على قدر النفقة ، لا فضل فيه ولا نقص .
(٤) يقال سأله يسأله ، وسأله يسأله ، وسأله يسأله ، كلها بمعنى . وهو إشارة إلى قول
الله تعالى : (قل ما أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) .

وجه التدبير في الكتاب إذا طال

أن يداوى مؤلفه نشاط القارئ له ، ويسوقه إلى حفظه بالاحتفال له . فمن ذلك أن يُخرج من شيء إلى شيء ، ومن بابٍ إلى باب ، بعد أن لا يخرج من ذلك الفن ، ومن جمهرة ذلك العلم^(١) .

وقد يجب أن نذكر بعض ما انتهى إلينا من كلام خلفائنا من ولد العباس ، ولو أن دولتهم مجمية خراسانية^(٢) ، ودولة بني مروان عربية أعرابية وفي أجناد شامية .

والعرب أوعى لما نسمع ، وأحفظ لما تأتي^(٣) ، ولها الأشعار التي تقيّد عليها مآثرها ، وتخلّد لها محاسنها . وجرت من ذلك في إسلامها على مثل عاداتها في جاهليتها ، فبنت بذلك لبني مروان شرفاً كثيراً ومجداً كبيراً ، وتدبيراً لا يحصى .

ولو أن أهل خراسان حفظوا على أنفسهم وقائمهم في أهل الشام ، وتدبير ملوكهم ، وسياسة كبرائهم ، وما جرى في ذلك من فرائد الكلام^(٤) وشريف المعاني ، كان فيما قال المنصور وما فعل في أيامه ، وأسس لمن بعده ما يفي بجماعة ملوك بني مروان .

ولقد تفتّح أبو عبيدة النحوي ، وأبو الحسن المدائني ، وهشام الكلبي ، والهيثم بن عدي ، أخباراً اختلفت ، وأحاديث تقطعت ، فلم يدركوا إلا قليلاً من كثير ، وممزوجاً من خالص .

(١) ما عدال : « جمهور ذلك العلم » .

(٢) العجم : خلاف العرب . ما عدال : « أجمية » . والأعجم : من في لسانه عجمة

لا يفصح بالعربية .

(٣) لعلها : « تأثر » ، أي تروى .

(٤) ل : « فرائد الكلام » .

وعلى كلِّ حالٍ فإنّا إذا صرنا إلى بقية ما رواه العباس بن محمد ، وعبد الملك ابن صالح ، والعباس بن موسى ، وإسحاق بن عيسى^(١) ، وإسحاق بن سليمان^(٢) ، وأيوب بن جعفر^(٣) ، وما رواه إبراهيم بن السّنديّ عن السّنديّ^(٤) ، وعن صالح صاحب المصليّ ، عن مشيخة بنى هاشم ومواليهم — عرفت تلك البقية كثرة ما فات ، وبذلك الصحيح أين موضعُ الفساد مما صنّعه الهيثم بن عديّ ، وتكلفه . ٢٩٢ هِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ .

* * *

وسنذكر جملاً مما انتهى إلينا من كلام المنصور ومن شأن المأمون وغيرها وإن كنا قد ذكرنا من ذلك طَرَفًا ؛ ونقصد من ذلك إلى التخفيف والتقليل ، فإنه يأتي من وراء الحاجة ، ويعرف بجملة مراد البقية^(٥) . ١٠ قال : وكان المنصورُ داهياً أريباً ، مصيباً في رأيه سديداً ، وكان مقدّماً في علم الكلام ، ومكثراً من كتاب الآثار^(٦) . ولكلامه كتابٌ يدور في أيدي الورّاقين معروفٌ عندهم . ولما همّ بقتل أبي مُسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشاورة فيه ، فأرق في ذلك ليلته ، فلما أصبح دعا بإسحاق بن مُسلم العقيليّ ،

(١) مضت ترجمة هؤلاء جميعاً في ص ١١٨ من هذا الجزء .
(٢) هو إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطّاب ، أبو يعقوب الهاشمي . كان من أولى الأقدار العالمية . ولى هارون الرشيد المدينة والبصرة ومصر والسند ، وولى لمحمد الأمين حمص وأرمينية . ومات ببغداد . تاريخ بغداد ٣٣٧٢ ، ولسان الميزان (١ : ٣٦٤) .

(٣) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي ، كان من أعلم الناس بقريش والدولة ، ورجال الدعوة . وكان في أول أمره على مذهب أبي شمر ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم بن سيار النظام . انظر ما مضى في (١ : ٩١) .

(٤) ترجمة إبراهيم بن السّنديّ في (١ : ١٤١) . وأبوه السّنديّ بن شاهك ، بفتح الهاء ، كان ذا منزلة غالبية عند الأمين وأبيه هارون . التنبيه والإشراف ٣٠٢ والجهشياري ٢٣٦ — ٢٣٧ .

(٥) ل : « البقية » .

(٦) الكتاب : الكتابة .

فقال له : حدثني حديث الملك الذي أخبرني عنه بحرّان^(١) . قال : أخبرني أبي
عن الحُصَيْن بن المنذر^(٢) أن ملكاً من ملوك فارس — يقال له سابور الأكبر —
وكان له وزيرٌ ناصح قد اقتبس أدباً من آداب الملوك ، وشاب ذلك بفهم في
الدين ، فوجهه سابور داعيةً إلى أهل خراسان ، وكانوا قومًا عَجَمًا^(٣) يعظمون
الدنيا جهالةً بالدين ، ويخلّون بالدين استكانةً لقوت الدنيا ، وذُلًّا لجبايرتها ،
فجمعهم على دعوةٍ من الهوى يكيد به مطالب الدنيا^(٤) ، واغترّ بقتل ملوكهم
وتحوّله إياهم^(٥) — وكان يقال : « لسل ضعيف صولة ، ولسل ذليل دولة » —
فلما تلاحت أعضاؤه الأمور التي لَقَّحَ ، استحالت حرباً عواناً^(٦) شالت أسافلها
بأعاليها ، فانتقل العزُّ إلى أرذلهم^(٧) ، والنباهة إلى أخملهم ، فأشربوا له حبًّا [مع
خَفْض من الدنيا افتتحت بدعوة من الدين] ، فلما استوسقت له البلاد^(٨) بلغ سابور
أمرهم وما أحال عليه من طاعتهم ، ولم يأمن زوال القلوب وغدّرات الوزراء ،
فاحتال في قطع رجائه عن قلوبهم ؛ وكان يقال :

وما قطع الرجاء بمثل يأسٍ تبادده القلوب على اغترار^(٩)

* فصمَّ على قتله عند وُروده عليه برؤساء أهل خراسان وفرسانهم ، [فقتله ، ٢٩٣
١٥ فبغتهم بمحدث] ، فلم يرعهم إلا ورأسه بين أيديهم ، فوقف بهم بين الغربة وذأى

(١) حران : مدينة من جزيرة أقور ، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان .

(٢) ترجم في (٢ : ١٦٩) . ما عدال : « الحصين » ، تحريف .

(٣) ل : « عجبا » بالباء .

(٤) يكيد ، هنا ، بمعنى يعالج . كاد الأمر يكيد : عاجله .

(٥) التحوّل ، أراد به اتخاذهم خولا ، أى عبيدا وخداما .

(٦) العوان : التي حورب فيها مرة بعد مرة . وأصل العوان : الثيب من النساء .

(٧) أى أضعفهم وأحقرهم .

(٨) استوسقت : اجتمعت . وفي حديث النجاشي : « واستوسق عليه أمر الحبشة » ،

٢٥ أى اجتمعوا على طاعته . ما عدال : « استوسقت » ، تحريف .

(٩) المبادهة : المفاجأة والمباغة .

الرَّجْمَةَ ، وَتَخْطِفُ الْأَعْدَاءُ ، وَتَفْرُقُ الْجَمَاعَةَ ، وَالْيَأْسُ مِنْ صَاحِبِهِمْ ، فَرَأَوْا أَنْ يَسْتَقِيمُوا الدَّعْوَةَ بِطَاعَةِ سَابُورَ ، وَيَتَعَوَّضُوهُ مِنَ الْفُرْقَةِ ، فَأَذَعَنُوا لَهُ بِالْمُلْكِ وَالطَّاعَةِ ، وَتَبَادَرَوْهُ بِمَوَاضِعِ النَّصِيحَةِ ، فَمَلَكَهُمْ حَتَّى مَاتَ حَتَفَ أَنْفِهِ .

فَأُطْرُقَ الْمَنْصُورُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرِعُ الْعَصَا ۖ وَمَا عُلِمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَ ^(١) .
وَأَمْرُ إِسْحَاقَ بِالْخُرُوجِ وَدَعَا أَبَايَ مُسْلِمَ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ دَاخِلًا قَالَ :

قَدْ اكْتَنَفْتِكَ خَلَاتٍ ثَلَاثٌ ۖ جَلَبْنَ عَلَيْكَ مَحْذُورَ الْحِمَامِ
خِلَافُكَ وَامْتِنَانُكَ تَرْتِمِيَنِي ۖ وَقَوْدُكَ لِلْجَاهِ يَرِ الْعِظَامِ
ثُمَّ وَثَبَ إِلَيْهِ وَوَثَبَ مَعَهُ بَعْضُ حَشَمِهِ بِالسَّيُوفِ ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ وَثَبَ ، فَبَدَرَهُ

الْمَنْصُورُ فَضْرَبَهُ ضَرْبَةً طَوَّحَهُ مِنْهَا ^(٢) ، ثُمَّ قَالَ :

اشْرَبْ بِكَأْسٍ كُنْتَ تَسْقِي بِهَا أَمْرًا فِي الْخَلْقِ مِنَ الْعَلَقَمِ ^(٣)
زَعَمْتَ أَنَّ الدِّينَ لَا يُقْتَضَى كَذَبْتَ فَاسْتَوْفِ أَبَا مُجْرِمٍ

ثُمَّ أَمَرَ فَحُزَّ رَأْسُهُ ^(٤) وَبُعِثَ بِهِ إِلَى أَهْلِ خِرَاسَانَ وَمِنْ بِيَابِهِ ، فَجَالُوا حَوْلَهُ سَاعَةً
ثُمَّ رَدَّ مِنْ شَغَبِهِمْ انْقِطَاعَهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ ، وَإِحَاطَةُ الْأَعْدَاءِ بِهِمْ ، فَذُلُّوا وَسَلَّوْا لَهُ .

١٥ (١) البيت للمتلمس في ديوانه من ١ نسخة الشنقيطي . وذو الحلم ، هو عمرو بن حمزة الدومى ، قضى في العرب ثلاثمائة سنة — كما زعموا — فكبر فألزموه السابع من ولده فكان معه ، فكان الشيخ إذا غفل كانت آية ما بينه وبينه أن يقرع له العصا حتى يعاوده عقله . وقيل ذو الحلم عامر بن الطرب العدواني ، أو عبدالله بن عمرو بن الحارث بن همام ، أو ربيعة بن مخاشن الملقب أيضاً بذي الأعواد ، أو سعد بن مالك . المعمرين للسجستاني ٤٥ والأغاني (٣ : ٣ / ٤ : ١٢٨ / ٢١ : ١٣٤) . وانظر ما سبق في ص ٣٨ .

٢٠ (٢) طوحه : أهلكه ، أو ألقاه . ل : « طرده منها » .
(٣) العلقم : شجر الخنظل ، أو ثمرته ، أو شجرة ثمرته . والبيتان في الطبرى (٩ : ١٦٧) عند ذكر مقتل أبي مسلم ، وكذا في مروج الذهب (٣ : ٣٠٤) . الطبرى : « سقبت كأساً » . وهذا البيت مؤخر فيهما عن تاليه .

٢٥ (٤) هذا الشيء بالشيء : قدره وقطعه على مثاله . ما عدال : « وما ضربوا » .
(٢٤ — البيان — ثالث)

فكان إسحاق إذا رأى المنصور قال :

وما أخذوك الأمثال إلاَّ لَتَحْذَوْا إنَّ حَذَوْتَ عَلَى مِثَالٍ

وكان المنصور إذا رآه قال :

٢٩٤ * وَخَلَّفَهَا سَابُورُ لِلنَّاسِ يُقْتَدَى بِأَمْثَالِهَا فِي الْمُعْضِلَاتِ الْعِظَامِ

وكان المهدى يحبُّ القيانَ وسماع الغناء ، وكان معجباً بجارية يقال لها « جوهري » ، وكان اشتراها من مروان الشامي ، فدخل عليه ذات يوم مروان الشامي وجوهراً تغني ، فقال مروان :

أَنْتِ يَا جَوْهَرُ عِنْدِي جَوْهَرُهُ فِي بَيَاضِ الدَّرَّةِ الْمُشْتَهَرَةِ^(١)

فَإِذَا غَنَّتْ فَفَارَّ ضُرْمْتُ قَدَحْتُ فِي كُلِّ قَلْبٍ شَرَرَهُ^(٢) ١٠

فاتهمه المهدى ، وأمر به فدُعَّ في عنقه إلى أن أخرج^(٣) . ثم قال لجوهري : أطر بيني . فأنشأت تقول^(٤) :

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ

وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ نَمَّ تَرَكَتَنِي لَمْ غَرَضًا أَرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمٌ

فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَا بِجِسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ كُلُّهُمْ^(٥) ١٥

(١) يقال شهره فاشتهر ، واشتهره فاشتهر ، فهو مشتهر ومشتهر . وبهما روى قوله :

أحب هبوط الوادين وإنني لمشتهر بالواديين غريب

(٢) ما عدال : « قدفت في كل قلب » .

(٣) ما عدال : « إلى أن خرج » . دعه دعا : دفعه دفعا عنيفا في جفوة .

(٤) الأبيات التالية رواها في الحيوان (٣ : ٥٥) منسوبة لإحدى المجهولات نجيب ٢٠

بها عاشقها عن شعر قاله فيها . والمعروف أنها لامرأة من قوم ابن الدمينه ، يقال لها أميمة ،

كان هويها وهاج بها مدة ، فلما وصلتته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم

فتعابا طويلا ، وكان بينهما مجاوبة شعرية . انظر ديوان ابن الدمينه ٣٦ — ٣٧ والأغاني

(١٥٨ : ١٤٨) والحماسة (٢ : ١٤٦) ومعاهد النصيص (١ : ٥٨) .

(٥) الكلام : جمع كلم ، بالفتح ، وهو الجرح ٢٥

فقال المهدي :

أَلَا يَا جَوْهَرَ الْقَلْبِ لَقَدْ رَهَدَتْ عَلَى الْجَوْهَرِ
وَقَدْ أَكْمَلَكَ اللَّهُ بِمُحْسِنِ الدَّلِّ وَالْمَنْظَرِ^(١)
إِذَا مَا صُلْتِ ، يَا أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ ، بِالْمِزْهَرِ^(٢)
وَعَنَيْتِ قَفَّاحَ الْبَيْتِ مِنْ رِيحِكَ بِالْعَنْبَرِ^(٣)
فَلَا وَاللَّهِ مَا الْمَهْدِيُّ أَوْلَى مِنْكَ بِالْمِنْهَابِ
فَإِنْ شِئْتَ فَنِي كَفِّكَ خَلْعُ ابْنِ أَبِي جَعْفَرِ^(٤)

قال الهيثم : أنشدت هارون وهو ولي عهد أيام موسى ، بيتين لحمة بن
بيض^(٥) في سليمان بن عبد الملك^(٦) :

٢٩٥ حَارَ الْخِلَافَةَ وَالِدَاكَ كِلَاهُمَا مِنْ بَيْنِ سَخْطَةٍ سَاخِطٍ أَوْ طَائِعِ
أَبَوَاكَ ثُمَّ أَخُوكَ أَصْبَحَ ثَالِثًا وَعَلَى جَبِينِكَ نُورٌ مَلَكٍ سَاطِعٍ^(٧)
قال : يا يحيى ، اكتب لي هذين البيتين .

- ١٥ (١) الدل ، بالفتح : حسن الحديث والهيئة .
(٢) المزهر ، بالكسر : العود الذي يضرب به .
(٣) ما عدال : « من ريقك » .
(٤) ابن أبي جعفر « هو المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور .
(٥) سبقت ترجمته وضبط اسمه في (١ : ٢٦٩) .
(٦) في الأغاني (١٥ : ١٨) عن الهيثم بن عدي قال : « أخبرني مخلد بن حمزة
٢٠ ابن بيض قال : قدم أبي علي يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك ، فأدخله عليه فأنشده
قوله ... » وأنشد البيتين التاليين ، وبعدهما :
سريت خوف بني المهلب بعدما نظروا إليك بسم موت ناغم
ليس الذي ولاك ربك منهم عند الإله وعندهم بالضائع
فأمر له بخمسين ألفا . ولم يرد في روايته لإنشاده هارون هذا الشعر .
٢٥ (٧) كذا بالإقواء . ورواية الأغاني : « نور ملك الرابع » .

ولما مدح ابن هرمة^(١) أبا جعفر المنصور، أمر له بألفي درهم، فاستقلها، وبلغ ذلك أبا جعفر فقال: أما يرعى أني حقنت دمه وقد استوجب إراقتَه، ووقرت ماله وقد استحق تلفَه، وأقررتَه وقد استأهل الطرد، وقربتَه وقد استجزي البعد^(٢)؟ أليس هو القاتل في بني أمية:

إذا قيلَ مَنْ عند رَيْبِ الزَّمانِ لِمُتَرِّ فَهَرٍ وَمُحْتَاجِها^(٣)
وَمَنْ يُعْجِلُ الخَيْلَ يَوْمَ الوَغَى بِالْجَمامِ قَبْلَ إِسراجِها
أشارتُ نساءَ بَنِي مالِكٍ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَزواجِها
قال ابن هرمة: فإني قد قلت فيك أحسن من هذا! قال: هاته! قال: قلت:
إذا قُلْتُ أَيْ قَتَيْتَ تَعْلَمُونَ أَهَشَّ إِلَى الطَّغْنِ بالذَّابِلِ^(٤)
وَأَضْرَبَ لِلْقَرْنِ يَوْمَ الوَغَى وَأَطْعَمَ فِي الزَّمانِ المَناحِلِ
أشارتُ إِلَيْكَ أَكُفُّ الوَرَى إشارةً غَرَقَ إِلَى ساجِلِ
قال المنصور: أما هذا الشعر فسترق، وأما نحن فلا نكافي إلا بالتي هي أحسن.

ولما احتال أبو الأزهر المهلب لعبد الحميد بن ربيعة بن خالد بن معدان، وأسلمه حميد^(٥) إلى المنصور قال: لا عُذْرَ فأعذّر، وقد أحاط بي الذنبُ وأنت أولى بما ترى. قال: لست أقتل أحداً من آل قحطبة، بل أهب مسيئتهم لحسينهم، وغادرهم لوفيتهم! قال: إن لم يكن في مصطنع فلا حاجة لي في الحياة، ولست أَرْضَى أن أكون طليق شفيع، وعتيق ابن عم! قال: اسكت مقبوحاً

(١) إبراهيم بن هرمة، ترجم في (١: ١١١).

(٢) كذا في ل. وفيما عدال: «استحري» بإهمال الحاء والراء، وكلاهما لم ينص عليه في المعاجم، وما بمعنى «استحق».

(٣) المعتز: المتعرض المعروف من غير أن يسأل.

(٤) أي القنا الذابل، وهي الرماح الدقيقة اللاصقة الليط، أي القشر.

(٥) حميد بن قحطبة، المترجم في (٢: ٢٥٧).

٢٩٦ مشقوقاً^(١)، اخرج: فإنك أنوك جاهل، أنت عتيقهم وطلیقهم ماحيت .

* * *

ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله^(٢)،
وصار إلى المنصور، أمر الربيع بن خثعم^(٣) والوقوف به على رأس اليمانية^(٤)
في المقصورة يوم الجمعة ثم قال: قل لم: يقول لكم أمير المؤمنين: قد عرفتم
ما كان من إحساني إليه، وحسن بلائي عنده، وقديم نعمتي عليه، والذي
حاول من الفتنة، ورام من البغي، وأراد من شق العصا ومعاونة الأعداء،
وإراقة الدماء، وإنه قد استحق بهذا من فعله أليم العقاب، وعظيم العذاب .
وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه، وربّ نعمائه السابقة عنده،
لما يترفعه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه، وما يؤمله من الخير العاجل
والآجل، عند العفو عن ظلم، والصفح عن أساء . وقد وهب أمير المؤمنين
مسيئكم لحسنكم، وغادركم لوفيتكم^(٥) .

* * *

وقال سهل بن هارون يوماً، وهو عند المأمون: من أصناف العلم ما لا ينبغي
للمسلمين أن يرغبوا فيه، وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال !

(١) المقبوح: المبعد المطرود، وكذلك المشقوق .

(٢) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، خرج على
المنصور وظهر بالبصرة مستهل رمضان سنة ١٤٥ فقلب عليها وعلى الأهواز وواسط وكسكر،
وعظمت جموعه، وسار يريد الكوفة، فوجه إليه المنصور عيسى بن موسى في العساكر
فالتقوا بياخري على ستة عشر فرسخاً من الكوفة في ذي القعدة، فقتل إبراهيم في جمع كثيف
من كان معه، وهزم الباقر، وبعقب قتله هو وقتل أخيه محمد بن عبد الله من قبل، لقب
أبو جعفر بالمنصور . انظر كتب التواريخ في خلافة المنصور، وفي حوادث سنة ١٤٥ .

(٣) كان السواد شعار العباسيين، وقد بدأ التسويد في سنة ١٢٩ أي قبل قيام الدولة
العباسية بثلاث سنوات . انظر الطبري (٩: ٨٢) .

(٤) ماعدال: « رؤوس اليمانية » .

(٥) ماعدال: « مسيئهم لحسنهم وغادرهم لوفيتهم » .

قال المأمون : قد يسمّى بعض الشيء علماً وليس بعلم ، فإن كنت هذا أردت فوجهه الذي ذكرناه . ولو قلت : إن العلم لا يُدرك غوره ، ولا يُسبر قعره ، ولا تُبلغ غايته ، ولا يستقصى أصنافه ، ولا يضبط آخره ، فالأمر على ما قلت . فإذا فعلتم ذلك كان عدلاً ، وقولاً صدقاً . وقد قال بعض العلماء : اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهى إلى نفسك وأخف على قلبك ، فإن نفاذك فيه على حسب شهوتك له ، وسهولته عليك . وقال أيضاً بعض الحكماء ^(١) : لست أطلب العلم طمعاً في بلوغ غايته ، والوقوف على نهايته . ولكن التماس ما لا يسع جهله ، ولا يحسن بالعقل إغفاله . وقال آخرون : علم الملوك النسب والخبر وجل الفقه ، وعلم التجّار الحساب والكتاب ، وعلم أصحاب الحرب . درس كتب المغازي ٢٩٧ وكتب السير . ١٠

فأما أن تسمّى الشيء علماً وتنهى عنه من غير أن يكون يشغل عما هو أنفع منه ، بل تنهى نهياً جزماً ، وتأمّر أمراً حتماً ! والعلم بصر ، وخلافه عمى ، والاستبانة للشر ناهية عنه ، والاستبانة للخير آمرة به .

ولما قرأ المأمون كتب في الإمامة فوجدها على ما أمّره به ، وصرت إليه وقد كان أمر اليزيدي ^(٢) بالنظر فيها ليخبره عنها ، قال لي : قد كان بعض من يرتضى عقله ويصدق خبره ^(٣) خبرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة ،

(١) ماعدال : « العلماء » .

(٢) هو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المقررة اليزيدي ، وذلك أنه سجد يزيدي بن منصور الحميري خال المهدي ، مؤدباً لولده فنسب إليه ، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدباً للمأمون ، كما جعل الكسائي مؤدباً للأمين ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد ، وعنه أبو عبيد القاسم ابن سلام ، وإسحاق الموصلي ، وكان أحد أكابر القراء يقرئ هو والكسائي الناس في بغداد في مسجد واحد . توفي بخراسان سنة ٢٠٢ . إرشاد الأريب (٢٠ : ٣٠) وبغية الوعاة ٤١٤ وتاريخ بغداد ٧٤٦٥ .

(٣) ماعدال : « من يرتضى عقله ويصدق خبره » . ٢٥

فقلنا له : قد تُرِبِي الصِّفَّةَ عَلَى الْعِيَانِ ، فلما رَأَيْتُهَا رَأَيْتُ الْعِيَانَ قَدْ أُرْبِي عَلَى الصِّفَّةِ ، فلما فَلَيْتُهَا أُرْبِي الْفَلْيُ عَلَى الْعِيَانِ كَمَا أُرْبِي الْعِيَانَ عَلَى الصِّفَّةِ .

وهذا كتابٌ لا يحتاج إلى حضور صاحبه ، ولا يفتقر إلى المحتجِّين عنه ، قد جَمَعَ استقصاء المعاني ، واستيفاء جميع الحقوق ، مع اللفظ الجزل ، والخرج السهل ، فهو سوقٌ ملوكي ، وعامى خاصي .

* * *

ولما دخل عليه المرتدُّ الخراساني وقد كان حمله معه من خراسان حتَّى وافى به العراق ، قال له المأمون :

لَأَنْ أَسْتَحْيِيكَ بِحَقِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَكَ بِحَقِّ ، وَلَأَنْ أَقْبَلَكَ بِالْبَرَاءَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْفَعَكَ بِالتَّهْمَةِ ، قَدْ كُنْتَ مُسْلِمًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ نَصْرَانِيًّا ، وَكُنْتَ فِيهَا أَنْفَخَ^(١) وَأَيَّامُكَ أَطُولُ ، فَاسْتَوْحَشْتَ مِمَّا كُنْتَ بِهِ آنِسًا نَحْنُ لَمْ تَلْبِثْ أَنْ رَجَعْتَ عَنَّا نَافِرًا ، فَخَبَّرْنَا عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي أَوْحَشَكَ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي صَارَ آنَسَ لَكَ مِنَ الْفَلَكَ الْقَدِيمِ ، وَأَنْسِكَ الْأَوَّلُ . فَإِنْ وَجَدْتَ عِنْدَنَا دَوَاءَ دَائِكَ تَعَالَجْتَ بِهِ ، وَالْمَرِيضُ مِنَ الْأَطِبَّاءِ يَحْتَاجُ إِلَى الْمَشَاوِرَةِ . وَإِنْ أَخْطَأَكَ الشِّفَاءُ وَنَبَا عَنْ دَائِكَ الدَّوَاءَ ، كُنْتَ قَدْ أَعْذَرْتَ وَلَمْ تَرْجِعْ عَلَى نَفْسِكَ بِلَأَمَّةٍ ، فَإِنْ قَتَلْنَاكَ ١٠ قَتَلْنَاكَ بِحُكْمِ الشَّرِيعَةِ . أَوْ تَرْجِعْ أَنْتَ فِي نَفْسِكَ إِلَى الْإِسْتَبْصَارِ وَالثَّقَةِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّكَ لَمْ تَقْصُرْ فِي اجْتِهَادٍ ، وَلَمْ تَفْرُطْ فِي الدُّخُولِ فِي بَابِ الْحَزْمِ .

قال المرتدُّ : أَوْحَشَنِي كَثْرَةُ مَا رَأَيْتُ مِنَ الْإِخْتِلَافِ فِيكُمْ !

قال المأمون : لِمَا اخْتَلَفَانِ : أَحَدُهُمَا كَالْإِخْتِلَافِ فِي الْأَذَانِ وَتَكْبِيرِ الْجَنَائِزِ ، ٢٩٨

(١) فِي الْأَصُولِ : « أَنْفَخَ » ، وَلَا وَجْهَ لَهُ . وَيُقَالُ تَنَخَّ بِالْمَسْكَانِ تَنَوَخًا ، أَيْ أَقَامَ وَثَبَتَ . وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ « أَنَّهُ آمَنَ وَمِنْ مَعَهُ مِنْ يَهُودٍ فَتَنَخَّوْا عَلَى الْإِسْلَامِ » ، أَيْ ثَبَتُوا وَأَقَامُوا وَرَسَخُوا .

والاختلاف في الشَّهْد وصلاة الأعياد وتكبير الشَّريق ، ووجوه القراءات واختلاف وجوه الفُتيا وما أشبه ذلك . وليس هذا باختلاف ، إنما هو تحخير وتوسعة ، وتخفيف من المحنة . فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يؤثم ، ومن أذن مثنى وأقام فرادى لم يُحَوَّب^(١) ، لا يتمايرون ولا يتعايرون ، أنت ترى ذلك عياناً وتشهد عليه بقاءً^(٢) .

والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا ، وتأويل الحديث عن نبينا ، مع إجماعنا على أصل التنزيل ، واتفاقنا على عين الخبر . فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكرت من أجله هذا الكتاب ، فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التَّوراة والإنجيل مُتَّفَقاً على تأويله ، كما يكون مُتَّفَقاً على تنزيله ، ولا يكون بين جميع النَّصارى واليهود اختلاف في شيء من التأويلات . وينبغي لك أن لا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها .

ولو شاء الله أن يُنزلَ كتبه ويجعل كلام أنبيائه ورثة رسله لا يحتاج إلى تفسير لقل ، ولكننا لم نر شيئاً من الدِّين والدُّنيا دُفِعَ إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة ، وذهبت المسابقة والمنافسة^(٣) ، ولم يكن تفاضل ، وليس على هذا بنى الله الدنيا .

قال المرتد : أشهد أن الله واحد لا ندَّ له ولا ولد ، وأن المسيح عبده ، وأن محمداً صادق ، وأنت أمير المؤمنين حقاً !

فأقبل المأمون على أصحابه فقال : فِرُّوا عليه عرضه^(٤) ، ولا تبرؤوه في يومه

(١) لم يحوب ، من الحوب ، بالضم ، وهو الإثم . وهذا الفعل مما لم يذكر في المعاجم .

(٢) بقاءً ، أى قطعاً . ما عدل : « بقاءً » .

(٣) ل : « السابقة والمنافسة » .

(٤) فِرُّوا ، من الوفر . يقال وفره عرضه ووفره له : لم يشتمه .

رَيْثَمَا يَعْتَقَ إِسْلَامُهُ ؛ كَيْ لَا يَقُولَ عَدُوُّهُ إِنَّهُ أَسْلَمَ رَغْبَةً . وَلَا تَنْسُوا بَعْدُ نَصِيحَتَكُمْ
مَنْ بَرَّهَ وَتَأْنَيْسِهِ وَنُصْرَتِهِ ، وَالْعَائِدَةِ عَلَيْهِ .

* * *

حدثنا أحمد بن أبي دواد قال : قال لي المأمون :

- ٥ . لَا يَسْتَطِيعُ النَّاسُ أَنْ يُنْصِفُوا الْمُلُوكَ مِنْ وَزَرَاتِهِمْ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ
يَنْظُرُوا بِالْعَدْلِ بَيْنَ الْمُلُوكِ وَحُكْمَاتِهِمْ وَكُفَاتِهِمْ ، وَبَيْنَ صَنَائِعِهِمْ وَبِطَانَتِهِمْ . وَذَلِكَ
أَنَّهُمْ يَرَوْنَ ظَاهِرَ حُرْمَةٍ وَخِدْمَةٍ ، وَاجْتِهَادٍ وَنَصِيحَةٍ ، وَيَرَوْنَ إِقْبَاعَ الْمُلُوكِ بِهِمْ
٢٩٩ ظَاهِرًا ، حَتَّى لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَقُولُ : مَا أَوْقَعَ بِهِ إِلَّا رَغْبَةً فِي مَالِهِ ، أَوْ رَغْبَةً
فِي بَعْضِ مَا لَا تَجُودُ النَّفْسُ بِهِ ^(١) ، وَلَعَلَّ الْحَسَدَ وَالْمَلَالَةَ ^(٢) وَشَهْوَةَ الْإِسْتِبْدَالِ ،
اشْتَرَكَتْ فِي ذَلِكَ .

- ١٠ . وَهَنَّاكَ خِيَانَاتٌ فِي صُلْبِ الْمَلِكِ ، أَوْ فِي بَعْضِ الْحُرَمِ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَلِكُ
أَنْ يَكْشِفَ لِلْعَامَّةِ مَوْضِعَ الْعُورَةِ فِي الْمَلِكِ ، وَلَا أَنْ يَحْتَجَّ لَتِلْكَ الْعُقُوبَةِ بِمَا يَسْتَحِقُّ
ذَلِكَ الذَّنْبَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَلِكُ تَرْكَ عِقَابِهِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَسَادِ ، عَلَى عِلْمِهِ
بَأَنْ عُذْرَهُ غَيْرُ مَبْسُوطٍ لِلْعَامَّةِ ، وَلَا مَعْرُوفٍ عِنْدَ أَكْثَرِ الْخَاصَّةِ .

* * *

- ١٥ . وَنَزَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعَسْكَرِ ^(٣) ، فَقَدَا بَيْنَ يَدَيِ الْمَأْمُونِ ، وَشَكَا إِلَيْهِ
مَظْلَمَتَهُ ^(٤) ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ : أَنْ حُسْبُكَ ! فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ يَقْرَبُ مِنَ الْمَأْمُونِ :

(١) مَاعِدَال : « النَّفُوسُ بِهِ » .

(٢) مَاعِدَال : « وَالْمَلَالُ » .

(٣) مَدِينَةُ تَعْرِفُ بِعَسْكَرٍ مُكْرَمٍ ، بِصَمِّ الْمِيَمِ وَفَتْحِ الرَّاءِ . وَهِيَ بَلَدٌ مِنْ نَوَاحِي خُوزِسْتَانَ .

انْظُرْ حَوَاشِيَ الْحَيَوَانَ (٤ : ٣١٨) .

(٤) الْمَظْلَمَةُ ، بِفَتْحِ الْمِيَمِ وَكَسْرِ اللَّامِ : مَا يَظْلَمُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ حَقٍّ .

يقول لك أمير المؤمنين : اركب . قال المأمون : لا يقال لمثل هذا : اركب ، إنما يقال له : انصرف !

وحدثني إبراهيم بن السَّديّ^(١) قال : بينا الحسن اللؤلؤي^(٢) يحدث المأمون ليلاً وهو بالرقّة ، وهو يومئذ ولي عهد ، وأطال الحسن الحديث حتى نفّس المأمون ، فقال الحسن : نَعَسَتْ أَيْهَا الأمير ! ففتح عينيه وقال : سوقى وربّ الكعبة ! يا غلام خذ بيده .

[آخر الجزء الثالث من تجزئة محققه ، وبقيت من تجزئة المصنف بقية جملة في الجزء الرابع مع الفهارس العامة للكتاب]

(١) سبق ترجمته في (١ : ١٤١) .

(٢) هو الحسن بن زياد اللؤلؤي ، ترجم في (٢ : ٣٣٠) .

فهرس الأبواب

صفحة	
٥	كتاب العصا
٤٩	ومن جمل القول في العصا وما يجوز فيها من المنافع والمرافق
١١٣	رجع الكلام إلى القول في العصا
١٢٥	كتاب الزهد
١٩٣	ومن نساك البصرة وزهادهم
١٩٣	زهاد الكوفة
٢٠٣	أخلاط من شعر ونوادر وأحاديث
٢١٥	رسالة إبراهيم بن سيابة إلى يحيى بن خالد بن برمك
٢٣٢	ذكر ما قالوا في المهالبة
٢٤٠	ذكر حروف من الأدب من حديث بني مروان وغيرهم
٢٤٢	ومما يكتب في باب العصا
٢٤٣	ومما يضم إلى العصا
٢٦٤	ومن خطباء الخوارج
٢٦٧	كلام في الأدب
٢٦٨	صدر من دعاء الصالحين والسلف المتقدمين ومن دعاء الأعراب
٢٨٧	دعاء القنوى في حبسه
٢٨٧	ومن دعائه في الحبس
٢٩٠	القول في إنطاق الله عز وجل إسماعيل بن إبراهيم بالعربية المبينة
٣٠٢	كانت العادة في كتب الحيوان ...
٣٦٦	وجه التدبير في الكتاب إذا طال

فهرس الأعلام المترجمة

أبو أيوب المورياني = سليمان بن مخلد

(ب)

١٩٣	بجالة بن عبدة التيمي
٢٧٧	البراء بن مالك
٥٣	بشامة بن حزن النهشلي
٨٧	بشر بن مروان
٣٦٣	أبو بكر الصديق
١٨٧	أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم
١٧٧	بكر بن المعتمر
١٧٢	بكير بن الأشج

(ث)

الثوري = سفيان

(ج)

٢٢٤	جابر بن خني الثعلبي
٢٧	جالينوس
	ابن جريج = عبد الملك بن عبد العزيز
١٥٦	جرير بن عبد الحميد
١٩٣	جعفر بن جرقاس
٣٥٧	» الصادق
١٢٩	الجماز
١٨٢	أبو جناب الكلبي

(ح)

٨٨	حاجب بن زرارة
١٩	الحارث بن أبي ضرار
٣٨	» » وعة
٢٩٦	الحباب بن المنذر
١٦٩	حبيب بن أبي ثابت

(أ)

٢٠١	آدم بن عبد العزيز
٣٢٨	آكل المرار
٣٠٠	أبان بن سعيد بن العاصي
٣٧٣	إبراهيم بن عبد الله بن الحسن
٢٥٣	» » عربي
٢٠٠	الأحيمر الأسدي
٦٦	الأحنس بن شهاب
٣٦٧ ، ٣٥١	إسحاق بن سليمان بن علي
١٢٢	» » سويد العدوي
١١٨	» » عيسى
١٢٩	إسماعيل بن أبي خالد
١٥٩	الأسود بن يزيد بن قيس
٣٠٥	أسلم بن الأحنف
٣٢٥	أشجع السلمي
٢١١ ، ٦٦	الأشهب بن رميلة
٣٤١	الأضبط بن قريع
	ابن الإطنابة = عمرو
٨٦	أعشى بن ربيعة
٢٣٦	» همدان
٥٨	الأفشين
٢٥٥	أكثم بن صيفي
١٩٢	أبو أمامة الباهلي
٧٣	أمية بن الأسكر
٢٩٢	أهبان بن أوس
١٨١	الأوزاعي
١٩٣	أويس بن عامر القرني
١٥١	إياس بن قتادة
١٥٤	أيمن بن خريم
٣٦٧	أيوب بن جعفر بن سليمان

٣٦٠	ذو رعين	٤٤	أم حبيبة بنت أبي سفيان
	ذو المحصرة = عبد الله بن أنيس	٣٤٠	حجل بن نضلة
٣٦٠	ذو يزن	٢٤١	حرث أبو الصلت
	(ر)	٣٢٩	أبو حزابة
٣٠٥	أبو الرئيس الثعلبي	٢٣٤	الحزين
	(ز)	١٢٥	حسان بن أبي سفيان
٣٠٤	زبان بن سيار الفزاري	٢٤٩	الحسين بن عرفة
٨١	زحر بن قيس	٣٥٧	» » علي بن الحسن
٢١٠	زرارة بن أوفى	٢٣٧	حسين بن مطير الأسدي
٢١٦	زفر بن الحارث السكلابي	٩	حصن بن حذيفة
١٢٦	زياد بن عبد الله بن عياش	٣١٥	حضري بن عامر
٢٤٤	زيادة بن زيد	٧٤	الحكم بن عبدل
٣٥٧	زيد بن علي بن الحسن	٢٤٠	» » عتيبة الكندي
	(س)	١٩٦	حكيم بن حزام بن خويلد
		١١٠	حوشب بن عقيل
			(خ)
١٥٠	سالم مولى أبي حذيفة	٢٣٦	» خالد بن عبد الله القسري
٣٤٣	سحيم بن وثيل الرياحي	٢٣٦	» » عتاب بن ورقاء
١٢٠	أبو سعد	١٠٨	» » المعمر
٣٩ ، ١٩	سعد بن مالك بن ضبيعة	٢٦٩ ، ٢٥٠	» » نضلة
٢٥٠	أبو سعد الخزومي	٨٤	» » الوليد
٤٠	سعدى بنت حصن	١٠٠	» » يزيد بن معاوية
١٦١	سعيد بن بهير الأزدي	١٨	خداش بن زهير
٦٣	» » جبير	٣١٦	خزرج بن لوزان
٩٧	» » العاص	٣١	الحصيب
١٤٢	» » عامر	٢٢	خضام السدوسي
١٩٦	سفيان بن حمزة		(د)
٢٨٣	» » سعيد الثوري		
١١٠	سلام بن مسكين	١٧٠	داود بن نصير
٣١٨	سلامة بن جندل	٧١	دختنوس
٢٥١	سلم بن عمرو	١٥٣	دهم بن قران
٢٤٦	سلمى بنت عقاب	٢٠٧	الدهناء بنت مسحل
١١٨	سليمان بن أبي جعفر المنصور		(ذ)
١٤٩	» » مخلد		
٢٠٢	» » الوليد الأعمى		ذو البردين = عامر بن أحير
٣٦٧	السندی بن شاهك	٣٦٩	ذو الحلم

٣٥٩	عبد الله بن كثير بن المطلب
٢٨٣	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج
١٥٦	عبدة بن هلال الثقفي
١٩٢	عبيد الله بن زحر
١٥٠	أبو عبيدة بن الجراح
٢٦٦	عتبان بن وصيلة
١٠٩	عتيبة بن مرداس
	العتبي = محمد بن عبد الله
١٧٧	أبو عثمان النهدي
٣٦١	عروة بن أذينة
٢٩٣	عزيز
٢٨٣	عكرمة البربري
٢٩٩	علباء بن الهيثم
٣٢٩	علقمة بن عبدة الفحل
١٥٩	« قيس النخعي
٢١٢	علي بن زيد بن جدعان
١٤٧	« عبد الله القرشي
١٩٥	« عيسى بن ماهان
٨٠	« الغدير
١٩٢	« يزيد الألهماني
٢٢٨، ٢٧	عمار بن عقيل بن بلال
٤١	عمر بن هيرة
٧٧	عمرو بن الإطنابة
١٠٠	« امصلى القيس
٣٠٤	« الحارث بن حلزة
٧٢	« عصفور
٣٩	« مالك
١٥١	« مرة
٢٦٨	« معاوية العقيلي
٤٣	عمير بن سعد
٨٧	عوف بن الخرع
٢٠	عياض السدي
٣٢٧	أبو العيال الهذلي
١١٨	عيسى بن جعفر
٣٥٧	« زيد بن علي
٢٩٧	« يزيد

ابن السوداء = عبد الله بن سبأ
سيار بن عبد الرحمن الصدقي
سيف الله = خالد بن الوليد
(ش)

٧١	شبل بن معبد
٢٣٥	أبو الشغب العيسى
١٠٤	شمعة بن الأخضر
١٢٣	أبو الشيمس الأعمى

(ص)

١٧٨	أبو صالح مسعود بن قند
٣٦٣	صفية بنت عبد المطلب
٣٦٣	صهيب بن سنان

(ط)

١٠١	طريف بن تميم
٢٣٤	طلحة بن عبد الله
٢٣٤	« عبيد الله

(ع)

٣٠٩	عاصم بن أحيمر
٣٣٥	« ملاعب الأسنة
٢٣٤	عائشة بنت طلحة
١١٨	العباس بن محمد بن علي
١١٨	« موسى الهادي
١٩	عبد الحارث بن ضرار
١٢٦	أبو عبد الحميد المكفوف
٣٤٨	عبد الرحمن بن الحكم
	أبو عبد الرحمن السلمي = عبد الله
	ابن حبيب
٢٤٠	عبد الرحمن بن أبي ليلى
٢٨٣	عبد العزيز بن أبان
٨٧	« مروان
١١	عبد الله بن أنيس
١١	« حبيب
٨١	« سبأ
١٦٧	« علي بن عبد الله بن العباس

٢٢٤	المجنون العاصري
٣٣٨	أبو محجن الثقفي
١٦٠	محمد بن جنادة
١٠٣	» » سعد بن أبي وقاص
١٥٣	» » سوقة
١٦٠	» » طلحة بن مصرف
٢٨٨	» » عبد الله العتيبي
١٥٨	» » علي بن الحسين
١٤٢	» » عمرو بن علقمة
٥٧	» » كناسة
١٨١	» » المنتشر
١٧٣	» » المنكدر
١٧٤	مذعور بن الطفيل
١٢٩	مرة الحمداني
٨٦	مروان بن الحكم
٣٥٠	مزدك
١٧٥	مساور الوراق
٢٧٥	مسروق بن الأجدع
١٧٧	المسور بن مخزومة
٣٥٦	المسيح الدجال
٤٠	مضر بن ربي
١٩٢	المطرح بن يزيد الأسدي
٢٣١	معن بن أوس
٢٤٥	المقشعر
١٠٢	المقنّع الكندي
	ملاعب الأسنة = عاصر ملاعب الأسنة
٢٤٦	المنخل البشكري
٢٢٧	منقذ بن دينار الهلالي
٢٣٢	المهلب بن أبي صفرة
٣٢١	أبو المهوش الأسدي
	موتم الأشبال = عيسى بن زيد
	ابن علي
	المورياني = سليمان بن مخلد
١٢٨	موسى بن داود الضبي
٦٢	المؤمل بن أميل المحاربي
١٩١	موسى بن عبيدة الربذي

(ف)

٢٣٣	فدكي بن أعبد
	ابن فسوة = عتيبة بن مرداس
١٥	فضالة بن شريك
٩٣	الفضل بن عبد الصمد الرقاشي
٣٥٦	» » يحيى بن خالد

(ق)

٣٤٩	قابوس بن المنذر
١٩٢	القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي
١٦٦	» » مخيمرة
١٥٧	قيصة بن جابر
٨٨	الققعاق بن معبد
٢٣	أبو قيس بن الأسلت
٢٩١	قيس بن الربيع الأسدي

(ك)

٢٢٩	كامل بن عكرمة
١٩٦	كثير بن الصلت
٢٧٦	الكذاب الحرمازي
٥٩	كعب بن ماتع الحميري
	ابن كناسة = محمد بن كناسة
١٧٥	كهمس بن الحسن

(ل)

٢٢٢	لبابة بنت الحارث الهلالية
١٦٢	ابن لسان الحمرة
٣٢٣	اللعين المنقري
٧١	لقيط بن زرارة
١١٢	ابن ليلي

(م)

٢٣٥	مالك بن حمار الشمخي
٣٦	» » الربيب
٣٨	المنلمس
١٠٨	مجزأة بن ثور

١١٤	أبو الوجيه العكلى
٧٠	ورد بن عمرو بن ربيعة
٢٣٢	الوزير المهلبى
١٧١	وهيب بن الورد

(ى)

١٦٩	يحيى بن جمعة
٣٥٧	» » زيد بن على بن الحسين
٢١٢	» » أبى كثير الطائى
٣٧٤	» » المبارك اليزيدى
٣٦٢	يزيد بن الحكم بن أبى العاصى
٢٢٦	» » ضبة
٣٦	» » مفرغ
٢٥٧	يعقوب بن داود الأنبارى
٢٥٣	يونس بن عبد الأعلى
	اليزيدى = يحيى بن المبارك

(ن)

٣٠٤	الناطقة الديبائى ، زياد
١٣٠	نجدة بن عامر الحنفى
٢٢٥	أبو نخيلة الراجز
٦٦	نهل بن حرى
٢٤٧	أبو نواس

(هـ)

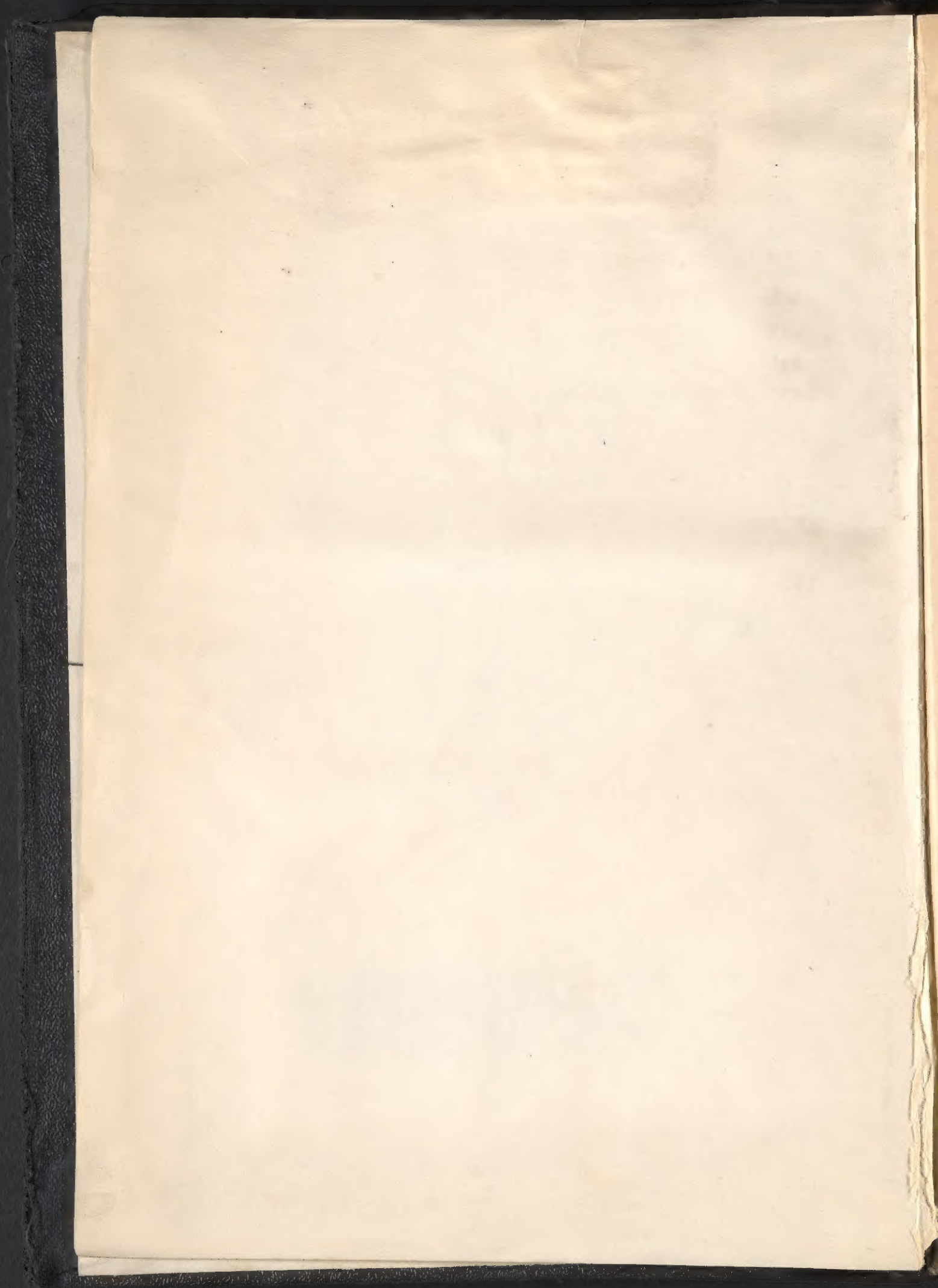
١٦١	هانى بن قبيصة
١٨٩	هشام بن عبد الملك
١٩٣	هم بن الحارث
٣٥١	أبو الهول

(و)

٧٨	وائل بن الأسقم
٤٩	والبة بن الحباب

تصحیحات

ص	ص	ص	ص
١١٥ : ٦	ويحشو	١٢ : ٤	للبقار
١٢٠ : ٧	وفد فى وفد عاد	٢٢ : ١٣	« إذ نجا لكان » .
١٤٦ : ٥	بنى تميم	٢٢ : ١٤	ورواية اللسان تخرج
٢٦٣ : ٥	بل حكاة	٣٠ : ١٤	ضربه زميله بالعصا
٣١٣ : ١٠	متى ما شئت .	٣٢ : ٣	تغليط الناس
٣٥٧ : ١٨	خرج عليه	٥١ : ١٤	البقار
٣٦٥ : ٨	ذوى قربنى	٥٧ : ٩	ولى موضع



AUC - LIBRARY

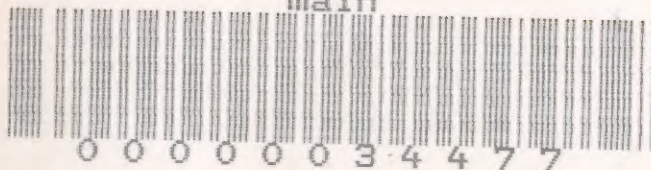


DATE DUE

16 JUL 1987	
23 APR 1990	A.U.C.
4 DEC 1990	5 DEC 1990
A.U.C.	
10 JUL 1994	A.U.C.
A.U.C.	15 SEP 2001
11 JUL 1994	

PJ
7745
J3
A6
1948

main



0 0 0 0 0 0 3 4 4 7 7

PJ 7745 J3 A6 1948/v.3

